مقامات

بديع الزمان الهمذاني

أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

قدم لها وشرح غوامضها

الإمام العلامة الشيخ محمد عبده

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الثالثة
٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

ISBN 2-7451-3397-7

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال محمد عبده بن عبده خير الله المصريّ: الحمد لله على ما أنعم. وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. وبعد فقد عرف الناظرون في كلام العرب. وشهد السالكون على مناهج الأدب. أن الشيخ أبا الفضل أحمد بن الحسين بن يحيىٰ بن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان قد طبّق الآفاق ذكره. وسار مثلًا بين الناس نظمهُ ونثره. فلهُ الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة. والقصائد المؤنقة. ولهُ المعاني العالية. في العبارات الحالية. والأساليب الساحرة. في الألفاظ الباهرة. وما أجدرهُ بقول نفسهِ في وصف زهير «يذيب الشعرَ والشعرُ يذيبه. ويدعو القول والسحر يجيبه». ولا حاجة للإطالة فيما ظهر حتى بهر. وبلغ شهرة الشمس والقمر. ومن أشرف ما امتاز به كلامهُ أنهُ يباهي كلام أهل الوبر رصانةً ورفعةً. ويمتزج بطباع أهل الحضر رقَّةً ورواءَ صنعة. فبينما يخيل لسامعهِ أنهُ بين الأخبية والخيام. إذ يتراءى له أنهُ بين الأبنية والآطام.

وقد قالوا إنهُ أنشأ من المقامات زهاء أربعمائة مقامة لكن لم يظفر الناس منها اليوم بغير عدد قليل ينيف على الخمسين طبع مجموعه في الآستانة العليَّة وهو على نزارتهِ غزير الفوائد كثير الفرائد. جمّ الفنون. متصرّف في شتى من الشؤون. يستفيد منهُ العليم. ويهتدي بهِ الناشىء في التعليم. غير أن الانتفاع بهِ كان عسرًا لسببين: الأوَّل ما عاث به النسَّاخ في ألفاظه من تحريف يفسد المبنى. ويغيّر المعنى. وزيادة تضرّ بالأصول. وتذهب بالذهن عن المعقول. ونقص يهزّع الأساليب. وينقض بنيان التراكيب. فالناظر فيه إن كان ضعيفًا ضلَّ أو حار. وإن

كان عريفًا لم يأمن العثار. والوجه الثاني غرابة بعض كلماته. وخفاء كثير من إشارته. وغموض في تأليف بعض عباراته. فالمبتدئون بمعزلٍ عن فهمه. وأهل التحصيل في عناءٍ من تفهُّمه. فمسَّت الحاجة في الاستفادة منه أوَّلًا إلى تصحيحه. وردّ لفظه إلى صريحه. وثانيًا إلى تفسير غريبه وتبيين خفيّه وتوضيح غامضه. ولمَّا كان على قصره. أنفع لطلاب الفصيح من غيره. وفي قلَّة ألفاظه. أبعث للأنفس على استحفاظه. عُني بعض حفدة العربية من سكَّان سورية بطلب ما تتمُّ به الفائدة من ذلك فحملني إذ كنت في تلك الديار على النظر فيه. ووضع تعليق عليه يكشف من خوافيه. ويسهل على طُلّاب معانيه أمر تعاطيه. فأجبت طلبه. وشكرت أدبه. واستعنت الله تعالى على العمل. وسألتهُ الوقاية من وصمة الزلل. وزلَّة الخطل. وأقدمت على ذلك بلا سابق أقتفيه. ولا ذي مثال أحتذيه. ولا مادَّة لي إلَّا طبع عربيّ. وذوق أدبيّ. وأمهات اللغة الحاضرة. وأمثال للعرب سائرة. ومقالات لهم على الألسن دائرة. وعوَّلت فيه على الاختصار. خوف السآمة من الإكثار. ولم أعدُ الغرض من تسهيل فهم الكتاب. لحديث العهد بالآداب. أما الآخذون في العلم رشدهم. والبالغون في المعرفة أشدَّهم. فأولئك لهم من نافذ الفهم ما يسبق التفسير. ويبلغ كنه المراد قبل التعبير. إلا أنهم فيما أظنُّ سيحمدون قصدنا عند المطالعة إذا عرض الحرف الغريب والمعنى البعيد فيغنيهم ما يجدون عن طول المراجعة ويكفيهم مؤنة البحث في معجمات اللغة ويسرع إليهم بما عساه يبطىء عليهم من أنفسهم ويثير ما ربما كان كامنًا في مداركهم. بل قد يكون في الخطأ إن حقَّق هداية لصواب لو طلبوهُ. فالرجاء أن يحملوني من إنصافهم على الفضل من محاسن أوصافهم.

وههنا مما ينبغي التنبيه عليه وهو أن في هذا المؤلف من مقامات البديع رحمه الله افتنانًا في أنواع من الكلام كثيرة ربما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته. ويخجل مثلي من شرح عبارته. ولا يجمل بالسذَّج أن يستشعروا معناه. أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه. وأعوذ بالله أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من قدره. أو أعيبهُ بما يحطُّ من أمره. ولكن لكلّ زمانٍ مقال. ولكل خيالٍ مجال. وهذا عذرنا في ترك المقامة الشامية. وإغفال بعض جمل من المقامة الرصافية. وكلمات

من مقامة أخرى مع التنبيه على ذلك في مواضعه. والإشارة إلى السبب في مواقعه. وليس هذا العمل بدعًا. ولا من الممنوع شرعًا. فقد جرت سنَّة العلماء بالتهذيب والتمحيص. والتنقيح والتلخيص. وليس من منكر عليهم في شيءٍ من ذلك وإنّما الممنوع أن يؤتى ببعض ذلك أو كله مع السكوت عنهُ فيكون تغريرًا للناظر. وضلّةً للقاصر. ونسبة قول لغير قائله. وحمل أمر على غير حامله. وهذا من الظاهر الجليّ عند العارفين. وإنما يبعث على بيانه سوءُ ملكة المتشدقين.

وأمّا تصحيح متن الكتاب فقد وفّق الله لهُ بتعدُّد النسخ لدينا. وإن عظمت مشقَّة الاختيار علينا. لتباين الروايات واتفاق الكثير منها على ما لا يصحُّ معناه. ولا يستجاد مبناه. فكان الوضع اللُّغويّ أصلًا نرجع إليه والاستعمال العرفيّ مرشدًا يعوّل عليه. ومكان المصنّف بين أهل اللسان ميزانًا للترجيح. ومقياسًا نعتدّ به في التصحيح. فإن تعدّدت الروايات على معانٍ صحيحة أثبتنا في الأصل أولاها بالوضع إمّا لتأيُّده بالاتفاق مع أكثر الروايات وإمّا لتميزه بقرب معناهُ إلى ما احتفّ به من أجزاء القول. ثم أشرنا إلى الروايات الأخرى في التعليق. وإن كانت في حاجة إلى التفسير جئنا به على طريقتنا من الاختصار. فجاء الكتاب والحمد لله صافيًا. وأرجو أن يكون التفسير بتيسير الله وافيًا. واسأل الله أن لا يحرمني مثوبة العمل عنده. وأن يكفيني من الأمر ما يكفي الربُّ عبده. وهو ولي الإجابة. وإليه الإيابة.

المقَامَةُ القَرِيضِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحَتْنِي النَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ[١] الأَقْصَى. فَاسْتَظْهَرْتُ على الأيَّامِ بِضِيَاعٍ أجلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ[٢]. وَأمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التِّجَارَةِ. وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً[٣]. وَرُفْقَةٍ اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً. وَجعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتَي النَّهَارِ[٤]. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ القَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتِلْقَاءَنَا[٥] شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ. وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ. حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ[٦]. وَجَرَّ الْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ[٧]. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ

---

(١) **النوى**: ما ينويه المسافر بسفره فهو القائد له يصرفه في المسالك ويطرحه المطارح فلم يزل مقصده يرميه في مكان ثم ينقله فيطرحه في آخره حتى **وطىء** جرجان: أي وصلها وداس أرضها. **وجرجان** من بلاد التتر.

(٢) **استظهر** على الأيام: استعان على حوادثها. **والضياع**: جمع ضيعة ما تمتلكه من أراضي الزراعة. **وأجال** يد العمارة: حركها وأعملها في الضياع بإصلاح الفاسد منها وتقوية ما ضعفت مادة الإنبات فيه واجتلاب المياه إليها وتنقيتها من كل ما يضر بالزرع لتعمر بعد ذلك بأنواع النباتات والأشجار الممدة بما تثمره جداول الرزق.

(٣) أراد من **الحانوت** موضع سلعه الذي تباع فيه. **والمثابة**: المرجع كأن الحانوت لم يكن لحاجة إليه وإنما هو مآب له يرجع إليه ليعرف به فيجتمع إليه من يطلبه.

(٤) **حاشيتا** النهار: طرفاه الصباح والمساء يكون جلوسه فيهما بالدار وما بينهما من أوساط النهار يصرفها بالحانوت.

(٥) **القريض**: الشعر. **وتلقاءنا**: أي على موازاتنا ومقابلتنا.

(٦) أي انحدر بنا في أبواب المعاني انحداره المعروف عند أهله فإن للكلام اندفاعًا بالمتكلمين يكاد يغلبهم على ما لا يقصدون الخوض فيه وذلك معروف عند مَن له إلمام بالكلام.

(٧) **جر الذيل**: يكنى به عن العجب والخيلاء كأنه مثل الجدال في تسلطه عليهم بمن حكم فظلم فتاه على المغلوبين له وقد يراد به الإطالة يقال جر الكلام ذيله وبذيله أي طال كأنه ثوب فاض=

عُذَيْقَهُ. وَوَافَيْتُم جُذَيْلَهُ(١). وَلَوْ شِئْتُ لَلَفَظْتُ وَأَفَضْتُ(٢). وَلَوْ قُلْتُ لأَصْدَرْتُ(٣) وَأَوْرَدتُ. وَلَجَلَوْتُ الْحَقَّ في مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ. وَيُنْزِلُ الْعُصْمَ(٤). فَقُلْتُ: يَا فَاضِلُ ادْنُ فَقَدْ مَنَّيْتَ. وَهَاتِ فَقَدْ أَثْنَيْتَ(٥). فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ. وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فَقُلْنَا: مَا تَقُولُ في امْرِىءِ الْقَيْسِ؟ قال: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بِالدِّيَارِ وَعَرَصَاتِهَا(٦). وَاغْتَدَى وَالطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا(٧). وَوَصَفَ الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. وَلَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِبًا. وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاغِبًا. فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ. وَانْتَجَعَ(٨)

= حتى جر ذيله على الأرض.

(١) **أصبتم**: وجدتم. **عذيقه**: تصغير عذق بفتح العين وهو النخلة بحملها والتصغير للتعظيم وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر «أنا عذيقها المرجب وجذيلها المحكّك». **والمرجب**: من رجب الشجرة إذا دعمها بما يمنعها من الانكسار والسقوط لثقل حملها. **والجذيل**: تصغير جذل بالكسر وهو عود ينصب للجربى من الإبل لتحتك به يريد قائل ذلك أنه صاحب الأمر المضروب فيه المثل وهو به زعيم لا يضعف عن احتماله والنهوض به.

(٢) من **أفاضوا** في الحديث إذا اندفعوا فيه أو من نحو قولك كلمته فما **أفاض** بكلمة أي ما أفصح بها أي لو شئت لتكلمت وأفصحت.

(٣) من **إصدار** الإبل عن الماء بعد إيرادها مثل لانقلاب الأذهان راوية بالفهم ثم اهتداء مَن لم يفهم بهدي من فهم فيرد الحوض الذي ورده فينال من الفهم حظه وكان أيسر لو قدم أوردت على أصدرت.

(٤) **العصم**: جمع الأعصم وهو من الوعول والظباء ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر أنثاه عصماء وهي تلزم رؤوس الجبال دائمًا ولا تنزل إلا إذا اضطرت وكأن هذا البيان يختطف قلوبها إلى صاحبه فيستنزلها لسماعه وهو مثل مشهور.

(٥) أي جعلت لنا فيك أمنية الاستفادة منك ويصح أن يكون من منى الرجل إذا وافى الحلم. **وأثنيت** من أثنى الرجل إذا ألقى ثنيته وهي إحدى أسنانه الأربع في مقدم فمه ولا يكون ذلك عادة إلا بعد بلوغ حد الكبر أي إنك بلغت ببيانك مبلغ المحنكين وقد يكون أثنيت بمعنى أنبأت عن علمك بفصاحة قولك من الثناء.

(٦) أي هو أبرع الشعراء في وصف ذلك والتعبير عما يجده العشاق في مواقفهم بمواطن الأحبة.

(٧) **وكنة** الطائر: مثلثة الأول وبضمتين عش الطائر أو مأواه بلا عش أما في العش فهو وكر. **والاغتداء**: الذهاب وقت الغدوة مقابل **الرواح**: وهو الرجوع وقت المساء والطير أسبق الحيوان تبكيرًا فمن يغتدي وهي في مآويها يكون من أيقظ الناس قلبًا وأشدهم دُؤوبًا في همه أي أن امرىء القيس أجود الناس ذكرًا لذلك في شعره.

(٨) أي أنه فاق في جودة شعره أولئك الذين ما فتق لسانهم بالقول إلا الاحتيال في كسب المال وما حرك أناملهم بالأقلام لتحبير الخطب والقصائد إلا **انتجاعهم**: أي ذهابهم لارتياد الأرزاق رغبة في تحصيلها.

لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟ قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ(١). وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ. وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ. وَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟ قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ وَالشِّعْرُ يُذِيبُهُ(٢). وَيَدْعُو القَوْلَ وَالسِّحْرُ(٣) يُجِيبُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في طَرَفَةَ؟ قَالَ: هُوَ مَاءُ الأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا(٤). وَكَنْزُ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا. مَاتَ وَلَمْ تظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ. وَلَمْ تَفْتَحْ أَغْلَاقُ(٥) خَزَائِنِهِ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ وَأَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟ فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا. وَأَغْزَرُ غَزْرًا(٦). وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا(٧). وَأَكْثَرُ فَخْرًا. وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا. وَأَشْرَفُ يَوْمًا(٨)، وَالْفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا(٩). وَأَكْرَمُ قَوْمًا. وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى(١٠). وَإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى(١١). وإِذَا مَدَحَ أَسْنَى(١٢). وَالفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى(١٣). وَإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى(١٤). وَإِذَا وَصَفَ

(١) **يثلب**: أي يسب ويشتم **وحنق**: أي اشتد غضبه.

(٢) هذا تمثيل لسهولة الشعر على طبعه وانقياد طبعه للشعر ورقة كل منهما حتى كاد كل يذيب الآخر.

(٣) هذا تمثيل لأثر قوله في القلوب بلا تعمد لذلك فهو إذا دعا القول أي استنزله من قريحته إلى ظاهر لفظه أجابه **السحر**: أي أخذ السحر من لسانه مكان القول فهو يريد قولًا فيكون سحرًا.

(٤) تصوير لكون شعره مادة الأشعار ومنه كانت نشأتها.

(٥) أي أن أجله لم يكن كافيًا لإظهار ما أسر في طبيعته من دقائق المعاني ولو عاش دهورًا طوالًا لاطلع الناس منه على ما لا يقاس إليه في الكثرة. هذا الذي شاهدوه من أثره أي أن ما قاله ليس شيئًا إذا قيس إلى ما لم يقله. **والأغلاق**: جمع غلق بالتحريك ما يغلق به الأبواب ومعنى الفقرة الثانية ظاهر مما قلنا.

(٦) **أغزر**: أكثر وغزرًا كثرة أي إن كان للفرزدق غزارة في معانيه فغزارة جرير أعلى من غزارة صاحبه.

(٧) تمثيل لتمكن قوافيه واستحكام ألفاظه في معانيه.

(٨) إذا ذكر أيام قومه ومواقع سلفه دل على شرف رفيع.

(٩) **الروم**: كرم الطلب أي أن مطالبه أكثر من مطالب جرير وإذا ذكر قومه ظهرت صفات كرمهم في شعره أكثر مما تظهر صفات قوم جرير في شعره.

(١٠) **نسب**: أي ذكر أوصاف النساء وفعائل شمائلهن في قلوب الرجال **وأشجى**: أي ألهب الأفئدة بنيران الأشواق.

(١١) مثل قوله أوجع هجوًا: أي إذا هجا أهلك مهجوه.

(١٢) **أسنى الشيء**: رفعه فهو إذا مدح شخصًا رفع منزلته وأعلى مقامه بمدحه.

(١٣) **أجزى**: أغنى بفخره عن غيره فلا يحتاج إلى مَن ينصره على مَن يفاخره.

(١٤) **أزرى** بمن يحتقره: أي وضع منه وألصق النقيصة به.

أوْفى[١]. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا. وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حَظًّا. وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وَأَرَقُّ نَسْجًا. قُلْنَا: فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ. وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا فِي مَعْرَضٍ وَاحِدٍ. وَقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَّى طِمْرَا ... مُمْتَطِيًا فِي الضُّرِّ أَمْرًا مُرَّا[٢]
مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمْرَا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُروفًا حُمْرَا[٣]
أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِالأَمَانِي دَهْرَا[٤]
وَكَانَ هَذَا الْحَرُّ أَعْلَى قَدْرَا ... وَمَاءُ هذَا الْوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا[٥]
ضَرَبْتُ لِلسَّرَّا قِبَابًا خُضْرَا ... فِي دَارِ دَارَا وَإِيوَانِ كِسْرَى[٦]
فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا ... وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا[٧]

(١) **أوفى**: من أوفى فلانًا حقه أعطاه أياه تامًا والفرزدق إذا وصف يوفي الموصوف ما يقتضيه من الوصف.

(٢) **الطمر**: الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف. **وتغشاه**: اتخذه غشاء أي غطاء. **وممتطيًا**: أي راكبًا من امتطى الناقة إذا ركب مطاها أي ظهرها. والمعدم في فقره: كأنما يلاقي من البؤس مثل ما يلاقي راكب الصعبة من التعب والعناء وما يتذوقه من آلام المشاق أشبه بالطعام أو الشراب المر البشع الطعم لهذا وصف الأمر بالمرارة بعدما عده مطية له.

(٣) **مضطبنًا**: من اضطبنه إذا حمله في **ضبنه** وهو ما دون الإبط. **والغمر** بالكسر الغل والحقد أي إني حاقد على الليالي لشدة ما آذتني ببردها ملاقيًا منها شدائد نزلت مني منزلة العدو المجتاح وذكر الحمرة لأن العرب تصف أشد الأشياء أذى بالحمرة فتقول الموت الأحمر والهلاك الأحمر لأنهم يعدون كل مَن ليس بعربي من الفرس والروم وأمثالهم من جنس الأحمر وكانت الحروب بينهم وبين الحمر لا تنقطع من عهد نشأتهم فوصفوا كل خبيث بالأحمر.

(٤) **الشعرى**: كوكب يطلع في الجوزاء وظهوره في شدة الحر والشاعر يتمنى طلوع الشعرى حتى يسالمه الجو فيستغني بحرارته عن اللباس. والصيف لباس الفقراء وقد كان من قبل يعني بالأماني الكاذبة من دوام النعيم والازدياد في الترف.

(٥) يريد من الحر نفسه ومن الوجه وجهه يريد أنه كان غنيًا رفيع المقدار.

(٦) **السراء**: المسرة والرخاء. وضرب القباب الخضر في دار دارًا ملك الفرس. **وإيوان كسرى**: أي قصر كسرى أنوشروان أو أزدشير كناية عن إظهار آيات الثروة وشواهد العظمة.

(٧) **انقلب** ظهرًا لبطن: بمعنى تحوّل من سرائه لضرائه وما كان معروفًا من العيش أصبح منكرًا أي استبدل طيبه المألوف برديئه المكروه.

لَمْ يَـبْـقَ مِـنْ وَفْـرِيَ إلَّا ذِكْـرَا ثُـمَّ إلَى الْيَـوْمِ هَـلُمَّ جَـرَّا(١)
لَوْلَا عَـجُـوزٌ لِي بِـسُـرَّ مَـنْ رَا وَأَفْـرُخٌ دُونَ جِـبَـالِ بُـصْـرَى(٢)
قَـدْ جَلَبَ الـدَّهْـرُ عَـلَيْـهِـمْ ضُـرَّا قَـتَلْتُ يَـا سَادَةُ نَـفْسِـي صَبْرَا(٣)

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ(٤). وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأُثْبِتُهُ. وَأُنْكِرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ. ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ(٥). فَقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ وَاللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا(٦). وَوَافَانَا جِلْفًا. وَنَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وَقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الْفَتْحِ. أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ. فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا؟ فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْـحَـكَ هَـذَا الـزَّمَـانُ زُورُ فَـلَا يَـغُـرَّنَّـكَ الـغُـرُورُ
لَا تَـلْتَـزِمْ حَـالَةً وَلَـكِـنْ دُرْ بِـالـلَّيَـالِي كَـمَـا تَـدُورُ

(١) **الوفر**: الغنى يقول ذهبت ثروته إلا ذكرها فهو باقٍ في هاجس نفسه وما يغنيه شيئًا ولم يزل حاله ينجر به في الشدة إلى اليوم.

(٢) **سُرَّ مَن را**: بلدة بناها المعتصم العباسي قرب بغداد. يدعي أبو الفتح أن له عجوزًا أي زوجة في تلك البلدة وأن له أفرخًا أي أولادًا صغارًا بالقرب من جبال بصرى وهي من مدن سوريا في الشرق الجنوبي من حوران.

(٣) يريد من **الضر** الفقر وقوله: قتلت جواب لولا وكل مَن يحبس حتى يقتل يقال فيه قتل صبرًا أي لولا العجوز والأولاد لحبست نفسي على أحد أسباب الهلاك حتى قتلتها صبرًا.

(٤) **تاح**: تهيأ وقدر.

(٥) **ثناياه**: مقدم أسنانه.

(٦) **الخشف**: ولد الظبي يقول: فارقناه حدثًا جميلًا ووافانا الآن جاسيًا غليظًا وبقية الكلام إلى آخر المقامة ظاهر.

المقَامَةُ الأزاذيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: كُنْتُ بِبَغْدَاذَ[١]. وَقْتَ الأَزَاذِ[٢]. فَخَرَجْتُ أعْتَامُ[٣] مِنْ أَنْوَاعِهِ لِابْتِيَاعِهِ. فَسِرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا[٤]. وَجَمَعَ أَنْوَاعَ الرُّطَبِ وَصَفَّفَهَا[٥]. فَقَبَضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَرَضْتُ[٦] مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَجْوَدَهُ. فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِيَ الإِزَارِ. عَلَى تِلْكَ الأَوْزَارِ[٧].

---

(١) **بغذاذ**: هي مدينة بغداد المشهورة وفي لفظها لغات بذالين معجمتين ودالين مهملتين وبمختلفتين مع تقدم المعجمة أو تأخرها وبغدان وبغدين ومغدان وتلقب بمدينة السلام ولفظها في الأصل فارسي مركب من باغ بمعنى بستان وداد بمعنى العدل فهو بدالين مهملتين وبقية اللغات وجوه تعريب وكانت من بناء الفرس قبل الإسلام إلا أنها لم تكن من حواضرهم وبقيت كذلك إلى سنة ١٤٥ من الهجرة فجدد الخليفة المنصور ثاني خليفة من بني العباس اختطاط مكانها حاضرة للخلافة العباسية وتم بناؤها في سنة ١٤٦ وأنفق فيه أربعة ملايين درهم وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهمًا وكان عرض الطريق فيها أربعين ذراعًا.

(٢) **الأزاذ**: نوع من التمر.

(٣) **الاعتيام**: الاختيار أي خرجت من المدينة لأختار نوعًا من أنواع هذا التمر فأنال منه وكانت أسواق بغداد خارجها ناحية الكرخ. قيل في سبب ذلك: أن رسولًا قدم على أبي جعفر فسأله كيف رأيت المدينة فقال: أرى بناء حسنًا إلا أني أرى معك فيه أعداءك وهم السوقة. فأمر بإخراجهم ولم يأذن إلا لأربعة بقالين في كل ربع منها واحد. وقيل في سبب إبعاد الأسواق غير ذلك.

(٤) ميّز بعضها عن بعض.

(٥) **الرطب**: نضيج البسر قبل أن يتمر. **والتصفيف**: جعلها صفوفًا كل نوع في صف.

(٦) **قبض** الشيء كضرب: تناوله بيده ويريد كل شيء من الفواكه الموجودة. **وقرضت** عند الرجل: بمعنى قطعت فإن مَن تناول من تلك الفواكه شيئًا ليأخذه فقد قطعه عن جملته.

(٧) **الإزار**: الملحفة. **وحواشيه**: أطرافه. وضع ما أخذه في ملحفته وجمع أطرافها عليه. **والأوزار**: =

أَخذَتْ عَيْنَايَ(١) رَجُلًا قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ بِبُرْقُعِ حَيَاءٍ وَنَصَبَ جَسَدَهُ. وَبَسَطَ يَدَهُ(٢). وَاحْتَضَنَ عِيَالَهُ(٣). وَتَأَبَّطَ أَطْفَالَهُ. وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ يَدْفَعُ الضَّعْفَ في صَدْرِهِ. وَالْحَرَضَ(٤) في ظَهْرِهِ:

وَيْلِي عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيقِ(٥) ... أو شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ(٦)
أو قَصْعَةٍ تُمْلأُ مِن خِرْدِيقِ(٧) ... يَفْثَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيقِ(٨)
يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ(٩) ... يَا رَازِقَ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيقِ

= الأحمال.

(١) **أخذته** عيناه: تناولته بالنظر أي أبصره.

(٢) **البرقع**: ما تستر به المرأة وجهها وهو في الإنسان من خواص النساء وكان الأقوم في التعبير قد جلل وجهه برقع لأن الرأس لا يبرقع ولا ستره من خواص الحياء ولكنه أراد أنه لفّ رأسه بما سدل منه طرفًا على وجهه أو أراد بالبرقع اللثام وهو ما يدل عليه الكلام الآتي آخر المقامة. **ونصب** الجسد: القيام. **وبسط** اليد: مدها للسؤال.

(٣) **الحضن**: بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح. **واحتضنه**: جعله في حضنه. **والعيال**: جمع عيل فعيل بمعنى المفعول من تعوله وتنفق عليه من النساء والأولاد وقد لا يكونون صغارًا فهم يمشون إلى جانبه وكأنهم في حضنه. أما الأطفال فهم صغار الأولاد يعجزون عن المشي فيحملون ومن حملهم أن يكونوا تحت الإبط وهو معنى التأبط.

(٤) أي يصيح بصوت عالٍ يوقع الضعف في صدره من شدته. وفي العادة أن مَن يجهد نفسه في الصياح يجعه صدره كما يهن من ذلك ظهره فيقع فيه **الحرض** بالتحريك وهو الضعف الناهك المشرف بصاحبه على السقوط.

(٥) **ويلي** على كذا: من الجمل المحذوفة وأصله **ويلي** ينزل بي على أن لم يكن كذا أي لعدم كونه. **والويل**: الهلاك ثم خرجت الجملة مخرج التلهف فهو يتلهف على كفين أي ملئهما من إطلاق المحل وإرادة الحال من **السويق** وهو جريش الشعير والقمح بعد قليهما قليًا خفيفًا فلا ينعم طحنهما وما لم ينعم طحنه أو دقه فهو جريش ثم قد يلت بعد ذلك بسمن أو زيت.

(٦) **الشحمة**: القطعة من الشحم فإذا صهرت ثم ضربت بالدقيق كان نوع من العصيدة أشبه بالخزيرة.

(٧) **الخرديق والخردق**: المرقة ويريد مرقة فت بها الخبز حتى يكون ثريدًا.

(٨) **فثأ** القدر: سكن غليانها. **والبارد**: كسر برده بالتسخين. **والسطوات**: جمع سطوة وهي الصولة ومن الماء كثرته. **والريق**: ماء الفم. والشطر كناية عن تسكين الجوع فإن الجائع يسطو عليه ريقه بتتابع الإفراز لحرارة المعدة حتى إذا نضب هلك.

(٩) **منهج** الطريق: جادته وهو منطرح عليها لاستجداء المارة فلو وجد شيئًا مما تمناه لمال عن الطريق وكف عن السؤال.

سَـهِّـلْ عَـلَى كَـفٍّ فَـتًـى لَبِـيـقِ ذِي نَـسَـبٍ فِـي مَـجْـدِهِ عَـرِيـقِ[١]

يَـهْـدِي إِلَيْـنَـا قَـدَمَ الـتَّـوْفِـيـقِ[٢] يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ[٣]

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَأَخَذْتُ مِنَ الكِيسِ أَخْذَةً وَنِلْتُهُ إِيَّاهَا[٤]. فَقَالَ:

يـا مَـنْ عَـنَـانِـي بِـجَـمِـيـلِ بِـرِّهِ أَفْـضِ إِلَى اللهِ بِـحُـسْـنِ سِـرِّهِ[٥]

وَٱسْتَحْفِظِ اللهَ جَمِيلَ سِتْرِهِ[٦] إِنْ كَـانَ لَا طَـاقَـةَ لِي بِـشُـكْـرِهِ

فَـاللهُ رَبِّـي مِـنْ وَرَاءِ أَجْـرِهِ[٧]

قَـالَ عِـيـسَـى بـنُ هِـشَـامٍ: فَـقُـلْـتُ لَهُ: إِنَّ فِـي الْكِـيـسِ فَـضْـلًا[٨] فَـابْـرُزْ عَـنْ بَـاطِـنِـكَ أَخْـرُجْ[٩] إِلَيْـكَ عَـنْ آخِـرِهِ. فَـأَمَـاطَ

(١) **اللبيق** الحاذق في عمله والمراد منه هنا الكريم وتسهيل الله على كفه أن يهون عليه السخاء بالعطاء. وفي **مجده** متعلق بعريف أي متأصل في المجد والشرف توشجت فيه عروقه من الأجداد إلى الأبناء.

(٢) إضافة القدم إلى التوفيق كإضافته إلى الطاعة في قولك القوم على قدم الطاعة أي القدم الممدود بتوفيق الله له للسعي في الخير وفاعل يهدي يعود على الفتى أي ذلك الفتى يهدي إليّ قدمه لينقذ عيشي من الترنيق فجعل الفتى هاديًا والقدم مهديًا ساعيًا لأن الإرادة من الفاعل هادية لفعله قائدة له والكلام على ضرب من التمثيل.

(٣) **الترنيق**: التكدير وضعف الأمر. **وأنقذه** منه: خلصه.

(٤) **الأخذة**: من الأخذ أريد بها المفعول كما يقال قبضت قبضة أي تناولت من الكيس جملة مما حواه. **ونلته**: أي أعطيته إياها.

(٥) **عناني**: أرادني وجميل البر من إضافة الصفة إلى موصوفها أي بالإحسان الجميل وأفضى إلى الله بكذا لم يطلع عليه سواه كأنما يخلو شخص بآخر يساره. **والسر**: ما يكتم والضمير المضاف إليه يعود للبر أي لا تطلع أحدًا على الحسن من سر برك.

(٦) **استحفظ** الله: اسأل الله حفظ الجميل من ستر ذاك البر وهو بمعنى الشطر قبله يسأله كتمان سر الإحسان كي لا يشهر السائل بالاجتداء والاستعطاء ولا أعجب من هذا السؤال بعد رفع الصوت بالسؤال.

(٧) الله من ورائه لا يهمله ولا يتركه فإن لم يستطع الممنوح شكر المانح فالله لا يضيع أجره والأجر أجل من الشكر وإنما يعظم مع الستر.

(٨) بقية من الدراهم.

(٩) **برز**: أصله خرج إلى البراز أي الفضاء ثم استعمل في الظهور مطلقًا لأنه لازم الأصل. **والباطن** من الشيء حقيقته المستترة بما يغشيها وقد يلبسها بغيرها وكأن المتلبس بغير سرباله البادي للأعين في غير حاله قد كمن في باطن نفسه المحتجب فإذا كشف عن حقيقة أمره=

لِثَامَهُ[١] فَإذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ: وَيْحَكَ أَيُّ دَاهِيَةٍ[٢] أَنْتَ؟ فَقَالَ:

فَـقَـضِّ الْعُـمْـرَ تَـشْـبِـيـهَـا ... عَـلَى الـنَّـاسِ وَتَـمْـوِيـهَـا[٣]

أَرَى الأَيَّـامَ لَا تَـبْـقَـى ... عَـلَى حَـالٍ فَـأَحْـكِـيـهَـا[٤]

فَـيَـوْمًـا شَـرُّهَـا فِـيَّ ... وَيَـوْمًـا شِـرَّتِـي فِـيـهَـا[٥]

= فكأنما برز عن باطنه الذي كان مختبئًا به إلى ما يمكن الإبصار من معرفته. وقوله: **أخرج إليك الخ** يقال: خرج عن ماله إذا وهبه بأسره والواهب لشيء تارك له ذاهب عنه فهو كالخارج عن بيته مثلًا.

(١) **أماط** اللثام: نحّاه عن وجهه. **واللثام**: ما على الفم من النقاب وهو بعض البرقع إذا فسرنا البرقع بحقيقته أو هو المراد من البرقع كما سبق التنبيه عليه.

(٢) **ويح**: كلمة ترحم يقال ويحًا له وويحه إذا قصد الترحم عليه والاستغراب من عمله ونصبها بفعل واجب الحذف قالوا: وأصلها وي فوصلت بحاء. **والداهية**: الماكر الباقعة والاستفهام للإكبار والإعظام أي ما أعظمك من داهية أو ما أدهاك.

(٣) **قض**: أمر من قضى الشيء إذا أفناه وصرمه ففني وانصرم. **والتشبيه**: التلبيس وخلط الحقائق بما ليس منها حتى لا تعرف أي أفن عمرك في تلبيس أمرك على الناس لتنال منهم. **والتمويه**: طلي النحاس بذهب أو فضة فيظنه الناظر نفيسًا وليس به ثم أطلق على كل إظهار لما لا يكون في صورة ما هو كائن. ومنه إظهار الباطن في صورة الحق والرديء في حلية الجيد والغنى في صورة الفقر وهذا هو المراد هنا.

(٤) **حكاه** يحكيه كحاكاه يحاكيه أي شابهه أي أني أسير سيرة الأيام وليس للأيام سيرة ثابتة فأحكيها بسيرة ثابتة ولكنها تتقلب في الناس بالأطوار تقلبها عليهم بالأعمار وتنتقل في حدثانها انتقال الأفلاك في دورانها وما كان حاله كذلك فحالي معه ما تراه في البيت الآتي.

(٥) فيومًا ينفذ في شرها بما ترميني به من الفقر ويطلق الشر أيضًا على الفقر خاصة. ويومًا أقاوم سلطانها **بشرتي** بالكسر أي نشاطي وخفتي في إعداد ما يدفع بؤسها عني. وفي النسخة المطبوعة في القسطنطينية هذه الأبيات:

يـا حـريـصًـا عـلـى الـغـنـى ... قـاعـدًا بـالـمـراصـد

لـسـت فـي سـعـيـك الـذي ... حـصـت فـيـه بـقـاصـد

إن دنـيـاك هـذه ... لـسـت فـيـهـا بـخـالـد

بـعـض هـذا فـإنـمـا ... أنـت سـاع لـقـاعـد

والمراصد: المراقب. والقاعد عليها مَن يرقب أسباب الغنى لينالها. **وحصت** بالصاد المهملة أي عدلت فيه عن الصواب. **والقاصد**: القائم على العدل وقويم المحجة وقوله بعض هذا مبتدأ لخبر محذوف أو فاعل لمحذوف أي يكفيك. وأنت ساعٍ لقاعد مأخوذ من كلام الإمام=

....

= علي بن أبي طالب «رب ساعٍ لقاعد» أي قد لا ينتفع جامع المال بما سعى في جمعه ويخلص نفعه لوارث لا سعي له. وهذه الأبيات لا تناسب حال أبي الفتح في هذه المقامة وإنما تناسب حال الزاهدين النافضين أيديهم من الدنيا وحطامها وقد كشف حاله عن حرصه على كثرها وقلها.

المقَامَةُ البَلخِيّة

حدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: نَهَضَتْ بي إلى بَلْخَ تِجَارَةُ البَزّ[1] فَوَرَدْتُهَا وَأنا بِعُذْرَةِ الشَّبَابِ[2] وَبَالِ الفَرَاغِ وَحِلْيَةِ الثَّرْوَةِ[3] لَا يُهِمُّنِي إلَّا مُهْرَةُ فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا[4]. فَما اسْتَأْذَنَ عَلَى سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي[5] أفْصَحُ

---

(١) **بلخ**: مدينة من مدن خراسان وهي الآن من إيالات أفغانستان واقعة في شمالي جبال هندكوش غربي بدخشان جنوبي نهر جيحون. **والبز**: الثياب أو متاع البيت منها وما يشبهها من الملاحف والفرش وبائعه بزاز ثم غلب البز على ما ينسج من القطن خاصة. **ونهض به** وأنهضه أقامه أي أقامه من بلاده إلى مدينة بلخ قصد التجارة في البز والإسناد مجاز عقلي.

(٢) **العذرة**: الناصية وهي الخصلة من الشعر من مقدم الرأس ويعبر بالناصية عن أعلى الشيء أو موضع المكنة منه يريد عنفوان الشباب والأنسب بالعبارة الآتية أن يكون اللفظ «بغرة الشباب» أي غفلته. **ووردتها**: أي أتيتها.

(٣) **بال** الفراغ حاله أي وحال الخلو من هموم الحياة. **والحلية**: ما يزين به من مصوغ المعادن النفيسة أو الأحجار الكريمة وإضافتها إلى الثروة من إضافة المشبّه به إلى المشبّه فإن الثروة شبيهة بالحلية فكل منهما يكسب صاحبه بهاء.

(٤) **المهرة**: الأنثى من ولد الفرس. **وأستقيدها**: أطلب أن تنقاد لقيادتي ويقال: فلان يقود فرسًا إذا كان يملكها والفكرة بنت العلم وعليها يسبق صاحبها إلى المعالي إذا انقادت له وتيسرت. **وشرود** الكلم: ما لا يألف الألسنة منها إلا في مقاول الخاصة من الناس لنفاسته وعلو معناه فلا تحفظه أذهان العامة فكأنه الحيوان الشرود النفور. **وصيدها**: تناولها بالحفظ أو الكتابة. والمراد من الكلم الجمل المفيدة لا الكلمات المفردة.

(٥) تخيل الكلام الفصيح في صورة حي مدرك يستأذن في مداخله وسمعه أي قوة إدراكه الأصوات في مثال مزور يسأذن عليه. **ومسافة** المقام: مده الإقامة في بلخ وكان الأصوب استعمال مدة بدل مسافة لأن المسافة إنما تستعمل في الأبعاد المكانية لا الزمانية إلا بنوع من التكلّف أي أنه لم يسمع مدة إقامته كلامًا **أفصح** من كلامه فلم يستفد شيئًا مما كان يهمه من مهارات الأفكار وشوارد الكلام.

مِنْ كَلَامِي. وَلَمَّا حَنَى الْفِرَاقُ بِنَا قَوْسَهُ أو كَاد[١]. دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌّ فِي زِيِّ مِلْءِ العَيْنِ[٢]. وَلِحْيَةٍ تَشُوكُ الأَخْدَعَيْنِ[٣]. وَطَرْفٍ قَدْ شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ[٤]. وَلَقِيَنِي مِنَ البِرِّ في السِّنَاءِ[٥]. بِمَا زِدْتُهُ في الثَّنَاءِ. ثُمَّ قَالَ: أَظَعْنًا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: إِي[٦] وَاللهِ. فَقَالَ: أَخْصَبَ رَائِدُكَ[٧]. وَلَا ضَلَّ قَائِدُكَ[٨]. فَمَتَى عَزَمْتَ؟

---

(١) انعطف الفراق بنا عن بلخ إلى أوطاننا كما ينعطف أحد طرفي القوس للإقبال على الآخر فكان خطًّا من بلخ إلى وطنه وهو على طرفه من جهة بلخ فإذا **انحنى** به ذلك الخط وتقوّس أقبل من طرف بلخ إلى طرف الوطن فإن لم يكن إعدادنا للرجال انحناء للقوس بالفعل فهو قريب منه وهو معنى أو كاد.

(٢) **الزي**: الهيئة. وملء **العين**: يأخذها هيبة وحسنًا قال: ولكن ملء عين حبيبها.

(٣) **الأخدعان**: عرقان في صفحة العنق موضع الحجامة وهما شعبتان من الوريد واللحية. **تشوكهما**: تصل أطراف شعرها إليهما فتكاد تنفذهما لعظمها من **شاكه** الشوك يشوكه إذا نفذ فيه وفي بعض النسخ تشكو الأخدعين وفي بعضها تشكو دم الأخوين ولا معنى لهما إلا بتكلف لا يليق بكلام الفصحاء بأن يقال في الأولى إن من عادة الشاكي أن يأخذ بتلابيب المشكو ليجره إلى موقف المخاصمة فعبر بالشكوى عن بعض لوازمها وهو الملازمة وهو المراد من تشوك على ما بينا. ويقال في الثانية إنها بسوادها تشكو ماء الوجه في حمرته كأنما يغلب عليها توقده فيكون قد أصاب غرضين سواد اللحية وظهور ماء الحياة في الوجه وكلاهما عنوان لقوة الشبيبة ولكن كل من التفسيرين تأويل لا يخفى بعده.

(٤) **الطرف** العين ويطلق على العينين مفردًا لا يجمع لأنه لفظ المصدر سمي به. **والرافدان**: دجلة والفرات وكل نهر يمده نهران فله رافدان والكلام كناية عن تألق العينين بالصفاء كأنما سقيا ماء ذينك النهرين وكل من المعنيين إن أريد آية ريعان الشباب.

(٥) **لقيه**: استقبله. وكل فعل صدر لتكون غايته رضاك فهو بر بك. **والسناء**: بالكسر والمد مصدر ساناه بمعنى داناه. وفي المعنى أن هذا الشاب استقبلني بشيء من الإحسان في المداناة والمراضاة زدته وأحكمت أثره بالثناء عليه فيما آتي. وفي نسخة «رددته» أي عطفته عليه وراجعته له أي أتيت مثله في ثنائي عليه ومدحي له فكأني رددت عليه ما ابتدأ به وهذا كما يقال حياه فرد التحية.

(٦) **الظعن**: السفر أي هل تريد سفرًا فقلت: إي بمعنى نعم.

(٧) **الرائد**: مَن يرسله القوم أمامهم ليتخير لهم منزلًا من الأرض فإن رأى خصبًا نزل بهم وإن وجد جدبًا تحول بهم إلى الخصب. **وأخصب** الرائد وجد المكان خصبًا. **والخصب**: كثرة الخير في الأرض من الماء والنبات. والكلام كناية عن الدعاء بمصادفة الخير حيث يذهب.

(٨) أراد من **القائد** الهادي من قائد الأعمى أي هاديه. **والضلال**: الذهاب على غير طريق. **وضلال** القائد: نذير الهلكة فالدعاء بعدم ضلاله سؤال للنجاة كأنه قال: صادفت الخير وصحبتك السلامة.

فَقُلْتُ: غَدَاةَ غَدٍ. فَقَالَ:

صَبَاحُ اللهِ لَا صُبْحُ انْطِلَاقِ وَطَيْرُ الوَصْلِ لَا طَيْرُ الفِرَاقِ[١]

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ الوَطَنَ. فَقَالَ بُلِّغْتَ الوَطَنَ. وَقَضَيْتَ الوَطَرَ[٢]. فَمَتَى الْعَوْدُ؟ قُلْتُ الْقَابِلَ[٣]. فَقَالَ طَوَيْتَ الرَّيْطَ. وَثَنَيْتَ الخَيْطَ[٤]. فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرَمِ[٥]؟ فَقُلْتُ بِحَيْثُ أَرَدْتَ. فَقَالَ إِذَا أَرْجَعَكَ اللهُ سَالِمًا مِنْ هذَا الطَّرِيقِ. فَاسْتَصْحِبْ لِي عَدُوًّا فِي بُرْدَةِ صَدِيقٍ مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ[٦]. يَدْعُو إِلى الكُفْرِ[٧]. وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ. كَدَارَةِ العَيْنِ[٨]. يَحُطُّ ثِقَلَ الدَّيْنِ. وَيُنَافِقُ

---

(١) يتفاءلون بإضافة الصباح إلى الله لأن الله مفيض الخيرات بل هو الخير المطلق. **والانطلاق**: الذهاب وهو بداية البعد وإليه ينتهي فالصبح المضاف إليه يتشاءم بشؤمه. **والطير**: مما يتفاءل به ويتشاءم فإن زجرته ونفر عنك إلى اليمين وصاح تفاءلت وإن نفر إلى اليسار تشاءمت وهذا من اعتقادات الجاهلية التي محاها الإسلام ثم بقيت في الأشعار والجيد من الكلام ضروب أمثال. **وطير الوصل**: ما تفاءلت منه بقرب الحبيب. **وطير الفراق**: ما تشاءمت منه ببعده والبيت دعاء باليمن وإبعاد مناشىء الشؤم وإلا فلا طير عند القائل غير أنه لما سمع كلمة السفر غداة غد ذهب باللفظ مذهب التفاؤل فقال صباح الله الخ وكأنه تخيّل الكلمة صوت الطائر المزجور فقال: وطير الوصل الخ أي جعل الله سفرك إلى رجعة وفراقك إلى لقاء.

(٢) **الوطر**: الحاجة والأرب.

(٣) أي العام الآتي **والقابل** اسم للعام بعد عامك الحاضر يكون بلام التعريف ومجردًا عنها.

(٤) **الريط**: جمع ريطة وهي الملاءة غير ذات لفقين. وقيل: كل ثوب لين رقيق ريطة ولكنه لا يريد الحقيقة من اللفظ ولكن رياط الليالي الهنيئة يطويها ريطة بعد ريطة حتى يأتي القابل. **والخيط**: خيط الزمان من اليوم إلى القابل. **وثنيه**: جعل أحد طرفيه حيث الطرف الآخر فكما أن طرف الخيط اليوم في بلخ فثنيه أن يكون الطرف الآخر فيه أيضًا والجملتان دعاء.

(٥) في أي منزلة من منازله في أدناه المتصل بالبخل أو أعلاه أو ما بينهما من مراتبه. وقوله بحيث أردت أي بأعلى منزلة منه فإن المسترفد لا يريد إلا أن يكون الرافد بحرًا فياضًا.

(٦) **البردة**: كالرداء والعدو في رداء الصديق ظاهره يغر ناظره ثم لا يلبث أن يضره بما غره وهكذا الدنانير في ظاهر أمرها أخاذة بالقلوب ثم قد تدفع بالحريص عليها إلى أشد الكروب. **والنجار**: الأصل. **والصفر**: الدنانير وأصلها الذهب.

(٧) الطمع في الدنانير قد يحمل الصنيع على كفر الصنيعة بل قد يكفر طالبها بنعمة ربه بتحصيلها من غير حلها ومن عادة نقاد الدينار أن يضعوه على ظفر إبهامهم ثم يضربوه بآخر لتظهر رنته فيرقص أي يهتز على الظفر.

(٨) كل موضع يدار به شيء يحيط به فهو **دارة** ولذلك يقال للأرض الواسعة التي تحوطها الجبال دارة. **والعين** هنا الشمس أي شبيه في استدارته بما أحاط به دائرة الشمس وهو وجهها ويمكن=

بِوَجْهَيْنِ[١]. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا. فَقُلْتُ لَكَ ذلِكَ نَقْدًا. وَمِثْلُهُ وَعْدًا. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

رَأْيُكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى ... لَا زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلَا[٢]
صَلُبْتَ عُودًا وَدُمْتَ جُودًا ... وَفُقْتَ فَرْعًا وَطِبْتَ أَصْلَا[٣]
لَا أَسْتَطِيعُ العَطَاءَ حَمْلًا ... وَلَا أُطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلَا[٤]
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا ... وَطُلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فِعْلَا[٥]
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي ... لَا لَقِيَ الدَّهْرُ مِنْكَ ثُكْلَا[٦]

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَنِلْتُهُ الدِّينَارَ[٧] وَقُلْتُ: أَيْنَ مَنْبِتُ هذَا الْفَضْلِ[٨]؟

= أن يراد من العين الحدقة وهي وإن لم تكن تامة الاستدارة إلا أنها ظاهرة منها.

(١) **نافق** أظهر بلسانه ما ليس في قلبه ويقال للمنافق ذو الوجهين لأنه يقبل عليك بوجه صديق لك ويلقى عدوك بوجه عدو لك والدينار يرسم على أحد سطحيه ما لا يرسم على الآخر فيظهر من أحدهما خلاف ما حواه الآخر وكل منهما وجه إذا قوبل فصحت فيه التورية.

(٢) **مما خطبت**: متعلق بأعلى أي أنت أعلى من الأمر الذي خطبتك إليه أي حالك أجل منه وخطب المرأة دعاها للزواج ثم قيل: خطبه لأمر إذا دعاه إليه توسعًا وقد دعاه للتفضل بدينار فتفضل باثنين فحاله في الكرم فوق ما طلب. **والمكرمات**: صنائع الكرم. والشطر الثاني والبيت الثاني دعاء. وفي نسخة «فيما طلبت» وهي غلط.

(٣) المنصوبات الأربعة تمييز محول عن الفاعل أي صلب عودك الخ. **وصلابة** العود كناية عن القوة. **وفاق** غيره: زاد عليه ففاقت فروعه أي نمت ذراريه عددًا وشرفًا حتى زادت على غيرها **وطاب**: أصله كرم.

(٤) **الحمل والثقل** يذهبان مذهبًا واحدًا في المعنى إلا أن الثاني أثقل وفي العطاء حمل من المنة لا يستطاع إقلاله وفي سؤال الناس ثقل من الذل لا يطاق احتماله.

(٥) **المنصوبان**: تمييزان أي قصر ظني عن غايتك في الكرم وطال فعلك عما ظننت بك أي فاته وزاد عليه.

(٦) **الرجمة**: بالضم ما يبنى تحت النخلة الكريمة لتعتمد عليه لضعفها أو لثقل حملها كأنه قال: يا عماد الدهر ولما جعله سندًا للدهر دعا للدهر أن لا يفقده. **والثكل**: فقد الحبيب ولا أحب إليك من سندك وعماد أمرك.

(٧) أعطيته إياه.

(٨) جعل الفضل شجرة وما سمعه من ثمارها فسأل عن منبتها والكلام كناية عن تبين مولد الشاب.

فَقَالَ: نَمَتْنِي قُرَيْشُ وَمُهِّدَ لِيَ الشَّرَفُ فِي بَطَائِحِهَا[١]. فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ؟ أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ. تَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ. مُكَدِّيًا بِالأَوْرَاقِ[٢]؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِنَّ للهِ عَبِيدًا أَخَذُوا العُمْرَ خَلِيطًا[٣]
فَهُمُ يُمْسُونَ أَعْرَابًا وَيُضْحُونَ نَبِيطًا[٤]

(١) **نمتني** قريش من قولهم نماه جد كريم أي رفعتني قريش بانتسابي إليها أي أن منبتي في قريش **ومهد** لي الشرف أي بسط ومن كان الشرف له بساطًا ومهادًا كان في ذروة الرفع. **وبطائح** مكة وبطاحها وأباطحها وبطحاواتها ما اتسع من مسايل الماء بين جبالها. **وقريش** البطاح غير قريش الظواهر. قال: «قريش البطاح لا قريش الظواهر» أي المقيمون في شعاب مكة لا المقيمون في ظاهرها.

(٢) **كدى** الرجل تكدية: سأل الناس فهو مكد وكان يكتب أوراقًا يذكر فيها حاجته ويسأل الناس سدها.

(٣) **الخليط**: لبن حلو يخلط بحازر وسمن فيه شحم ولحم أي أخذوا عمرهم مخلوطًا من مختلفات أطوار أي جعلوه كذلك فالشخص الواحد منهم فكأنه خليط من الناس لا يعرف لهم نسب.

(٤) هكذا ينبغي أن يكون البيت منهم يمسون أعرابًا ويضحون نبيطًا. والكلام في مطلق الليل والنهار بدون رعاية للترتيب وفي نسخة «صبحة يضحون أعرابًا ويمسون نبيطًا» وهو غير منطبق على الحكاية فإنه كان بالأمس نبطيًا بالعراق وأضحى اليوم عربيًا ينتسب إلى قريش. **والنبيط**: جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ويسمون النبط والأنباط أيضًا الواحد نبطي.

المقَامَة السِّجِسْتانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ. قَالَ: حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ[١] فَاقْتَعَدْتُ طِيَّتَهُ. وَامْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ[٢]. وَاسْتَخَرْتُ اللهَ في العَزْمِ جَعَلْتُهُ أَمَامِي. وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي[٣]. حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا فَوَافَيْتُ دُرُوبَهَا[٤]. وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا. وَاتَّفَقَ

---

(١) **الأرب**: شديد الحاجة الداعي للاحتيال في دفعه فكل أرب حاجة ولا ينعكس كليًا. **وسجستان** من أقاليم بلاد فارس الشرقية تنتهي من الغرب إلى مفاوز كرمان ومن الشرق إلى حدود أفغانستان ومن الشمال إلى أطراف هراة ومن الجنوب إلى بلوجستان. **وحدا** بي إليها: ساقني وبعثني على المسير نحوها.

(٢) **اقتعد** الدابة: ابتذلها بالركوب **والطية**: النية والمقصد كأنه تخيل مقصد ذلك الأرب في صورة قعدة لزم ظهرها لا ينزل عنها لأن المقصد يذهب بصاحبه للوصول إليه كما أن الدابة تسير به إلى حيث يريد. **والمطية**: الدابة تمطو في سيرها أي تسرع والبعير مطية والناقة كذلك. **وامتطاها**: ركب مطاها أي ظهرها وهذه الجملة إما بمعنى سابقتها فيقال فيها مثل ما قدمنا وإما أنه أعد مطية حقيقية وركبها لطلب الأرب والإضافة إليه لأنها أعدت لأجله وفي نسخة «وانتعلت حذوته» وكأنه يريد بالحذوة النعل فتكون الجملة مغايرة للأولى في المفهوم راجعة إليها في المآل فإن انتعال الحذاء للشيء كناية عن التهيؤ لطلبه فإنما ينتعل الرجل إذا عزم على السير أما القاعد فخالع نعليه.

(٣) **استخرت** الله: طلبت منه أن يلهمني الخير فيما أقصد من العمل ثم صارت كناية عن العزم على العمل فيقال: استخرت الله في السفر أي عزمت عليه كأني سألته إلهام الخير فيه فألهمني أن أمضي إليه والعزم عقد الضمير على الفعل بحيث يتبعه الأخذ فيه فلا يقال عزم إلا ويقال فعل عقبه وقد يطلقونه على مجرد النية فهو على حقيقته طليعة العمل لهذا قال: جعلته أمامي بفتح الهمزة أي قدامي. **والحزم**: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة وحوطه بالتروي والمضاء فيه على نور البصيرة الصادقة فقد يكون عزم بغير حزم ولا يكون حزم حتى يكون فيه عزم وحكمة ولهذا قال: جعلته إمامي بكسر الهمزة كأنه إمام وهو يقتدي به في أفعاله ويوافقه في أحكامه.

(٤) لما ائتم بالحزم هداه إلى سجستان **فوافى** دروبها: أي أتى أبواب طرقها التي يدخل منها إليها أو=

الْمَبِيتُ حَيْثُ انْتَهَيْتُ(١). فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ(٢). وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ(٣). مَضَيْتُ إلى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلًا فَحِينَ انْتَهَيْتُ من دَائِرَةِ البَلَدِ إلى نُقْطَتِهَا(٤). وَمِنْ قِلَادَةِ السُّوقِ إلى وَاسِطَتِهَا(٥). خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ لَهُ مِنْ كُلِّ عِرْقٍ مَعْنًى(٦)

= أبواب المدينة الواسعة حين **وافت** الشمس غروبها أي وصلت إليه والمراد حين غربت كما يقال: وافى المريض أجله أي مات.

(١) بات خارج المدينة لأنه كان قد انتهى إلى درب المدينة وقت الغروب وكان من العادة أن تغلق الأسوار عنده فيبيت الواصل إلى المدينة دون الأسوار وفي نسخة أتيت البيت حيث انتهيت. أي نزلت بيتًا بظاهر المدينة.

(٢) **انتضى** سيفه: استله وانتضى مبني للمجهول أي استل. **والنصل**: حديدة السيف وإضافته إلى الصباح تخيل كأن الصباح غائر بيده سيف قد استل نصله والإشارة به إلى أول بياض الصبح فإنه يشبه في دقته نصل السيف المسلول.

(٣) **المصباح**: من ألقاب الشمس. **وجيشها**: أشعة ضيائها والتمثيل في الكلام ظاهر. وفي نسخة جبين المصباح والمراد حاجب الشمس أول ظهوره شبهه بجبين الإنسان وهو طرف جبهته مما يلي الصدغ وما يبدو من الشمس في أول ظهورها أشبه بجبهة الإنسان ولها شبه الجبينين وذلك قبل أن يتم ظهور قرصها.

(٤) **دائرة** البلد: محيطه. **ونقطة** تلك الدائرة وسط البلد كأن وسط البلد بالنسبة إلى محيطه بمنزلة المركز لسطح الدائرة الهندسية.

(٥) **القلادة**: ما يحيط بالعنق من منظوم الجواهر. **وواسطة** القلادة: أعظم فرد من جواهرها يوضع وسطها وهو أكرمها وقد كانت السوق في العهد الأول حوانيت مصطفة يتوسطها ساحة يجول فيها طلاب الحاجات والباعة فكانت على ساحاتها أشبه بالقلادة على العنق وواسطتها ما يستقبل الآتي من أول السوق ذاهبًا إلى آخرها. وفي نسخة إلى سطتها والمراد الوسط تسمية للمكان بالمصدر يقال وسط المكان سطة جلس وسطه وربما كان الشيخ أبو الفتح في صدر السوق فيكون عند واسطة قلادته أي الحانوت الذي يتساوى إليه عدد الحوانيت من جانبيه أو يكون وسط الساحة فتكون النسخة الثانية أمثل بالمعنى وكلا الاحتمالين غير بعيد فإن المقصود أن الشيخ كان موجودًا يصيح في مكان من وسط المدينة ويجوز أن يراد من قلادة السوق ما أحاط به وهو دائرة المدينة ومن سطتها وواسطتها وسط المدينة فتكون هذه الفقرة راجعة إلى التي قبلها في معناها ومثل هذا التكرار في المقامات غير ممنوع.

(٦) **خرق** السمع كناية عن شدة تمكن الصوت من الحاسة وتحقق إدراكها له. **والعرق**: الأصل من الشجر وما يجري فيه الدم من البدن وقد يخص بالأوردة والمراد من الصوت الكلام وإنما عبّر عنه بالمطلق لأن أعظم هم المتكلم في هذا المقام أن يبلغ صوته مدى بعيدًا لا خاصة أن يكون قوله مفيدًا كما يعبّر عن الزجرة الشديدة بالصيحة وإن حوت معنى غير الصياح لأن الغرض التهويل بشدتها فتكون القضية أنه سمع كلامًا يجري إليه شتى من المعاني كأنّ الحقائق عروق كل عرق يمده بمعنى كما تمد عروق الشجر أفنانه بالغذاء أو عروق البدن أعضاءه بالنماء.

فَانْتَحَيْتُ وَفْدَهُ(١) حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ. فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ. مُخْتَنِقٌ بِنَفَسِهِ(٢). قَدْ وَلَّاني قَذالَهُ(٣) وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي. أَنَا بَاكُورَةُ اليَمَنِ. وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ(٤). أَنَا أُدْعِيَّةُ الرِّجَالِ. وَأُحْجِيَّةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ(٥). سَلُوا عَنِّي البِلَادَ وَحُصُونَهَا. وَالجِبَالَ وَحُزُونَهَا(٦). وَالأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا. وَالبِحَارَ وَعُيُونَهَا. وَالخَيْلَ وَمُتُونَهَا(٧). مَنِ الَّذِي مَلَكَ أَسْوَارَهَا. وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا. وَنَهَجَ سَمْتَهَا(٨).

---

(١) **انتحيت**: أي قصدت. **وفده**: أي أن أفد عليه بمعنى أقدم فالوفد مصدر ويصح أن يكون جمع وافد وهم الجماعة الوافدون على ذلك الصائح أي قصدت المسير نحو ذلك الجمع المحتف به.

(٢) **اختنق** الرجل: خنق نفسه وهذا الشيخ مما تدافعت أنفاسه وازدحمت على حلقه عصرته فاختنق بها فهو الخانق لنفسه بنفسه.

(٣) **القذال**: جماع مؤخر الرأس وإذا قالوا قذالان فالمراد ما بين نقرة القفا والأذن عن اليمين وعن الشمال أي أني أتيته من خلفه فهو قد **ولاني** أي جعلني واليًا لقذاله.

(٤) ابتدأ يلغز في اسمه وهو أبو الفتح فإذا أخذت الإضافة في الاسم حقيقة كان معناه ما يكون منه الفتح وإذا اشتهر الاسم المركب كأبي الفتح جوزوا الاقتصار على المشخص منه كالفتح فيقال لأبي الفتح الفتح إذا ارتفع ألبس كما يقال لأبي الضياء الضياء وعلى هذا يصح أن يراد من قوله باكورة اليمن ثمر النبع فإنه يسمى فتحًا. **وباكورة** الفاكهة أولها واليمن مما ينبت فيه **النبع** وهو شجر القسي وقد تكون الإشارة فيه إلى الحديث: إنّي لأجد نفس الرحمٰن من جهة اليمن تبشيرًا بأن اليمانيين يأتون مسلمين فيفتح بهم ما أغلق من بلاد غيرهم فأول وفد جاء منهم إلى حضرة صاحب الرسالة الإسلامية (ﷺ) يقال له أبو الفتح والأنصار أنفسهم كانوا يمانيين وهم أول مَن نصره من غير قريش قالوا وإليهم الإشارة في الحديث. **والأحدوثة** ما يتحدث به وأكثر ما يدور على ألسنة أهل الزمن أسماء الفاتحين وأعمالهم وكلهم آباء فتح.

(٥) **الأدعية والأحجية** يترادفان معنى واحدًا وهو اللغز والمعمى يتداعى الأذكياء ويتحاجون أي يظهر كل حجاه في كشفه وهو مما يعمى على الرجال بنسبة أجل أعمالهم على أنه شخص واحد في مثل صفته وعلى النساء بما عزى إلى نفسه من هصر الغصون الناعمات على حال مثل حاله فالناس كافة إذا سمعوا ما وصف به في هذه المقامة سواء كانوا رجالاً أو نساء تنشط قرائحهم لكشف ما استتر بتلك العبارات. وإنما قيل للنساء ربات الحجال لأن أكرمهن المحتجبات في حجالهن جمع **حجلة** وهي شبه القبة في داخل البيت أو الموضع يزين بالثياب والأسرة والأستار للعروس.

(٦) **الحزن** بالفتح خلاف السهل وما غلظ من الأرض.

(٧) **متون** الخيل: ظهورها.

(٨) **نهج** الأمر: أبانه وأوضحه **والسمت** الطريق ونهجها هنا بمعنى مهدها وأعدها للسلوك فيها وهو نوع من الفتح والضمير للجبال وحزونها كما أن الضمير في أسوارها للبلاد وفي أسرارها للحصون.

وَوَلَجَ حَرَّتَهَا(١). سَلُوا المُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا. وَالأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا(٢). وَالأُمُورَ وَبَوَاطِنَهَا. وَالعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا. والخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا(٣). وَالحُرُوبَ وَمَضَائِقَهَا. مَنِ الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزَنَهَا(٤). وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا. وَمَنِ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا(٥). وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا(٦). أَنَا وَاللهِ فَعلْتُ ذلِكَ وسَفَرْتُ بَيْنَ المُلُوكِ الصِّيدِ(٧). وَكَشَفْتُ أَسْتَارَ الخُطُوبِ السُّودِ(٨). أَنَا وَاللهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعَ العُشَّاقِ(٩). وَمَرِضْتُ حَتَّى

---

(١) أصل الحرات القطع المستديرات استعمله هنا فيما استدارت عليه الجبال من بطون الأودية لصعوبة ولوجه.

(٢) **الغلق**: ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح وهو أعم من القفل والمراد من **معادنها** المعادن التي تصنع منها الأغلاق كالحديد أو المعادن التي تودع في المختزنات وتغلق عليها الأبواب بالأغلاق كالذهب والفضة.

(٣) **الخطوب**: الشدائد جمع خطب وأصلها عظام الأمور. و**مغالقها** جمع مغلق وهو آلة الإغلاق كالغلق وإنما بفتح مغالق **الخطوب** للخلاص منها أبو الفتح.

(٤) **المختزن**: اسم مفعول ما خزنته وادخرته من عين وغيرها. والضمير المضاف إليه عائد إلى الملوك والخزائن والأعلاق والمعادن. ولم يؤد ثمنها لأن الفاتح المتغلب لا يؤدي ثمن ما يغنم. والملوك المسؤولون هم المغلوبون وكان الوجه «ثمنه» لعوده على المختزن ولما كان في معناه كثيرًا فكأنما قيل مختزنات فصح عود الضمير جمعًا.

(٥) الضمير للأمور وبواطنها والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها **والمفاتح** جمع مفتح مكان الفتح وإنما يملك ذلك من تلك المتقدمات صاحب فتحها أو مفتاحها وهو أبو فتحها.

(٦) الضمير للحروب ومضايقها. ومصالح الحرب طرق الغلبة والفوز فيها وسبل الإفلات من مضايقها.

(٧) بعدما أقسم أنه فعل كل ما طلب السؤال عنه أخذ يفصل بعض الأفاعيل اللازمة لبعض ما سبق الاستفهام عن فاعله. **والصيد** جمع أصيد أصله من أصيب بالصيد وهو ميل في العنق ثم وصف به المتكبرون لما يصعرون من خدودهم فتميل أعناقهم ثم وصف به الملوك لأن الكبر من بعض جلابيبهم يضرب من رؤوسهم إلى أعطافهم وأعظم ما يجدون من وزره في أعناقهم وفيها يظهر أثر من الميل والعصل. **وسفر** بينهم سعى بالصلح حتى يتمه. وإنما يكون ذلك من العارف بأبواب القلوب وهو أبو فتحها.

(٨) **الخطوب**: الشدائد كما قلنا ووصفها بالسود لما يأخذ الواقع فيها من الحيرة في أمره والضلال عن رشده كأنه الخابط في الظلام الدامس ولهذا تخيّل لها أستارًا تحول دون البصيرة وضياء الرشد. وإنما يكشفها حزم جامع ورأي ساطع وهو الفاتح لما انغلق منها فأجدر به أن يسمى أبا الفتح.

(٩) إن **مصارع** العشاق أغلب ما تكون عند استفتاح أبواب المعشوقين حيث يتنبه لهم حماة الحرم.

لِمَرَضِ الأحْدَاقِ(١) وَهَصَرْتُ الغُصُونَ النَّاعِمَاتِ(٢) وَاجْتَنَيْتُ وَرْدَ الخُدُودِ المُوَرَّدَاتِ. وَنَفَرْتُ مَعَ ذلِكَ عَنِ الدُّنْيَا نُفُورَ طَبْعِ الكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللِّئَامِ. وَنَبَوْتُ عَنِ المُخْزِيَاتِ نُبُوَّ السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الكَلَامِ(٣). والآنَ لَمَّا أسْفَرَ صُبْحُ المَشِيبِ(٤) وَعَلَتْنِي أُبَّهَةُ الكِبَرِ(٥) عَمَدْتُ لإصْلَاحِ أمْرِ المَعَادِ. بِإعْدَادِ الزَّادِ(٦). فَلَمْ أرَ طَرِيقًا أهْدَى إلى الرَّشَادِ مِمَّا أنَا سَالِكُهُ(٧). يَرَانِي أحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ. نَاثِرَ هَوَسٍ(٨). يَقُولُ هذَا أبو العَجَبِ. لَا وَلكِنِّي أبُو العَجَائِبِ عَايَنْتُهَا

---

(١) **الأحداق**: جمع حدقة أصلها سواد العين الأعظم أطلقها هنا على الأعين إرادة للكل من اسم جزئه. **ومرض** العيون فتور أجفانهم كأنها إلى الغمض أقرب منها إلى التحديق وهو من ناميات الجمال ومحاسن ربات الحجال لم يكد يدع قصيدة لشاعر ولا مقالة لناثر إلا تبوأ منها مكانًا عليًا وإنما يمدح ما كان طبيعة لأنه دليل الحياء الممزوج بالدلال لا ما كان تصنّعًا. لهذا سموه مرضًا لا تمارضًا. فإذا مرضت العيون وأقبلت أطرافها للتلاقي وكان ذلك في طبعها فأبو الفتح أعجز ما يكون أن يتخذ لابنه مقامًا بينها فما أجدره بأن يكون مريضًا لمرضها.

(٢) **هصر** الغصن: ثناه وأخذ به إليه. والتعبير عن قدود النساء بالأغصان وتشبيه الخدود بالورد مما ابتذل حتى سفل وأبو الفتح له في هصر الغصون واجتناء ورد الخدود ما ليس يتيسر لغيره. يريد بما جمع في هذه العبارات أن له في كل شيء أثرًا وعنده من كل أمر خبرًا وذلك في الحقيقة لاسمه في مسمياته لا لشخصه في هوان ذاته وتقلب صفاته.

(٣) **الكرم** جماع الفضائل. **واللؤم** محشر الرذائل فهما متباينان في الحقيقة والآثار فلا ريب أن ينفر طبع الكريم عن وجوه اللئام للمنافرة بين الخلقين وهكذا أبو الفتح من وجه ما هو مفتاح في نفوره عن الدنيا فإن المفتاح وإن كان واسطة في حفظ حطام الدنيا والوصول إليه ولكن بعده عن الانتفاع بها بعد الطبع الكريم عن وجه اللئيم وهكذا يقال في الفقرتين التاليتين. ونبا عن كذا بعد عنه. والمخزيات الأفعال تجلب الخزي على فاعلها. وفي نسخة المحرمات. **والسمع** الشريف إنما يكون لذي طبع ذكي وعقل سمي يترفع حتى عن تصور الخسائس لهذا ينبو عن سماع ما يدل عليها. **والشنيع** القبيح البالغ في قبحه.

(٤) **أسفر** أضاء وتشبيه المشيب بالصبح لأنه بياض نهار في سواد ليل كما أن المشيب أول ما يلوح بياض شعر في سواده ثم لا يلبث أن يجلل الرأس بياضه كما يسطع في الآفاق ضياء النهار.

(٥) **أبهة** الكبر: جلاله ووقاره وهي من توابع المشيب في الأغلب فلما علاه المشيب علته أبهة الكبر.

(٦) **المعاد**: يوم القيامة. **وأمره**: ما ينجي من هوله. **وعمد** إليه قصد. **وإعداد** الزاد تهيئته وإحضاره للاستصحاب في سفر الرحيل من هذه الدنيا وإنما الزاد زاد التقوى والأعمال الصالحات.

(٧) الذي سلكه طريق الإرشاد والنصيحة ودعوة الناس إلى الإقبال على الله وهو أفضل طريق يتصل لسعادة الآخرة.

(٨) **الهوس**: خفة في العقل تقرب من حد الجنون. **وناثر**: من نثر المنظوم إذا بدده وأراد ناثر كلام=

وَعَانَيْتُهَا[١]. وَأُمُّ الكَبَائِرِ قَايَسْتُهَا وَقَاسَيْتُهَا[٢]. وَأَخُو الأَغْلَاقِ صَعْبًا وَجَدْتُهَا. وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا. وَغَالِيًا اشْتَرَيْتُهَا وَرَخِيصًا ابْتَعْتُهَا[٣]. فَقَدْ وَاللهِ صَحِبْتُ لَهَا المَوَاكِبَ[٤]. وَزَاحَمْتُ المَنَاكِبَ[٥]. وَرَعَيْتُ الكَوَاكِبَ[٦]. وَأَنْضَيْتُ المَرَاكِبَ[٧]. دُفِعْتُ إِلَى مَكَارِهِ نَذَرْتُ مَعَهَا[٨] أن لَا أَدَّخِرَ عَنِ المُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا. وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هذِهِ الأَمَانَةِ[٩] مِنْ عُنُقِي إِلى أَعْنَاقِكُمْ. وَأَعْرِضَ دَوَائِي هذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ. فَلْيَشْتَرِ

= يصدر عن الهوس لأنه لا يكاد يعقل انطباقه على الحقيقة لغرابته.

(١) يقول: إنه ليس أبا عجب واحد ولكن هو أبو العجائب العظام. **عاينتها**: شاهدتها من المعاينة. **وعانيتها**: قاسيتها من المعاناة. وهذا رجوع إلى التعمية في اسمه بعد أن حكى شيئًا عن خصمه وإن لم ينطبق على ما في نفسه لزيادة الإغماض.

(٢) يقال «**أم الكبائر**» إذا كانت عظام الأمور تصدر عنه أو تخضع له. والمراد هنا الثاني **والمقاساة**: المقاومة على شدة كالمعاناة. غير أن في المقاساة معنى الاشتداد من المتغالبين وفي المعاناة معنى أن كلاً منهما أتعب الآخر. **وقايستها** من المقايسة كأنه كان يقدر همته وقوته على قدر الكبائر إشعارًا بأنه وإياها متكافئان.

(٣) جمع الأغلاق غلق بالتحريك كما قدمنا. **وأخو الأغلاق** وصاحبها أبو فتحها وهو المفتاح ولا يجد الأغلاق إلا بعد أن يصلى نار الحداد ويقع تحت المطارق فما أصعب ما لاقى حتى وصل إلى الأغلاق ووصلت إليه ثم ما أهون تركه لها بعد فتحها أو غلقها وهو معنى أضعتها. وفي نسخة بدل وجدتها أخذتها وبدل هونًا هينًا. **والهون**: السهولة **والهين**: السهل فنسخة الهين أليق بمقابلة الصعب. **وغاليًا** اشتريتها في معنى صعبًا وجدتها. **ورخيصًا** ابتعتها في معنى هينًا أضعتها. **وابتاع** هنا بمعنى باع وإن كان الأشهر فيه معنى اشترى.

(٤) **المواكب**: جمع موكب وهو الجماعة يجتمعون ركبانًا ومشاة للزينة.

(٥) **المناكب**: جمع منكب وهو مجتمع رأس الكتف والعضد. ومزاحمة المناكب مثل لمدافعة الموانع للوصول إلى المطلوب وإن لم يكن مناكب ولا مزاحمة.

(٦) **رعى** الكواكب: راقبها ينتظر مغيبها وهو مثل للقلق يعرض لغيبة مطلوب كأن الطالب أرق يستطيل الليل وينتظر الصباح ليتشاغل عما أرقه.

(٧) **أنضى** بعيره: إذا هزله وأضعفه. **والمراكب**: وفي نسخة الركائب بمعنى المطايا وهذا مثل أيضًا للمبالغة في السعي إلى مطلوب كأنه ركب إليه وأغذ السير حتى أعيا وظاهر أن أبا الفتح يتجشم كل ذلك لأجل **إغلاقه** وهي إحراز دفائنه وحفاظ خزائنه.

(٨) يقول: إنه في الوصول إلى بعض ما وصل إليه من عظام الأمور دفع إلى مكاره من مقارعة الخطوب في الحروب لكنه لم يستأثر بفوائدها لنفسه بل نذر مع ذلك **أن لا** يدخر ولا يحتبس دون المسلمين منافعها. يشير بهذا إلى ما كان من الفتح الإسلامي ومَن يعنى به.

(٩) **الربقة**: العروة تشد فيها عنق العنز ونحوها. ويريد بالأمانة التي ربقته ما لزم اسمه من تلك الأمور التي ذكرها. يقول: بعدما شاخ لا مفر له عن أن يلقي بتلك الأمانة إليهم وهي أمانة **الفتح في كل شيء**.

مِنِّي مَنْ لَا يَتَقَزَّزُ(١) مِنْ مَوْقِفِ العَبِيدِ. وَلَا يَأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ. وَلْيَصُنْهُ من أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ(٢). وَسُقِيَ بِالمَاءِ الطَّاهِرِ عُودُهُ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَدُرْتُ إلى وَجْهِهِ(٣) لِأَعْلَمَ عِلْمَهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ وَانْتَظَرْتُ إجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ(٤). ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ كَمْ يُحِلُّ دَوَاءَكَ هذَا؟ فَقَالَ: يُحِلُّ الكِيسُ(٥) مَا شِئْتَ. فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

(١) **عرض** الشيء في السوق: أظهره للشراة ليشتروه. والدواء الذي يعرضه هو ما يصير به مَن يشتريه أبا فتح وهو إخلاص العبودية لله جل شأنه فذلك مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. **ولا يتقزز** أي لا يتجنب ولا يأنف الوقوف موقف العبيد ولا يستنكف من القول بما دلّت عليه كلمة التوحيد وهي لا إلـه إلا الله بأن يفرد الله بالتعظيم ولا يجعل لغيره في نفسه سلطانًا.

(٢) **الضمير** في يصنه لذلك الدواء. وأنجبت جدوده وجاءت بأولاد نجباء كناية عن وصف النجابة في الأبناء أي مَن كان نجيبًا وسقي الماء الطاهر أي تربّى تربية طيبة لم يغذ فيها إلا بالفضائل.

(٣) **درت** أي تحولت حتى أتيت من قبل وجهه.

(٤) أراد **بإجفال** النعامة ما جاء في النسخة الأخرى من إجفال العامة أي انفضاضه من حوله.

(٥) **يحل** دواءك أي يجعله حلالاً لمن يتناوله. **ويحل** الكيس الخ أي إذا نقدت الثمن حل لك المثمن أي شيء كان.

المقامَةُ الكُوفيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فَتِيُّ السِّنِّ[١] أَشُدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ[٢]. وَأَرْكُضُ طِرْفِي إلى كُلِّ غَوَايَةٍ[٣]. حَتَّى شَرِبْتُ مِنَ العُمْرِ سَائِغَهُ[٤] وَلَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ سَابِغَهُ[٥]. فَلَمَّا انْصَاحَ

---

(١) **فتي السن**: حديثها. وفي نسخة في عنفوان الشباب وهو أوله.

(٢) **العماية**: احتجاب ناشر البصيرة عن رشده ولذلك قد يفسرونها بالغواية واللجاج لاستلزامها حقيقة معناها. وأراد منها هنا ما تسوق إليه من اللذائذ والشهوات المائلة عن صراط الاعتدال. و**شد** الرحال لأمر كناية عن النهوض إليه قصد بلوغه وإن عرضت في سبيله المشاق أي أنه كان ينهض لكل ما عنَّ له من فاتنات اللذائذ وإن حادت به عن طرق الرشاد.

(٣) **الغواية**: اعتلاق النفس بما يحضرها من صور الملاذ واستهلاك ما لها من الإرادة في حفظ ما نالته والسعي وراء ما لم تنل. وبعبارة أخرى هي ركوب الهوى والتطوح معه حيث طاح. وأراد منها هنا ما يغوى فيه الغواة وما تجري إليه أهواؤهم. و**الطرف** بكسر الطاء الكريم من الخيل. و**ركضه**: استحثه للجري. والجملة كناية عن تسرعه في طلب ما تسول له نفسه ويزين له هواه. ويجوز أن يراد من الغواية والعماية حقيقتهما. وشد الرحل وركض الطرف مثلان لنزوع نفسه إلى أطوار العمايات وهجوم همه على ضروب الغوايات.

(٤) **السائغ** من الشراب: الهنيء لا يغص شاربه وأهنأ الشراب أعذبه وأصفاه. تخيل ما مر عليه من عمر الحداثة مع صفاء العيش واستيفاء رغائب الشهوة في مثال الشراب العذب فعبّر عنه بالسائغ ورشح التمثيل بالشرب. يريد أن مرور العمر على نفسه في لذتها يشبه مرور الماء العذب في الحلق سلاسة وطيبًا.

(٥) **السابغ** من الثياب التام يشمل البدن ويطوله إلى الأرض. صور الدهر في اشتماله عليه بأنواع المآرب وصنوف الرغائب في صورة الثوب السابغ الطويل الذي لم يترك من البدن شيئًا إلا ستره وفاض عنه فعبّر عنه بالسابغ وحلى التصوير باللبس. وكل ما فات من مطلب فهو نقص في الحياة وقصر في ثوبها. والذين بادرتهم الهموم لأول عمرهم وهجرتهم المسرات لبداية سنهم جديرون بأن يكونوا عراة من دهرهم.

النَّهَارُ[١] بِجَانِبِ لَيْلِي. وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ ذَيْلِي[٢]. وَطِئْتُ ظَهْرَ الْمَرُوضَةِ. لِأَدَاءِ الْمَفْرُوضَةِ[٣]. وَصَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أُنْكِرْهُ مِن سُوءٍ[٤]. فَلَمَّا تَجَالَيْنَا[٥]. وَخَبَّرْنَا بِحَالَيْنَا. سَفَرَتِ القِصَّةُ عَنْ أصلٍ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبٍ صُوفِيٍّ[٦]. وَسِرْنَا فَلَمَّا أَحَلَّتْنَا الكُوفَةُ[٧] مِلْنَا إلى دَارِهِ وَدَخَلْنَاهَا وَقَدْ بَقَلَ وَجهُ النَّهَارِ[٨] وَاخْضَرَّ جَانِبُهُ. وَلَمَّا

---

(١) **انصاح** الفجر والبرق أضاء ولمع. أراد بانصياح النهار بجانب ليله ظهور بياض الشيب في نهاية سواد الشباب ولمعان الشعر الأبيض في أطراف الأسود. وفي نسخة: صاح النهار يقال: **صاح** الشيء يصوحه إذا شقه وتصوح الشعر تشقق وتناثر. فكأن النهار يشق بجانب الليل شقًا يجري فيه الضياء فيلمع وهكذا يفعل المشيب لأول ظهوره بالشعر الأسود. والنسخة الأولى أقرب إلى الصواب.

(٢) إذا انطلقت إلى أمر على اهتمام بالوصول إليه **جمعت ذيلك** أي ضممت إليك أطرافه كي لا تعثر فيه فتسقط دون مطلوبك أو يعوقك عن الحركة. **والمعاد**: القيامة وجمع ذيله له كناية عن التهيؤ لملاقاة الموعود فيه بالمضي في الأعمال الصالحة وكبح النفس الجامحة.

(٣) **المروضة**: من راض المهر رياضة إذا ذلله وسخره. **ووطىء** ظهره: ركبه. **والمروضة**: إما مهرة أو ناقة. والثانية أقرب لأنها أغلب ما يركب في السفر للحج وقد يراد من المروضة الأرض لأنها مذللة لسكانها أي ركب ظهر الأرض سفرًا لأداء الفرض. **والمفروضة**: حج البيت الحرام بمكة.

(٤) إن الإنسان ألوف لما يعرف نفور مما لا يعرف لهذا يقال: **أنكرت** فلانًا: إذا رأيت منه سوءًا كأنه بما صدر منه بعد عنك بعدما تجهل عن قلبك. يقول: إنني لم أر من رفيقي سوءًا يحملني على إنكاره.

(٥) **جالاه** بالأمر: جاهره به **وتجاليا** كشف كل لصاحبه عن حاله كما قال بعد وخبرنا بحالينا. وفي نسخة بدل هذه: وحينما تخالينا. **والمخالاة**: معناها المتاركة والموادعة. ولا يناسب الكلام لأنهما لم يزالا متصاحبين إلا أن تكون المفاعلة من خلا به إذا اجتمع به منفردًا أي خلا كلٌّ منا بصاحبه وهو بكلام العامة أشبه منه بكلام الفصحاء.

(٦) **سفرت** المرأة عن وجهها: كشفت. **والقصة**: ما حكاه الرفيق عن حاله. **والكوفي**: نسبة إلى الكوفة من بلاد العراق معروفة باسمها وموضعها إلى الآن. **والصوفي**: نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين همهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جل شأنه حتى تأخذهم الجذبات إليه عمن سواه وتفنى ذاتهم في ذاته وصفاتهم في صفاته والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم في أعلى مرتبة من الكمال البشري بعد النبوة.

(٧) **الضمير** في أحلتنا للمروضة. **والكوفة**: ظرف للفعل. **وأحله** في المكان: أنزله فيه ويصح أن تكون الكوفة فاعلاً أي جعلتنا نحل فيها بما وسعتنا. وفي نسخة: **احتللنا** الكوفة أي نزلنا بها. **وملنا** إلى داره: تحولنا إليها لنتبوأها أيام الإقامة.

(٨) **بقل** وجه الغلام بقولاً خرج شعره. وبقول وجه النهار تخييل لانتقاص ضوئه بما يطول من الظلام الممتد على الأرض من نحو الغرب إلى الشرق عند تطفيل الشمس للغروب كما يشير=

غْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَّ شَارِبُهُ(١). قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ. فَقُلْنَا مَنِ القَارِعُ المُنْتَابُ(٢)؟ فَقَالَ وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ(٣). وَفَلُّ الجُوعِ وَطَرِيدُهُ(٤). وَحُرٌّ قَادَهُ الضُّرُّ(٥). وَالزَّمَنُ المُرُّ. وَضَيْفٌ وَطْؤُهُ خَفِيفٌ(٦). وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ. وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الجُوعِ. وَالجَيْبِ المَرْقُوعِ(٧). وَغَرِيبٌ أُوقِدَتِ النَّارُ عَلَى

= إليه قوله: واخضر جانبه وذلك الجانب الشرقي فإن الشمس إذا دنت للغروب تبدو خضرة الظلام وهي أوائله من قبل المشرق للسبب الذي ذكرناه. وفي نسخة «وطر شاربه» بدل اخضر جانبه. وهي أجود لمناسبتها لبقل وجه النهار حتى يكون التخييل على أتم وجوهه. **وطرور** الشارب: ظهوره. يقال: طر شارب الغلام إذا طلع. وعلى هذه النسخة يكون الكلام تمثيلاً لشباب النهار وارتفاع ضحوته لا لشيخوخته وقرب منيته كما تفهمه النسخة الأولى.

(١) **اغتمض** جفن الليل مجاز عن شدة ظلامه لأن العين إذا اغتمضت لم يبق للضياء سبيل أن ينفذ إليها. **وطرور** شاربه: تصوير لإغساقه ومضي مدة عظيمة منه كما أن طرور شارب الغلام إنما يكون بعد مضي قدر عظيم من عمره وفي نسخة بدل طر شاربه اخضر جانبه وهي أقرب لقوله: اغتمض جفن الليل. واخضرار الجانب اسوداده كناية عن الإظلام.

(٢) **المنتاب**: اسم فاعل من انتاب القوم إذا أتاهم في نوبتهم كأن القارع في مثل هذا الوقت أتى أبوابًا كثيرة فلم تفتح له فانتهت نوبة القرع إلى باب المحدث. وقد يستعمل المنتاب في الزائر مطلقًا. والأصل ما تقدم.

(٣) **الوفد**: مصدر **وفد** يفد إذا **قدم**. أراد منه الوافد كما يطلق العدل ويراد منه العادل. والبريد الرسول. وظلام الليل يحول بين المحتاج والسعي لحاجته فإذا كانت الحاجة ضرورة الطعام الجأت صاحبها لقرع الأبواب لطلب ما يسد حاجته فكأن الليل أرسله وأقدمه على من طرقهم.

(٤) **الفل**: المنهزم يقال رجل فل وقوم فل أي منهزمون يستوي فيه الواحد والجمع. **والطريد** المطرود كأن الجوع عدو يطلب الفتك به وهو في عجز عن مقاومته فهو منهزم يطلب النجاة وذاك يطرده لأنه لم يزل في اتباعه لم يكفّ عنه.

(٥) **الضر** بالضمّ الشدة وسوء الحال أي ما قاده إليكم إلا قاهر الشدة لا لؤم الطبع والطمع في اختزال أموال الناس.

(٦) **وطىء** أرضًا: دخلها أو مشى فيها وقد يكون الوطء خفيفًا وقد يكون شديدًا كما يقال: وطىء الجيش أرض العدو على معنى أنه مهدها وذلل حزنها. ثم صارت شدة الوطأة والوطء مثلاً في ما يعظم رزؤه يقال: عدو شديد الوطأة ومرض كذلك. **وخفيف** الوطء: من لا يرزأ مالاً ولا يجشم مشقة ومَن كانت ضالته أي مفقوده الذي يطلبه رغيفًا فهو أسهل الناس مطلبًا وأخفهم على نفس المسؤول مسألة.

(٧) **جارك**: مَن يستجير بك. **واستعدى** على فلان: استنصر عليه بمن يأخذ له الحق منه كأن الجوع ظالم والسائل يستعدي أي يطلب رفع عدوانه عنه. **والجيب**: مدخل الرأس من القميص أي طوقه. أطلقه وأراد الثوب كله استعمالاً لاسم الجزء في الكل. أراد أنه يستعدي على ثوبه البالي لأنه لا يقيه من سطوة البرد فهو يحتمي بالمسؤولين من عدوان ثوب تفتح على جسده وأخلى بين البرد وجلده لينقذوه منه بغيره.

سَفَرِهِ[١]. وَنَبَحَ العَوَّاءُ عَلَى أَثَرِهِ[٢]. وَنُبِذَتْ خَلْفَهُ الحُصَيَّاتُ[٣]. وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ العَرَصَاتُ[٤]. فَنِضْوُهُ طَلِيحٌ[٥]. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ[٦]. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[٧]. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَقَبَضْتُ مِنْ كِيسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ: زِدْنَا سُؤَالًا. نَزِدْكَ نَوَالًا[٨]. فَقَالَ: مَا عُرِضَ عَرْفُ العُودِ[٩]. عَلَى

(١) يقال **أبعد** الله داره وأوقد النار أثره: أي لا أرجعه من سفره كأنه دعاء يجعل النار حائلة بينه وبين مرجعه. ويقال: **أوقد** للصبي نارًا إذا تركه كأنه **ألهاه** بها عن أن يتعلق به. يريد أنه غريب لا أمل له في الرجوع إلى وطنه لبُعد ما بينه وبينه كأنما أوقدت النار بينهما.

(٢) **العواء**: الكلب الكثير العواء أي الصياح وإنما ينبح الكلب على أثر مفارق الحي إذا كان مجهولاً من أهله لا يعرف منهم أحد ومن هذا حاله يذهب عنه إلى حيث لا يعود إليه فكأنه من وطنه لطول ما دونه من المسافات ليس منه فهو لا يعود إليه. والعبارة من لطيف الكنايات.

(٣) **الحصيات**: جمع حصية تصغير حصاة. وفي نسخة: الحصاة. والأولى أحسن لتوافقها في الوقف سجعة العرصات. وكان في عوائدهم إذا فارقهم مَن لا يحبون رجعته أن ينبذوا الحصى خلفه كأنهم رموه كما ترمى وهو كناية هنا عن انقطاع أمل أهله من عودته كأنما نبذوا الحصاة خلفه عند سفره.

(٤) **العرصة**: أرض الدار وإذا مات الميت كنسوا العرصات بعده إلحاقًا لأثره به. وكذلك النزيل الشؤم تكنس العرصات بعد رحيله تنظيفًا للأرض بعده وهو هنا كناية عن انقطاع الأمل من عودته مثل سابقه. كل ذلك تأكيد لسوء حاله وبعده عن المعين والناصر. وقد يكون معنى الفقرات أنه مطرود. قيل: أوقدت النار على أثره وأغروا به الكلاب تنبحه حتى أقصته ونبذوا الحصاة خلفه إشارة إلى أنهم لفظوه وكنسوا العرصات تطهيرًا للأرض من أثره والمطرود لا يمكنه أن يعود.

(٥) **النضو** بالكسر المهزول من الإبل. والطليح: التعب المعيي. ومن أعيت مطيته وعجزت عن المسير به وهو في سبيل اغترابه فقد سقط على الموت ووقع في الهلكة. وهو تمثيل لحاله في ضيق أثره.

(٦) **التبريح**: الشدة وجهد المعيشة.

(٧) **المهامه**: المفازات البعيدة. **وفيح**: أي واسعة فهي على بعدها واسعة خالية من العمران يهلك السائر فيها جوعًا وعطشًا وهي واقعة بينه وبين فرخيه أي ولديه أي دون أهله وعياله.

(٨) **الليث**: الأسد أي كما يقبض الليث من فريسته وإنما يقبض عظيمًا أي أنه تناول مقدارًا كبيرًا من الدراهم وبعثه إليه لاستعذابه سؤاله. لهذا طلب أن يزيد منه حتى يزيده من **النوال** أي العطاء.

(٩) **العود**: طيب مشهور يتبخر به. **وعرفه** وإنما تظهر رائحته طهورها المطلوب إذا عرض على النار ليحترق فيفوح عرفه من دخانه. فالمعروض على النار هو العود نفسه لكن لما كان الغرض من عرضه إظهار عرفه فالعرف هو المقصود من العرض كأنه كان هو المعروض فعلق العرض به. وأراد من العود هنا نفسه ومن عرفه روائح آدابه الطيبة التي تظهر في بث حاله وشكر نائليه. والنار التي يعرض عليها البخور ليست بأحرّ من نار الجود فهذه تظهر عرف ما يعرض عليها كما تظهره تلك فالجود والإحسان يستثير الشكر من المحسن إليه كما تستثير النار دخان العود.

أَحَرَّ مِنْ نَارِ الجُودِ. وَلَا لُقِيَ وَفْدُ البِرِّ[١]. بِأَحْسَنِ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ. وَمَنْ مَلَكَ الفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ[٢]. فَلَنْ يَذْهَبَ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[٣]. وَأَمَّا أَنْتَ فَحَقَّقَ اللهُ آمَالَكَ. وَجعلَ اليَدَ العُلْيَا لَكَ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَفَتَحْنَا لَهُ البَابَ وَقُلْنَا ادْخُلْ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ فَقُلْتُ: يَا أَبَا الفَتْحِ شَدَّ مَا بَلَغَتْ مِنْكَ الخَصَاصَةُ[٤]. وَهذَا الزِّيُّ خَاصَّة[٥]. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَا يَغُرَّنَّكَ الَّذِي ... أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبْ
أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تَشَقْـ ... ـقُ لَهَا بُرْدَةُ الطَّرَبْ[٦]
أَنَا لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْ ... تُ سُقُوفًا مِنَ الذَّهَبْ[٧]

(١) إضافة **الوفد** إلى **البر** بيانية أو على معنى الجنسية أي الوافد من **البر** وهو الإحسان وإذا أحسن إليك محسن فقد وصل إحسانه إليك وقدم عليك ولا تلاقيه وتستقبله بشيء أحسن وأجمل من رسول الشكر تبعثه لاستقباله.

(٢) **فليؤاس** من واساه يواسيه إذا سواه به في ماله. قالوا ولا يكون إلا عن كفاف فإن كان عن فضل لم يسم مواساة. لكنه استعمله هنا في مطلق المساعدة والمعاونة. **وملك** الفضل: أي وجدت عنده فضلة عن حاجاته. فإن أردنا من الفضل الصفة من فضل يفضل وهي التبريز في صفات الكمال أي مَن حاز صفة الفضل فليشرك المحتاج في كفافه كانت المواساة على حقيقتها.

(٣) **العرف**: المعروف. والمراد به في الكلام هنا الإحسان. **ولا يذهب** بين الله والناس أي إن ضيعه الناس بإغفال شكره لا يضيعه الله بحرمان أجره فصانع المعروف مشكور أو مأجور. وأصله بيت للحطيئة وهو:

من يصنع العرف لا يعدم جوازيه ... لن يذهب العرف بين الله والناس

(٤) **شد ما** صيغة تعجب أي ما أشد بلوغ الخصاصة منك. **والخصاصة**: شدة الفقر والحاجة.

(٥) تقدم أن **الزي** هو الهيئة. **والخاصة** لك ما ميزك عن غيرك. وخاصة خبر عن هذا الزي أي أن زيه دليل يعين خصاصته وفقره. ويصح أن يكون هذا معطوفًا على الخصاصة وخصاصة مفعول مطلق. أي وما أشد ما بلغ منك هذا الزي خاصة فإن رثاثة الزي وخلوقة الثياب قد بلغت منه مبلغًا عظيمًا في الإيذاء لوضعها له في مكان الضعة والحقارة وتعريضه بدنه للبرد المهلك.

(٦) **البردة**: الرداء. وإذا بلغ الطرب من الطرب هاج به حتى يمزق أثوابه. فيقول إنه في ثروة وغنى يطرب لوجودها حتى يشق بردته. وأضاف البرد إلى الطرب لأن أثره من الشق يظهر فيها. ويصح أن يكون المعنى أنه في ثروة من رآها وكان من الطرب فيما يشمله اشتمال البردة على المرتدي مزق بردة طربه وانصب به الجد على السعي في تحصيل مثلها حتى يناله.

(٧) **السقوف**: جمع سقف ومن أمكنه أن يتخذ سقف بيته من الذهب كان في غنى أبي الفتح=

....

= الإسكندري (إسكندر ذي القرنين) أو أغزر منه ثروة وما أبرد هذه الدعوى مع ظهور ما حف به من البلوى إلا أن يقصد بذلك ما أشرنا إليه في اسمه. وفي بعض النسخ بعد الأبيات:

أنـــا طـــورًا مـــن الـــنـــبـــيـــط وطـــورًا مـــن الـــعـــرب

وقد تقدم تفسير النبيط في آخر المقامة البلخية. يريد أن له مهارة في التلبيس وبراعة في الاحتيال وطمعًا لا يكفه الغنى وجشعًا لا تزيده الحاجة.

المَقَامَةُ الأَسَديّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ يبْلُغُنِي مِن مَقَامَاتِ الإسْكَنْدَرِيِّ وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغَى إِلَيْهِ النَّفُورُ. وَيَنْتَفِضُ لَهُ العُصْفُورُ[1]. وَيُرْوَى لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً. وَيَغْمُضُ عَن أوْهَامِ الكَهَنَةِ دِقَّةً[2]. وَأنَا أَسْأَلُ اللهَ بَقَاءَهُ. حَتَّى أُرْزَقَ لِقَاءَهُ. وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُود هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ. مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ[3]. وَقَدْ ضَرَبَ الدَّهْرُ شُؤُونَهُ

---

(١) **يصغى** من صغي كرضي إذا مال. و**النفور** الشديد النفور ولا يستميله إلا ما بلغ في السلطة على القلوب غايتها. أو هو من أصغى إلى الحديث إذا استمعه. والنفور لا يستمع إلى الحديث إلا إذا بلغ من قلبه أن يقيد إرادته عليه. ولا يكون الحديث كذلك حتى يكون من البلاغة في أقصاها. أما **انتفاض** العصفور واهتزازه فهو تمثيل لما يحدث في الأنفس من الطرب ويظهر على الجسم من علائمه عند استماع مقامات الإسكندري حتى كأن ذلك يؤثر في الطير على عجمته فضلاً عن الإنسان في نطقه.

(٢) **رقة**: تمييز لوجه الامتزاج بأجزاء النفس أي ما لهذا الشعر من الرقة يشربه في النفس إشرابًا يخلطه بأجزائها فيكون كل جزء ممتزجًا به ممتلئًا بما حواه من المعنى اللطيف. ولم يكتف بامتزاجه بالنفس على الجملة حتى جعله يمتزج بأجزائها وهو تمثيل لما تناهى إليه شعر الإسكندري من الرقة. ثم بين أن فيه دقائق تغمض وتخفى عن أوهام الكهنة مع دعواهم لعلم الغيب. وأراد بالكهنة أصحاب دعوى علم النجوم وأسرارها واستطلاع المغيبات مما تفيضه أرواحها. وقد جاء الدين الإسلامي بتكذيبهم والنهي عن الاشتغال بمذاهبهم في أوهامهم غير أنه بقي ذكرهم في الكلام من قبيل ضرب الأمثال و**دقة** مفعول من أجله أو هو تمييز لجهة الغموض تحرزًا من أن يكون الغموض لفساد التراكيب أو تعقيد العبارات.

(٣) **الهمة**: العزيمة تدفعك إلى ما تجده نفسك من مطالبها. يعجب من الإسكندري مع حسن آلته أي صناعته في النظم والنثر كيف لم يصل حاله إلى الشرف اللائق بحسن الآلة وعبر عن هذا القصور بقعود الهمة فكأن الهمة حامل لحال صاحبها يسير به إلى المقام المعد له فإذا قعدت به بقي دون ما كان ينبغي له.

بِأسْدَادٍ دُونَهُ[١]. وَهَلُمَّ جَرًّا[٢]. إلى أن اتَّفَقَتْ لي حَاجَةٌ بِحِمْصَ[٣]. فَشَحَذْتُ إلَيْهَا الحِرْصَ[٤]. في صُحْبَةِ أفرَادٍ كَنُجُوم اللَّيْلِ. أحْلَاسٍ لِظُهُورِ الخَيْلِ[٥]. وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافتَهُ. وَنسْتَأْصِلُ شَأفَتَهُ[٦]. وَلَمْ نَزَلْ نَفْرِي أسْنِمَةَ النِّجَادِ. بِتِلْكَ الجِيَادِ. حَتَّى صِرْنَ كَالعِصِيِّ. وَرَجَعْنَ كَالقِسِيِّ[٧]. وَتَاحَ لَنَا[٨] وَادٍ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي أَلَاءٍ وَأَثْلٍ. كَالعَذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ. وَيَنْشُرْنَ الغَدَائِرَ[٩]. وَمَالَتِ الهَاجِرَةُ بِنَا

---

(١) أراد من **شؤون** الدهر هٰهنا حسناته. **وضربها**: أبعدها أي بعد الدهر عنه ما طاب من أحواله بأسداد أقامها دونه تحول بينه وبين تلك الطيبات وقد يكون معنى ضرب هٰهنا أحدث. **والشؤون** الأحداث والصروف أي أحداث الدهر صروفه مصحوبة بأسداد دون الإسكندري تمنعه عما يهيأ له.

(٢) أي أقبل إلى هذا الوجه من الكلام وجره إلى نهايته بعد ما علمت من بدايته.

(٣) إلى أن اتفقت متعلق بالأفعال السابقة من قوله: كان يبلغني وأسأل الله بقاءه وأتعجب من قعود همته.

(٤) **الحرص**: المبالغة في الطلب مع الحزن على الفوات. **وشحذ** السكين: حددها للقطع فكأن الحرص آلة في بلوغ الأمر المراد تحصيله وقد تشحذ لتقوى على تحصيل أثرها في أتم صوره.

(٥) **أحلاس**: جمع حلس بالكسر أصله الكساء تجلل به الدابة تحت البردعة. ثم قيل لمن لزم بيته حلس بيته ولمن لازموا ظهور الخيل أحلاس ظهورها تشبيهًا في اللصوق والملازمة يريد هنا أنهم فرسان.

(٦) **مسافة** الطريق بين أيدي المسافرين كأن كل جزء منها مطلوب بالوصول إليه وكلما تركوا منها مقدارًا فكأنه فني وعدم. فإذا أسرعوا فيها فكأنهم ينتهبون أجزاءها ويسرعون في أفنائها كما يفعل نهبة الأموال في تبديدها واستئصال الشأفة مثل في الإعدام بالمرة. **والشأفة**: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فينقطع أثرها. ويقال إنها إذا قطعت مات صاحبها فاستئصالها الذهاب بأصلها. ثم صار استئصال الشأفة مثلاً في محو كل شيء وإزالة أثره كما تستأصل تلك القرحة.

(٧) **النجاد** جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض مثلها في صور الإبل وأضاف إليها أسنمة جمع سنام. **وفراها**: قطعها. وفي نسخة برى من براها أي نحتها أي أنهم فتتوا ظهور الجبال بحوافر تلك الخيل الجياد حتى ضمرت الخيل وهزلت وصارت **كالعصي** جمع عصا في الرقة واليبوسة، وعادت **كالقسي** جمع قوس في التلوي والانحناء كل ذلك من شدة التعب.

(٨) **تاح** لنا قدر وعرض لنا.

(٩) **الألاء** شجر مر الطعم ورقه وثمره غير أنه دائم الخضرة حسن المنظر وقد يشبه به مَن يجمل منظره ويقبح مخبره. **والأثل** شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أضخم منها وأكبر. وقوله كالعذارى يشبه تلك الأشجار في استقامتها وتدلي أفنانها بالعذارى أي الأبكار اللائي يسرحن **ضفائرن** وينشرن **غدائرين** أي ذوائبهن.

إلَيْهَا(١) وَنَزَلْنَا نُغَوِّرُ وَنَغُورُ(٢) وَرَبَطْنَا الأفْرَاسَ بِالأمْرَاسِ(٣) وَمِلْنَا مَعَ النُّعَاسِ. فَمَا رَاعَنَا إلَّا صهِيلُ الخَيْلِ(٤). وَنَظَرْتُ إلى فَرَسِي وَقَدْ أرهَفَ أُذنَيْهِ. وَطَمَحَ بِعَيْنَيْهِ. يَجُذُّ قُوَى الحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ(٥) وَيَخُدُّ خَدَّ الأرْضِ(٦) بِحَوَافِرِهِ. ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الخَيْلُ فَأرْسَلَتِ الأبْوَالَ وَقَطَّعَتِ الحِبَالَ. وأخَذَتْ نَحْوَ الجِبَالِ. وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إلَى سِلَاحِهِ فَإذَا السَّبُعُ في فَرْوَةِ المَوْتِ(٧). قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ. مُنْتَفِخًا فِي إهَابِهِ. كَاشِرًا عَن أنْيَابِهِ(٨). بِطَرْفٍ قَدْ مُلِيءَ صَلَفًا. وَأنْفٍ قَدْ حُشِيَ أنَفًا(٩). وَصَدْرٍ لَا يَبْرَحُهُ القَلْبُ(١٠). وَلَا يَسْكُنُهُ الرُّعبُ. وَقُلْنَا: خَطْبٌ مُلِمٌّ. وَحَادِثٌ مُهِمٌّ. وَتَبادَرَ إلَيْهِ مِن سُرْعَانِ الرُّفْقَةِ فَتَى(١١):

أخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ العَرَبْ يَملأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ(١٢)

---

(١) **الهاجرة**: شدة الحر فألجأتهم إلى تلك الأشجار للاستظلال.

(٢) **نغور**: أي نأتي إلى الغور والمطمئن من الأرض. **ونغور**: أي ننام. يقال غار الرجل إذا نام في وسط النهار. أي نزلنا لنأتي المطمئن من الأرض لننام فيه في تلك الهاجرة.

(٣) **الأمراس**: الحبال.

(٤) أي ما أفزعنا إلا صهيل الخيل.

(٥) **أرهف** أذنيه: رفعهما وحددهما كأنهما شفرتان. **وطمح** بعينيه: رمى بهما شيئًا ليتحققه. **يجذ** هذه حال أخرى بعد الحال الأولى. وجذ يجذ قطع باستئصال. **وقوى** الحبل طاقاته أي يقطع طاقات الحبل ليتخلص من الربط. **والمشافر**: جمع مشفر أصله للبعير مثل الشفة للإنسان. ثم قد يطلق على ما لغير البعير وإنما جمعه باعتبار الأقسام العليا والسفلى من الجحفلة.

(٦) **خد** الأرض: يريد به وجهها. **ويخده**: أي يشقه.

(٧) إنما يلبس **فروة** الموت الموت نفسه فكأنه تخيل أن الأسد هو الموت خرج إليهم في فروته.

(٨) **الغاب**: جمع غابة وهي الأجمة من القصب يتخذها الأسد عرينًا. **والإهاب**: الجلد. **والكاشر** عن أنيابه: الكاشف عنها وقد يكون ذلك من شدة الغضب والتهيؤ للافتراس.

(٩) **بطرف**: أي عين. **والصلف**: العجب أي أن له عينًا قد ملئت من دلائل الإعجاب بالقوة وشدة البأس. **والأنف** الكبر وحشي أنفه أنفًا أو كبرًا من العبارات التي تستعمل في إبانة معنى التكبر لأن الآنف يظهر فيه ذلك كما هو معروف.

(١٠) للسبع صدر لا يفارقه القلب كأن الجبان يفارق قلبه صدره عند الفزع. أما السبع فهو من الجرأة بحيث لا يفزعه شيء يذهب بقلبه ولا يسكن صدره الرعب والخوف.

(١١) **السرعان**: جمع سريع. **والرفقة**: الأصحاب.

(١٢) **أخضر** الجلدة: يراد به أسمر اللون. **والسمرة**: هي اللون الخاص بالعرب يفتخرون بها لدلالتها على صراحة النسب في العربية ولذلك قال في بيت العرب. وقوله **يملأ** الدلو إلى عقد الكرب=

بِقَلْبٍ سَاقَهُ قَدْرٌ. وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثْرٌ[١]. وَمَلَكَتْهُ سَورَةُ الأَسَدِ[٢] فَخَانَتْهُ أرضُ قَدَمِهِ. حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ. وَتَجَاوَزَ الأَسَدُ مَصْرَعهُ إلى مَن كَانَ مَعَهُ[٣]. وَدَعَا الحَيْنُ أَخَاهُ. بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ[٤] فَصَارَ إِلَيْهِ. وَعَقَلَ الرُّعبُ يَدَيْهِ[٥]. فَأَخَذَ أرضَهُ. وَافْتَرَشَ اللَّيْثُ صَدْرَهُ. وَلكِنِّي رَمَيْتُهُ بِعَمَامَتِي وَشَغَلْتُ فَمَهُ. حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ[٦]. وَقَامَ الفَتَى فَوَجَأَ بَطْنَهُ[٧] حَتَّى هَلَكَ الفَتَى مِنْ خَوْفِهِ. والأَسَدُ لِلْوَجْأَةِ فِي جَوْفِهِ. وَنَهَضْنَا فِي أثرِ الخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَا ثَبَتَ. وتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ[٨]. وَعُدْنَا إلَى الرَّفِيقِ لِنُجَهِّزَهُ[٩].

= مثل يضرب لمن إذا ساجل أحدًا في النسب والحسب سجله وغلبه. والدلو التي يستقى بها معروفة **والكرب** قطعة حبل تربط في الخشبتين المعترضتين في فم الدلو وفي هذه القطعة يعقد الحبل الكبير وتلك القطعة وضعت لتقيه من العفن ورثاثة المعقد وهاتان الخشبتان تسميان بالعرقاتين والعرقوتين وتوضعان على شكل الصليب وعقد الكرب في نقطة التقاطع بينهما أي يملأ الدلو حتى لا يبقى منه فراغ.

(١) **بقلب** الخ من صفات الفتى أي للفتى قلب ساقه القدر إلى مصاولة الأسد لتكون فيها منيته والقدر بتسكين الدال لتوافق السجع بمعنى القدر بتحريكها وهو الإيجاد على حسب القضاء الأزلي. **والأثر** بفتح فسكون جوهر السيف. فهذا السيف لجودته كأنه كله جوهر.

(٢) **سورة** الأسد: شدته. وقد ملكت الفتى وتمكنت منه ولم يثبت لها فكأن الأرض كانت عاهدته على أن تحمل له قدمه ثم خانته بأن أزلقته فسقط منكبًا يلقى الأرض بيده وفمه.

(٣) أي ترك الأسد موضع سقوط الفتى وهو مصرعه وطلب الفتيان الذين كانوا معه.

(٤) **الحين** بالفتح الموت أي طلب الموت فتى آخر إليه وكانت الدعوة بمثل ما دعا الأول من الجسارة والإقدام.

(٥) **صار** إلى الأسد أو إلى الموت ملبيًا لدعوته. وإذا رعب الإنسان اضطربت أعضاؤه وعجزت عن العمل وكأن ذلك حال الفتى منع الرعب يديه عن الضرب كأنما عقلها وربطها.

(٦) **الضمير** في أخذ للأخ أي أنه انطرح على الأرض ووقف الأسد على صدره كأنه فراش له وأراد أن يهوي إليه بأنيابه لينهشه فرمى الشيخ بعمامته فعض فيها واشتغل فمه بها وحقن دم الشاب المطروح.

(٧) **وجأ** بطنه: شقها ولا يزال الفتى يعمل الشفرة في جوفه حتى تلف من شدة خوفه وكاد يهلك أي يموت. وهلك الأسد بالفعل للوجأة التي أصابته في جوفه وإنما قلنا إن إسناد هلك إلى الفتى على معنى قارب الهلاك لأنه فيما بعد لم يذكر إلا رفيقًا واحدًا جهزوه فقط ولو كان هلك بالفعل لكانا رفيقين مجهزين.

(٨) ما ثبت منها بعد النفرة الأولى ووقف تألفناه وأزلنا نفرته. وما كان أفلت بحيث لا تصل إليه أيدينا تركناه حتى لا نضيع الوقت في طلبه.

(٩) لنهيّىء له ما يلزم لدفنه من غسل وتكفين ثم مواراة في التراب.

فَلَمَّا حَثَوْنَا التُّرْبَ فَوْقَ رَفِيقِنَا جَزِعْنَا وَلَكِنْ أيُّ سَاعَةِ مَجْزَعِ[١]

وَعُدْنَا إلَى الفَلَاةِ. وَهَبَطْنَا أرضَهَا[٢] وَسِرْنَا حَتَّى إذَا ضَمَرَتِ المَزَادُ. وَنَفِدَ الزَّادُ أو كَادَ يُدْرِكُهُ النَّفَادُ[٣]. وَلَم نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلَا الرُّجُوعَ[٤]. وَخِفْنَا القَاتِلَيْنِ الظَّمأَ وَالجُوعَ[٥]. عَنَّ لَنَا فَارِسٌ فَصَمَدْنَا صَمْدَهُ. وَقَصَدْنَا قَصْدَهُ[٦]. وَلَمَّا بَلَغَنَا نَزَلَ عَن حُرِّ فَرَسِهِ[٧]. يَنْقُشُ الأرْضَ بِشفَتَيْهِ. وَيَلْقَى التُّرَابَ بِيَدَيْهِ[٨]. وَعَمَدَنِي مِن بَيْنِ الجَمَاعَةِ[٩]. فَقَبَّلَ رِكَابِي. وَتَحَرَّمَ بِجَنَابِي. وَنَظَرْتُ فَإذَا هُوَ وَجهٌ يَبْرُقُ بَرْقَ العَارِضِ المُتَهَلِّلِ. وَقَوَامٌ مَتَى مَا تَرْقَ العَيْنُ فِيهِ تُسهِلْ[١٠] وَعَارِضٌ قَدِ اخْضَرَّ. وَشَارِبٌ قَدْ

---

(١) **حثونا** التراب: صببناه فوقه بعد وضعه في شق اللحد. **والمجزع**: الجزع. والاستفهام عن ساعة جزعهم تهويل في أمرها حتى كأنها غير معروفة لهم وأنهم يتساءلون عنها. ويصح أن تكون «أي» مبتدأ وخبرها محذوف أي ساعة حثو التراب. ويصح أن تكون ظرفًا لمثل جزعنا.

(٢) **الفلاة**: الصحراء الواسعة أو القفر أو هي المفازة التي يقل وجود الماء فيها. و**هبط** الأرض أو البلد دخلها أي دخلناها وتغلغلنا فيها.

(٣) **المزاد** جمع مزادة وهي **الراوية** أي وعاء الماء من جلد. وضمورها كناية عن فراغها من الماء. **ونفد** أي فني وإن لم يكن ذهب كله فقد كاد يدركه النفاد والفناء ولا يبقى منه شيء.

(٤) توسطوا الفلاة وصار القفر محيطًا بهم فما يصيبهم من المشقة إذا ذهبوا يصيبهم أيضًا إذا رجعوا.

(٥) الظمأ العطش وهو يقتل إذا اشتد كما يقتل الجوع.

(٦) **صمده** صمدًا قصده **وعن لنا** ظهر أي بدا لنا فارس فقصدنا جهته فلعله يعيننا على ما جهدنا منه. والفقرة الثانية بمعنى هذه فلا فائدة في ذكرها سوى بيان السعة في المترادفات.

(٧) **بلغنا**: أي وصل إلينا. وإضافة حر إلى الفرس من إضافة الصفة إلى الموصوف أي فرسه الحر. **والحر**: الفرس العتيق.

(٨) **ينقش** الأرض كناية عن أنه يقبلها ويلقى ثلاثي وعادة مقبل الأرض أن يلقى بيديه التراب على هيئة الساجد.

(٩) **عمدني**: قصدني من بينهم من دونهم.

(١٠) فإذا هو أي المقبل. وجعله هذا الذي ذكره لأنه أحسن ما فيه. ويصح أن تجعل الضمير لما لاقاه كأنه قال: فإذا الذي يواجهني وجه الخ... **والعارض**: السحاب الماطر. **والمتهلل**: اللامع ببرقه أي أن وجهه يلمع لشدة نقاوة بياضه كأنه البرق وقوله: **وقوام** متى ما ترق الخ: عطف على وجه ومتى ما شرطية وترق فعلها الأول وتسهل فعلها الثاني. **وترق** مضارع من رقي يرقى إذا صعد في جبل ونحوه. **وتسهل** من أسهل إذا خالط السهل ودخل فيه أي أن قوامه من الحسن بحيث إذا ارتقت العين للنظر في أعلاه انحطت للنظر في أدناه فالجملة كناية عن هجوم الحسن لقوامه وشموله له فلا يكاد البصر يرتفع إلى أعاليه حتى ينجذب للتمتع برؤية دوانيه. ويقرأ ترق بفتح الراء وتشديد القاف وتسهل بفتحتين فالتشديد بحذف إحدى التاءين من المضارع والأصل تترقى وتتسهل والمعنى معنى القراءة الأولى.

طَرَّ[١]. وَساعِدٌ مَلآنُ. وَقَضِيبٌ رَيّانُ[٢]. وَنِجَارٌ تُرْكِيٌّ. وَزِيٌّ مَلَكِيٌّ[٣]. فَقُلْنَا مَا لَكَ لَا أَبَا لَكَ[٤]؟ فقَالَ: أَنَا عَبْدُ بَعْضِ المُلُوكِ هَمَّ مِنْ قَتْلِي بِهَمٍّ[٥]. فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي إِلَى حَيثُ تَرَانِي[٦]. وَشَهِدَتْ شَوَاهِدُ حَالِهِ. عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا اليَوْمَ عَبْدُكَ. وَمَالِي مَالُكَ. فَقُلْتُ: بُشْرَى لَكَ وَبِكَ. أَدَّاكَ سَيْرُكَ إِلَى فِنَاءٍ رَحْبٍ. وَعَيْشٍ رَطْبٍ[٧]. وَهَنَّأَتْنِي الجَمَاعَةُ وَجَعَلَ يَنْظُرُ فَتَقْتُلُنَا ألْحَاظُهُ. وَيَنْطِقُ فَتَفْتِنُنَا أَلفَاظُهُ[٨]. فَقَالَ: يَا سَادَةُ إِنَّ فِي سَفْحِ الجَبَلِ عَيْنًا وَقَدْ رَكِبْتُمْ فَلَاةً عَوْرَاءَ[٩]. فَخُذُوا مِن هُنَالِكَ المَاءَ. فَلَوَيْنَا الأعِنَّةَ إِلى حَيْثُ أَشَارَ[١٠] وَبَلَغْنَاهُ وَقَدْ صَهَرَتِ الهَاجِرَةُ

(١) **طر** شارب الغلام طرًا وطرورًا طلع جديدًا.

(٢) **الساعد** ما بين المرفق والكف وهو الذراع من الإنسان. **وملآن** أي باللحم عبر بذلك عن السمن المعتدل. **والقضيب** هنا عمود البدن. **والريان** المشبع بالماء والماء هنا ماء الحياة وقوة الشباب.

(٣) **النجار** بكسر النون الأصل أي أنه تركي الجنس. **والزي**: هيئة الإنسان في لباسه وحليته. وملكي نسبة إلى الملك أي لا يتزيا به إلا أعوان الملوك.

(٤) **ما لك** استفهام عما عرض له. **ولا أبا لك** دعاء بفقد الأب يخرجونه مخرج التعجب من المدعو عليه في حسن وقبيح.

(٥) أراد من **الهم** ما تعزم عليه من فعل وتجيل فكرك فيه كيف توقعه. وتقدير العبارة هم بهم من قتلي وما تصمم عليه في نفسك إنما هو صورة ما سيقع منك. فالهم القائم بنفسه صورة من القتل يجري مثالها بالفعل لهذا صح أن يكون الهم من القتل لا نفس القتل.

(٦) **هام** على وجهه ذهب لا يدري أين يتوجه وأصل الهيام ما يكون من العطشان في طلب الماء لا يعرف وجهته يقصدها.

(٧) **الفناء** بالكسر ساحة الدار وإنما يكون الفناء رحبًا أي واسعًا إذا كان صاحبه كريمًا مضيافًا أي أنك لجأت إلى كريم لا تخشى في جواره ضيقًا ولا شدة. **ورطوبة** العيش كلينه يكنون بهما عن سهولته ورغده ونعومته وطريق الكناية غير خفي.

(٨) إذا كان الصوت رخيمًا واللفظ فصيحًا أخذ بالقلب إلى ما يريد المتكلم وفتن العقل عن رشاده وخدعه عن مراده. فهذا الفتى كان من رشاقة الألفاظ بحيث كان يفتنهم بلفظه.

(٩) **الفلاة** العوراء التي لا ماء بها كأنهم جعلوا الأرض ذات العيون الجارية بمنزلة الأنثى الحية من ذوات الباصرة. وكما يقال لمن فقدت عينها من البواصر عوراء قيل للفلاة إذا فقدت ماءها عوراء أيضًا.

(١٠) **الأعنة** جمع عنان بكسر العين وهو سير اللجام للدابة الذي يمسكه راكبها أو قائدها وبه يصرفها إلى حيث يريد من وجوه السير. **ولي** الأعنة كناية عن تحويل المسير إلى الجهة التي أشار إليها.

الأبْدَانَ(١). وَرَكِبَ الجَنَادِبُ العِيدَانَ(٢). فَقَالَ: ألا تَقِيلُونَ فِي هذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ(٣). عَلَى هذَا المَاءِ العَذْبِ؟ فَقُلْنَا: أنتَ وَذاكَ. فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَحَلَّ مِنْطَقَتَهُ. وَنَحَّى قُرْطُقَتَهُ(٤). فَمَا اسْتَتَرَ عَنَّا إلّا بِغِلَالَةٍ تَنِمُّ عَلَى بَدَنِهِ(٥). فَمَا شَكَكْنَا أَنَّهُ خَاصَمَ الوِلْدَانَ. فَفَارَقَ الجِنَانَ وَهَرَبَ مِن رِضْوَانٍ(٦). وَعَمَدَ إلى السُّرُوجِ فَحَطَّهَا وإلى الأفْرَاسِ فَحَشَّهَا(٧). وَإِلَى الأمكِنَةِ فَرَشَّهَا. وَقَد حَارَتِ البَصَائِرُ فِيهِ. وَوَقَفَتِ الأبْصَارُ علَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى مَا أَلْطَفَكَ فِي الخِدْمَةِ. وَأَحْسَنَكَ فِي الجُمْلَةِ(٨) فَالوَيْلُ لِمَنْ فارَقْتَهُ. وَطُوبَى لِمَنْ رَافَقْتَهُ. فَكَيْفَ شُكْرُ اللهِ عَلَى النِّعْمَةِ بِكَ؟ فَقَالَ: مَا سَتَرَوْنَهُ مِنِّي أَكْثَرُ أَتُعْجِبُكُمْ خِفَّتِي في الخِدْمَةِ. وَحُسْنِي فِي الجُمْلَةِ. فَكَيْفَ لَوْ رَأَيْتُمونِي في الرُّفْقَةِ(٩). أُرِيكُمْ مِن حِذْقِي طُرَفًا. لِتَزْدَادُوا بِي

---

(١) **الهاجرة**: شدة الحر أو منتصف النهار في زمن القيظ. **وصهرت** الأبدان: أي أذابتها أي بلغوا المكان الذي دلهم عليه بعد أن ذابت أبدانهم من شدة الحر.

(٢) **الجنادب**: جمع جندب بضم الجيم والدال أو مع فتح الدال وهو ضرب من الجراد وإنما يعلو العيدان في شدة الحر لأنه من الحيوانات التي يهلكها البرد ويبعثها الحر فكلما اشتد الحر قويت حركتها وكثر انتشارها.

(٣) **تقيلون** من قال يقيل قيلولة أي نام في وسط النهار **والرحب**: الواسع.

(٤) **المنطقة**: الحزام العريض. **والقرطقة** مؤنث القرطق وهو قباء ذو طاق واحد وأصله كرته بالفارسية فعرب.

(٥) **الغلالة**: بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب والدرع. وقوله: **تنم** على بدنه من نم الحديث إذا أشاعه بين الناس والمراد أن الغلالة تكشف عن لون بدنه كأنها تصفه وتحدث عنه.

(٦) قوله **فما** شككنا الخ: تمثيل لدرجة الحسن الفائق. **والولدان**: خدم أهل الجنة في الجنة. **ورضوان** هو خازن الجنان أي أن هذا الغلام لما بدا من حسن بدنه ما بدا لم يعرف الناظر له شبيهًا في حسنه من أهل الدنيا فلم يشك أنه كان من غلمان الجنة فخاصم رفقاءه منهم فغلبوه ففر ولم يستطع رضوان خازن الجنة على إمساكه فأفلت منه ونزل إلى الدنيا ليتصل بحضرة الشيخ عيسى بن هشام صاحب الرواية.

(٧) **حش** الأفراس: ألقى لها الحشيش ومنه المثل أحشك وتروثني أي ألقي لك حشيشًا وتلقي علي روثًا.

(٨) أي ما أحسنك في عامة أحوالك وأوصافك فجملتك بتمامها يعجب من حسنها.

(٩) رأيتم مني خدمة خفيفة وحسنًا بديعًا فعجبتم فكيف لو انضم إلى ذلك شدة بأس ومنعة وهو معنى قوله في **الرفقة** لأن الرفيق إنما تظهر قوة بأسه في الدفاع عن **رفقته** أي لو رأيتموني وأنا أحمي رفاقي لكان عجبكم أشد. وفي رواية في الوقعة يريد وقعة الحرب والقتال.

شَغَفًا[١]. فَقُلْنَا: هَاتِ. فَعَمَدَ إلى قَوْسِ أَحَدِنَا فَأَوْتَرَهُ وَفَوَّقَ سَهْمًا فَرَمَاهُ في السَّمَاء. وَأَتْبَعَهُ بِآخَرَ فَشَقَّهُ في الْهَوَاءِ[٢]. وَقَالَ: سَأُرِيكُمْ نَوْعًا آخَرَ. ثُمَّ عَمَدَ إلَى كِنَانَتِي فَأَخَذَهَا وَإِلَى فَرَسِي فَعَلاهُ[٣] وَرَمَى أَحَدَنَا بِسَهْمٍ أَثْبَتَهُ فِي صَدْرِهِ. وَآخَرَ طَيَّرَهُ مِنْ ظَهْرِهِ[٤]. فَقُلْتُ: وَيْحَكَ مَا تَصْنَع؟ قَالَ: اسْكُتْ يَا لُكَعُ[٥]. وَاللهِ لَيَشُدَّنَّ كُلٌّ مِنْكُمْ يَدَ رَفِيقِهِ. أَوْ لأُغِصَّنَّهُ بِرِيقِهِ[٦]. فَلَمْ نَدْرِ مَا نَصْنَعُ وَأَفْرَاسُنَا مَرْبُوطَةٌ وَسُرُوجُنَا مَحْطُوطَةٌ. وَأَسْلِحَتُنَا بَعِيدَةٌ وَهُوَ رَاكِبٌ وَنَحْنُ رَجَّالَةٌ[٧] وَالْقَوْسُ في يَدِهِ يَرْشُقُ بِهَا الظُّهُورَ. وَيَمْشُقُ بِهَا البُطُونَ وَالصُّدُورَ[٨]. وَحِينَ رَأَيْنَا الجِدَّ. أَخَذْنَا القِدَّ[٩]. فَشَدَّ

(١) أراد من **الحذق** هنا براعته في رمي السهام واستعمال آلة الحرب. وفي رواية من حربي. **والشغف** شدة الحرب.

(٢) **أوتر** القوس: وضع فيه الوتر. وأصل **فوق السهم** جعل له فوقًا بضم الفاء وهو موضع استقرار الوتر فيه لكنه درج استعماله في معنى أفاق السهم أي وضع فوقه في الوتر ليرمي به. ورماه في السماء في الجو إلى أعلى. وأتبعه بآخر أي أتبع السهم الأول بسهم آخر رماه فشق السهم الثاني الأول وهو في الهواء. وهذا حذق في الرمي لا تصل إليه قوة الرماة إلا فيما يندر.

(٣) **الكنانة**: وعاء السهام **وعلا** الفرس: ركبه.

(٤) بعدما علا ظهر الفرس أخذ سهمًا من كنانة عيسى بن هشام ورمى به واحدًا من رفقائه فأثبت السهم في صدر ذلك الرفيق. ثم رماه بسهم آخر فطيره من ظهره. وهذا أيضًا من الحذق في الرمي كأن ميزان قوته في يده إن شاء أعطى السهم ما يثبت به في الصدر وإن شاء مده بقوة تنفذه من الصدر إلى الظهر حتى يطير منه.

(٥) **ويح** مثل ويل كلمة دعاء بالشر والهلاك أي أطلب لك الهلاك على فعلك هذا لأنه قتل واحدًا من رفقائهم. ثم استفهم استفهام المتعجب المنكر لفعله بقوله: ما تصنع. **واللكع**: اللئيم ومن لا خير فيه ويقال كذلك للذليل والأحمق. والكل جائز قصده هنا.

(٦) **أغصه** بريقه: أشرقه به أي أوقفه في حلقه فقطع على النفس طريقه وهو كناية عن إيقاعه في شدة لا منفذ منها تجعل أسهل الأشياء تناولاً أصعبها وتصير ما به الفرج ضيقًا. والريق يستساغ به غيره وهو أسهل السائلات ازدرادًا حتى إنه ليذهب في الحلق ولا يشعر به فإذا كانت به الغصة فليس بعدها ما يزيلها. وقد حتم الغلام عليهم أن يربط كل منهم يد رفيقه أو إن لم يفعلوا لينفذنهم بالسهام فيكون الخطر عليهم خطر الموت وهو أشد الخطر.

(٧) **الرجالة**: جمع راجل وهو خلاف الفارس.

(٨) **يرشق** بها: أي يرمي بها الظهور إذا وليته **ويمشق**: أي يمزق بها البطون والصدور إذا قابلته فلا مفر منه إن وليناه أظهرنا أو لاقيناه بصدورنا.

(٩) لما رأوا أنه جاد وليس بهازل أخذوا **القد** وهو سير من جلد غير مدبوغ يوثق به الأسرى.

بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَقِيتُ وَحْدِي. لَا أجِدُ مَنْ يَشُدُّ يَدِي. فَقَالَ: اخْرُجْ بِإهَابِكَ. عَن ثِيَابِكَ[١]. فَخَرَجْتُ ثُمَّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَجَعَلَ يَصْفَعُ الوَاحِدَ مِنَّا بَعْدَ الآخَرِ. وَيَنْزِعُ ثِيَابَهُ وَصَارَ إليَّ وَعَلَيَّ خُفَّانِ جَدِيدَانِ[٢] فَقَالَ: اخْلَعْهُمَا لَا أُمَّ لَكَ. فَقُلْتُ: هذَا خُفٌّ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَيْس يُمْكِنُنِي نَزْعُهُ. فَقَالَ: عَلَيَّ خَلْعُهُ. ثُمَّ دَنَا إلَيَّ لِيَنْزِعَ الخُفَّ وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى سِكِّينٍ كَانَ معِي فِي الخُفِّ وَهُوَ فِي شُغْلِهِ فَأثْبَتُّهُ فِي بَطْنِهِ. وَأبَنْتُهُ مِن مَتْنِهِ[٣]. فَما زَادَ عَلَى فَم فَغَرَهُ. وَألْقَمَهُ حَجَرَهُ[٤]. وَقُمْتُ إلى أصْحَابِي فَحَلَلْتُ أيدِيَهُمْ وَتَوَزَّعْنَا سَلَبَ القَتِيلَيْنِ[٥] وَأدْرَكْنَا الرَّفِيقَ وَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ. وَصَارَ لِرَمْسِهِ[٦]. وَصِرْنَا إلَى الطَّرِيقِ وَوَرَدْنَا حِمْصَ بَعْدَ لَيَالٍ خَمْسٍ. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إلى فُرْضَةٍ مِن سُوقِهَا رَأيْنا رَجُلًا قَدْ قَامَ عَلَى رَأسِ ابنِ

---

(١) أي اخرج بجلدك عن الثياب يريد سلبه إياها.

(٢) عليه خفان أي على رجليه. **والخفان**: تثنية خف وهو ما يلبس في الرجل من جلد يسترها إلى ما فوق الكعب ثم يلبس عليه النعل.

(٣) كأنه كان ستر السكين في الخف كيلا يسلبها الغلام فيفقد كل جارحة ونافذة فلما اشتغل الغلام بنزع أحد الخفين أخذ السكين فأثبته في بطنه بقوة شديدة حتى أبانه أي أظهره من ظهره وهو المراد من متنه. وفي رواية: «أثبته» كأنه في ظهور طرفه في الظهر وتغيب بقيته يشبه النبات لأول ظهوره فكأنه أنبته إنباتًا.

(٤) أي لم يأت بشيء يلاقي به أثر الطعنة أزيد من فتح فمه بالصياح من شدة الألم ثم أسرع إليه خمود النفس فانقطع صوته وهو معنى **ألقمه** حجره: أي ألقم فمه حجرًا فمقداره فحشاه حتى لا يصعد معه نفس فإلقامه الحجر كناية عما قلنا. ويحتمل أنه عض في الأرض بعد الصيحة فحشى فمه من مدرها فيكون قد التقم شيئًا حقيقة. وفي رواية: فألقمته حجره ومتعلق الزيادة في الحقيقة مصدر الفعل أعني فغره فإنه هو الحادث من فاعل زاد وطريقة التعبير فما زاد على فغر فمه لكنهم يعدلون إلى مثل عبارة المصنف تفننًا وتوسعًا.

(٥) **القتيلان** أحدهما الغلام التركي والآخر رفيقهم الذي قتله الغلام وسلبهما ثيابهما وسلاحهما وكل ما يصح سلبه منهما. **وتوزعناه** تقاسمناه كل واحد منا أخذ حظه منه. وفي نسخة: القتيل مفردًا والمراد منه الغلام وهي إلى الصواب أقرب فإنه ليس من المروءة أن يجعلوا ما ترك رفيقهم سلبًا يتوزعونه بل من الواجب عليهم أن يحفظوا ما ترك حتى يوصلوه إلى أهله. ثم قوله: وأدركنا الرفيق الخ. يؤيد ذلك.

(٦) **جاد** بنفسه: أسلمها ومات. وقوله: **وصار** لرمسه: أي وبعد ذلك دفناه فصار لرمسه أي قبره.

وَبُنَيَّةٍ. بِجِرَابٍ وَعُصَيَّةٍ(١). وَهُوَ يَقُولُ:

رَحِمَ اللهُ مَنْ حَشَا ... فِي جِرَابِي مَكَارِمَهْ
رَحِمَ اللهُ مَنْ رَنَا ... لِسَعِيدٍ وَفَاطِمَهْ(٢)
إِنَّهُ خَادِمٌ لَكُمْ ... وَهْيَ لَا شَكَّ خَادِمَهْ

قَالَ عِيسَى بنُ هِشامٍ: فَقُلْتُ إِنَّ هذَا الرَّجُلَ هُوَ الإِسْكَنْدَرِيُّ الَّذِي سَمِعْتُ بِهِ وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَإِذَا هُوَ هُوَ فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ(٣). وَقُلْتُ: احْتَكِمْ حُكْمَكَ(٤). فَقَالَ: دِرْهَمٌ. فَقُلْتُ:

لَكَ دِرْهَمٌ فِي مِثْلِهِ ... مَا دَامَ يُسْعِدُنِي النَّفَسْ
فَاحْسُبْ حِسَابَكَ وَالْتَمِسْ ... كَيْمَا أُنِيلَ الْمُلْتَمَسْ(٥)

وَقُلْتُ لَهُ: دِرْهَمٌ فِي اثْنَيْنِ فِي ثَلاثَةٍ فِي أَرْبَعَةٍ فِي خَمْسَةٍ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلى

---

(١) **الفرضة**: الفرجة كأن السوق كان متصل الحوانيت وموضع البيع إلا بعض فرج فيه خالية من ذلك ففي فرجة منها وجدوا رجلاً مع ابن وبنية تصغير ابنة ومعه جراب وقد قام على رأس الولدين يستجدي لهما بالأبيات المذكورة. **والعصية** تصغير العصا.

(٢) أراد من **المكارم** أثرها وهو العطايا ولذلك جعلها تحشى في الجراب وتملأ به الأوعية. وسعيد اسم الابن وفاطمة اسم البنية.

(٣) **دلف** إليه: أسرع متقدمًا نحوه.

(٤) أي قد حكمتك في مالي فاحكم فيه حكمك فهو منفذ لدي فلم يطلب مع هذه السعة في الإباحة إلا درهمًا.

(٥) يحتمل الكلام أنه أراد المزاح معه فقال له: لك درهم في مثله أعطي لك الحاصل من هذا الضرب ما دام النفس موجودًا يسعدني بالحياة فاحسب هذا الحساب كأنه لطوله يحتاج إلى العمل وكأنه يلتزم بذلك كل سنة ما دام حيًا أو يريد إن لم يمت قبل الإعطاء فهو لا شك معطيه. ثم التمس ما وصل حسابك إليه لا نيلك أي أعطيك ملتمسك وهو ما التمسته من حاصل الضرب مع أن الخارج من ضرب الواحد في نفسه ليس إلا الواحد. فإن نظرنا إلى أقسام الدرهم من الحبات والدوانق وضربنا درهمًا في مثله لأتى الضرب بزيادة فإنا لو فرضنا الدرهم ستين قمحة مثلًا وضربناها في مثلها لكان الخارج ثلاثة آلاف وستمائة قمحة وهي من الدراهم ستون درهمًا فيكون الحاصل من ضرب درهم في مثله هذا المبلغ. وفي رواية: لك درهم في ضعفه أي في مثليه وليس فيها نكتة يلتفت إليها.

العِشْرِينَ(١) ثُمَّ قُلْتُ: كَمْ مَعَكَ؟ قَالَ عِشْرُونَ رَغِيفًا. فَأَمَرْتُ لَهُ بِهَا. وَقُلْتُ: لَا نَصْرَ مَعَ الخِذْلَانِ. وَلَا حِيلَةَ مَعَ الحِرْمَانِ.

(١) إذا حسبنا ذلك على الواحد في اثنين والاثنين في ثلاثة والحاصل في أربعة والحاصل في خمسة وهكذا إلى العشرين كان الخارج ٠٠٠، ٦٤٠، ١٧٦، ٠٠٨، ٩٠٢، ٤٣٢، ٢ وهو ما تضيق عنه ثروة عيسى بن هشام والدولة التي كان ينتمي إليها ودول مثلها أيضًا. وإذا حسبنا على أن الواحد مضروب في الاثنين وهو مضروب في الثلاثة إلى العشرين فيكون الحاصل هو الخارج من جمع اثنين وما بعدها إلى العشرين وهو مائتا درهم وعشرة دراهم يعقل أن عيسى بن هشام يملكها ويعطيها وعلى كلا الحسابين لا يكون الخارج عشرين رغيفًا كما حسب الشيخ أبو الفتح فما أنطقه بالعشرين رغيفًا إلا خذلانه وحرمانه ونحوسة بخته ولا حيلة فيما حتم من ذلك وبهذا عرف عيسى أن أبا الفتح إنما قصد به مع حسن حالته نكد الطالع وسوء البخت وإلا فكيف يعجز مثله عن حساب ما ألقاه عليه من العدد لولا تسجيل الخذلان عليه.

المقَامَةُ الغَيْلانيّة

حَدَّثَنِي عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ[١] في مُجْتَمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَعَنَا يَوْمَئِذٍ رَجُلُ العَرَبِ حِفْظًا وَرِوَايَةً وَهُوَ عِصْمَةُ بنُ بَدْرٍ الفَزَارِيُّ فَأَفْضَى بِنَا الكَلَامُ إلى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ احْتِقَارًا حَتَّى ذَكَرْنَا الصَّلَتَانَ العَبْدِيَّ وَالبَعِيثَ[٢] وَمَا كَانَ مِنَ احْتِقَارِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ لَهُمَا. فَقَالَ عِصْمَةُ: سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَا شَاهَدَتْهُ عَيْنِي وَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ غَيْرِي: بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي بِلَادِ تَمِيمٍ مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً وَقَائِدًا جَنِيبَةً[٣]. عَنَّ لِيَ رَاكِبٌ على أَوْرَقَ جَعْدِ اللُّغَامِ[٤] فَحَاذَانِي حَتَّى إذَا صَكَّ الشَّبَحُ بِالشَّبَحِ[٥] رَفَعَ صَوْتَهُ بِـ «السَّلَامُ عَلَيْكَ». فَقُلْتُ:

---

(١) **جرجان**: مدينة من مدن بلاد خوارزم من بلاد التتر المستقلة.

(٢) **الصلتان** بتحريك اللام اسم لجملة من الشعراء منهم العبدي هذا وآخر ضبي وثالث فهمي والبعيث بفتح الباء وكسر العين مثال فعيل وهؤلاء الذين يذكرهم جميعهم من شعراء الدولة الأموية مشاهير.

(٣) **ناقة** نجيبة: أي كريمة. **والجنيبة** ما تستصحبه من المراكب لتراوح بينها وبين ما تركب إذا تعبت إحداهما ركبت الأخرى. والمذكر منه جنيب والأنثى جنيبة.

(٤) **عن** لي: أي ظهر لي. **والأورق** من الإبل الآدم أو ما في لونه بياض وسواد قالوا: وهو من طيب الإبل لحمًا لا سيرًا وعملاً. **واللغام**: زبد الجمل يقذفه من فيه. **وجعد** اللغام: متراكمه وهو صفة الأورق.

(٥) **الشبح**: الشخص كأنهما تقابلا حتى تلاطما وصك شخص أحدهما شخص الآخر. وفي نسخة: فاجتاز بي رافعًا صوته بالسلام فقلت من الراكب الخ. وهي أدنى إلى الصواب من هذه النسخة لأن المار بسرعة قد يسكت عن السلام حتى يجوز فيسلم. ولا يصح للمقبل عليك أن يسكت حتى يلطمك بنفسه ثم يسلم.

وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. مَنِ الرَّاكِبُ الجَهِيرُ الكَلَامِ المُحَيِّـي بِتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: أَنَا غَيْلَانُ[١] بنُ عُقْبَةَ. فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِالكَرِيمِ حَسَبُهُ. الشَّهِيرِ نَسَبُهُ. السَّائِرِ مَنْطِقُهُ. فَقَالَ: رَحُبَ وَادِيكَ. وَعَزَّ نَادِيكَ[٢]. فَمَنْ أَنتَ؟ قُلْتُ: عِصْمَةُ بنُ بَدْرٍ الفَزَارِيُّ. قَالَ: حَيَّاكَ اللهُ نِعْمَ الصَّدِيقُ. وَالصَّاحِبُ وَالرَّفِيقُ. وَسِرْنَا فَلَمَّا هَجَّرْنَا قَالَ: أَلَا نُغَوِّرُ يَا عِصْمَةُ فَقَدْ صَهَرَتْنَا الشَّمْسُ؟ فَقُلْتُ: أَنتَ وَذاكَ[٣]. فَمِلْنَا إِلَى شَجَرَاتِ أَلَاءٍ كَأَنَّهُنَّ عَذَارَى مُتَبَرِّجَاتٌ قَدْ نَشَرْنَ غَدَائِرَهُنَّ[٤]. لِأَثَلَاتٍ تُنَاوِحُهُنَّ[٥]. فَحَطَطْنَا رِحَالَنَا وَنِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ وكَانَ ذُو الرُّمَّةِ زَهِيدَ الأَكْلِ وَصَلَّيْنَا بَعْدُ وَآلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إلى ظِلِّ أَثَلَةٍ يُرِيدُ القَائِلَةَ[٦]. وَاضْطَجَعَ ذُو الرُّمَّةِ وَأَرَدْتُ أن أَصْنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِ فَوَلَّيْتُ ظَهْرِي الأَرْضَ. وَعَيْنَايَ لَا يَمْلِكُهُمَا غَمْضٌ[٧]. فَنَظَرْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ قَدْ ضَحِيَتْ وَغَبِيطُهَا[٨] مُلْقًى وَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ يَكْلَأُهَا كَأَنَّهُ

---

(١) هو ذو الرمة الشاعر المشهور.

(٢) **رحب** واديك: أي اتسع دعاء له بسعة المقر وسهولة المستوطن فإن سعة المقام أحد أسباب السعادة والراحة. **والنادي** المجلس والمراد به الجالسون به. وعز ناديك دعاه بعزة جلسائه ولا يكونون أعزاء حتى يكون هو عزيزًا فهو كناية عن الدعاء له بالعز.

(٣) **هجرنا**: أي صرنا إلى الهاجرة وهي شدة الحر. **ونغور**: أي نقيل يعني ألا ننزل فننام في الظل حتى تنكسر سورة الحر. فقد **صهرتنا** أي أذابتنا الشمس. **أنت وذاك** أي أنت وما تريد من القيلولة وهذا التركيب مما يكفي فيه حرف عن اسم فإن الواو هٰهنا قامت مقام مع التي تتمم الجملة بالخبر فكأنه قيل: أنت مع ما تريد أي مقارن له لا تعارض فيه.

(٤) **الألاء**: شجر مر الطعم ورقه وثمره دائم الخضرة حسن المنظر كما تقدم. والعذارى الأبكار والمتبرجات من تبرجت المرأة إذا أظهرت زينتها للرجال ومن ذلك أن تكشف شعرها وهو أجمل زينتها. **والغدائر**: الذوائب من الشعر والتشبيه لاتساق الأغصان وتدلي الأفنان الغضة وانسدالها.

(٥) **الأثلات**: جمع أثلة واحدة الأثل وهو شجر من فصيلة الطرفاء غير أنه أضخم وأرفع دقيق الورق ثخين الظل. **وتناوحهن**: أي تقابل شجرات الألاء.

(٦) **زهيد** الأكل: قليله. وقوله: صلينا أي أدوا صلاة الظهر بعدما أكلوا. **وآل** كل واحد: أي رجع كل واحد منا بعد الصلاة إلى ظل شجرة لينام فيه. وفي رواية: ومال. **والقائلة**: النوم في نصف النهار.

(٧) لا يتسلط عليهما النوم فيطبق أجفانهما. **والغمض**: انطباق الأجفان.

(٨) **كوماء**: أي عظيمة السنام. **وضحيت**: من ضحى يضحي ضَحًا إذا أصابته الشمس أو ضحي يضحى ضحاء إذا انكشف بعد ستر وهذا الثاني هو الأظهر لقوله فيما بعد وغبيطها ملقى أي ناقة=

عَسِيفٌ أو أسِيفٌ(١) فَلَهِيتُ عَنْهُمَا وَمَا أنَا وَالسُّؤَالَ عَمَّا لَا يَعْنِينِي(٢). وَنَامَ ذُو الرُّمَّةِ غِرَارًا(٣) ثُمَّ انْتَبَهَ وَكَانَ ذلِكَ فِي أيَّامِ مُهَاجَاتِهِ لِذلِكَ المُرِّيِّ(٤) فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ(٥) وَأنْشَدَ يَقُولُ:

أمِنْ مَيَّةَ الطَّلَلُ الدَّارِسُ ... ألَظَّ بِهِ العَاصِفُ الرَّامِسُ(٦)
فَلَمْ يَبْقَ إلَّا شَجِيجُ القَذَالِ ... وَمُسْتَوْقَدٌ مَا لَهُ قَابِسُ(٧)
وَحَوْضٌ تَثَلَّمَ مِن جَانِبَيْهِ ... وَمُحْتَفَلٌ دَارِسٌ طَامِسُ(٨)

= عظيمة السنام قد انكشفت عن غبيطها وهو ملقى على الأرض. **والغبيط**: مركب مخصوص يتخذ لراكب الإبل وقالوا: هو الرحل يشد عليه الهودج أو هو مركب يشبه أكف البخاتي أو رحل قتبه وأحناؤه واحدة. **والقتب**: من الإكاف ما كان على قدر سنام البعير.

(١) يكلأها أي يحفظها. **والعسيف**: الأجير. **والأسيف**: العبد ويستعمل كل مكان الآخر في جل معانيه.

(٢) **لهيت** كرضيت أي تركتهما وعرضت عنهما. وقوله: وما أنا والسؤال أي لست في شيء من السؤال عما لا يعنيني وأصله استفهام عما يجمعه والسؤال على سبيل الإنكار أي لا تجمعني والسؤال عما لا يعنيني جامعة وجود.

(٣) **ذو الرمة** غيلان بن عقبة المتقدم ذكره ونام **غرارًا**: أي قليلاً.

(٤) **مهجوه**: الذي يذكر في الأبيات الآتية من بني مرة بن حجر.

(٥) **رفع عقيرته**: أي صاح وأصله أن تعقر الرجل فيرفعها الرجل ويصيح من الألم ثم غلب في الصياح مطلقًا.

(٦) **رأى طللاً**: أي شاخصًا من آثار ديار فكأنه لم يدر من شدة الوله هل هذا الطلل من آثار مية محبوبته فاستفهم عنه. **والدارس**: العافي المضمحل. **وألظ** به: أي لازمه. **والعاصف**: الريح الشديدة. **والرامس** من رمس الشيء إذا غطاه ودفنه. أي لازمته الريح حتى دفنته وغطته بما تجلب من الأتربة.

(٧) **شجيج**: فعيل من شج بمعنى مفعول أي مشجوج مكسور. والقذال ما اكتنف رأس القفا عن اليمين والشمال. فالمراد من شجيج القذال مكسور الرأس وقصد به هنا الوتد الذي كانت تربط به الأطناب أو تقيد إليه الدواب فبعد خلو المكان من السكان بقيت **الأوتاد** المكسرة الرؤوس من الدق أيام كانوا يستعملونها. وقوله: ومستوقد معطوف على شجيج القذال. **والمستوقد** على صيغة اسم المفعول مكان اشتعال النار. **والقابس**: من قبس إذا أخذ من النار شعلة كنى بنفيه عن عدم وجود النار فيه لأنه إذا لم يكن فيه نار لم يكن منها قابس بالضرورة.

(٨) **الحوض**: كانت إبل أهل الحي تشرب منه فلما خلا منهم تثلم من جانبيه أي تهدم لعدم من يتعهده بالمحافظة والإصلاح. **المحتفل**: مكان الاحتفال أي الاجتماع فهو بفتح الفاء أي منتدى. **دارس** عاف وفي نسخة: داثر بمعناه. **طامس**: من طمس الشيء أي انمحى وذهب أثره.

وَعَـهْـدِي بِـهِ وَبِـهِ سَـكْـنُـهُ وَمَـيَّـةُ وَالإِنْـسُ وَالآنِـسُ(١)
كَـأَنِّـي بِـمَـيَّـةَ مُـسْـتَـنْـفِـرٌ غَـزَالًا تَـرَاءَى لَهُ عَـاطِـسُ(٢)
إِذَا جِـئْـتُـهَـا رَدَّنِـي عَـابِـسٌ رَقِـيـبٌ عَـلَيْـهَـا لَهَـا حَـارِسُ(٣)
سَـتَـأْتِـي امْـرَأَ الـقَـيْـسِ مَـأْثُـورَةٌ يُـغَـنِّـي بِـهَـا الـعَـابِـرَ الـجَـالِسُ(٤)
أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ امْـرَأَ الـقَـيْـسِ قَـدْ أَلَـظَّ بِـهِ دَاؤُهُ الـنَّـاجِـسُ(٥)
هُـمُ الـقَـوْمُ لَا يَـأْلَـمُـونَ الـهِـجَـاءَ وَهَـلْ يَـأْلَـمُ الـحَـجَـرُ الـيَـابِـسُ(٦)
فَـمَـا لَـهُـمُ فِـي الـعُـلَا رَاكِـبٌ وَلَا لَـهُـمُ فِـي الـوَغَـى فَـارِسُ(٧)

---

(١) **عهدي** به: أي علمي متعلق به والضمير إلى الطلل الذي هو مجموع تلك الآثار التي عددها وقد يرجع إلى المحتفل. يريد أني أعلم هذا المكان في حال كأن به **سكنه** بتسكين الكاف أي ساكنوه فهو جمع ساكن كصاحب وصحب أو هو اسم جمع له. **ومية** معطوف على سكنه وهي منهم خصصها لامتيازها من بينهم عنده لما شغف حبها قلبه. **والإنس** بكسر الهمزة الأليف وهو مية كرر ذكرها بلفظ آخر. والآنس ما يسكن قلبه إليك ضد المستوحش وهو هي أيضًا. وقد يراد بالأليف والآنس أخلاء آخرون كانوا له بحي مية. ويصح أن تقرأ **الأنس** بضم الهمزة ضد الوحشة والموضع إذا كان فيه ساكنوه كان فيه الأنس وارتفعت الوحشة وكان فيه الآنسون وهم مَن يسكن بعضهم إلى بعض.

(٢) كأنه مع مية أي نسبته إليها كنسبة المستنفر للغزال فكما أن مستنفره أي منفره لا يصل إليه كذلك الشاعر مع مية لا يصل إليها. **وترامى** له: ظهر بحيث يراه. **والعاطس** الصبح وإذا استنفرت غزالاً في أول الصبح كان نفوره أشد ما يكون لأن قربه من وحشة الليل تعظم الفزع فيه وضوء الصبح يريه سبيل المهرب.

(٣) بيان لسبب حرمانه منها كما يحرم مستنفر الغزال من الغزال وذلك أنه كلما جاءها يريد لقاءها يجد من أهلها عابسًا غيورًا وهو رقيب عليها خيفة تعرض العاشقين لها حارس وحافظ لها من شرورهم.

(٤) **امرؤ** القيس هذا هو مهجوه. **والمأثورة**: المروية يريد القصيدة التي يهجوه بها أي أنه ستأتيه قصيدة تشتهر حتى يرويها الناس وتصير أغنية لا يتغنى بها السائرون في الأسفار فقط بل والقائمون في مساكنهم أيضًا فالجالس يغني بها للعابر أي المار في طريقه. وهذا البيت انتقال من ذكر الأطلال والآثار إلى الهجاء اقتضابًا لم يراع فيه حسن التخلص.

(٥) **ألظ به**: لزمه. **والناجس** من الأدواء: الذي لا يبرأ وأراد من دائه ما يهيجه على هجاء ذي الرمة من الحسد أو الحقد أو اللؤم وخبث الطبيعة.

(٦) **ضمير** الجماعة لقوم امرىء القيس يقول إن قوم هذا المهجو لا يألمون من الهجاء لأنهم أحجار والمهجو واحد منهم فلا يألم كما لا يألمون وذكر الحجر لمز لهم باسم أبيهم.

(٧) **الوغى**: الحرب.

مُـمَـرْطَـلَـةٌ فِـي حِـيَـاضِ الْـمَـلَامِ كَـمَـا دَعَـسَ الأدَمَ الـدَّاعِـسُ(١)

إذَا طَـمَـحَ الـنَّـاسُ لِلْمَـكْـرُمَـاتِ فَـطَـرْفُـهُـمُ الـمُـطْـرِقُ الـنَّـاعِـسُ(٢)

تَـعَـافُ الأكَـارِمُ إصْـهَـارَهُـمْ فَـكُـلُّ أيَـامَـاهُـمُ عَـانِـسُ(٣)

فَلَمَّا بَلَغَ هذَا البَيْتَ تَنَبَّهَ ذلِكَ النَّائِمُ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ: أَذُو الرُّمَيْمَةِ يَمْنَعُنِي النَّوْمَ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُثَقَّفٍ وَلَا سَائِرٍ(٤) فَقُلْتُ: يَا غَيْلَانُ مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: الفَرَزْدَقُ. وَحَمِيَ ذُو الرُّمَّةِ فَقَالَ:

وَأمَّـــا مَـــجَـــاشِـــعُ الأرْذَلُو نَ فَلَمْ يَسْقِ مَنْبِتَهُمْ رَاجِسُ(٥)

سَيَعْقِلُهُمْ عَنْ مَسَاعِي الكِرَامِ عِـقَـالٌ وَيَـحْـبِـسُـهُـمْ حَـابِـسُ(٦)

---

(١) **ممرطلة**: أي ملطخة تقول مرطلت فلانًا بالطين ونحوه أي لطخته به وكأنه جعل الملام سائلاً من القذر يخزن في حياض وقد غمس هؤلاء القوم فيها فلطخوا فيها بتلك الأقذار وثبت ذلك في أعراضهم كما يثبت الدباغ في الأدم جمع **أديم** وهو الجلد المدبوغ. **ودعسه**: وطئه وطئًا شديدًا وهكذا يصنع بالجلد عند دبغه يدعس حتى يتشرب الدباغ وأنث وصف ممرطلة لتأويل القبيلة.

(٢) **طمح** الناس: رموا بأبصارهم إلى المكرمات وأحاسن الفعال. **وطرفهم**: بصرهم. **والمطرق** المنكس. إذا امتدت الأبصار للجميل لتهدي إلى فعله كان بصر المذمومين مغمضًا عنها.

(٣) **تعاف**: أي تكره وتستقذر. **الأكارم**: جمع أكرم يريد أعالي الناس. **والأصهار**: مصدر أصهر إليهم وفيهم إذا تزوج من بناتهم فهؤلاء يأبى الكرام أن يتزوجوا منهم لهذا تجد كل **أياماهم** جمع أيم وهي التي لا زوج لها بكرًا أو ثيبًا عانسًا أي لم تتزوج أصلاً ولا يقال لمن تزوجت مرة عانس وفي نسخة بدل أياماهم نساءهم أي جميع بناتهم بلا أزواج لكراهة الناس في مصاهرتهم.

(٤) **المثقف**: المقوم المهذب الذي لا عوج به. **والسائر** الذي لجودته يسير في البلاد رواية وحسن شهرة.

(٥) **مجاشع**: قوم الفرزدق لأنه من مجاشع بن دارم. وقوله: فلم يسق منبتهم دعاء عليهم أن لا ينزل المطر بمنابتهم أي مواضع نباتهم فيجدبون. **والراجس**: السحاب الشديد صوت رعده.

(٦) **العقال**: ما تعقل به الناقة لتقف وتمنع عن المشي ولا يريد من السين في سيعقلهم حقيقة الاستقبال ولكنه أتى بها للدلالة على أن ما عرف فيهم من الامتناع عن مساعي الكرام سيلزمهم في الآتي من الزمن فهم عنده محبوسون عن مساعي الكرام دائمًا قبل القول وبعده وشبه ما في طباعهم من الخسة التي تقعد عن مطالب الكرام بالعقال.

فَقُلْتُ الآنَ يَشْرَقُ فَيَثُورُ[١] وَيَعُمُّ هذَا وَقَبِيلَتَهُ بِالْهِجَاءِ. فَوَاللهِ مَا زَادَ الفَرَزْدَقُ عَلى أن قَالَ: قُبْحًا لَكَ يَا ذَا الرُّمَيْمَةِ أَتَعْرِضُ لِمِثْلِي بِمَقَالٍ مُنْتَحَلٍ[٢]! ثُمَّ عَاد فِي نَوْمِهِ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا وَسَارَ ذُو الرُّمَّةِ وَسِرْتُ مَعهُ وَإِنِّي لَأَرَى فِيهِ انْكِسَارًا حَتَّى افْتَرَقْنَا.

(١) **يشرق** من شرق إذا شجي وغص بريقه كنى به عن شدة الغيظ. **ويثور**: أي يهيج فيشمل ذا الرمة وقومه بالهجو.

(٢) **تعرض**: أي تتعرض تقول عرضت لفلان بسوء أي تعرضت له. **والمنتحل**: المدعي أي بمقال مسروق ليس لك.

المقَامَة الأذْربيجَانية

قَالَ عِيسى بنُ هِشَام: لَمَّا نَطَّقَنِي الغِنَى بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ[(١)] اتُّهِمْتُ بِمَالٍ سَلَبْتُهُ. أو كَنْزٍ أصَبْتُهُ. فَحَفَزَنِي اللَّيْلُ. وَسَرَتْ بِيَ الخَيْلُ[(٢)]. وَسَلَكْتُ في هَرَبِي مَسَالِكَ لَمْ يَرُضْهَا السَّيْرُ. وَلَا اهْتَدَتْ إِلَيْهَا الطَّيرُ[(٣)]. حَتَّى طَوَيْتُ أرْضَ الرُّعْبِ وَتَجَاوَزْتُ حَدَّهُ[(٤)] وَصِرْتُ إِلَى حِمَى الأَمْنِ وَوَجَدْتُ بَرْدَهُ[(٥)]. وَبَلَغْتُ أَذْرَبِيجَانَ وَقَدْ حَفِيَتِ

---

(١) **نطَّقه**: ألبسه المنطقة وهي حزام عريض يشد به الوسط. وذيل الثوب ما يلي الأرض منه وكأن الغنى ثوب سبغ وفاض ذيله حتى عاد من ذلك الذيل الفاضل أي الزائد منطقة يشد بها وسطه مع بقاء الثوب سابغًا للبدن يريد أن الغنى قد زاد حتى شمل الحاجات بأسرها وأتى عليها ثم صدر عنها بعد سدادها جميعًا إلى حيث تعقد عليه العقد وتقفل دونه الخزائن لعدم الحاجة إلى استعماله.

(٢) **حفزه** يحفزه حفزًا حركه وحثه كأنما يدفعه من خلفه لما اتهموه بسلب المال أو إصابة الكنز لظهور الغنى عليه أحس منهم إرادة القبض عليه لمصادرته وانتزاع المال منه فتهيأ للهرب وكان الليل حاملاً له على ذلك لأنه يستره عن أعين طالبيه فكأنه يقول له سر حيث شئت وأنا الكفيل بحجب أعينهم عنك حتى تخلص إلى مكان الأمن. **وسرت** بي الخيل: أي سارت بي ليلاً.

(٣) **لم يرضها**: أي لم يذللها ويمهدها السير أي مسالك لم يسلكها سالك قبله وعدم اهتداء الطير إليها مع أن الطير أهدى الحيوان إلى المسالك لتيسر الجولان عليه في السهل والوعر دليل على شدة خفائها.

(٤) **الرعب**: الخوف. **وأرضه** أرض أولئك الظلمة الذين هموا بمصادرته وانتهاب أمواله. **وتجاوز** حده وجاوزه: تركه خلف ظهره. **وحده**: ما ينتهي إليه. أي جاوز تخوم ممالك الظالمين.

(٥) **صار** إليه: انتهى ووصل إليه. **والحمى**: ما تحميه من شيء يقال حمى الملك لما يحفظه الملك ويمنعه من أيدي غيره. وكان لبعض ملوك العرب حمى أي مرعى لا يرعى فيه سوى مال ذلك الملك. وإضافة الحمى إلى الأمن لأن الأمن قار فيه. وقوله: وجدت **برده** تمثيل=

الرَّوَاحِلُ. وَأَكَلَتْهَا الْمَرَاحِلُ[١]. وَلَمَّا بَلَغْتُهَا:

نَـزَلْنَـا عَـلَى أَنَّ الْمُـقَـامَ ثَـلاثَـةٌ فَطَابَتْ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا شَهْرَا[٢]

فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا في بَعْضِ أَسْوَاقِهَا إِذْ طَلَعَ رَجُلٌ بِرُكْوَةٍ قَدِ اعْتَضَدَهَا وَعَصًا قَدِ اعْتَمَدَهَا[٣]. وَدَنِّيَّةٍ قَد تَقَلَّسَهَا[٤]. وَفُوطَةٍ قَد تَطَلَّسَهَا[٥]. فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ[٦] وَقَالَ: اللَّهُمَّ يَا مُبْدِىءَ الأَشْيَاءِ وَمُعِيدَهَا. وَمُحْيِيَ الْعِظَامِ وَمُبِيدَهَا وَخَالِقَ المِصْبَاحِ وَمُدِيرَهُ وَفَالِقَ الإِصْبَاحِ وَمُنِيرَهُ[٧]. وَمُوصِلَ الآلاءِ سَابِغَةً إِلَيْنَا[٨]. وَمُمْسِكَ السَّمَاءِ أن تَقَعَ عَلَيْنَا. وَبَارِىءَ النَّسَمِ أَزْوَاجًا[٩] وَجَاعِلَ الشَّمْسِ سِرَاجًا. وَالسَّمَاءِ سَقْفًا وَالأَرْضِ فِرَاشًا. وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالنَّهَارِ مَعَاشًا[١٠]. وَمُنْشِىءَ السَّحَابِ ثِقَالًا. وَمُرْسِلَ

= لما وجد من الراحة والاطمئنان فإن الخائف كأنما يلتهب ضميره من الفزع والآمن يبرد قلبه عند الاطمئنان.

(١) **أذربيجان** بفتح فسكون ففتح فكسر قسم من مملكة إيران في الغرب الشمالي منها. **والرواحل**: النوق التي امتطاها في سيره هذا. **وحفيت**: انسحت أخفافها من كثرة المشي. **والمراحل**: جمع مرحلة وهي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم.

(٢) نزل بأذربيجان على أن يقيم بها ثلاثة أيام يستريح فيها من التعب فطابت له الناحية بما فيها من دواعي الراحة حتى أقام بها شهرًا فكان يومه بعشرة أيام.

(٣) **الركوة**: رقعة صغيرة توضع تحت العواصر وهي الأحجار الثلاثة التي يعصر بها العنب في معاصرهم. **واعتضدها**: وضعها في عضده. **واعتمد** العصا: اتكأ عليها في وقوفه.

(٤) **دنية** بفتح فتشديدين هي قلنسوة كان يختص بلبسها القضاة نسبوها إلى الدن لشبهها به. **وتقلسها**: أي لبسها على أنها قلنسوة يقال: تقلس القلنسوة أي لبسها.

(٥) **الفوطة**: ضرب من الثياب السندية غليظ تتخذ منه المآزر. **وتطلسها** لبسها على هيئة الطيلسان.

(٦) تقدم أن رفع عقيرته بمعنى صاح.

(٧) **المصباح**: الشمس. **ومديره**: أي محركه في دائرته. **والإصباح**: أول الفجر. **وفالق** الإصباح: أي فالق ظلمته التي تنتهي إليه فيكون على حذف وأصله فالق غبش الإصباح بالإصباح أو أنه فالق الإصباح عن بياض النهار وإسفاره وقد قالوا: انشق عمود الصبح وانصدع الفجر على معنى انتشر الضوء وأسفر النهار. **ومنيره**: أي ناشر ضوئه.

(٨) **الآلاء**: النعم. **وسابغة**: أي **شاملة** لنا كما يشمل الثوب الواسع الضافي أبداننا.

(٩) **البارىء**: الخالق. **والنسم**: جمع نسمة وهي النفس الحية. **وأزواجًا**: أي ذكرًا وأنثى.

(١٠) **السكن** محركًا ما تسكن فيه. والله تعالى جعل الليل لنسكن فيه ونكف عن الحركة بأنواعها لتستريح أعضاؤنا من تعب العمل وتستجم قوانا لتنشط إليه عند انجلاء الظلام. والنهار **معاش** لأنه زمن العيش وكسبه.

الصَّوَاعِقَ نَكَالًا(١). وَعَالِمَ مَا فَوْقَ النُّجُومِ. وَمَا تَحْتَ التُّخُومِ(٢). أسأَلُكَ الصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ. مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ. وَأن تُعِينَنِي عَلَى الغُرْبَةِ أَثْنِي حَبْلَهَا. وَعَلَى العُسْرَةِ أعْدُو ظِلَّهَا(٣). وَأن تُسَهِّلَ لِي عَلى يَدَيْ مَن فَطَرَتْهُ الفِطْرَةُ. وَأَطْلَعَتْهُ الطُّهْرَةُ(٤). وَسَعِدَ بِالدِّينِ الْمَتِينِ. وَلَمْ يَعْمَ عَنِ الحَقِّ المُبِينِ. رَاحِلَةً تَطْوِي هذَا الطَّرِيقَ. وَزَادًا يَسَعُنِي وَالرَّفِيقَ(٥). قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَنَاجَيْتُ نَفْسِي(٦) بِأنَّ هذَا الرَّجُلَ أَفْصَحُ مِن إسْكَنْدَرِيِّنَا أَبِي الفَتْحِ وَالْتَفَتُّ لَفْتَةً فإذَا هُوَ وَاللهِ أبُو الفَتْحِ. فَقُلْتُ: يَا أبَا الفَتْحِ بَلَغَ هذهِ الأرْضَ كَيْدُكَ(٧). وَانْتَهَى إلَى هذَا الشِّعْبِ صَيْدُكَ. فَأنْشَأَ يَقُولُ:

أنَا جَوَّالَةُ البِلَا ... دِ وَجَوَّابَةُ الأُفُقْ(٨)
أنَا خُذْرُوفَةُ الزَّمَا ... نِ وَعَمَّارَةُ الطُّرُقْ(٩)

---

(١) ينشىء الله السحب ثقيلة من الماء بما وضع من الأسرار في الهواء والبحار وهو الذي يرسل الصواعق وهي المحرقات من قدحات البرق فيصيب بها مَن يشاء نكالًا له وعقابًا.

(٢) **التخوم**: جمع تخم بالفتح والضم وهي الحدود أي ما تحت نهايات الأرض السفلى.

(٣) كأنه جعل الغربة دابة خبيثة حملته فشردت به فيسأل أن يعينه عليها حتى يثني حبلها. **وحبلها**: ما يقودها به ويزمها فإذا ثناه أي عطفه إلى ناحية الوطن أدت به إليه فتخلص منها. وخيل **العسرة** دخانًا قاتمًا له ظل غير ظليل فسأل الله أن يعينه عليها حتى يفوت ظلها. وقد يكون التشبيه بشخص مطلقًا له ظل. وعدا ظله أي فارقه فهو يسأل الله فراق العسرة.

(٤) **الفطرة**: الدين أو الاستعداد القريب لقبوله. وفطرته أي أنشأته وجبلته. يسأل الله أن يسهل له راحلة وزادًا على يد شخص صنعه الدين وقوم طبعه لأن الخير إنما يكون عن طباع الدين الصحيح غالبًا. **والطهرة**: النقاء والخلوص من الأدران. وأطلعته كما يطلع الفلك نجمه أي تولد من أصول طاهرة نقية.

(٥) **راحلة**: مفعول تسهل. وتخيل الطريق حبلاً كلما قطع منه مسافة فكأنه طوى منه جزءًا وزادًا معطوف على راحلة. **والرفيق**: معطوف على ضمير المفعول في يسعني أي يكفيني ويكفي رفيقي.

(٦) **ناجيت** نفسي: حدثتها وما يردده الشخص في خياله من القضايا يسمى حديث النفس.

(٧) **الكيد**: الحيلة والجملة على الاستفهام أي هل بلغت حيلتك هذه الأرض.

(٨) **الجوال**: وصف مبالغة من جال بمعنى طاف ودار والتاء فيه لزيادة المبالغة. **والجواب**: من جاب الأرض أي قطعها. **والأفق**: ما ينتهي إليه البصر من محيط الأرض. فهو الذي يقطع حدود البسيطة على تباعدها في تطوافه.

(٩) **الخذروفة**: مؤنث الخذروف وهو عصا مثقوبة تجعل فيها الصبيان خيطًا ويلعبون بها فيديرونها=

لَا تَــلُمْــنِــي لَكَ الــرَّشَــا　　دُ عَــلَى كُــدْيَــتِــي وَذُقْ[١]

= فوق رؤوسهم بسرعة تامة وقد يشبهون به الخيل في سرعة العدو كما قال امرؤ القيس في وصف فرسه درير:

كـخـذروف الـولـيـد أمـره　　تـتـابـع كـفـيـه بـخـط مـوصـل

والدرير: الذي يدر العدو كما تدر الناقة اللبن. **وعمارة** الطرق: وصف من العمارة للمبالغة أيضًا أي أن الزمان يديره من مكان إلى مكان كما يدير الصبي خذروفته وهو يعمر الطرق فلا تخلو منه.

(١) ينهاه عن لومه ويدعو له بالرشاد والاهتداء إلى الصواب. **والكدية**: سؤال الناس واستعطاؤهم. ثم يأمره بذوق لذة **الكدية** فإنه إن ذاقها حرص عليها ولم يلم أهلها لما فيها من لذة الاسترزاق بلا تعب.

المقَامَةُ الجُرْجَانيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانَ(١) فِي مَجْمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَا فِينَا إِلَّا مِنَّا(٢). إذ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُتَمَدِّدِ. وَلَا القَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ(٣). كَثُّ الْعُثْنُونِ(٤) يَتْلُوهُ صِغَارٌ في أَطْمَارٍ(٥). فَافْتَتَحَ الكَلَامَ بِالسَّلَامِ. وَتَحِيَّةِ الإِسْلَامِ. فَوَلَّانَا جَمِيلًا. وَأَوْلَيْنَاهُ جَزِيلًا(٦). فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي امْرُؤٌ مِن أَهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ(٧). نَمَتْنِي سُلَيْمٌ وَرَحَّبَتْ بِي عَبْسٌ(٨). جُبْتُ الآفَاقَ. وَتَقَصَّيْتُ

---

(١) **جرجان**: من مدن بلاد الترك المستقلة من خانيق خيوا.

(٢) أي ليس فينا أحد إلا من هو من جماعتنا الخاصة لا غريب بيننا.

(٣) **المتردد**: من مطاوع ردده مبالغة في رده وكأن النمو كان يطلب حدًا فرد عنه. لهذا قيل للقصير جدًا متردد في مقابلة المتمدد للطويل.

(٤) **العثنون**: اللحية. **وكثها**: كثيفها.

(٥) ثياب بالية جمع طمر. وفي نسخة: يعلوه روع صفار في أطمار الخ. **والروع**: الفزع. **والصفار** بالضم حية يزعمونها في البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع. أي يعلو وجهه الخوف من تلك الحية أن تعضه لفراغ جوفه كناية عن الجوع ويكون «في أطمار» وصف آخر له بعد وصفه بجملة يعلوه.

(٦) **ولانا** استقبل بنا أمرًا حسنًا من لفظه فيما حيانا به أي وجه قلوبنا إليه. **وأوليناه** جزيلاً: صنعنا به معروفًا جزيلاً أي عظيمًا بالإحسان في رد تحيته والترحيب به.

(٧) **الأموية** بضم الهمزة نسبة إلى بني أمية ويقال الأموية بالفتح وهو من شذوذ النسب وأراد **بالإسكندرية** مدينة في ثغور الأندلس لا إسكندرية مصر المشهورة.

(٨) **نماه**: حسبه ونسبه ورفعه ومجده. **سليم** قبيلة من قبائل العرب والنسب إليها لمما يعلي مقام المنتسب. **وعبس**: كذلك قبيلة كبيرة من بني عم سليم تجتمعان في قيس بن عيلان فإن كان ثابت النسب في سليم لم تنكره عبس بل ترحب به ومراده أنه في نسب رفيع. ويروى: ربيت في عبس.

العِرَاقَ[١]. وَجُلْتُ الْبَدْوَ وَالحَضَرَ[٢]. وَدَارَيْ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ[٣]. مَا هُنْتُ. حَيْثُ كُنْتُ[٤]. فَلَا يُزْرِيَنَّ بِي عِنْدَكُمْ مَا تَرَوْنَهُ مِنْ سَمَلِي وَأَطْمَارِي[٥]. فَلَقَدْ كُنَّا وَاللهِ مَن أَهْلِ ثَمٍّ وَرَمٍّ[٦] نُرْغِي لَدَى الصَّبَاحِ. وَنُثْغِي عِنْدَ الرَّوَاحِ[٧].

وَفِينَا مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ والفِعْلُ[٨]
عَلَى مُكْثِرِيهِمْ رِزْقُ مَن يَعْتَرِيهِم وَعِنْدَ المُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالبَذْلُ[٩]

(١) **جاب** الآفاق: قطعها بسيره فيها. **وتقصى** العراق: أي أتى على أقصاه تسيارًا.

(٢) **البدو**: منازل الرعاة والقوام على الماشية من الرحل وقد يدخل فيهم أهل المدر والرساتيق من القائمين على حراثة الأرض والعمل فيها بأيديهم. **والحضر**: مساكن المدنيين من أهل الصناعة والتجارة والارتزاق من سبل التفكير والعمل العقلي.

(٣) **ربيعة ومضر** أبوا شعبين عظيمين من الشعوب العربية. **وداراهما** منازل قبائلهما بأطراف الجزيرة وفيما بين النهرين. وديار ربيعة كانت معروفة في سنجار ونصيبين بالجزيرة الفراتية.

(٤) **هنت** من الهوان وهو الذل أي كان معززًا لنسبه حيث كان فيما نزل من الديار.

(٥) **أزرى** به: وضع منه أي فلا ينقصن قدري عندكم ما يظهر من لباسي. والسمل بالتحريك الثوب الخلق. **والأطمار**: جمع طمر يريد هنا الثوب المرقع.

(٦) أي أنهم كانوا من المكنة بحيث يمكنهم أن يصلحوا من شأن غيرهم فضلًا عن شأن أنفسهم. وجاء في كلامهم «نحن أهل ثمه ورمه» أي أهل إصلاح شأنه والاهتمام به و**ثم ورم** كلاهما في معنى الإصلاح.

(٧) **نرغي** قد يكون من أرغى الرجل إذا أعطى الراغية وأحسن بها إلى غيره. **والراغية** الإبل وصوتها رغاء أي نعطي الإبل صباحًا. ومثله **نثغي** أي نعطي **الثاغية** وهي الغنم مساء وصوت الغنم ثغاء فمن بات عندنا زدنا في إكرامه بهبة الإبل ومن مر طارقًا منحناه الشاء. وقد يكون من أرغى وأثغى إذا حمل الإبل على الرغاء والشاء على الثغاء بجرها إلى الذبح والنحر وفي النهار سعة لنضج لحم الجزور فينحرونها وفي الليل ضيق على الجائع فيعجل له بذبح الغنم.

(٨) يريد أن رجاله ومن كان يعتصب بهم ويرجع إليهم في حسبه كانت لهم **مقامات** يقومون فيها لمفاخرة غيرهم من الأقوام فيظهر الحسن في وجوههم لغلبتهم على مَن يساجلهم في المفاخر والغالب يزهر وجهه. وإضافة الوجوه إلى ضمير المقامات على ضرب من التسمح وإلا فالحسن لوجوه ذويها. **والأندية**: جمع نادٍ وهو مجتمع القوم للتشاور أو للتحاور. يزعم أن مجالسهم تنتابها أي تنتهي إليها **نوبات** القول فهم يفصلون الحكم به على مَن شاؤوا ونوبات الفعل في المكارم إذا عجز الناس عن مكرمة ردت إليهم فقاموا بها.

(٩) في المقلين منهم سماحة وبذل وهما من مفاخر الأغنياء من غيرهم. **والمكثرون** منهم متكفلون برزق **معتريهم** أي من يغشاهم لطلب معروفهم لا يكتفون من إكرامه إلا بغنائه عن استجداء غيرهم.

ثُمَّ إنَّ الدَّهْرَ يَا قَوْمُ قَلَّبَ لِي مِنْ بَيْنِهِم ظَهْرَ المِجنِّ(١). فَاعْتَضْتُ بِالنَّوْمِ السَّهَرَ. وَبِالإقَامَةِ السَّفَرَ. تَتَرَامَى بِيَ المَرَامِي(٢). وَتَتَهَادَى بِيَ المَوَامِي(٣). وَقَلَعَتْنِي حَوَادِثُ الزَّمَنِ قَلْعَ الصُّمْغَةِ(٤). فَأُصْبِحُ وَأُمْسِي أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ وَأعرَى مِن صَفْحَةِ الوَلِيدِ(٥). وَأَصْبَحْتُ فَارِغَ الفِنَاءِ. صَفْرَ الإنَاءِ(٦). مَا لِي إلّا كَآبَةُ الأسْفَارِ(٧). وَمُعاقَرَةُ السِّفَارِ(٨). أُعَانِي الفَقْرَ وَأُمَانِي القَفْرَ(٩). فِرَاشِي المَدَرُ. وَوِسَادِي الحَجَرُ(١٠).

بِـآمِـدَ مَــرَّةً وَبِــرَأْسِ عَــيْــنٍ   وَأَحْـيَـانًـا بِـمَـيَّـافَـارِقِـيـنَـا(١١)
زِ رَحْــلِـي وَلَيْــلَةً بِــالـعِــرَاقِ   لَيْـلَةً بِـالـشَّـامِ ثُـمَّـتَ بِـالأَهْـوَا

(١) **قلب** له ظهر المجن: أي تنكر له بالغدر من بينهم أي دون سائرهم والقوم من شرفهم فيما وصف.
(٢) **المرامي**: جمع مرمى بكسر أوله وهو آلة الرمي أي أن مرمى يرمى به آخر فهو لا يزال من مرمى إلى مرمى فالمرامي تترامى به أي يرمي كل منها صاحبه. وفي رواية: الموامي بدل المرامي والمعامي بدل الموامي. **والمعامي**: المجاهل جمع معماة: موضع العماية.
(٣) **الموامي**: جمع موماة وهي الفلاة وكل فلاة تقدمه إلى فلاة أخرى فكأنها تتهادى به أي يعطيه كل منها إلى الآخر على طريق الهدية. ووجه التمثيل في الفقرتين ظاهر.
(٤) فصلته حوادث الزمن عن ملتحم النعم كما تفصل الصمغة عن شجرتها فلا يبقى لها أثر فيها.
(٥) مثل في الفقر فإن **راحة** الكف أي باطنه نقية من الشعر. **وصفحة** الوليد أي وجه الولد لأول ولادته كذلك فهو من مواد الرزق أعرى من الراحة ووجه الوليد من الشعر.
(٦) **الفناء**: الساحة. **وفراغه**: خلوه من جولة المال بأنواعه. **وصفر** الإناء: فارغه كناية عن الإعدام فإن الآنية إذا خلت مما يوضع فيها كان ذلك أشد الفاقة.
(٧) أي ليس له من المال إلا ما تجلبه الأسفار على وجهه من هيئات الحزن والكمد.
(٨) **المعاقرة**: الملازمة. **والسفار**: جلدة توضع على أنف البعير بمنزلة الحكمة للفرس أي ملازمة قود الناقة بزمامها ونحوه.
(٩) **معاناة** الفقر: احتمال العناء والنصب في مدافعة فتكاته. **ومماناة** القفر: أي الأرض الجدبة التي هو دائمًا فيها ينتقل من ماحل إلى أمحل منه مداراة لها كأنها تريد اغتياله وهو يداريها للتخلص منها.
(١٠) **المدر**: الطين اليابس. **والوساد**: ما يوضع تحت الرأس.
(١١) **آمد** ورأس العين وميافارقين بلاد متنائية. وآمد هي التي تسمى الآن ديار بكر. **والشام** والأهواز أقطار متخالفة.

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِي كُلَّ مَطْرَحٍ حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ الحَجَرِ(١) وَأَحَلَّتْنِي بَلَدَ هَمَذَانَ. فَقَبِلَنِي أَحْيَاؤُهَا. وَٱشْرَأَبَّ إِلَيَّ أَحِبَّاؤُهَا(٢). وَلٰكِنِّي مِلْتُ لأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً. وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً(٣):

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ   إِذَا النِّيرَانُ أُلْبِسَتِ الْقِنَاعَا(٤)

فَوَطَّأَ لِي مَضْجَعًا. وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا(٥). فَإِنْ وَنَى لِي وُنْيَةً هَبَّ لِيَ ابْنٌ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ(٦). أَوْ هِلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتَمَانٍ(٧). وَأَوْلَانِي نِعَمًا ضَاقَ عَنْهَا

---

(١) أراد من النوى همه الحامل له على السفر أو البعد عن أوطانه ومقار راحته. **وتطرح** به كل مطرح ترمي به في كل مرمى وتقذفه في كل مهوى. وقوله: حتى **وطئت به** كأنه يمثل النوى في صورة دابة لم يزل مقتعدًا لها حتى داست به بلاد الحجر بالتحريك. ولعله يريد بلاد الجبل التي توجد همذان في وسطها.

(٢) **الأحياء**: جمع حي وهو محلة القوم ومنزلهم المراد أهل الأحياء وقد يطلق الحي على القوم أنفسهم.

(٣) **اشرأب**: مد عنقه ليستطلع شيئًا. **وأحباؤها**: أي أحبتي من أهلها أو محبوها وهم كل أهلها. يريد أنهم استتبعوه أبصارهم وأقبلوا عليه بالاحتفاء تعظيمًا لفضله. **وأعظمهم** جفنة أكثرهم للناس إطعامًا **وأغزرهم** مالاً **وأرحبهم** للضيفان صدرًا كنى عن ذلك بسعة **الجفنة** وهي القصعة العظيمة. **وأزهدهم** جفوة أي أبعدهم عن الجفوة والغلظة. وفي نسخة بعد جفوة: «له أسوة بالرسول» أي في الكرم والسخاء «وعلائق من محكم التنزيل» لأن التنزيل يدعو إلى مكارم الأخلاق ومنها إيواء الضيف وإكرام النزيل.

(٤) **اليفاع**: المرتفع من الأرض. **وتشب**: توقد. **والقناع**: ما يستر به الوجه ثم يراد به ما يستر وجه أيّ شيء مطلقًا. يريد أن هذا الكريم الذي مال إليه أي نزل عنده توقد نيرانه على أعالي الأرض ليهتدي الناس إليها لالتماس القرى في أوقات الفاقة التي يستر الناس فيها نيرانهم خشية أن يعشو إليهم مَن يرزأهم في طعامهم.

(٥) **التوطئة والتمهيد**: يذهبان في المعنى مذهبًا واحدًا. **والمضجع والمهجع** يتخالفان في المفهوم يتصادقان في الذات. الأول مكان الاضطجاع وهو لا يستلزم النوم. أما المهجع فهو مكان النوم. والمراد أنه أعد له محلاً ينام فيه.

(٦) **ونى** ونية: فترة فترة. **وهب**: أي نشط وأسرع في خدمتي وتشبيه الولد بالسيف اليماني في مضائه ونفاذه لقضاء حاجات نزيله.

(٧) أراد من **القتمان** الأقتم أي المغبر والهلال إذا بدا في جو صاف لا قتمة فيه شق ضوؤه ظلام الليل فكذلك هذا الغلام يكشف بهمته ما تظلم به النفوس من كدر الحاجة. وفي نسخة: كأنه شنف أبكار أو هلال بدا في غير أقمار. **والشنف** بالفتح القرط الأعلى. **والأبكار**: العذارى من الجواري. والتشبيه به في جمال الموقع وحسن الموضع وليس بشيء جيد. والهلال إذا بدا وحده ولم يكن معه أقمار كان ضوؤه أظهر والحاجة إليه أمس.

قَدْرِي[١]. وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي. أَوَّلُهَا فَرْشُ الدَّارِ. وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ. فَمَا طَيَّرَتْنِي إِلَّا النِّعَمُ حَيْثُ تَوَالَتْ. وَالدِّيَمُ لَمَّا انْثَالَتْ[٢]. فَطَلَعْتُ مِن هَمَذَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ. وَنَفَرْتُ نِفَارَ الآبِدِ[٣]. أَفْرِي الْمَسَالِكَ[٤]. وَأَقْتَفِرُ المَهَالِكَ. وَأُعَانِي المَمَالِكَ[٥]. عَلَى أَنِّي خَلَّفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزُغْلُولًا لِي[٦]:

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهٌ ... فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الحَيِّ مَفْصُومُ[٧]

وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الاحْتِيَاجِ. وَنَسِيمُ الإِلْفَاجِ[٨]. فَانْظُرُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِنَقْضٍ مِنَ الأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ. هَدَتْهُ الحَاجَةُ وَكَدَّتْهُ الفَاقَةُ[٩]:

أَخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أَرْضٍ تَقَاذَفَتْ ... بِهِ فَلَوَاتٌ فَهْوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ

---

(١) **ضاق** قدره عنها: أي أن قدره في مثل حالته تلك أحط من أن يغمر بتلك النعم فالنعم كان أوسع مما يطلب قدره.

(٢) **الديم**: جمع ديمة وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق ولا يكون إلا كثير الدوام زمنًا طويلاً وهو أفضل ما يشبه به فيض أهل السماحة لخلوه من التكلف والمن. **وانثالت**: أي انصبت.

(٣) **طلع** من المكان: خرج منه. **والشارد** من نحو شرد البعير إذا نفر. **والآبد**: الوحش الذي لا يأنس إلى الإنسان. يريد أن غزارة النهمة أبطرته فطاش به البطر فأخرجه من همذان على غير روية ولو عقل للزم مورد النعمة.

(٤) **فرى** المسالك: قطعها حتى وصل إلى نهايتها.

(٥) **أقتفر** المهالك: أي أقتفيها كأنها تؤمه وهو يتبعها. **ومعاناة** الممالك: مقاساة المشقة في اختراق أراضيها على غير معونة من أهاليها.

(٦) **أم مثواه** أي أم بيته كناية عن زوجته أم أولاده. **والزغلول**: الطفل.

(٧) **الدملج**: حلي من فضة تلبسه النساء في معاصمها. وإذا أرادوا التعبير عن إتقان صانع لمصنوع قالوا دملجه. فالتشبيه هنا في اعتدال الخلق وحسنه. **والنبه** الشريف أراد منه هنا النفيس. وفي ملعب متعلق **بمفصوم** ويقال: سوار ودملج مفصوم أي فيه كسر في غير بينونة وحقيقة الفصم ذلك. يقال: فصم وما قسم. يريد أن ذلك الطفل البديع إذا وجد في ملاعب عذارى الحي كان مصدع القلب لغيبة أبيه وقلة ما يتحمل به بينهن.

(٨) **الإلفاج**: من ألفجه إذا أحوجه إلى غير أهله. ويقال للإفلاس إلفاج أيضًا. وإضافة النسيم إلى الإلفاج أبرد من نسيم الشمال في صبارة البرد بأرض أنكلاند. وكان اللازم أن يبدل النسيم بالإعصار أو الزعزع أو ما ينحوها.

(٩) **النقض** بالكسر يريد به المهزول من الإغذاذ في السير. **وهدته** الحاجة: دلته على مَن يدفعها من الكرام. ويروي هدته بتشديد الدال أي هدمته وضعضعته. **وكدته** أتعبته. والفاقة أشد ما يكون من الحاجة. ويروى: **حدته** الفاقة: أي ساقته.

جَعَلَ اللهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا. وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَرَقَّتْ وَاللهِ لَهُ القُلُوبُ. وَاغْرَوْرَقَتْ لِلُطْفِ كَلَامِهِ العُيُونُ[١]. وَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ[٢]. وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ.

(١) **اغرورقت** العينان: دمعتا فكأنهما غرقتا في الدموع.

(٢) **نلناه**: أعطيناه. وما **تاح** أي ما تهيأ وحضر. وفي رواية بعد حامدًا لنا: وهو يقول:

عجبت لمفتون يخلف بعده ... لصاحبه ما كان جمع من كسب

حووا ماله ثم استهلوا لقبره ... ببادي بكاء تحته ضحك القلب

وأراد من صاحبه وارثه وهو للجنس أي وارثه. والضمير في حووا يعود إليهم أي أنهم هاموا في حب ماله. واستهلوا رفعوا أصواتهم بظاهر بكاء على فقده وتحت ذلك ضحك قلوبهم لأخذ ماله.

المقَامَة الأصْفهانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ أَعْتَزِمُ المَسِيرَ إِلَى الرَّيِّ[1] فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ الفَيِّ[2]. أَتَوَقَّعُ القَافِلَةَ كُلَّ لَمْحَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ[3]. فَلَمَّا حُمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ[4]. نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ. وَتَعَيَّنَ فَرْضُ الإِجَابَةِ. فَٱنْسَلَلْتُ مِن بَيْنِ الصَّحَابَةِ. أَغْتَنِمُ الجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا. وَأَخْشَى فَوْتَ القَافِلَةِ أَتْرُكُهَا[5]. لكِنِّي ٱسْتَعَنْتُ بِبَرَكَاتِ الصَّلَاةِ. على وَعْثَاءِ الفَلَاةِ[6]. فَصِرْتُ إلى أَوَّلِ الصُّفُوفِ. وَمَثَلْتُ

---

(١) **أصفهان**: مدينة من مدن إيران وكانت دار سلطنتها قبل أن تصير طهران عاصمة المملكة ويقال: أصبهان بالباء الموحدة أيضًا. **والري**: من مدن مملكة إيران من قسم الديلم والنسبة إليها رازي.

(٢) **الفي**: هو الفيء أي الظل. والظل لا يثبت بل ينتقل بانتقال الشمس. أي أنه حل المدينة على نية الترحال كما أن الظل إذا حل مكانًا حله على أن ينتقل بطبعه.

(٣) **القافلة**: الجماعة من الناس في السفر يأتلفون فيه ليتعاونوا على مشاقه ويتحفظوا من أخطاره. وقلما تسنى السفر لشخص واحد في المسافات الطويلة. فهو كان ينتظر ورود القافلة السائرة إلى الري. **والراحلة** مثل القافلة وتسميتها بالراحلة أوفق بوصفها من تسميتها بالقافلة لأن القافلة من قفل إذا رجع فكأنهم سموا جماعة المسافرين بالقافلة للتفاؤل برجوعها.

(٤) **حم** الأمر: قضي. والذي توقعه هو ما كان ينتظر وقوعه من ورود القافلة والراحلة.

(٥) تحتمت عليه فريضة إجابة المنادي للصلاة ولزمه أن يذهب لأدائها فانسل أي خرج من بين أصحابه على غفلة منهم ليغتنم الثواب في الصلاة مع الجماعة خلف إمامهم فإن أجر ذلك أجزل من أجر الصلاة منفردًا وهو مع ذلك كان يخشى فوت القافلة وسفرها قبل التمكن من مصاحبتها لو اشتغل بالصلاة وتركها. وجملة أتركها حال من القافلة أي خشيت فواتها حال كوني تاركًا لها.

(٦) **وعثاء الفلاة**: ما يلحق المسافر من التعب والمشقة في قطعها أي أنه قصد أن يقدم الصلاة حتى يستعين ببركتها على مشقة السفر وهذا الذي حمله على النهوض إليها مع خشية فوت القافلة. أو=

لِلْوُقُوفِ(١). وَتَقَدَّمَ الإِمَامُ إلى المِحْرَابِ. فَقَرَأَ فَاتِحَةَ الكِتَابِ بِقِرَاءَةِ حَمْزَةَ. مَدَّةً وَهَمْزَةً(٢). وَبِيَ الغَمُّ المُقِيمُ المُقْعِدُ في فَوْتِ القَافِلَةِ(٣). وَالبُعْدِ عن الرَّاحِلَةِ. وَأَتْبَعَ الفَاتِحَةَ الوَاقِعَةَ وَأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ الصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ. وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الغَيْظِ(٤) وَأَتَقَلَّبُ. وَلَيْسَ إِلَّا السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ. أَوِ الكَلَامُ وَالقَبْرُ(٥). لِمَا عَرَفْتُ مِن خُشُونَةِ القَوْمِ في ذلِكَ المَقَامِ. أن لَوْ قُطِعَتِ الصَّلَاةُ دُونَ السَّلَامِ(٦). فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ. عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ. إِلَى انْتِهَاءِ السُّورَةِ. وَقَدْ قَنِطْتُ مِنَ القَافِلَةِ(٧). وَأَيِسْتُ مِنَ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ. ثُمَّ حَنَى قَوْسَهُ لِلرُّكُوعِ(٨). بِنَوْعٍ مِنَ الخُشُوعِ.

= أنه رجا أن تكون بركة الصلاة واقية له من الوعثاء التي تناله من فوت القافلة فيثبط الله القافلة عن التعجل حتى يدركها.

(١) **مثل** يمثل: انتصب قائمًا.

(٢) **فاتحة الكتاب**: هي سورة الحمد لله رب العالمين من القرآن وليس فيها من الهمز والمد ما تظهر فيه رواية حمزة ولكنه قصد أن الإمام رتلها وأدى كل حرف حقه وبلغ بكل مد طبيعي حده حتى كأنه يتلو برواية حمزة من الآيات ما فيه مد وهمزة. وفي نسخة: وثنى بالأحزاب بقراءة حمزة الخ وعلى هذا فالمعنى ظاهر فإن الأحزاب من السور الطويلة وفيها من المد والهمز ما تظهر فيه قراءة حمزة لكن ينافي صحة هذه النسخة قوله فيما بعد وأتبع الفاتحة الواقعة فإن الركعة لا يقرأ فيها بعد الفاتحة إلا سورة واحدة فالصواب نسختنا ليس غير. ولحمزة في الهمز والمد ما يطول به النطق ويتمدد اللفظ ولبعض القراء غيره مثله أيضًا إلا أنه اختاره لتميزه عنهم في أغلب ما فيه همز ومد وللتوافق السجعات أيضًا. وحمزة هذا هو أحد القراء السبعة الذين روي عنهم هيئة النطق في القرآن وليسوا رواة القرآن كما يتوهمه غير العارف فإن القرآن متواتر روته طبقة عن طبقة لا يحصر عدد من رواه.

(٣) **الغم**: إذا اشتد بالمغموم أقلقه فتارة يقيمه وتارة يقعده لا يستقر به على حال. والشيخ دخل في الصلاة وبه مثل هذا الكرب خوف فوات القافلة والإمام يرتل التلاوة ويسير بالمأمومين سير البطيء. وزاد غم الشيخ عيسى أن الإمام بعدما قرأ الفاتحة أتبعها بسورة الواقعة وهي سورة من طوال المفصل وفيها تظهر رواية حمزه في مده وهمزه.

(٤) **تصلى** النار: قاسى حرها. **وتصلب** تشدد وتجلد والصبر على مثل هذه الحالة كأنه نار يتقلى عليها الصابر. **وتقلى على** الجمر: تفعل من قلا اللحم إذا شواه والغيظ من تطويل الإمام.

(٥) إذا تكلم قتل وحمل إلى القبر. وبين ذلك بأن القوم كانوا في خشونة وصلابة دين لا يدعون من قطع الصلاة حتى يقتلوه.

(٦) أي قبل أن يسلم الإمام فأسلم معه. والسلام خاتمة الصلاة.

(٧) **القنوط**: اليأس.

(٨) إذا انحنى الراكع كان بدنه على هيئة قوس فكأن البدن عود يتشكل بشكل القوس إذا انحنى فأراد من قوسه بدنه وإنما سماه قوسًا باعتبار بعض أحواله.

وَضَرْبٍ مِنَ الخُضُوعِ. لَم أعْهَدْهُ مِن قَبْلُ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ. وَقَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. وَقَامَ حَتَّى مَا شَكَكْتُ أنَّهُ قَدْ نَامَ. ضَرَبَ بِيَمِينِهِ. وَأكَبَّ لِجَبِينِهِ[(١)]. ثُمَّ انْكَبَّ لِوَجْهِهِ. وَرَفَعْتُ رَأْسِي أنْتَهِزُ فُرْصَةً. فَلَمْ أرَ بَيْنَ الصُّفُوفِ فُرْجَةً. فَعُدْتُ إلى السُّجُودِ. حَتَّى كَبَّرَ لِلْقُعُودِ. وَقَامَ إلى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. فَقَرَأَ الفَاتِحَةَ وَالقَارِعَةَ قِرَاءَةً اسْتَوْفَى بها عُمْرَ السَّاعَةِ. وَاسْتَنْزَفَ أرْوَاحَ الجَمَاعَةِ[(٢)]. فَلَمَّا فَرَغَ مِن رَكْعَتَيْهِ. وَأقْبَلَ على التَّشَهُّدِ بِلَحْيَيْهِ. وَمَالَ إلى التَّحِيَّةِ بِأخْدَعَيْهِ[(٣)]. وَقُلْتُ قَدْ سَهَّلَ اللهُ المَخْرَجَ. وَقَرَّبَ الفَرَجَ. قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: مَن كَانَ مِنْكُمْ يُحِبُّ الصَّحَابَةَ وَالجَمَاعَةَ. فَلْيُعِرْنِي سَمْعَهُ سَاعَةً[(٤)]. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَلَزِمْتُ أرْضِي. صِيَانَةً لِعِرْضِي[(٥)]. فَقَالَ: حَقِيقٌ عَلَيَّ أن لَا أقُولَ غَيْرَ الحَقِّ[(٦)]. وَلَا أشْهَدَ إلَّا بِالصِّدْقِ. قَد جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِن

(١) **ضرب** بيمينه: أهوى بها إلى الأرض ليسجد. **وأكب** لجبينه: سقط إلى الأرض بشق وجهه كأنه في السجود كان معتمدًا على شقه الأيمن ثم انكب على وجهه ليؤدي حق السجود وأطال فيه فرفع الشيخ عيسى رأسه لعله ينتهز فرصة للفرار من الصلاة وهم ساجدون فلم يجد فرجة بين الصفوف يسلك منها في هربه. وفي نسخة بدل فرصة خرجة أي رفع رأسه يلتمس خروجًا.

(٢) **الساعة**: ساعة القيامة. **واستوفى**عمرها: أتي في قراءة على زمان يساوي ما بيننا وبينها أي استوفى العمر الذي في نهايته تكون الساعة مبالغة في التطويل. **واستنزف** أرواح الجماعة: استخرجها كلها مبالغة في إثقاله عليهم بتطويله كأنه قتلهم.

(٣) للصبح ركعتان بعدهما جلسة يقرأ فيها التشهد ثم تنتهي الصلاة بالسلام فبعد فراغ الركعتين لا بد من التشهد وإنما يقرأ التشهد بتحريك **اللحيين** وهما عظما الحنك تنبت عليهما الأسنان وهما منبتا اللحية لهذا قال أقبل على التشهد بلحييه. والتحية هي السلام الذي تنتهي به الصلاة. **والأخدعان**: عرقان في العنق والمسلم يلتفت بالسلام إلى اليمين ثم إلى اليسار وفي كل يميل بأخدعيه.

(٤) **إعارة** السمع مجاز عن الإصغاء كأن المصغي إلى المتكلم بطلبه قد أعطاه سمعه زمنًا لينتفع به فإذا انقضى الزمن رجع الاختيار للسامع فله أن يذهب ولا يسمع فلهذا عبر عن الإصغاء بالإعارة التي هي إعطاء الملك للغير لينتفع به مجانًا ثم يرده.

(٥) لأن القائل قال مَن كان يحب الصحابة والجماعة أي أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين. فلو قام عيسى بن هشام لقال القوم إنه لا يحب الصحابة والجماعة فيمسون بذلك عرضه فلهذا لزم أرضه التي جلس بها.

(٦) أراد من **الحقيق** عليه الثابت على ذمته أي واجب على ذمته **أن** لا يقول غير الحق. وفي رواية: أن لا أقول على الله غير الحق.

نَبِيِّكُمْ لكِنِّي لَا أُؤَدِّيها حَتَّى يُطَهِّرَ اللهُ هذَا المَسْجِدَ مِن كُلِّ نَذْلٍ يَجْحَدُ نُبُوءَتَهُ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فربَطَنِي بِالقُيُودِ. وَشَدَّنِي بِالحِبَالِ السُّودِ[١]. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُهُ ﷺ في المَنَامِ. كَالشَّمْسِ تَحْتَ الغَمَامِ. وَالبَدْرِ لَيْلَ التَّمَامِ. يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتْبَعُهُ وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ وَالمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهُ. ثُمَّ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَوْصانِي أن أُعَلِّمَ ذلِكَ أُمَّتَهُ. فَكَتَبْتُهُ على هذِهِ الأَوْرَاقِ بِخَلُوقٍ وَمِسْكٍ. وَزَعفَرَانٍ وَسُكٍّ[٢]. فَمن اسْتَوْهَبَهُ مِنِّي وَهَبْتُهُ. وَمَن رَدَّ عَلَيَّ ثَمَنَ القِرْطَاسِ أَخَذْتُهُ[٣]. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَلَقَدِ انْثَالَتْ عَلَيْهِ الدَّرَاهِمُ حَتَّى حَيَّرَتْهُ[٤] وَخَرَجَ فَتَبِعْتُهُ مُتَعَجِّبًا مِن حذْقِهِ بِزَرْقِهِ وَتَمَحُّلِ[٥] رِزْقِهِ. وَهَمَمْتُ بِمَسْأَلَتِهِ عَن حَالِهِ فَأَمْسَكْتُ. وَبِمُكَالَمَتِهِ فَسَكَتُّ. وَتَأَمَّلْتُ فَصَاحَتَهُ في وَقَاحَتِهِ. وَمَلَاحَتَهُ في اسْتِمَاحَتِهِ[٦]. وَرَبْطَهُ النَّاسَ بِحِيلَتِهِ. وَأَخْذَهُ المَالَ بِوَسِيلَتِهِ[٧]. وَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيّ. فَقُلْتُ: كَيفَ

---

(١) في رواية بدل القيود المسود جمع **مسد** بالتحريك وهو الحبل المضفور المحكم. **الحبال السود**: حبال الحديد لميل لونه إلى السواد وهي السلاسل. أي كأنه فعل به ذلك لأنه لو قام بعد قوله: حتى يطهر الله هذا المسجد الخ لكان قد ألزم نفسه النذالة وجحد النبوة وأن الله طهر المسجد منه فاضطر للبقاء تحاميًا من رمي القوم له بهذه الأوصاف لو خرج.

(٢) **الخلوق**: ضرب من الطيب يدخل في أجزائه الزعفران. **والسك** بالضم مادة سوداء يخلطونها بالمسك أحيانًا.

(٣) أي أنه عند طلب الطالب فإن طلبه منه هبة بلا ثمن سمح له به وإن طلبه على أن يرد عليه ما أنفق فيه من ثمن القرطاس والخلوق أخذ منه ذلك الثمن وليس بطالب ما يزيد على ذلك وهو من متممات الحيلة يظهر به أنه يبلغ رسالته عن رسول الله لا يبتغي على تبليغها أجرًا فتتأكد ثقة القوم بصدقه فيعتقدون به اختصاصًا إلٰهيًا فيفيضون عليه من المنح والعطايا بقدر ما يستطيعون.

(٤) **انثالت**: انصبت عليه الدراهم من المانحين كل يطلب الدعاء منه بثمن فهذا يعطيه من أمامه وهذا من يمينه وذاك من شماله حتى تحيّر كيف يأخذ.

(٥) **الزرق**: بتقديم الزاي مصدر زرق الصائد صيده رماه بالمزراق وطعنه به. أي من حذقه في رمي أغراض القلوب وإصابتها. **والتمحل**: طلب الشيء بالحيلة.

(٦) **الاستماحة**: الاستعطاء.

(٧) وفي نسخة بعد بوسيلته: وراودتني نفسي على استبراء حاله والوقوف على سر احتياله. **واستبراء حاله**: طلب معرفته وقطع الشبهة فيه.

اهْتَدَيْتَ إلَى هذِهِ الحِيلَةِ؟ فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

الـنَّـاسُ حُـمْـرٌ فَـجَـوِّزْ ... وَأَبْـرُزْ عَـلَيْـهِـمْ وَبَـرِّزْ[١]
حَـتَّـى إذَا نِـلْتَ مِـنْـهُـمْ ... مَـا تَـشْـتَـهِـيـهِ فـفَـرْوِزْ[٢]

(١) **جوز** أمر من جوز الإبل ونحوها إذا قادها بعيرًا بعيرًا حتى تجوز وتمضي فالناس حمر فقدهم إلى ما تريد ولا تبال بهم وأظهر عليهم **وبرز** عليهم: أي تفوق وتقدم عليهم مَن برز عليه في صنعته إذا فاقه وعلاه.

(٢) **فروز**: من فروز الرجل مات. أي بعد أن تنال شهواتك من الناس فمت فقد استوفيت حظك من الدنيا.

المقَامَة الأهوازيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِالأَهْوَازِ فِي رُفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّل[1]. لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرَدُ بِكْرُ الآمَالِ. أو مُخْتَطٌّ حَسَنُ الإِقْبَالِ[2]. مَرْجُوُّ الأَيَّامِ وَاللَّيَالِ[3]. فَأَفَضْنَا فِي العِشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا[4]. وَالأُخُوَّةِ كَيْفَ نُحْكِمُ مَعَاقِدَهَا[5]. وَالسُّرُورِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ[6]. وَالشُّرْبِ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ. وَالأُنْسِ كَيْفَ نَتَهَادَاهُ. وَفَائِتِ الحَظِّ كَيْفَ نَتَلَافَاهُ. وَالشَّرَابِ مِن أَينَ نُحَصِّلُهُ. وَالمَجْلِسِ كَيفَ نُرَتِّبُهُ[7]. فَقَالَ أَحَدُنَا: عَلَيَّ البَيْتُ

(١) **ترقَّ**: مضارع من خماسي أصله تترقى فحذفت تاء المضارعة للتخفيف وألف العلة للجازم وهو متى ما. **وترقى في** الجبل: صعد فيه. **وتسهل**: نزل إلى السهل من الأرض وهؤلاء الرفقة في براعة جمالهم وجهارة هيئاتهم لا تصعد العين فيهم بالنظر إلا وتنحط عنهم غاضة مما يصيبها من البهر.

(٢) لأهل الفتوة آمال عظيمة يسعون إليها في حياتهم وهي لمبادرتها أول القوة تشبه البنت البكر التي لم تبتذلها مخالطة الرجال ولا تكون آماله كذلك إلا مَن كان في أول شبابه. وفي نسخة بدل بكر الآمال غض الجمال وهي الأوفق لقوله: حسن الإقبال أي إذا أقبل عليك استحسنت إقباله لحسن ما يقبل عليك منه. **والمختط** من نبت له قليل من الشعر في شاربيه أو فيهما وفي عارضيه أشبه بأن يكون خطًا من أن يكون سبلة.

(٣) ترجوه أيامه ولياليه ليأتي من الأعمال ما تكون به نيّرة زاهرة أو ترجى له أيامه ولياليه لأنه في أوائل سنه وعنفوان قوته فالرجاء في أوقات دهره أن تكون له مساعدة ولقوته معضدة. وفي نسخة: آمن بدل مرجو.

(٤) **أفاضوا في** الأمر تكلموا فيه مع استيفاء أطرافه ونواحيه.

(٥) **معاقد** الأخوة: ما عليه تنعقد.

(٦) **نتقاضاه**: أي نستوفيه من مواضعه من تقاضى دينه إذا طلب استيفاءه من غريمه.

(٧) **تلافى** الأمر: أدركه بالإصلاح قبل تعذره. وقوله: والمجلس كيف نرتبه في نسخة نزينه من الزينة.

والنُّزْلُ[١]. وَقَالَ آخَرُ: عَلَيَّ الشَّرَابُ وَالنَّقْلُ[٢]. وَلَمَّا أجْمَعْنَا عَلَى المَسِيرِ اسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ في طِمْرَيْنِ في يُمْنَاهُ عُكَّازَةٌ. وعلى كَتِفِهِ جِنَازَةٌ[٣]. فَتَطَيَّرْنَا[٤] لَمَّا رَأَيْنَا الجِنَازَةَ وَأَعْرَضْنَا عَنْهَا صَفْحًا. وَطَوَيْنَا دُونَهَا كَشْحًا[٥]. فَصَاحَ بِنَا صَيْحَةً كَادَتْ لَهَا الأَرْضُ تَنْفَطِرُ[٦]. وَالنُّجُومُ تَنْكَدِرُ[٧]. وَقَالَ: لَتَرُنَّهَا صُغْرًا[٨] وَلَتَرْكَبُنَّهَا كَرْهًا وَقَسْرًا. مَا لَكُمْ تَطَيَّرُونَ مِن مَطِيَّةٍ رَكِبَهَا أَسْلَافُكُمْ وَسَيَرْكَبُهَا أَخْلَافُكُمْ[٩]. وَتَتَقَذَّرُونَ سَرِيرًا وَطِئَهُ آبَاؤُكُمْ[١٠]. وَسَيَطَأُهُ أَبْنَاؤُكُمْ. أَمَا وَاللهِ لَتُحْمَلُنَّ على هذِه العِيدَانِ إلَى تِلْكُمُ الدِّيدَانِ[١١]. وَلَتُنْقَلُنَّ بهذِهِ الجِيَادِ[١٢]. إلى تِلْكُمُ الوِهَادِ. وَيْحَكُمْ تَطَّيَّرُونَ. كَأَنَّكُمْ مُخَيَّرُونَ[١٣]. وَتَتَكَرَّهُونَ. كَأَنَّكُمْ

---

(١) **النزل**: ما يعد للضيف من طعام القرى.

(٢) **النقل**: ما يتنقل من الشراب إليه ثم منه إلى الشراب من فستق ونحوه وقد يضم.

(٣) **رجل في** طمرين: أي لابس لهما. وتقدم أن **الطمرين**: الكساء والمئزر. و**العكازة**: عصا في طرفها زج. و**الجنازة**: النعش وما فيه من الميت.

(٤) **التطير**: التشاؤم وأصله مبادرة صورة الخيبة للذهن عند سنوح الطائر كغراب ونحوه.

(٥) **الكشح**: ما بين الخاصرة إلى أقصر الأضلاع المعروف بالخلف. **وطي** الكشح: كناية عن الانحراف عنه.

(٦) **تنفطر**: تنشق من شدة الصيحة.

(٧) والنجوم **تنكدر**: أي تتناثر. وفي نسخة السماء وتكون نسبة الانكدار إليها على المجاز في الإسناد أي تنكدر نجومها.

(٨) **ترنها** أصله ترونها من الرؤية فلما أعقب الواو نون ثقيلة للتوكيد حذفت الواو. و**الصغر**: الهوان والرضى بالذل فهو المصدر عبر به عن الصاغرين والمصدر يستوي فيه الواحد والمتعدد أي لا بد لكم أن تروا الجنازة صاغرين مرغومين ثم لا بد أن تركبوها (وأراد النعش) مكرهين **مقسورين**: أي مقهورين.

(٩) عبّر عن النعش بالمطية لأنه يشبهها لأن المطية تنتقل بك من بلد إلى بلد والنعش ينقلك من ظهر الأرض إلى بطنها وهما داران مختلفتان.

(١٠) يطلق السرير على النعش. ويتقذرونه قذرًا فيغضون عنه نظرًا.

(١١) **سرير** الميت: مركب من عيدان من الخشب جمع عود لهذا عبّر عن جملته بالعيدان. و**الديدان**: جمع دودة أراد بها ما يخلق في شلو البدن بعد فساده فيأكله ويفنيه.

(١٢) لقب **النعوش** بالجياد وهو لقب الخيل لسرعة ما تنقل الأجساد إلى المقابر التي عبّر عنها بالوهاد لانخفاضها إلى باطن الأرض.

(١٣) **يتشاءم** من الأمر من له الخيار في وروده إن شاء ورد وإن شاء ارتد فمن الحمق أن يتطير من الموت لأنه ضربة لازب لا خيار لأحد فيه فهو أشبه بطلوع الشمس وغروبها.

مُنَزَّهُونَ[١]. هَلْ تَنْفَعُ هذِهِ الطِّيَرَةُ. يَا فَجَرَةُ؟ قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَلَقَدْ نَقَضَ مَا كُنَّا عَقَدْنَاهُ[٢]. وَأَبْطَلَ مَا كُنَّا أَرَدْنَاهُ. فَمِلْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا لَهُ: مَا أَحْوَجَنَا إِلى وَعْظِكَ. وَأَعْشَقَنَا لِلَفْظِكَ. وَلَوْ شِئْتَ لَزِدْتَ. قَالَ: إِنَّ وَرَاءَكُمْ مَوَارِدَ أَنْتُمْ وَارِدُوهَا وَقَدْ سِرْتُمْ إِلَيْهَا عِشْرِينَ حِجَّةً[٣]:

وَإِنَّ امْرَءًا قَدْ سَارَ عِشْرِينَ حِجَّةً ... إِلَى مَنْهَلٍ مِن وِرْدِهِ لَقَرِيبُ[٤]

وَمِن فَوْقِكُمْ مَن يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ[٥]. وَلَو شَاءَ لَهَتَكَ أَسْتَارَكُمْ. يُعَامِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِحِلْمٍ. وَيَقْضِي عَلَيْكُمْ فِي الآخِرَةِ بِعِلْمٍ. فَلْيَكُنِ المَوْتُ مِنْكُمْ عَلَى ذِكْرٍ. لِئَلَّا تَأْتُوا بِنُكْرٍ[٦]. فَإِنَّكُمْ إِذَا اسْتَشْعَرْتُمُوهُ لَم تَجْمَحُوا[٧]. وَمَتَى ذَكَرْتُمُوهُ لَمْ

---

(١) الذي يتكره من الشيء ويأنفه ينبغي أن يكون منزهًا ومبرءًا منه فكيف يتكره الإنسان من أمر يعلم أنه قرين خلقته وحليف فطرته وماذا تنفع الطيرة والتشاؤم وهل يصدران إلا من قوم فجرة سترت الغفلة وغيوم الفجور ضياء بصائرهم فعموا عن مراجعهم ومصايرهم.

(٢) كانوا عقدوا عزائمهم على اللهو والطرب فأزعجهم بوعظه عما راموه فانتقضت تلك العزائم وارتدت إلى غير ما دفعت إليه وبطل التدبير الذي كانوا قصدوه وقت الاتفاق الماضي.

(٣) شبه الموت والفناء بموارد الماء فكما أن الماء من لوازم حياة الحي إن لم يرده وقت الضرورة إليه هلك كذلك الفناء نهاية يصل إليها كل ذي نفس وإلا بطلت حقيقته وانغلبت طبيعته وعد غنيًا في وجوده وقد أثبتت حاجته دلائل شهوده. ورشح تشبيه مصاير الفنا بالموارد بتصوير مدة العمر في مثال مسافة بين الورد والموارد يقطعها إليه وجعل السنين بمنزلة المراحل. **والحجة**: السنة.

(٤) **«من ورده»** متعلق بقريب. **والمنهل**: مورد الشاربة. **والنهل**: أول الشرب. **والعلل**: ما يكون بعد الشرب الأول. وفي زهر الآداب للقيرواني في الجزء الثالث ص ١٠٨ من طبعتها الأولى بمصر أن **عشرين** محرف عن خمسين والبيت لابن أحمد التيمي أنشده دعبل وزعم أن التيمي أخذه عن أعرابي من بني أسد. ولعل هذا التحريف مقصود هٰهنا فقد تقدم أن الجماعة كلهم مرد فتيان ليس فيهم من بلغ الخمسين ولا قاربها.

(٥) **يتعالى** الله عن المكان والجهة حتى يكون فوق أو تحت. وما يرد من ذلك فالمراد منه الفوقية المعنوية أي يعلوكم بالسلطان والقهر والاقتدار.

(٦) **النكر**: المنكر. ومَن نسي الموت وما بعده من حساب على الأعمال ومثوبة على طيباتها وعقوبة على سيئاتها سهل عليه قضاء مطالب الشهوة والاسترسال مع قواضي الغضب وإن خالطت به منكرًا كما تراه في حال الذاهلين وتشهده كل يوم من أعمال الغافلين ومن كان على ذكر من ذلك رده الخوف إلى سنن الاستقامة وأوقفه عند الحق ما ينتظر أمامه.

(٧) **استشعر** ذكر الموت: جعله شعارًا له. وأصل **الشعار** ما يلي البدن من الثياب أطلق على كل باطن أي إذا استبطنتموه بقلوبكم لم تجمحوا. **والجموح**: أن يستعصي الفرس على راكبه شبه به استعصاء الأهواء على وازع الشريعة.

تَمْرَحُوا[١]. وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ فَهُوَ ذَاكِرُكُمْ. وَإِنْ نِمْتُمْ عَنْهُ فَهُوَ ثَائِرُكُمْ[٢]. وَإِنْ كَرِهْتُمُوهُ فَهُوَ زَائِرُكُمْ. قُلْنَا: فَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَ: أَطْوَلُ مِن أن تُحَدَّ وَأَكْثَرُ مِن أن تُعَدَّ. قُلْنَا: فَسَانِحُ الوَقْتِ[٣]؟ قَالَ: رَدُّ فَائِتِ العُمْرِ[٤]. وَدَفْعُ نَازِلِ الأَمْرِ. قُلْنَا: لَيْسَ ذلِكَ إِلَيْنَا وَلكِنْ مَا شِئْتَ مِن مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا. قَالَ: لا حَاجَةَ لِي فِيهَا وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هذَا أَنْ تَخِدُوا أَكْثَرَ مِنْ أن تَعُوا[٥].

(١) **المرح** شدة الفرح في غرور بما فرح به. وذكر الموت يذهب الغرور ويكسر سورة السرور.

(٢) **الثائر** مَن يدرك ثأره ممن أغضبه كأن الموت عدو يطلبك بثأره فإن نمت عنه ولم تبال به فهو لا ريب موقع بك.

(٣) **سانح** الوقت: ما عرض من الحاجة فيه أي نبئنا عن حاجتك في وقتك هذا.

(٤) أي ما يحتاج إليه الآن هو رد ما فات من العمر ودفع ما ينزل من أمر الموت والظاهر أن الواعظ كان غير الأستاذ أبي الفتح الإسكندري وإلا فمن أين دلفت إليه العفة وعرفته الزهادة.

(٥) **الوخد**: ضرب من سير سريع أي مطلوبي منكم أن تسرعوا إلى العمل أكثر من إسراعكم إلى أن تعوا وتفهموا كلامي. ويروى: «تعدوا» وفي رواية بعد هذا: فدنوت إليه فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري. فإن صحت هذه الرواية كانت العظة فلتة من أبي الفتح خالف بها ما تعود من مجونه وأطوار جنونه.

المقَامَةُ البَغْدَاذيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ. وَأَنَا بِبَغْدَاذَ[1]. وَلَيْسَ مَعِي عَقْدٌ. عَلَى نَقْدٍ[2]. فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ[3]. فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمَارَهُ. وَيُطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ[4]. فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ[5]. وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ. مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. وَأَيْنَ نَزَلْتَ. وَمَتَى وَافَيْتَ؟ وَهَلُمَّ إلى البَيْتِ. فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ. وَلكِنِّي أَبُو عُبَيْدٍ. فَقُلْتُ: نَعَمْ لَعَنَ اللهُ الشَّيْطَانَ. وَأَبْعَدَ النِّسْيَانَ. أَنْسَانِيكَ طُولُ العَهْدِ. وَاتَّصَالُ البُعْدِ. فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ أَشَابٌّ كَعَهْدِي[6]. أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى

---

(١) **الأزاذ**: من أجود أنواع التمر. وبغداذ تقدم الكلام عليها.

(٢) **النقد**: المسكوك من الذهب والفضة. وفي العادة أن مَن معه النقد يعقد عليه وعاءه من كيس ونحوه فإذا انتفى العقد على النقد فقد انتفى النقد فالكلام كناية عن نفي النقد.

(٣) **المحال**: جمع محل أي أمكنة الأزاذ. وينتهزها يلتمس الوقوف عليها غير أنه جعلها بمنزلة الفرص التي يغتنمها الحاذق لشدة ولعه بالأزاذ. والضمير في أحلني للأزاذ لأنه السبب الباعث له على الخروج والمسير. **والكرخ** في الجانب الغربي من بغداد.

(٤) **السوادي**: الرجل من رساتيق العراق وقراه نسبة إلى السواد وسمي العراق سوادًا لاكتساء أرضه بالخضرة من نبات وأشجار. ولون الخضرة فيما يبدو للناظر على بعد سواد أو يقرب منه. **والإزار** ما يشد في الوسط سابغًا إلى أسفل الساقين كالذي يشده داخل الحمام. **ويطرف** الإزار: أي يرد أحد طرفيه على الآخر بما يعقد بينهما.

(٥) **الصيد** هو ذلك السوادي المغفل يحتال عليه ليرزأه في شيء يناله منه. وفي هذه المقامة ترى عيسى بن هشام هو المحتال لا أبا الفتح الإسكندري.

(٦) **كعهدي**: أي عهدي به ومعرفتي فيه أي أهو باقٍ في شبيبته كما أعهده أم شاب بعد ما فارقته.

دِمْنَتِهِ[١]. وَأَرْجو أن يُصَيِّرَهُ اللهُ إلى جَنَّتِهِ. إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ. وَمَدَدْتُ يَدَ البِدارِ. إلى الصِّدارِ[٢]. أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ. فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ على خَصْرِي بِجُمْعِهِ[٣] وَقَالَ: نَشَدْتُكَ اللهَ لَا مَزَّقْتَهُ. فَقُلْتُ: هَلُمَّ إلى البَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً[٤] أو إلى السُّوقِ نَشْتَرِ شِوَاءً. وَالسُّوقُ أَقْرَبُ. وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ[٥]. فَاسْتَفَزَّتْهُ حُمَةُ القَرَمِ. وَعَطَفَتْهُ عَاطِفَةُ اللَّقَمِ[٦]. وَطَمِعَ. وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ وَقَعَ. ثُمَّ أَتَيْنَا شَوَّاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا. وَتَتَسَايَلُ جُوْذَابَاتُهُ مَرَقًا[٧]. فَقُلْتُ: افرِزْ لِأَبِي زَيْدٍ مِن هذَا الشِّوَاءِ. ثُمَّ زِنْ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَاءِ. وَاخْتَرْ لَهُ مِن تِلْكَ الأَطْبَاقِ. وَانْضِدْ عَلَيْهَا أَوْرَاقَ الرُّقَاقِ. وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْئًا مِن

---

(١) **الربيع**: المرعى. وفي نسخة المرعى بدل الربيع. وأراد من دمنته أثره لأن **الدمنة** آثار الدار بعد مضي أهلها وخرابها أي أنه مات في زمان بعيد يكفي لتخرب داره ونبت الربيع على آثارها. وقد يراد من دمنته أثر قبره أي أنه مات ودثر قبره ونبت الربيع على أثره بعد دثوره.

(٢) **البدار**: المسارعة. وأضاف اليد إليه قصد المبالغة كأنه السرعة عينها ويده يدها أو أن الإضافة من نسبة المتلبس لما تلبس به أي اليد المتلبسة بالسرعة. **والصدار**: قميص صغير يلي الجسد أو هو ثوب يشبه رأسه المقنعة ويسيل حتى يغشى الصدر بتمامه ومد يده إليه ليمزقه جزعًا على والد أبي عبيد رحمه الله لأن الصداقة بينهما كانت شديدة. وفي رواية بعد الصدار أحرك زيقه وأريد تمزيقه الخ. **وزيق القميص**: ما أحاط منه بالعنق. وفي نسخة أخرى: إلى الصدار أريد تمزيقه وأحاول تخريقه. وهذه أفاعيل يأتيها لتتميم الحيلة كما لا يخفى.

(٣) **جمع الكف**: قبضته. والخصر معروف. وقبضه على خصره ليمنعه عن تمزيق صداره. ولهذا قال نشدتك الله لا مزقته أي أقسم عليك بالله أن لا تمزقه وأصله ذكرتك الله ثم صار حقيقة عرفية في القسم.

(٤) «**نصب غداءً**»: نتناول منه.

(٥) أي إن لم نذهب إلى البيت ذهبنا إلى السوق نشتري منه شواء (بكسر أوله وضمه) وهو ما شوي من اللحم وغيره. والمراد هنا اللحم. ثم رجح السوق بأنه أقرب وطعامه أطيب.

(٦) **استفزته**: استخفته لإجابتي. **والحمة** للشيء: شدته يقال: لسعته حمة البرد أي شدته وأصلها السم وإبرة نحو العقرب. **والقرم** بالتحريك اشتداد الشهوة إلى أكل اللحم خاصة. **واللقم**: الأكل السريع. أي تصوره للتمكن من سرعة الأكل ليشفي ألم شهوته عطفه للسير معه. ويروى بدل اللقم النهم. **والنهم**: الإفراط في شهوة الطعام.

(٧) إنما تتقاطر أطراف الشواء عرقًا إذا كان اللحم سمينًا دسمًا لأن العرق هٰهنا ما يفرز من دهنه ودسمه. **والجوذابات**: جمع جوذابة وهي خبز تخبزه في تنور وقد علق فوق الخبز طائر أو لحم غيره يشوى فيقطر ودكه على ذلك الخبز فيغني عن الأدم. **وتسايل**: أي تسيل من كل وجه وإذا كان الخبز الذي تحت الشواء يسيل عرقًا من ودكه فما أغزر ودكه وما أكثر دسمه.

مَاء السُّمَّاقِ[١]. لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا. فَانْحَنَى الشَّوَّاءُ بِسَاطُورِهِ. عَلَى زُبْدَةِ تَنُّورِهِ. فَجَعَلَهَا كَالْكُحْلِ سَحْقًا. وَكَالطِّحْنِ دَقًّا[٢]. ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ. وَلَا يَئِسَ وَلَا يَئِسْتُ[٣]. حَتَّى اسْتَوْفَيْنَا وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الْحَلْوَى: زِنْ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللُّوزِيْنَج رَطْلَيْنِ فَهُوَ أَجْرَى فِي الحُلُوقِ. وَأَمْضَى فِي العُرُوقِ[٤]. وَلْيَكُنْ لَيْلِيَّ العُمْرِ. يَوْمِيَّ النَّشْرِ. رَقِيقَ القِشْرِ. كَثِيفَ الحَشْوِ. لُؤْلُؤِيَّ الدُّهْنِ. كَوْكَبِيَّ اللَّوْنِ. يَذُوبُ كَالصَّمْغِ قَبْلَ المَضْغِ[٥]. لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيًّا. قَالَ: فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ. وَجَرَّدَ وَجَرَّدْتُ[٦]. حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجَنَا إِلَى مَاءٍ يُشَعْشَعُ بِالثَّلْجِ لِيَقْمَعَ هذِهِ الصَّارَّةَ وَيَفْثَأَ هذِهِ اللُّقَمَ الحَارَّةَ[٧] اجْلِسْ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسَقَّاءٍ.

---

(١) **نضد** الأوراق: صفها بعضها فوق بعض. **والرقاق**: خبز رقيق معروف وجعل آحاده أوراقًا ليدل على انتهائه في الرقة إلى حد يشبه رقّة الورق. **والسماق**: حب أحمر صغير بالغ في الحموضة وشجره يشبه الرمان يثمر في عناقيد تنتظم ذلك الحب.

(٢) **الساطور**: آلة للجزار يقطع بها اللحم معروفة. **والشواء** بتشديد الواو من صناعته أن يشوى اللحم. **والزبدة**: معروفة وهي ما يخرج من اللبن بالمخض. **والتنور** هنا موقد النار الذي يشوي عليه اللحم. وأضاف الزبدة إلى التنور لأنها من خصائصه ولوازم الأكل من شوائه وسحق الزبدة حتى جعلها كالكحل أو الطحن بكسر الطاء وهي الدقيق ليسهل ذوبانها بسرعة. **والرقاق** لا بد له من الزبدة حتى يطرى ويهنأ أكله مع الشواء فإن لم تكن زبدة فمرق.

(٣) يريد أن كلًا منهما كان يطمع في إنفاد ما بين يديه ويروى: ولا **نبس** ولا نبست بالنون بعدها الباء أي ما تكلم وما تكلمت بل كنا نأكل سكوتًا.

(٤) **اللوزينج**: نوع من الحلواء يصنع من نوع من الخبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالجوز واللوز وما شابههما. **وأجرى** في الحلوق: أمضى سيرًا فيها لسهولته. **وأمضى** في العروق: أشد سريانًا فيها من غيره من أنواع الحلواء لسرعة هضمه. وفي رواية: أمرى بدل أمضى. **والمريء** من الطعام الحميد المغبة.

(٥) «**ليلي العمر**»: أي قد صنع بالليل. «**ويومي النشر**» أي نشر من مصنعه بالنهار فيكون قد نضج وسرت الحلاوة في جميع أجزائه. **ورقة القشر**: أن يكون الخبز المحشي رقيقًا إذ لو كان غليظًا لفقد السهولة واللطافة. **ودهن اللوز** إذا كان صافيًا أشبه اللؤلؤ في لونه فما سقي به من الحلواء يكون في لمعانه أشبه بالكوكب. وقوله: يذوب قبل المضغ بيان لدرجته من النضج ورقة **القشر** وإتقان الصنعة.

(٦) **جرد** وجردت: أي جرد يده من ثيابه كما يجرد الشجاع سيفه من غمده وهكذا فعلت.

(٧) **يشعشع** بالثلج: أي يمزج به. **والصارة**: العطش. **ويقمعها**: يقهرها ويدفعها. **ويفثأ**: أي يسكن. وتسكين اللقم كسر الحدة من حرارتها.

يَأتِيكَ بِشَرْبَةِ مَاءٍ[١]. ثُمَّ خَرَجْت وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أرَاهُ وَلَا يَرَانِي أنْظُرُ مَا يَصْنَعُ. فَلَمَّا أبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِيُّ إلى حِمَارِهِ[٢]. فَاعْتَلَقَ الشَّوَّاءُ بِإزَارِهِ[٣]. وَقَالَ: أيْنَ ثَمَنُ مَا أكَلْتَ؟ فَقَالَ أبُو زَيْدٍ: أكَلْتُهُ ضَيْفًا. فَلَكَمَهُ لَكْمَةً. وَثَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ. ثُمَّ قَالَ الشَّوَّاءُ: هَاكَ[٤]. وَمَتَى دَعَوْنَاكَ. زِنْ يَا أخَا الْقِحَةِ عِشْرِينَ[٥]. فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عُقَدَهُ بِأسْنَانِهِ[٦] وَيَقُولُ: كَمْ قُلْتُ لِذاكَ الْقُرَيْدِ[٧]. أنَا أبُو عُبَيْدٍ. وَهُوَ يَقُولُ: أنتَ أبُو زَيْدٍ. فَأَنْشَدْتُ:

أعْـمِـلْ لِرِزْقِـكَ كُـلَّ آلَهْ ... لَا تَـقْـعُـدَنَّ بِـكُـلِّ حَـالَهْ

وَانْـهَـضْ بِـكُـلِّ عَـظِـيـمَـةٍ ... فَـالْـمَـرْءُ يَـعْـجِـزُ لَا مَـحَـالَهْ[٨]

(١) يريد أن يذهب بحيلة أن يأتي بالسقاء وهو بائع الماء ليأتي بما احتاجوا إليه من الماء المشعشع بالثلج ثم يتوارى عن السوادي وهو أبو زيد ليلزمه الشواء بثمن ما أكلا معًا ويكون عيسى بن هشام قد حصل غايته من الأكل بدون ثمن.

(٢) السوادي هو أبو زيد وأظهره مع أن الحديث عنه والضمائر كلها تشير إليه ليزيد في تعيينه بعد طول الحكاية عنه. ويروى: فعلق الشواء بعذاره وصاحب الحلواء بإزاره وقالا: أين ثمن الخ. وتعلقه بعذاره بقبضه على لحيته وأخذه من سباله.

(٣) **الإزار**: ثوب يشد في الوسط ويستر من البدن إلى أسفل الساق كانت العرب تكتفي به مع الرداء ثوبًا كاملاً. والمراد أنه تعلق بثيابه وإلا فقد يكون سربال السوادي لا إزار فيه.

(٤) **هاك**: أي خذ من اللكم واللطم فمتى دعوتك حتى تعتل بالضيافة في التخلص من دفع الثمن.

(٥) **القحة** الوقاحة. **وزن** من وزن أي أعط زنة عشرين درهمًا. وفي نسخة بعد عشرين: وإلا أكلت ثلاثًا وتسعين أي هذا العدد من الضربات.

(٦) **العقد** بضم ففتح جمع عقدة أي عقد كيسه ليخرج الدراهم. وفي نسخة بعد أسنانه: ويمسح دموعه بأردانه. **والأردان** جمع **ردن** بضم الراء وهو كم الثوب.

(٧) **القريد** بضم ففتح تصغير قرد. ويروى: **العريد** بالعين المهملة وهو إما تصغير **عرد** بمعنى الحمار أو الصلب الشديد. أو هو بفتح فكسر أي البعيد.

(٨) إذا كان لا بد أن يصل المرء إلى عجز عن العمل فعليه في زمن القدرة أن ينهض إلى العظائم فينالها ويستوفي حظه منها قبل أن يدركه العجز ويحوطه الحرمان.

المَقامَةُ البَصْريَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ البَصْرَةَ وَأَنَا مِن سِنِّي فِي فَتَاء[١]. وَمِنَ الزِّيِّ في حِبَرٍ وَوِشَاءٍ[٢]. وَمِنَ الغِنَى في بَقَرٍ وَشَاءٍ[٣]. فَأَتَيْتُ المِرْبَدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ العُيُونُ[٤] وَمَشَيْنَا غَيْرَ بَعِيدٍ إلى بَعْضِ تِلْكَ المُنْتَزَهَاتِ. في تِلْكَ المُتَوَجِّهَاتِ[٥] وَمَلَكَتْنَا أرضٌ فَحَلَلْنَاهَا[٦]. وَعَمَدْنَا لِقِدَاحِ اللَّهْوِ فَأَجَلْنَاهَا. مُطَّرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ إذْ لم يَكُنْ فِينَا إلَّا مَنَّا. فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِن ارْتِدَادِ الطَّرْفِ حَتَّى عَنَّ لَنَا سَوَادٌ[٧]. تَخْفِضُهُ وِهَادٌ. وَتَرْفَعُهُ نِجَادٌ[٨]. وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَهُمُّ

---

(١) **الفتاء**: الشباب.

(٢) **الزي**: هيئة اللباس والحبر جمع **حبرة**: ضرب من البرود اليمانية. **والوشاء** على وزن كساء جمع وشي نوع من الثياب الموشية أي المزينة المنقوشة. يريد أنه كان في لباس أهل النعمة واليسار.

(٣) **الشاء**: اسم جمع للشياه. والمراد أنه كان صاحب ماشية كثيرة لتوفر الغنى عنده.

(٤) **المربد** موضع يلي البصرة من جهة البرية وهو مكان عظيم السعة كانت تجتمع إليه العرب للتناشد والبيع والشرى كما كانوا يتعاكظون في سوق عكاظ. **وتأخذهم** العيون: أي تنالهم بالنظر لحسن بزتهم وجمال هيئتهم.

(٥) يقال: وجهت المطرة الأرض أي صيرتها وجهًا واحدًا فتوجهت الأرض وكأن الزمن كان ربيعًا وللمطر في الأراضي ذلك الأثر فالمتوجهات نعت للأرضين المحذوفة. وفي نسخة: ودخلنا في بعض تلك الموجهات جمع **موجه** وهو الشيء يجعل في جهة واحدة لا يختلف والمواضع التي أنشئت فيها منتزهات المربد كانت مسواة لا عوج فيها.

(٦) **ملكتنا** أرض أخذت بزمام هوانا حسنًا وبهجة فكأنما ملكتنا واسترقتنا **فحللناها** نزلنا بها.

(٧) أي فما كان الزمان بأسرع من ارتداد الجفن الأعلى من العين إلى الأسفل حتى ظهر لنا **سواد**: أي شبح. يقول: إننا بعد حلولنا لم يمض من الزمان أسرع من لمح البصر حتى ظهر لنا ذلك الشبح. واسم كان الذي أبرزناه مما يستغني الكلام عن ذكره فيفضل بحذفه.

(٨) **الوهاد**: منخفضات الأرض. **والنجاد**: مرتفعاتها. ونسبة الخفض والرفع إليها لأنها سببه.

بِنَا(١). فَأَتْلَعْنَا لَهُ حَتَّى أَدَّاهُ إِلَيْنَا سَيْرُهُ(٢) وَلَقِيَنَا بِتَحِيَّةِ الإِسْلَام. وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتَضَى السَّلَامِ(٣). ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرْفَهُ وَقَالَ: يَا قَوْمُ مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَن يَلْحَظُنِي شَزْرًا. وَيُوسِعُنِي حَزْرًا(٤). وَمَا يُنَبِّئُكُمْ عَنِّي. أَصْدَقُ مِنِّي(٥). أَنَا رَجُلٌ مِن أَهْلِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ(٦). قَد وَطَّأَ لِيَ الفَضْلُ كَنَفَهُ وَرَحَّبَ بِي عَيْشٌ وَنَمانِي بَيْتٌ(٧). ثُمَّ جَعْجَعَ بِيَ الدَّهْرُ عَن ثَمِّهِ وَرَمِّهِ(٨). وَأَتْلَانِي زَغَالِيلَ حُمْرَ الحَوَاصِلِ(٩):

(١) **يهم** بنا: يقصدنا فتكون هاء يهم مضمومة. وفي نسخة: يهم إلينا بكسر الهاء أي يدب إلينا.

(٢) **أتلعنا** له: مددنا أعناقنا إليه تطاولاً لمعرفة شخصه ولم نزل كذلك حتى أوصله السير إلينا.

(٣) **مقتضى** السلام: ما يفرضه المسلم على المجيب من إجابته.

(٤) **أجال طرفه** فينا: قلب نظره في وجوهنا. ولحظه **شزرًا**: نظر إليه من جوانب العين نظر الساخط. **والحزر**: التخمين وإعمال الفكرة في الوقوف على مبلغ الشيء بدون سؤال ولا استعمال معيار. والجالسون قد صرفوا فكرهم لمعرفة القادم عليهم ليتبينوه بنظرهم. ويقال: **أوسعه** شتمًا: إذا بالغ في سبه وأوسعه عطاء إذا أغزر له وهو ضرب من تعليق الفعل بشيء ثم تمييز جهة التعلق وهي متعلق الفعل الحقيقي. وحقيقة القول أوسع شتمه وعطاءه وحزره. وفي نسخة بدل حزرًا خزرًا بالخاء المعجمة وهو النظر بلحظ العين. وفي أخرى: زجرًا بزاي وجيم ولا معنى لها إذ لم يخاطبه القوم بعد حتى يكونوا قد زجروه.

(٥) **لا ينبئكم**: أي لا يخبر عن حقيقة حالي أحد أصدق مني لأن معرفتي بنفسي أوثق من معرفة كل أحد سواي.

(٦) تقدم أنه اتبع الإسكندرية بهذا الوصف لبيان أنها ليست الثغر المصري المشهور بل إسكندرية من ثغور الأندلس على النهر الأعظم نهر إشبيلية درست اليوم ولم يبق لها أثر. وقد ذكر صاحب القاموس أن هذا الاسم لست عشرة بلدة إحداها تلك التي على نهر إشبيلية ويعبر عنه بالنهر الأعظم وقد ذكرها الخطيب المؤرخ في جغرافيته.

(٧) **وطأ لي** ذوي الفضل كنفه: أي مهد لي جانبه وخفض منه إكرامًا لي. ومن وقره الفضل كان مقبولاً لديه ولا يقبل عند ذوي الفضل إلا مَن يكون من أهله. **وترحيب** العيش به: كناية عن إقباله عليه وإنزاله حيث يحب فقد كان من العيش في السعة المحمودة عند طلابه. ونماه بيت أي رفعه وشرف منزلته بيت له سابق الحسب سمي النسب.

(٨) **جعجع** بي الدهر: أي حبسني ومنعني عن ثمه ورمه أي قليله وكثيره. والأصل في جعجع به لزم به **الجعجاع**: وهو التراب ثم صار في معنى قعد به مطلقًا.

(٩) **الزغاليل**: الأطفال. **والحوصلة** للطائر كالمعدة للإنسان وحمرتها كناية عن الجوع لأن الطير إذا جاع تناثر ريشه فظهرت بشرته حمراء وأول ما يظهر من ذلك جلد الحوصلة. أو أراد بحمرة الحواصل خلوها من الغذاء حتى لا لون فيها إلا لون لحمها. أو أراد التهابها من حرارة الجوع حتى كأن فيها نارًا تتقد ولها حمرة كحمرة الجمر.

كَـأَنَّـهُـمْ حَـيَّـاتُ أَرْضٍ مَـحْـلَةٍ فَـلَوْ يَـعَـضُّـونَ لَذَكَّـى سَـمُّـهُـمْ[(١)]
إِذَا نَـزَلْنَـا أَرْسَـلُونِـي كَـاسِـبًـا وَإِنْ رَحَـلْنَـا رَكِـبُـونِـي كُـلُّهُـمْ

وَنَشَزَتْ عَلَيْنَا البِيضُ[(٢)] وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ[(٣)]. وَأَكَلَتْنَا السُّودُ وَحَطَّمَتْنَا الحُمْرُ[(٤)]. وَانْتَابَنَا أَبُو مَالِكٍ[(٥)]. فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ عُقْرٍ[(٦)] وَهذِهِ البَصْرَةُ مَاؤُهَا هَضُوم وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ[(٧)]. وَالمَرْءُ مِن ضِرْسِهِ فِي شُغُلٍ[(٨)]. وَمِن نَفْسِهِ فِي كَلٍّ[(٩)] فَكَيْفَ بِمَنْ:

(١) **الأرض** المحلة: الخالية من النبات ولا تنبته. وحياتها أخبث الحيات ليبوسة متبوئها. **وذكى** السم من قولهم: ذكى الرجل إذا أسن وبدن أي لامتزج سمّهم بدم من عضوه وبلغ منه مبلغ المسن من سنه فيعسر شفاؤه وذلك كناية عن اشتداد الجوع بهم حتى لو رأوا شخصًا لنهشوه بأسنانهم كما تنهش الحيات التي لا قوت لها ما تظن لها فيه قوتًا.

(٢) **نشزت** المرأة على زوجها: استعصت عليه. **والبيض**: الدراهم من الفضة أي استعصت علينا فلا تصل إلى أيدينا. ويروى: عنا. وهو ظاهر المعنى.

(٣) **الصفر**: الدنانير من الذهب. **وشمست** كما تشمس الدابة: أي تمنع ظهرها من الركوب فكلما طلب منها لم يجبه مطلوبه فليس افتقاره لعدم الطلب ولكن لعداوة بينه وبين الذهب والفضة.

(٤) **السود** الليالي ببردها وحجبها عن العمل لسد الحاجة، والحرار من الأراضي ذات الحجارة السود التي لا تنبت نباتًا ولا ينفجر منها الماء وذلك ما رماه إليه التسيار فقد أكلته الليالي وماحل الأرضين بمعنى نحلت جسمه وأضنته بما مسته به من مشاق الحاجة ومهالك الاضطرار. **والحمر**: السنين الشديدة المجدبة.

(٥) **انتابنا**: انتهت نوبته إلينا. **وأبو مالك** الكبار وذوو الفاقات وأهل الضراء يسرع فيهم ضعف الأبدان فيعجل إليهم الهرم.

(٦) **أبو جابر** الخبز لأنه يجبر ما كسره الجوع. والعقر: أن لا يكون للرجل ولد. ويريد أن الخبز لا يلقاهم إلا بعد أن أوغل الضعف في أبدانهم فإذا لقيهم وهو أبو جابر لقيهم عقمًا بدون ولده وهو جابر أي نالوا الخبز في حين لا يفيدهم أكله لاشتداد الضعف بهم. ويروى: عن عفر بضم العين بعدها فاء؛ وهي من ليالي الشهر السابعة والثامنة والتاسعة أي لا يلقاهم إلا في مثل هذه الليالي من كل شهر. فإن ضمت الفاء أيضًا كان معناها الحين أو الشهر أي لا يلقانا إلا عن حين أو شهر يمضي.

(٧) **هضوم**: أي يهضم الطعام وينهكه فيدعو إلى كثرة الأكل وما أشقى مَن يأكل كثيرًا ولا يجد قليلاً. وفقيرها **مهضوم**: أي مظلوم غير مرعي الحق.

(٨) يريد أن كل شخص مشغول بما يطلبه ضرسه أي ما يفي بحاجة قوته.

(٩) المرء في تعب من حاجات نفسه وحدها فكيف إذا كانت له عيال لا كاسب لهم إلا هو كما سيذكره في البيتين.

يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ العُيُونِ(١)
كَسَاهُنَّ البِلَى شُعْثًا فَتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ البُطُونِ(٢)

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ اليَوْمَ وَسَرَّحْنَ الطَّرْفَ في حَيٍّ كَمَيْتٍ. وَبَيْتٍ كَلَا بَيْتٍ(٣). وَقَلَّبْنَ الأَكُفَّ على لَيْتَ. فَفَضَضْنَ عُقَدَ الضُّلُوعِ(٤). وَأَفَضْنَ مَاءَ الدُّمُوعِ وَتَدَاعَيْنَ بِاسْمِ الجُوعِ(٥):

وَالفَقْرُ فِي زَمَنِ اللِّئَا مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلَامَهْ(٦)

---

(١) **يطوف** ما يطوف أي يسعى ويمشي في الأرض ما يمشي ثم يأوي ويسكن بعد فيئته من سعيه إلى صغار **زغب**: جمع أزغب وهو الطائر أول ما ينبت ريشه والولد أول ما ينبت فيه شعره اللين يريد الأطفال الصغار. **ومحددة** العيون: كناية عن شدة انتظارها للقوت فهي شاخصة الأبصار حديدتها تقلب أحداقها لاستطلاع ما يجلب إليها.

(٢) **البلى**: الدثور والرثاثة يريد منه النحول وقد شبهه بالثوب يكسو لابسه ليفيد عمومه لجسمهم. **وشعثًا**: حال من ضمير المفعول في كساهن وهو جمع **أشعث** بمعنى المغبر المتغير ولا يكون الطفل أشعث عادة إلا إذا لم يوجد ما يتعهدونه به لتنظيف بدنه ودهن شعره وغير ذلك مما يلزم لإصلاح شأنه فهو يكني بذلك عن فاقة الذين يعولون أولئك الصغار. ويمكن أن يكون **شعثًا** بالتحريك وهو مفعول ثانٍ لكساهن أي أن النحول والرثاثة علت أبدانهم بالشعث. وقوله: **فتمسي** فاؤه للتعليل والفعل خبر مبتدأ لطوي من الكلام والأصل أن يقال فهي تمسي جياع الناب. **والناب**: السن خلف الرباعية ونسبة الجوع إليه مع أنه لا يوصف به إلا المتألم بفراغ المعدة وليس الناب مما تتألم لذلك لأنه أراد من الجوع بعد العهد بالطعام أو لأن أثر الفراغ يظهر في الأسنان يحس الجائع بشيء من الحرارة في أصولها وإذا طال عهد الناب بالطعام **ضمرت** البطن: أي لحقت بالظهر.

(٣) يريد **بالحي** المشابه للميت نفسه أي أن أطفاله أصبحوا اليوم يطلقون أبصارهم إليه لظنهم أن فيه حياة تقدره على سد حاجتهم وهو أشبه بالميت في العجز عن إجابة النداء وتحقيق الرجاء. وهم أيضًا يقلبون أبصارهم في بيت يشبه عدم البيت لأن مَن لا قوت عنده فهو عرضة للهلكة فلا يكون في البيت وقاية له فكأنه في غير بيت.

(٤) **فض** الشيء: بدده. **وعقد الضلوع**: جمع عقدة ما تماسكت عليه الضلوع بسلسلة الفقار. ومشهد الصغار على الحال التي وصف مع العجز عن إغاثتهن مما يحدث في النفس همًّا ويسلط عليها حزنًا يقصم الظهر وينثر الضلوع من عقدها.

(٥) **تداعى** القوم: دعا بعضهم بعضًا. وزغبه تداعت باسم الجوع أي كل واحد يدعو الآخر يا جائع أو هل أنت جائع أو أنا جائع فهل عندك شيء فيجيب الآخر وأنا مثلك وما شابه ذلك.

(٦) إذا كان الزمن زمن اللئام: أي زمن عزهم وظهور أمرهم وإقبال الدهر عليهم كان الفقر في ذلك الزمن علامة لأهل الكرم لأن كل لئيم فيه موسر ويكون كل كريم معسرًا فيكون الإعسار علامة الكرام.

رَغِبَ الكِرَامُ إلى اللِّئَا م وَتِلْكَ أشْرَاطُ القِيَامَهْ[١]

وَلَقَدِ اخْتِرْتُمْ يا سَادَةُ[٢]. وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ السَّعَادَةُ. وَقُلْتُ: قَسَمًا. إنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا[٣]. فَهَلْ مِن فَتًى يُعَشِّيهِنَّ. أوْ يُغَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِن حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ أو يُرَدِّيهِنَّ[٤]؟ قَالَ عِيسى بنُ هِشَامٍ: فَوَاللهِ مَا اسْتَأْذَنَ عَلَى حِجَابِ سَمْعِي كَلَامٌ رَائِعٌ أبْرَعُ. وَأرْفَعُ وَأبْدَعُ. مِمَّا سَمِعْتُ مِنْهُ[٥]. لَا جَرَمَ إنَّا اسْتَمَحْنَا الأوْسَاطَ. وَنَفَضْنَا الأكْمَامَ وَنَحَّيْنَا الجُيُوبَ[٦]. وَنُلْتُهُ أنَا

---

(١) **صار** الأمر إلى اللئام فوصلتهم الدنيا بحطامها وأعوز الكرام وجود السداد لحاجتهم فرغبوا إلى اللئام يستمنحونهم العطاء وذلك من **أشراط القيامة**: أي علامات انتهاء الدنيا وقرب يوم البعث والنشور لأن الدنيا إذا انتهت إلى آخر أجلها أصيبت بما يشبه الهرم فاختلّ منها نظام البنية واختلطت عليها مذاهب الإدراك فخرفت وأخذت تسند الأمر إلى غير أهله وتمنح الشيء غير مستحقه خبطًا بغير ربط لهذا قد يسود اللئام ويلتجىء إليهم الكرام.

(٢) **اخترتم** مبني للمجهول نائب فاعله ضمير المخاطبين المتصل. أي وقع عليكم الاختيار مني للاستعطاء أيها السادة. ويروى: اخترتكم.

(٣) أي **أقسم قسمًا**: أحلف يمينًا أن فيهم أي في القوم الذين يخاطبهم لدسمًا يريد خيرًا لأن الدسم في الطعام آية ملاءمته للطباع وسهولته على المتناولين بخلاف ما إذا كان يابسًا جافًّا فإنه يشجي الطاعم وقلما يفيد البنية بالتغذية وهذا مثل مشهور يقال: في فلان دسم إذا ظن به الخير. وفي نسخة بدل دسمًا شيمًا جمع **شيمة** بمعنى السجية الطيبة سجية السخاء والكرم.

(٤) **يعشيهن**: يطعمهن العشاء. **ويغشيهن**: يكسوهن الغشاء أي اللباس لأنهن عراة. **ويغديهن** يطعمهن الغداء **ويرديهن** يلبسهن الرداء وهو الكساء والبردة.

(٥) إذا طرق الكلام موضع السمع من الأذن فتارة ينبو عنه فينغلق باب الفهم دونه وأحيانًا يلتئم معه فيفتح له أبواب الذهن. فشبه حال السمع في طوريه بحال من له حجاب يقف المستأذن دونه والكلام بطارق قد يؤذن له فيدخل وقد لا فيرجع. **والرائع**: المعجب. **وأبرع**: أي أعلى في جماله وحسنه وكل ما فاقك في كمال فقد برعك.

(٦) **لا جرم** كلمة تستعمل بمعنى حقًّا. **واستمحنا** الأوساط: سألناها أن تعطينا ما ننول به الرجل. **والأوساط**: هي مناطقهم التي شدوها على أوساطهم لأن عادة أهل السفر أن يضعوا معظم دنانيرهم في تلك المناطق ثم يتمنطقون بها ولا يضعون في جيوبهم إلا بعض الدراهم القليلة القيمة فهؤلاء أرادوا أن يعطوه من كثرهم لا من قلهم فلهذا طلبوا من أوساطهم. **ونحوا** جيوبهم أي لم يطلبوها لينيلوه منها لقلة ما فيها ونفضوا أكمامهم ليخلصوا أيديهم إلى أوساطهم فيسرعوا إلى العطاء. ويروى بدل نحينا الجيوب بحثنا بالباء والثاء بينهما حاء أي فتشنا فيها كما فتشنا في الأوساط لننوله.

مُطْرَفِي[١] وَأَخَذَتِ الجَمَاعَةُ إِخْذِي[٢]. وَقُلْنَا لَهُ: الحَقْ بِأَطْفَالِكَ. فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفَّاهُ. وَنَشْرٍ مَلأَ بِهِ فَاهُ[٣].

(١) **المجرف والمطرف**: رداء من خز معلم.

(٢) **أخذ إخذه**: سار على طريقته أي فعل الجماعة مثل ما فعلت فمنهم مَن أعطى عينًا ومنهم مَن كساه بما فضل من ثيابه.

(٣) يريد من **النشر**: الثناء لأنه ينشر المحامد ويبثها بين الناس.

المقَامَةُ الفَزاريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ فَزَارَةَ[1] مُرْتَحِلًا نَجِيبَةً. وَقَائِدًا جَنِيبَةً[2]. يَسْبَحَانِ بِي سَبْحًا. وَأَنَا أَهِمُّ بِالْوَطَنِ فَلَا اللَّيْلُ يَثْنِينِي بِوَعِيدِهِ. وَلَا البُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ[3]. فَظَلِلْتُ أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بِعَصَا التَّسْيَارِ. وَأَخُوضُ بَطْنَ اللَّيْلِ. بِحَوَافِرِ الخَيْلِ[4]. فَبَيْنَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا الغَطَاطُ. وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا الوَطْوَاطُ[5]. أَسِيحُ سَيْحًا[6] وَلَا سَانِحَ إِلَّا

---

(١) **فزارة**: قبيلة من قبائل اليمن.

(٢) **جنيبة**: الناقة الكريمة. **والجنيبة** من الخيل والإبل: ما تقوده لتراوح بينه وبين ما ركبته فإذا تعبت راحلتك تحولت عليها إلى الجنيبة لتريح تلك. **ومرتحلاً**: يريد راكبًا من باب الكناية لأن الارتحال من وضع الرحل على الناقة مثلاً ولا يضع رحله على ناقته إلا ليركب.

(٣) **يهم** بالوطن: يريده بعزيمة ثابتة لا يثنيه عن تلك العزيمة وعيد الليل بظلامه وأهوال ما يقع فيه ولا يلويه ويحوله عنها بعد المسافة بينه وبين الوطن وإن كان في ذلك **بيد** جمع بيداء متباعدة الأطراف خالية من السكان توحش سالكيها وتهلك المجتازين فيها.

(٤) **خبط** الشجرة أو خبط ورقها أي نفض الورق ليسقط وإضافة الورق للنهار من إضافة المشبه به للمشبه كإضافة العصا إلى التسيار بمعنى السير فكأن ساعات النهار ورق لدوحة الزمان لأنه يكسو الزمان بهاء كما يكسو الورق دوحته. وكأن السير عصا ينثر بها ورقة بعد ورقة. أي أنه قطع بسيره النهار ساعة بعد ساعة حتى جاء الليل فخيله بحرًا عظيم الغمرات بما فيه من مظان الإزعاج والإخافة لهذا عبر عن السير فيه بالخوض في بطنه في حوافر الخيل.

(٥) **الغطاط**: (بالغين المعجمة ووزن سحاب) القطا وهو مضرب المثل في الهداية يقال: فلان أهدى من القطا. والليل الذي يضل فيه القطا بهيم ساج لا سبيل فيه إلى الهداية. والوطواط من طبيعة بصره أن لا يرى إلا في الليل فإذا لم يبصر الوطواط في ليلة كانت من الظلام بسواد لا مسرب للضياء فيه بالمرة ولم يكن حالها من حال سائر الليالي في شيء.

(٦) شبه نفسه في سرعة سيره وسهولة انقياد نجائبه به بالماء **يسيح**: أي يسيل على وجه الأرض لا=

السَّبُعُ[١]. وَلَا بَارِحَ إلَّا الضَّبُعُ. إذْ عَنَّ لِي رَاكِبٌ تَامُّ الآلَاتِ يَؤُمُّ الأَثَلَاتِ. يَطوِي إلَيَّ مَنْشُورَ الفَلَوَاتِ[٢]. فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الأَعْزَلَ. مِن شَاكِي السِّلَاحِ[٣] لكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ[٤] فَدُونَكَ شَرْطُ الحِدَادِ. وَخَرْطُ القَتَادِ[٥]. وَخَصْمٌ ضَخْمٌ. وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ[٦]. وَأَنَا سِلْمٌ إن شِئْتَ. وَحَرْبٌ إنْ أَرَدْتَ[٧]. فَقُلْ لِي مَن أَنْتَ. فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ فَمَنْ أنتَ؟ قَالَ: نَصِيحٌ إن شَاوَرْتَ. فَصِيحٌ إن حَاوَرْتَ[٨]. وَدُونَ اسْمِي لِثَامٌ[٩]. لَا

= يحس له بوقع كما شبه سير النجيبة والجنيبة في أول المقامة **بالسبح**: وهو العوم في الماء.

(١) **السانح**: الذي يمر عن يمينك. **والبارح**: الذي يمر عن يسارك من وحش وطير وظبي ويتيمنون بالسانح كما يتشاءمون بالبارح. أي أن الطريق مسبعة مخوفة حتى أن السائر فيها لا يجد من الحيوان سانحًا ولا بارحًا إلا المفترسة من سبع وضبع.

(٢) **عنّ لي**: ظهر لي وتراءى لي. **والتام** الآلات: المستكمل لسلاحه. **ويؤم** الأثلات: أي يقصد أشجارًا من الأثل كانت أمامه في جهة المتكلم. ثم عبر عن سرعته في المسير نحوه بقوله يطوي إليّ أي نحوي منشور الفلوات جمع **فلاة** وهي البيداء الواسعة القفراء فكأنها لديه ثوب منشور وهو بسرعته يطويها حتى يضم أبعد أطرافها إليه.

(٣) **الأعزل**: مَن لا سلاح معه. **وشاكي** السلاح: حديده وذو شوكته. والأعزل يأخذه من شاكي السلاح إذا رآه وظن فيه الشر أشد الخوف.

(٤) **التجلد**: التثبت وإظهار القوة. **وأرضك** منصوب بالفعل المنوي أي الزم أرضك وقف. **ولا أم له**: دعاء عليه بفقد أمه. يبدأه بالشتم ليظن فيه قوة فيخشاه إذ لا يبدأ بالسوء إلا قادر عليه عادة.

(٥) **الحداد**: جمع حديد بمعنى القاطع من النصل سيفًا أو غيره أو النافذ من الظبا للأسنة ونحوها. **والشرط**: من شرط الحجام موضع الحجامة إذا بزغه كنى به عن أثر الحداد وهو الجرح والقطع أي ليس بيني وبينك إلا السيف. **والقتاد**: شجر صلب له شوك صلب كذلك مثل الإبر. **وخرطه**: ما خرط من شوكه ونثر على الأرض. والأمر الصعب المنال يقولون دونه خرط القتاد أي لا بد أن يصل الطالب إليه من طريق يدوس فيها على شوك القتاد وهي الطريق التي لا تداس.

(٦) نسبة إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ أي قبيلة كبيرة لها بطون كثيرة مشهورة بالقوة وإباء الضيم.

(٧) **سلم** بكسر السين لا آتي حربًا إن شئت ذلك بأن لا تبدأني بالشر. ويقول أنا **حرب** أي محارب لك إن أردت ذلك بأن بادأتني بالعدوان.

(٨) **نصيح**: صادق في نصحه لك إن شاورته يكني بذلك عن صدق وصحة رأي معًا وهي فضيلة العقل والخلق. ثم ضم إلى ذلك فضيلة النطق فقال: فصيح إن حاورته أي حادثته.

(٩) **اللثام**: ما يغطى به الفم من النقاب وأراد أنه أخفى اسمه كما يخفي المتلثم فمه فأي علم من الأعلام ذكره لا يميط الحجاب عن اسمه ولا يكشف الحقيقة من علمه.

تُمِيطُهُ الأَعْلَامُ. قُلْتُ: فَمَا الطُّعْمَةُ(١)؟ قَالَ: أَجُوبُ جُيُوبَ البِلَادِ(٢). حَتَّى أَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوَادٍ(٣). وَلِي فُؤَادٌ يَخْدِمُهُ لِسَانٌ. وَبَيَانٌ يَرْقُمُهُ بَنَانٌ(٤). وَقُصَارَايَ كَرِيمٌ يَخْفِضُ لِي جَنِيبَتَهُ. وَيَنْفُضُ إِلَيَّ حَقِيبَتَهُ(٥). كَابْنِ حُرَّةٍ طَلَعَ عَلَيَّ بِالأَمْسِ. طُلُوعَ الشَّمْسِ. وَغرَبَ عَنِّي بِغُرُوبِهَا لكِنَّهُ غَابَ وَلَمْ يَغِبْ تَذْكَارُهُ. وَوَدَّعَ وَشَيَّعَتْنِي آثَارُهُ(٦). وَلَا يُنْبِئُكَ عَنْهَا. أَقْرَبُ مِنْهَا. وَأَوْمَأَ(٧) إِلَى مَا كَانَ لَبِسَهُ. فَقُلْتُ: شَحَّاذٌ وَرَبِّ الكَعْبَةِ أَخَّاذٌ(٨). لَهُ فِي الصَّنْعَةِ نَفَاذٌ. بَلْ هُوَ فِيهَا أُسْتَاذٌ. وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَرْشَحَ لهُ وَتَسِحَّ عَلَيْهِ(٩). فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ جَلَّيْتَ عِبَارَتَكَ فَأَيْنَ شِعْرُكَ مِن كَلَامِكَ؟ فَقَالَ: وَأَيْنَ كَلَامِي مِن شِعْرِي(١٠)؟ ثُمَّ اسْتَمَدَّ غَرِيزَتَهُ. وَرَفَعَ

---

(١) **الطعمة** بضم الطاء وسكون العين وجه الكسب يقال: فلان عفيف الطعمة أي نقي.

(٢) **جيوب** البلاد والأرضين: مداخلها. **وجابها**: قطعها ووصل من جيب إلى آخر.

(٣) **الجفنة**: القصعة الكبيرة. يريد حتى يصل إلى جواد كريم يأكل الضيفان من جفنته فيقع عليها.

(٤) **أطراف** الأصابع وبها الرقم: أي الكتابة. أي له فؤاد ذكي يخدمه بالتعبير عما يمثله من المعاني لسان فصيح وله بيان بديع ومقال في الفصاحة رفيع تخطه أنامله أي أنه فصيح اللسان فصيح القلم.

(٥) **الجنيبة**: هنا إحدى الجنيبتين وهما شقا الجمل سميتا بذلك لأن كل واحدة منهما في جنب من جنبي البعير. **وخفضها** له: إدناؤها منه وإنزالها من ظهر حاملها لتعطى له وقد يراد منها الجنيبة بمعنى المجنوبة وهي التي تقاد مع المركوبة. وفي رواية: يخفف لي جنيبته. ومعنى تخفيفها إليه الإسراع بها إليه هبة ليركبها ويبلغ غاية سفره عليها. والوجه ما اخترناه. **وقصاراي**: أقصى مطلبي ذلك الكريم. **والحقيبة**: وعاء الثياب ونحوها. **ونفضها** له: إعطاؤه كل ما فيها وتفريغها له من كل ما حوت.

(٦) أي أن ذلك الكريم الذي عبّر عنه بابن الحرة إشارة لطيب منبته وإن كان ودعه وفارقه لكن آثاره من العطايا والهبات لم تودع ولم تفارق بل لم تزل تشيعه وتسير معه.

(٧) أي لا يخبرك عن تلك الآثار مخبر أقرب منها نفسها فإنها موجودة حاضرة رؤيتها هي الخبر عنها. **وأومأ**: أي أشار إلى الثياب التي كان قد لبسها في ذلك الوقت.

(٨) **الشحاذ**: السائل وسمي بذلك لأنه يشحذ بسؤاله الهمم للعطاء. **وأخاذ**: نعت لشحاذ وصف مبالغة من الأخذ. وقوله: وربه الكعبة قسم مقحم بين الوصف وموصوفه.

(٩) يخاطب نفسه كأنه يخاطب شخصًا آخر بقوله: لا بد أن **ترشح** لهذا الشحاذ: أي تعطيه. ثم لما وجد الرشح لا يكفي استدرك بما عطف وقال: ويسح عليه من **سح** الماء إذا سال من فوق.

(١٠) **جليت** عبارتك: أظهرت منزلتها من مقام الفصاحة وأبرزتها في حلية البلاغة فأين مكانة شعرك من مكان كلامك. فأجاب منكرًا وأين كلامي من شعري أي أن كلامي في الدرجة الدنيا جدًا من شعري بحيث لا يقاس إليه. وفي رواية: **أحليت** في مكان جليت. أي: وجدتها حلوة.

عَقِيرَتَهُ[١]. بِصَوْتٍ مَلَأَ الوَادِيَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَأَرْوَعَ أَهْـدَاهُ لِيَ الـلَّيْـلُ وَالـفَـلَا ... وَخَمْسٌ تَمَسُّ الأَرْضَ لكِنْ كَلَا وَلَا[٢]

عَـرَضْـتُ عَـلَى نَـارِ الـمَكَـارِمِ عُـودَهُ ... فَكَانَ مُعَمًّا في السِّيَادَةِ مُخْوَلَا[٣]

وَخَـادَعْـتُـهُ عَـن مَـالِهِ فَـخَـدَعْـتُـهُ ... وَسَـاهَـلْتُـهُ مِـن بِـرِّهِ فَـتَـسَـهَّـلَا[٤]

---

(١) **الغريزة:** الطبيعة أراد منها قريحة ذهنه. **واستمدها:** طلب المدد منها بالتفكر. **ورفع عقيرته:** صاح.

(٢) **الأروع:** الشهم الذكي الفؤاد أو الشجاع ومَن إذا رأيته جهرك منظره ولكرامته عليه جعله بمنزلة جوهر نفيس يهدى فقال: أهداه لي الليل والفلا وخمس الخ لأنه صادفه في الليل وفي الفلا. والذي ساقه إليه ومشى به نحوه الأرجل وعبر عنها بالخمس لأن كل رجل لها خمس أصابع وكل رجل ذات أصابع فهي بدون أصابعها لا تقوى على المشي ولا تؤدي العمل الذي نيط بها كما ينبغي فكأن الرجل هي الأصابع في فائدتها. وقوله: **تمس الأرض**: كناية عن سرعتها وأنها لا تلاقي الأرض إلا مساسًا على غير ثبات وأكد ذلك بقوله: لكن كلا ولا أي أن مقدار مسيسها للأرض مقدار أن تلفظ بلفظ لا وقد عرف ضرب المثل سرعة في الزوال بلفظ لا ولا. وفي رواية: حمش جمع **الأحمش**: وهو السريع الخفيف يصف قوائم فرسه وعليه فيكون القائل فارسًا لا راجلاً.

(٣) **المكارم** جمع مكرمة وهي إتيان الكرم وفعاله وشبه المكارم بالنار في أن النار إذا عرض عليها شيء أذاعت ما فيه من طيب وخبيث وهكذا يعرض اللئيم عن المكارم فيأباها فيظهر لؤمه وخبث طبيعته. ويعرض الكريم فيعرف كرمه وحسن ملكته. ورشح هذا بقوله: «عوده» والضمير للأروع. **والعود**: طيب معروف تفوح رائحته إذا عرض على النار. والإضافة للتشبيه أيضًا. فلما عرض عوده على نار المكرمة عبقت منه رائحة الكريم ولا يكون ذلك إلا إذا كرمت أصوله في آبائه وأمهاته فظهر أنه معهم في السيادة. وفي نسخة: **في السوابق**: جمع سابقة أي من فعال الخير يريد أن له أعمامًا سادة أو يسبقون إلى الخيرات ولا يكون أعمامه كذلك حتى يكون البيت منبت كرم. **والمخول**: مَن له أخوال وهو مخول في السيادة له فيها أخوال فيكون منبت أمه طيب التربة كمنبت آبائه.

(٤) من عادة الكريم أن يخدع عن ماله لأن المال حقير في نظره فلا يستعمل الحذق في حفظه لكن ذلك إذا كانت الخديعة بالاستجداء وحسن الوسيلة في الاستعطاء أما إذا كانت بطريق الغش في المعاملة فلا ينخدع الكريم لخادعه لأن الانخداع بغش المعامل إنما يكون عن غفلة وبلاهة وليسا من خلال الكرم في شيء. وقد رُوي عن عبد الله بن جعفر بعض الأسخياء المشهورين وهو يدقق في محاسبة أحد معامليه فقيل له: إنك تعطي الآلاف الكثيرة ولا تبالي كيف أعطيتها، فما بالك تسأل عن الدوانق؟ فقال: إنني أسمح بمالي لكن لا أسمح بعقلي. فهذا يمدح الأروع الذي لاقاه بأنه لما خادعه عن ماله خدعه وغلبه بالخديعة. **وساهله**: أتى إليه بما يسهل من بره عليه فتسهل أي صار سهلاً. ويروى بدل من بره في بره.

وَلَمَّا تَـجَـالَيْـنَـا وَأحْـمَـدَ مَـنْـطِـقِـي بَلَانِيَ مِن نَظْمِ القَرِيضِ بِمَا بَلَا[١]
فَـمَـا هَـزَّ إلّا صَـارِمًـا حِـيـنَ هَـزَّنِـي وَلَمْ يَـلْـقَـنِـي إلَّا إلَى الـسَّـبْـقِ أوَّلَا[٢]
وَلَمْ أرَهُ إلّا أغَـــرَّ مُـــحَـــجَّـــلَا وَمَـا تَـحْـتَـهُ إلَّا أغَـرَّ مُـحَـجَّـلَا[٣]

فَقُلْتُ لَهُ: عَلَى رِسْلِكَ[٤] يَا فَتَى وَلَكَ فِيمَا يَصْحَبُنِي حُكْمُكَ[٥]. فَقَالَ: الحَقيبَةُ بِمَا فِيهَا[٦]. فَقُلْتُ: إنَّ وَحَامِلَتَهَا[٧]. ثُمَّ قَبَضْتُ بِجُمْعِي عَلَيْهِ[٨] وَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي أَلْهَمَهَا لَمْسًا. وَشَقَّهَا مِن وَاحِدَةٍ خَمْسًا[٩]. لَا تُزَايِلْنِي أو أعْلَمَ عِلْمَكَ[١٠].

(١) **تجالينا**: جلى كل واحد منا عن نفسه لصاحبه. وجاليته بالأمر: جاهرته. **وأحمد** منطقي: رضيه إذ وجده محمودًا. وأراد من منطقه ما نطق به من نثر الكلام أولاً. وقوله: **بلاني**: أي اختبرني بما اختبرني به من نظم القريض وهو الشعر.

(٢) من عادة الشجاع أن يهز سيفه ليبلوه قبل أن يضرب به وكان جعل اختباره له بالشعر بمنزلة هز الشجاع لسيفه فقال: إنه لما هزني باختباره لم يهز إلا صارمًا أي سيفًا قاطعًا يعني نفسه. ولما ابتلاني في السبق إلى غايات الإجادة لم يلقني إلا أولًا إلى السبق أي أولًا في التقدم إليه.

(٣) **الأغر**: أصله ما في وجهه غرة بيضاء من الخيل أريد به في مثل هذا الموضع الكريم الفعال الواضح النية فيما يفعل. **والمحجل** من الخيل ما في قوائمه كلها أو بعضها بياض يأخذ من موضع الخلخال أي إلى ما فوق ولا يتجاوز الركبة. يضم إلى الأغر في المدح لإفادة أن الكرم كما يظهر في أعالي الفعال يظهر كذلك في أدانيها كما قال:

وأيـامـنـا مـشـهـورة فـي عـدونـا لـهـا غـرر مـعـلـومـة وحـجـول

«وما تحته» معطوف على الضمير في لم أره أي ولم أر ما تحته إلا أغر محجلاً. ولعله كان راكبًا جوادًا عندما لقيه. وعيسى بن هشام يحكي عن نفسه أنه كان راكبًا ناقته في أول سفره. ولعل الجنيبة كانت جوادًا والغرة والتحجيل فيما تحته على حقيقتهما. ويروى في الشطر الأول: إلا أعز بالعين المهملة والزاي. **محجبًا**: من الحجاب أي لم أره إلا أعز الناس جانبًا وأمنعهم من الهيبة حجابًا.

(٤) **على رسلك**: كلمة تقوم مقام قف أو تمهل وأصل الرسل بالكسر التؤدة.

(٥) لك الحكم فيما **يصحبني**: أي فيما معي مما أحمله.

(٦) **الحقيبة**: وعاء المتاع الذي معه يطلبها هي وما فيها من ثياب ونحوها.

(٧) **«إن»** جواب بمعنى نعم وحاملتها أي الناقة التي كانت تحمل الحقيبة معطوفة على ما فهم من «إنّ» وتقدير الكلام أعطيتك الحقيبة وحاملتها.

(٨) **جمعه** بالضم مجموع أصابعه.

(٩) **الضمير** في ألهمها للأصابع التي قبض بها عليه. وألهمها اللمس أودعه فيها. وشقها خمس أصابع من كف واحدة.

(١٠) **لا تزايلني**: لا تفارقني إلا أن أعلم حقيقة حالك. يقال: علمت علمه إذا وقفت على حاله كما هي. وحقيقة القول علمت العلم المتعلق بك ولا يكون الإدراك علمًا إلا إذا كان منطبقًا=

فَحَدَرَ لِثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ(١) فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَمَا لَبِثْتُ أن قُلْتُ:

تَوَشَّحْتُ أَبَا الفَتْحِ ... بِهذَا السَّيْفِ مُخْتَالَا(٢)
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ ... إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا
فَصُغْ مَا أَنْتَ حَلَّيْتَ ... بِهِ سَيْفَكَ خَلْخَالَا(٣)

= على المعلوم.

(١) **حدر** لثامه: أماله عن وجهه حتى انكشف فظهر أن ذلك الفارس الشاكي السلاح هو شيخه أبو الفتح فلم يلبث أن أنشأ هذه الأبيات الآتية.

(٢) **توشح** السيف: تقلده ومثله توشح به. و**المختال**: المعجب بحليته. يقول: إنك تعجب بما تقلدت من هذا السيف غير أنه لا محل للإعجاب فإنه لا ينبغي الإعجاب بشيء إلا إذا كان في الموضع منه. فإن لم يكن قتالاً عارفًا كيف يزعج الأرواح من أجسامها بسيفه فماذا يصنع به وأي موضع للعجب به. ويروى: محتالاً بالهاء المهملة بدل مختالاً. والصواب ما ذكرناه.

(٣) يقول: إذا لم تك قتالًا فتوشح السيف يشينك لا يزينك لأنك لست من أهله فإنما شأنك شأن النساء فصغ الحلية التي حليت بها سيفك واصنعها خلخالًا فهو أليق بك من السيف. وقوله: فما تصنع بالسيف الخ تضمين لأبيات وهي:

لقد بلغت ما قالا ... فما باليت ما قالا
دع السيف لمن يعصي ... به في الحرب أبطالا
وصغ ما كنت حليت ... به سيفك خلخالا
فما تصنع بالسيف ... إذا لم تك قتالا

المقَامَةُ الجَاحِظيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: أَثَارَتْنِي وَرِفْقَةً وَلِيمَةٌ[1] فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا لِلْحَدِيث المَأْثُورِ عَن رَسُولِ الله ﷺ: لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ. وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ[2]. فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ إِلى دَارٍ:

تُرِكَتْ وَالحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ[3]
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ[4]

قَدْ فُرِشَ بِسَاطُهَا. وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا[5]. وَمُدَّ سِمَاطُهَا. وَقَوْمٍ قَدْ أَخَذُوا الوَقْتَ

---

(١) **أثارتني**: أي هيجتني وحركتني لإجابتها مع رفقة دعوا كذلك إليها. فوليمة فاعل أثار.

(٢) **المأثور**: المروي عنه. **والكراع** بضم الكاف مستدق الساق يذكر ويؤنث وهو أحقر عضو في الحيوان يؤكل ولا يدعو إليه إلا مَن بلغ به الفقر غايته. فالحديث تطييب في ترغيب نفس الفقير بإجابته إلى دعوته مهما بلغ منه الفقر وبقبول هديته وإن كانت ذراعًا من لحم. وفيه حث على إجابة الغني وقبول هديته أيضًا استجلابًا لمحبته أو استبقاءً لها. وموضع الإشارة إلى ذلك لفظ «لو» كما لا يخفى.

(٣) **تركت** والحسن: بنصب الحسن أي خلي بينها وبينه. و«**تأخذه**» في موضع الحال كأنها غاية لتركها مع الحسن أي أنه خلي بينها وبين الحسن أي لتأخذ. و«**تنتقي**» بدل من تأخذه تفصيل له بعد إجمال. **والانتقاء** والاختيار: أي تختار منه ما شاءته. يخيل الدار بما استجمعت من وجوه الحسن كأنها شخص مختار قد ملك الحسن يختار من أطواره ما شاء فهو يأخذ أكمله وأبهجه.

(٤) **انتقت**: اختارت. **والطرائف**: جمع طريف وهو الغريب النادر. فاختارت من الحسن غرائبه ونوادره ولم تقتصر اختيارها على ما يتمم بهاءها ويكمل به جمالها بل طلبت من الزيادة على ذلك شيئًا من الحسن تهبه لغيرها فالحسن فيها يفضل عن الغاية.

(٥) **الأنماط**: جمع نمط وهو ظهارة الفرش أيًا كان. وبسط الأنماط تغشية كل فراش بغشائه اللائق به. وكل **مصطف** فهو سماط فمد السماط تصفيف مواد الزينة في جوانبها.

بَيْنَ آسٍ مَخْضُودٍ. وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ. وَدَنٍّ مَفْصُودٍ. وَنَايٍ وَعُودٍ[١]. فَصِرْنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا إِلَيْنَا[٢]. ثُمَّ عَكَفْنَا على خِوَانٍ قَدْ مُلِئَتْ حِيَاضُهُ. وَنَوَّرَتْ رِيَاضُهُ. وَاصْطَفَّت جِفَانُهُ. وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ[٣]. فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ. وَمِن قَانٍ تِلْقَاءَهُ فَاقِعٌ[٤]. وَمَعَنَا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تُسَافِرُ يَدُهُ على الخِوَانِ. وَتَسْفِرُ بَيْنَ الأَلْوَانِ[٥]. وَتَأْخُذُ وُجُوهَ الرُّغْفَانِ. وَتَفْقَأُ عُيُونَ الجِفَانِ. وَتَرْعَى أَرْضَ الجِيرَانِ. وَتَجُولُ في القَصْعَةِ. كالرُّخِّ في الرُّقْعَةِ. يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ[٦]. وَيَهْزِمُ بِالمِضْغَةِ المِضْغَةَ. وَهُوَ

(١) **وقوم** معطوف على دار. **والآس**: شجر ورقه طيب الرائحة تسميه العامة ريحانًا ويعرف في مصر بالمرسين يحملونه إلى المقابر ليوضع على أسنمة القبور. **والمخضود**: مفعول من خضده إذا ثناه من غير كسر. وكثيرًا ما يأتون بالآس يصنعون منه أشكالاً للزينة ولا بد في تشكيله بما يحبون من ثنيه وعطف بعض عيدانه على الآخر. **والمنضود**: المصفوف. **والدن**: وعاء الخمر. **والمفصود**: الذي فض ختامه شبهه بالعرق الذي يفصد فيسيل دمه. وكأن الخمر لنقاوة لونه دم يسيل من العرق إذا فصد. **والناي**: لفظة فارسية لآلة من المطربات تشبه الشبابة عند العرب والنغمات فيها صفيرية. **والعود**: من الآلات ذوات الأوتار معروفة.

(٢) أقبلنا عليهم وانصرفنا نحوهم وأقبلوا علينا.

(٣) **الخوان**: ما يوضع عليه الطعام فإذا وضع عليه سمي مائدة. وأراد من **الحياض**: أوعية الطعام سماها حياضًا إشعارًا بعظمها وغزارة ما وضع فيها. **ونور** الشجر أخرج نوره وهو الزهر. ويريدون من الرياض البقاع بأشجارها والقصد فيها إلى الأشجار. والكلام تمثيل للخوان وما عليه من أنواع الطعام وألوانها بالرياض وألوان أزهارها. **والجفان**: القصع الكبار وخصصها بالذكر مع أنها في الحياض لامتياز لها على سائر الآنية واختلاف الألوان كالتفسير لتنوير الرياض كما أن اصطفاف الجفان للتنصيص على بعض الحياض.

(٤) بيان لاختلاف الألوان فتجد بينها من **الحالك**: أي الشديد السواد وبإزائه **الناصع**: وهو شديد البياض ومن **القاني**: وهو البالغ في الحمرة وتلقاءه **الفاقع**: وهو الشديد الصفرة.

(٥) يشبه يده في تطاولها إلى ما بعد عنه بالمسافر يذهب من بلد إلى بلد ويسند إليها السفر. **وتسفر**: من سفر بين القوم إذا مشى بينهم للصلح. ويده تجمع بين الألوان وتوفق بينها في إشغال المعدة وعمل التغذية وهي إذا امتزجت هناك زال التباين والتضاد بينها.

(٦) **الرغفان**: جمع رغيف وما كان منه إلى أعلى التنور عند خبزه يسمى وجهًا وهو أجوده. وخيل ما في الجفان مقلاً في جفون **وذلك** الرجل يتناول من أوساطها فكأنه يفقأ تلك المقل بيده. وكنى بأرض الجيران عما بين يديهم من الأطعمة واختصاص كل ما بين يديه من الطعام عادة مألوفة عند العرب وفي آداب الشريعة الإسلامية عن النبيّ ﷺ: «كل مما يليك». فكأن ما يلي الآكل أرض له هو أحق برعيها من غيره. **والرخ**: هنا آلة من أحجار الشطرنج يسير على الاستقامة حيث اتجه. **والرقعة**: رقعة الشطرنج. وكان الأدخل في المبالغة لو أرادها أن يقول كالفرز في الرقعة كما لا يخفى لأن الفرز يسير في كل وجه من وجوه الرقعة.

مَعَ ذلِكَ سَاكِتٌ لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ. وَنَحْنُ فِي الحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الجَاحِظِ وَخَطَابَتِهِ. وَوَصْفِ ابنِ المُقَفَّعِ وَذَرَابَتِهِ(١). وَوَافَقَ أَوَّلُ الحَدِيثِ آخِرَ الخِوَانِ وَزُلْنَا عَن ذلِكَ المَكَانِ(٢). فَقَالَ الرَّجُلُ: أينَ أَنْتُمْ مِنَ الحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحظِ وَلَسَنِهِ. وَحُسْنِ سَنَنِهِ في الفَصَاحَةِ وَسُنَنِهِ. فِيمَا عَرَفْنَاهُ(٣). فَقَالَ: يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ. وَلِكُلِّ مَقَام مَقَالٌ. وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَّانٌ. وَلِكُلِّ زَمَانٍ جاحِظٌ(٤). وَلَوْ انْتَقَدْتُمْ. لَبَطَلَ مَا اعْتَقَدْتُمْ. فَكُلٌّ كَشَرَ لَهُ عَنْ نَابِ الإنْكَارِ. وَأَشَمَّ بِأَنْفِ الإكْبَارِ. وَضَحِكْتُ لَهُ لِأَجْلُبَ مَا عِنْدَهُ(٥) وَقُلْتُ: أَفِدْنَا. وَزِدْنَا. فَقَالَ: إنَّ الجَاحِظَ في أَحَدِ شِقَّي البَلَاغَةِ يَقْطِفُ(٦). وَفِي الآخَرِ يَقِفُ. وَالبَلِيغُ مَن لَمْ يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَن نَثْرِهِ. وَلَمْ يُزْرِ كَلَامُهُ بِشِعْرِهِ(٧). فَهَلْ تَرْوُونَ

(١) لا **ينبس**: أي لا ينطق. وقوله: نجري معه أي مع الحديث فهو ينتقل بنا من موضوع إلى موضوعه. والضمير في وقف للحديث أيضًا. **والجاحظ**: من سلفاء العلماء في الأمة الإسلامية مات في خمس وخمسين ومائتين من الهجرة وكان أخطب أهل وقته وأكتب أبناء عصره. **وابن المقفع**: من رجال المائة الثانية من الهجرة من الحكماء المشهورين والبلغاء المعروفين وهو الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من الفارسية. **والذرابة**: حدة اللسان.

(٢) اتفق أن أول الحديث في الجاحظ وابن المقفع كأن في آخر لحظة من جلوسهم على الخوان فقد أقام الخوان مقام وقت تعلق العمل به. **وزال** عن المكان: تنحّى عنه.

(٣) **اللسن** بالتحريك ذلاقة اللسان وحسن انطلاقه في البيان. **والسنن** الأول: بفتح السين الطريقة. **والسنن** الثاني بفتحها وكسرها وضمها النهج. وقوله: «**فيما عرفناه**» أي فيما علمناه من المأثور عنه وعن غيره كان استحساننا لطريقته ونهجه.

(٤) تلك الجمل كلها أمثال في أن الشيء يختلف باختلاف زمانه ومكانه فكلامهم في الجاحظ وتفضيلهم له على مَن سواه يصح لو قيس الجاحظ مع أهل زمنه. فلو قيس إلى أبناء زمانهم فربما كان فيهم مَن يماثل الجاحظ أو يفوقه يريد أنه جاحظ الزمان أو يزيد عليه.

(٥) وفي رواية: عن نابه للإنكار. وأشم بأنفه للإكبار. **كشر** عن نابه: أبداه وكشفه يكون ذلك عند الضحك وشدة الغضب وما هنا من قبيل الثاني. **وأشم** بأنفه: رفعه لإكبار الكلام وإعظامه. والإشارة إلى أنه أكبر من قائله ولا ينبغي أن يصدر من مثله. والرواية التي اخترناها أعلى وأبلغ. ويروى: وضحكت إليه بدل ضحكت له ولأجلب ما لديه بدل لأجلب ما عنده والكل صحيح فصيح.

(٦) **أحد** شقي البلاغة يريد منه النثر. **ويقطف**: من قطفت الدابة إذا ضاق خطوها في المشي. والشقّ الآخر هو النظم. ولس للجاحظ فيه شهرة يزاحم بها الشعراء فكأنه لم يقل فيه شيئًا.

(٧) كأنه يشترط في البليغ أن يكون مجيدًا في النثر والنظم معًا فلا يزري نثره بشعره. أي إذا نظرت إلى كلامه في النثر ثم نظرت إلى شعره في النظم لا تحقر النظم لعلو النثر عليه بل ترى كلًّا=

لِلْجَاحِظِ شِعْرًا رَائِعًا؟ قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَهَلُمُّوا إلى كَلَامِهِ فَهُوَ بَعِيدُ الإشَارَات. قَلِيلُ الاسْتِعَارَاتِ. قَرِيبُ العِبَارَاتِ(١). مُنْقَادٌ لِعُرْيَانِ الكَلَامِ يَسْتَعْمِلُهُ. نَفُورٌ مِن مُعْتَاصِهِ يُهْمِلُهُ(٢). فَهَلْ سَمِعْتُمْ لَهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً. أو كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ(٣)؟ فَقُلْنَا: لَا. قَالَ: فَهَلْ تُحِبُّ أن نَسْمَعَ مِنَ الكَلَامِ مَا يُخَفِّفُ عَن مَنْكَبَيْكَ وَيَنِمُّ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ(٤)؟ فَقُلْتُ: إي وَاللهِ. قَالَ: فَأَطْلِقْ لِي عَنْ خِنْصِرِكَ. بِمَا يُعِينُ عَلَى شُكْرِكَ. فَنُلْتُهُ رِدَائِي(٥). فَقَالَ:

= منهما رفيعًا في بابه. أما من إذا نظرت إلى نثره حقرت شعره بالقياس إليه فليس ببليغ. هكذا يزعم أبو الفتح وما زعمه بصحيح عند أهل الصناعة. نعم إذا اجتمعت الإجادة في النوعين لواحد كان أكمل من المجيد في واحد فقط.

(١) **الضمير** في فهو بعيد الخ للجاحظ أي أنه يوجز في القول ويرمي به إلى معانٍ بعيدة أو يسوق الكلام إلى معانٍ قريبة ثم يومي في سياقه إلى أخرى بعيدة ومع ذلك يسلك مسالك الحقيقة على بعد من الاستعارة وخفي التشبيه. **وقرب** العبارات: دنوها من المتعارف في التخاطب لا ترقى على المألوف بمرتبة عالية.

(٢) **عريان** الكلام ما كان باديًا لسامعه بجوهره لا يكسوه ثوب الصنعة ولا ينجلي في حلل التخييل من نسج القريحة. **ومعتاص** الكلام: هو ما أبدع فيه صاحبه بما يعمل في تزيينه وزخرفته فبعد عن أذهان العامة فاعتاص عليها أي امتنع. وكأن الكلام العريان له غلبة على الجاحظ فهو منقاد له. وقوله: **يستعمله** على تقدير فهو يستعمله ومثل ذلك يهمله. وفي رواية: بديعه عوض معتاصه.

(٣) أي أن المفردات في كلام الجاحظ والأساليب ليس منها شيء يستغربه السمع ويستطرفه بل كله مما لم تلطفه الصنعة ولم يأت منه على النفس ما تعجب له. وهذه الأوصاف التي يعدها كأنها من مناقص كلام الجاحظ هي أعلى مزايا الكلام عند أهله وهي التي ترفع مقامه على غيره وهذا المذهب الذي سلكه الجاحظ هو مذهب رجال البلاغة الأولين ومجال فرسانها السابقين. أما المصنوعات فهي من أحداث الموضوعات لا ينظر إليها إلا صبية هذه الصناعة. ويروى: أو كلمة مسجوعة.

(٤) **المنكب**: مجتمع رأس العضد والكتف. وكأن عيسى بن هشام قد حمل حملاً ثقيلاً بالتزامه المدافعة عن الجاحظ ولا يجد سبيلاً لإلقاء هذا الحمل ما لم يجد دليلاً واضحًا على خلاف ما يعتقد وأبو الفتح يريد أن يأتي له من الكلام بما يقنعه بأن في الناس مَن هو أفصح لسانًا من الجاحظ وأدق منه صنعة فيخف الحمل عن منكبيه ويجد راحة اليقين بما كشف له من الحقيقة. **ونم** عليه: أفشى حاله وبثه في الناس. **وما في يديه** كنى به عن المال وكأن هذا الكلام يحمل عيسى بن هشام على بذل ماله فيشيع ذكره بين الناس به.

(٥) **الخنصر**: أقصر الأصابع ويضرب المثل بعقده في الحرص فيقال: هذا مما تعقد عليه الخناصر أي يحرص عليه لأنه أول ما يقبض العاد عقد الحسب على الأصابع وآخر ما يفتح منها بعد=

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْدَا(١)
فَتًى قَمَرَتْهُ المَكْرُمَاتُ رِدَاءَهُ وَمَا ضَرَبَتْ قِدْحًا وَلَا نَصَبَتْ نَرْدَا(٢)
أَعِدْ نَظَرًا يَا مَن حَبَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدَعِ الأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَدًّا(٣)
وَقُلْ لِلأُولَى إن أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضُحًى وَإِنْ طَلَعُوا فِي غُمَّةٍ طَلَعُوا سَعْدَا(٤)

= قبض خمسة وتكميل الحساب إلى العشرة. فبفتحه تكون الكف كلها مبسوطة وهو أقرب الأصابع طرفًا إلى الكف فإذا انقبض الكف على شيء كان أول إصبع ينطبق عليه هو الخنصر فكأنه وضع المعقد على شيء في الكف. فقوله: أطلق لي خنصرك كناية عن ابسط يدك إلي بعطاء يحرك في نفسي داعية إلى مدحك فينطلق به لساني وتجود قريحتي فإن الكلام إذا لم يكن له من النفس باعث فقلما يكون جيدًا. وفي نسخة: أطلق لي عن خصرك بدون نون بعد الخاء. **والخصر**: ما بين الأضلاع ورأس الورك. ومن عادة أهل الخيلاء أن **يتخصروا**: أي يضعوا أيديهم في خصورهم فيكون خصره بين إبهامه وسبابته فإذا أطلق خصره فقد خلي من خيلائه وهبط إلى معرفة حال مخاطبه أو مجالسه فصار إطلاق الخصر كناية عن إعطاء المخاطب حقه وإجابة السائل إلى سؤله. ويقال في تفسير **أطلق** خصرك: اخرج لي عن ردائك واخلعه علي لأن الرداء ملفوف على الخصر فيطلق عنه بخلعه. وهو قريب أيضًا. وقوله: **فنلته**: أي أعطيته ردائي إذ لم يكن معي ما أنقده.

(١) إذا حشيت الثياب وملئت بالمجد ولا مالىء لها إلا لابسها فكأن لابسها هو المجد بعينه.

(٢) **قمرته**: أي غلبته في القمار والغالب فيه يأخذ من المغلوب ما تقامرا عليه من المال. فقد أنزل المكرمات منزلة مقامر مع الممدوح فغلبته فسلبته ثيابه والانغلاب للمكارم فخر للمغلوب وأي فخر أعظم من أن يكون الرجل مشيرًا تحت سلطان المكارم وهو الغالب على إرادته. ثم نفى عنه أن يكون منه مع المكارم ما يكون بين المتقامرين من طلب كل غلبة الآخر فقال: إن المكارم في غلبتها لم تضرب **قدحًا** وهو بالكسر سهم القمار لأن من عادتهم كانوا إذا تقامروا أن يأتوا بسهام كتب على بعضها نصيب وأغفل البعض الآخر ثم أجالوها وهو المعنى من ضربها ثم مد كل يده فمن خرج له ذو النصيب فاز ومَن خرج له الغفل غرم. **والنرد**: بالفتح آلة للعب القمار تعرف اليوم عند العوام بالطاولة. فالمكارم وإن كانت قمرته إلا أنها لم تستعمل معه آلة القمار بل كان الغلب لها لذاتها.

(٣) يطلب منه أن يعيد النظر في حاله فيمنحه منحة أخرى سوى الرداء فيحفظ نفسه من الأيام التي تهدمه بشدائدها هدًّا والهدم والهد بمعنى واحد.

(٤) **«الأولى»** في مكان «الذين» وأراد منهم هنا القوم المجتمعين مع الممدوح في مجلسهم ووصفهم بأنهم إن **أسفروا**: أي أشرقوا وظهروا على عوائدهم كان إشراقهم إشراق **الضحى** وهو ضوء الشمس عند سطوعه بعد أول طلوعها وهو أظهر ما يكون من ضيائها. وإن طلعوا في **غمة**: أي ظلمة طلعوا مطالع السعد وفي الكواكب سعد ونحس. فهؤلاء إن برزوا للكروب جلوها دائمًا فهم سعد أبدًا.

صِلُوا رَحِمَ العُلْيَا وَبُلُّوا لَهَاتَهَا   فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدَا(١)

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَارْتَاحَتِ الجَمَاعَةُ إلَيْهِ. وَانْثَالتِ الصِّلَاتُ عَلَيْهِ(٢). وَقُلْتُ لَمَّا تَآنَسْنَا: مِن أيْنَ مَطْلِعُ هذَا البَدْرِ؟ فَقَالَ:

إسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي   لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ   وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي

(١) **صلوا** رحم العليا الخ مفعول قل. **والعليا**: الشرف وقد أقامها مقام نسيب من أنسبائهم يحتاج منهم إلى صلة الرحم والإحسان إليه. **واللهاة**: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. إذا عطش الشخص قالوا: جفت لهاته ويبست. فكأنه يقول العليا من ذوي نسبكم وهي عطشى فبلوا لهاتها وارووها بالعطاء. **والندى**: يطلق على الكرم وهو المعنى القريب المراد هنا وعلى رطوبة الهواء وهو أصل المعنى في المادة. **والوابل**: الغزير وفي غزارة الندى حياة الأرض بنباتها فإن أريد المعنى الثاني كان السح والوابل على حقيقتهما وتكون القضية من قبيل الاستدلال بضرب المثل أي كما أن خير الندى ما سح وابله حالاً كذلك خير الكرم ما أغزر نائله وأسرع عاجله. وإن كان المراد من الندى معناه الأول فالسح والوابل تخييل له في صورة الأول.

(٢) **الصلات**: جمع صلة أراد منها العطايا. وإنما سميت بالصلة لأنها تصل ما بين المعطي والآخذ وتربط بينهما برباط المحبة. **وانثالت**: انهالت وانصبت عليه من الحاضرين. وبقية الكلام والبيتان واضح المعنى.

المقامَةُ المَكفوفيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ أَجْتَازُ فِي بَعْضِ بِلَادِ الأَهْوَازِ[١]. وَقُصَارَايَ لَفْظَةٌ شَرُودٌ أَصِيدُهَا. وَكَلِمَةٌ بَلِيغَةٌ أَسْتَزِيدُهَا[٢]. فَأَدَّانِي السَّيْرُ إلى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ البَلَدِ[٣] وَإِذَا هُنَاكَ قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْبِطُ الأَرْضَ بِعَصًا عَلَى إِيقَاعٍ لَا يَخْتَلِفُ وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ الإِيقَاعِ لَحْنًا[٤]. وَلَم أَبعُدْ لِأَنَالَ مِنَ السَّمَاعِ حَظًّا[٥]. أو أَسْمَعَ مِنَ الفَصِيحِ لَفْظًا. فَمَا زِلْتُ بِالنَّظَّارَةِ[٦] أَزْحَمُ هذَا وَأَدْفَعُ ذاكَ حَتَّى وَصَلْتُ إلى الرَّجُلِ وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إلى حُزُقَّةٍ كَالقَرَنْبَى أَعمَى مَكْفُوفٍ. فِي شَمْلَةِ صُوفٍ. يَدُورُ كَالخُذْرُوفِ[٧]. مُتَبَرْنِسًا بِأَطْوَلَ

---

(١) **اجتاز**: مر. **والأهواز**: تسع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ولكن لا تفرد باسم هوز وهي: رامهرمز وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيري وإيذج ومناذر.

(٢) **قصاراه**: غايته ونهايته أي قصارى ما أطلب أن أصيد لفظة تشرد عن الأذهان ولا تتقيد بها لقلة استعمالها إلا على ألسنة البلغاء والفصحاء فهي ليست مبتذلة تطرق الآذان كل يوم. **وأستزيدها**: أطلب زيادتها على ما عندي. ويروى: أستفيدها.

(٣) يريد بالبلد أحد بلاد الأهواز لأن الأهواز عدة كور كما تقدم فتعريفها للعهد الذهني.

(٤) أي أن قرعه بالعصا كان على أصول الأنغام ليس فيه اختلال ولا تشويش وهو معنى الاختلاف. **والإيقاع**: هو أن يوقع المغني كل لحن موقعه ويبينه ويميزه عن غيره. وقد علم من الإيقاع في قرع العصا أن معه لحنًا في الصوت أيضًا.

(٥) كنى بنفي البعد عن القرب والدنو من المتكلم لينال حظًا من سماعه.

(٦) **النظارة**: القوم يجتمعون لينظروا إلى شيء من قتال ونحوه وهؤلاء قد اجتمعوا لينظروا المتكلم.

(٧) **الحزقة**: والحزق العظيم البطن القصير وإذا مشى كأنه يدير عجزه. **والقرنبى** بالقصر: دويبة تشبه الخنفساء طويلة الرجلين ولفظ «منه» متعلق بما هو حال من حزقة تقدم عليها ولو أخر لكان وصفًا لها وهو من باب التجريد كما تقول لقيت به أسدًا ورأيت فيه شيخًا جليلاً. كأن هذا=

مِنهُ[١] مُعْتَمِدًا على عَصًا فِيهَا جَلَاجِلُ يَخْبِطُ الأرْضَ بِهَا عَلَى إيقَاعِ غَنِجٍ. بِلَحْنٍ هَزِجٍ. وَصَوْتٍ شَجٍ. مِنْ صَدْرٍ حَرِجٍ[٢]. وَهُوَ يَقُولُ:

يَا قَوْمُ قَدْ أثْقَلَ دَيْنِي ظَهْرِي وَطَالَبَتْنِي طَلَّتِي بِالمَهْرِ[٣]
أصْبَحْتُ مِن بَعْدِ غِنًى وَوَفْرِ سَاكِنَ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرِ[٤]
يَا قَوْمُ هَل بَيْنَكُمُ مِن حُرٍّ يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ[٥]
يَا قَوْمُ قَد عِيلَ لِفَقْرِي صَبْرِي وَانْكَشَفَتْ عَنِّي ذُيُولُ السِّتْرِ[٦]
وَفَضَّ ذَا الدَّهْرُ بِأيْدِي البَتْرِ مَا كَانَ لِي مِنْ فِضَّةٍ وَتِبْرِ[٧]
آوِي إلى بَيْتٍ كَقَيْدِ شِبْرِ خَامِلَ قَدْرٍ وَصَغِيرَ قِدْرِ[٨]

= المتكلم مجموع كرائه من جملتها الحزقة مع أن الحزقة هو بعينه. ويصح أن يكون «منه» متعلقًا بسرحت أي أطلقت النظر منه إلى كذا أي بسببه وفيه وهو ظاهر. و**مكفوف**: صفة مؤكدة لأعمى أي مكفوف البصر ممنوع من النظر. و**الشملة**: كساء يشتمل به. و**الخذروف**: كما تقدم حصاة تعمل من الطين وتثقب فيجعل فيها الصبيان خيطًا فيديرها الصبي على رأسه في الهواء بسرعة يضرب بسرعته المثل.

(١) **متبرنسًا**: من برنس إذا لبس البرنس وهو كل ثوب يكون غطاء الرأس جزءًا منه متصلاً به. فهذا الرجل برنسه يزيد عنه طولاً وهو دليل على أن البرنس لم يكن مفصلاً عليه بل جاءه من مانح.

(٢) **الغنج**: الحسن. و**الهزج**: الذي فيه هزج وهو الترنم. و**الصوت** الشجي: الصادر عن حزن وأسف ونسبة الشجي إليه مع أن الشجي صاحبه لأنه مظهر الحزن الكامن في قلب الحزين. و**الحرج**: الضيق. والكناية بضيق الصدر عن شدة الغم مبذولة غير مجهولة.

(٣) **يشكو** من ثقل الدين عليه بثقل مطالبة الغرماء له كأنما يحمل على ظهره ما لا يحتمل وزاده ثقلاً مطالبة طلته (بفتح الطاء) أي زوجته بمهرها.

(٤) **الوفر**: الزيادة في الثروة. و**القفر**: ما لا نبات فيه ولا عمران. وحليف الفقر معاهدة الذي لا يسلمه.

(٥) **صروف** الدهر: ما يأتي به من شدائد.

(٦) **عيل صبره**: غلب من شدة الفقر. ومن عادة الغني أن يستر ما في النفس من حاجة وذلة فإذا نزل الفقر انكشف ستر الغنى. ورشح استعارة الستر بالذيول.

(٧) **فضه**: فرقه. وذا اسم إشارة فاعل فض. والدهر بدل منه. و**البتر**: القطع. و«ما كان» مفعول فض. و**التبر**: الكسر ما كان من الذهب غير مسكوك وأراد منه الذهب مطلقًا. أي فرق هذا الدهر ما كان عندي من فضة وذهب بيد باترة قاطعة مبيدة.

(٨) **آوي** إلى البيت: أرجع إليه للثواء به. و**قيد الشبر** وقاده: مقداره. يصف ضيق البيت حتى أن مساحته لا تزيد على شبر. و**خامل القدر**: ساقطه لا ذكر له بين الناس ولا منزلة له في قلوبهم. =

لَوْ خَـتَـمَ اللهُ بِـخَـيْـرِ أَمْـرِي أَعْـقَـبَـنِـي عَـنْ عُـسْـرٍ بِـيُـسْـرِ(١)
هَلْ مِن فَتًى فِيكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ مُحْتَسِبٍ فِيَّ عَظِيمَ الأَجْرِ(٢)
إن لَم يَكُنْ مُغْتَنِمًا لِلشُّكْرِ

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَرَقَّ لَهُ وَاللهِ قَلْبِي وَاغْرَوْرَقَتْ لَهُ عَيْنِي(٣). فَنُلْتُهُ دِينَارًا كَانَ مَعِي. فَمَا لَبِثَ أن قَالَ:

يَـا حُـسْـنَـهَـا فَـاقِـعَـةٌ صَـفْـرَاءُ مَـمْـشُـوقَـةٌ مَـنْـقُـوشَـةٌ قَـوْرَاءُ(٤)
يَـكَـادُ أن يَـقْـطُـرَ مِـنْـهَـا الـمَـاءُ قَـدْ أثْـمَـرَتْـهَـا هِـمَّـةٌ عَـلْـيَـاءُ(٥)
نَـفْـس فَـتًـى يَـمْـلِـكُـهُ الـسَّـخَـاءُ يَـصْـرِفُـهُ فِـيـهِ كَـمَـا يَـشَـاءُ(٦)

= **والقدر**: بالكسر ما يطبخ فيه. فهو مع سقوط قدره ليس عنده من القوت إلا ما يسعه قدر صغير.

(١) لو جعل الله خاتمة أمره خيرًا جعل له في عاقبة العسر الذي هو فيه يسرًا وغنى. وفي نسخة: من بدل عن.

(٢) يستفهم استفهام محرض حاث لا استخبار من يطلب الجواب بنعم أو لا. **والنجر** بالفتح الأصل. **واحتساب** الأجر فيه: جعل العوض عما يعطيه نيل الأجر والثواب الأخروي من الله فكأنه حسب عوضه على الله وادخره في خزائنه فهو معدود في حسابه هذا إذا لم يكن مغتنمًا وطالبًا غنيمة الحمد والشكر.

(٣) **اغرورقت** العين: غرقت في دموعها. **ونلته**: أعطيته.

(٤) ينادي حسنها كأنه بادٍ له ظاهر يجيبه في ندائه إبانة منه لظهور حسنها في نهايته. **وفاقعة**: بالرفع خبر لمحذوف استأنفه لبيان وجوه الحسن. **والفاقعة**: الشديدة الصفرة وكان من اللازم تأخيرها عن صفراء لتأتي مؤكدة للوصف غير أنه عدل عن ذلك للوزن وجعلها وصفًا ثم بينه بالصفراء كأنه قال: **فاقعة** في صفرتها ولا خير فيه. **والممشوقة**: الخفيفة. ويروى: مشوفة: أي مجلوة. ويروى مشرقة. **والقوراء** وصف من **قار** الشيء إذا قطعه من وسطه فكان فيه بعد القطع خرق مستدير غير أنه أراد منها هنا المستديرة فقط وجردها عن بقية المعنى كأنه قال: سبكها صانعها مستديرة.

(٥) **لشدة** صفائها وبريقها يكاد الناظر يظن الماء يقطر منها أو يظنها سائلة يقطر ماؤها. وقد كانت هذه الموصوفة ثمرة للهمة العلياء التي أنالته إياها فاقتطفها.

(٦) **نفس** بدل من همة. يدل على أن نفس هذا الفتى كلها همة علياء فهي مبالغة في مدحه بعلو الهمة. ثم فصل ما أجمل بقوله يملكه السخاء كأن السخاء سلطان يملك الممدوح يصرفه في الوجوه التي يشاء ذلك السخاء أن يصرفه فيها فإرادته ما يريد منه الكرم.

يَـا ذَا الَّذِي يَـعْـنِـيـهِ ذَا الـثَّـنَـاءُ مَـا يَـتَـقَـصَّـى قَـدْرَكَ الإِطْـرَاءُ(١)

امْـضِ إلــى اللهِ لَكَ الــجَـزَاءُ

وَرَحِمَ اللهُ مَن شَدَّهَا فِي قَرْنِ مِثْلِهَا(٢). وآنَسَهَا بِأُخْتِهَا. فَنَالَهُ النَّاسُ مَا نَالُوهُ ثُمَّ فَارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَعَامٍ(٣) لِسُرْعَةِ مَا عَرَفَ الدِّينَارَ. فَلَمَّا نَظَمَتْنَا خَلْوَةٌ مَدَدْتُ يُمْنَايَ إلى يُسْرَى عَضُدَيْهِ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَتُرِيَنِّي سِرَّكَ. أو لَأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ. فَفَتَحَ عَن تَوْأَمَتَيْ لَوْزٍ وَحَدَرْتُ لِثَامَهُ(٤) عَن وَجْهِهِ فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: أنتَ أَبُو الفَتْحِ؟ فَقَالَ: لَا.

أَنَــا أَبُــو قَــلَمُــونِ فِــي كُــلِّ لَوْنٍ أَكُــونُ(٥)

اِخْـتَـرْ مِـنَ الْكَـسْـبِ دُونًـا فَــإِنَّ دَهْــرَكَ دُونُ(٦)

زَجِّ الــزَّمَــانَ بِـحُـمْـقٍ إِنَّ الــزَّمَــانَ زَبُــونُ(٧)

لَا تُـكْـذَبَـنَّ بِـعَـقْـلٍ مَـا الـعَـقْـلُ إِلَّا الـجُـنُـونُ(٨)

---

(١) ينادي الممدوح تنويهًا بشأنه. ويعنيه أي يقصده ويتوجه إليه ثنائي هذا وما يتقصى قدره أي ما يأتي على وصف أقصاه الإطراء والمبالغة في المدح. **وامض** إلى الله أي اذهب إلى فضله فجزاؤك مذخور لك عنده. ويروى: على الله. فيكون خبرًا للجزاء وامض لا يتعلق بها شيء بعدها.

(٢) خيّل تلك القطعة الذهبية في صورة ماشية وتخيل لها قرنًا ودعا لمن يربطها في قرن مثلها بالرحمة وجعل ذلك كناية عن إعطاء دينار آخر.

(٣) **متعام** يظهر العمى وليس بأعمى.

(٤) **التوأم**: ما ولد مع غيره في بطن واحد. واللوزة يوجد في قلبها لبان أحدهما بجانب الآخر. شبه عينيه بهما إبانة لصحتهما واستوائهما في الصحة فإن ما كان من اللوز ذا لبين يكون سليمًا جيدًا. **وحدر** لثامه: حوله من موضعه الذي كان يستره من الوجه.

(٥) **أبو قلمون**: ثوب رومي من الإبريسم يظهر للعين في ألوان مختلفة يراعون ذلك في صنعته.

(٦) إذا كان الدهر لا يؤاخي إلا الأدنياء فاختر من الكسب **الدون** أي السافل ليوافيك الدهر كما وافى سائر الأسافل.

(٧) **زجى** الشيء تزجية دفعه برفق أي ادفع عنك شدة الزمان بالحمق فإن الزمان زبون كالناقة التي تدفع بثفنات رجلها عند الحلب.

(٨) **تكذبن** مبني للمجهول أي لا تكذبك نفسك بما تمنيك من الشهرة بالعقل والوقوف عند ما يحده ويرشد إليه فإن العقل ما أودع فيك ليفيدك الخير في حياتك والسعادة في معيشتك. ولا يأتيك بمثل هذه الفائدة إلا الجنون فهو العقل بعينه. وهذا مذهب الشيخ أبي الفتح وعليه كل مجنون. ويروى: لا تكدين بعقل. وهو للمجهول أيضًا من كداه كرماه إذا حبسه. أي لا تكن ممنوعًا بعقلك عما فيه صلاح عيشك.

المقَامَةُ البُخَاريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: أحَلَّنِي جَامِعَ بُخَارَى يَوْمٌ[١] وَقَدِ انْتَظَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِلْكِ الثُّرَيَّا[٢]. وَحِينَ احْتَفَلَ الجَامِعُ بِأَهْلِهِ[٣] طَلَعَ إلَيْنَا ذُو طِمْرَيْنِ[٤] قَد أرْسَلَ صِوَانًا[٥] وَاسْتَتْلَى طِفْلًا عُرْيَانًا يَضِيقُ بِالضُّرِّ وُسْعُهُ. وَيَأْخُذُهُ القُرُّ وَيَدَعُهُ[٦]. لَا يَمْلِكُ غَيْرَ القِشْرَةِ بُرْدَةً[٧]. وَلَا يَكْتَفِي لِحَمَايَةِ رِعْدَةٍ[٨]. فَوَقَفَ الرَّجُلُ وَقَالَ: لَا

---

(١) **أحلني**: جعل لي منه محلاً ويوم فاعل أحل.

(٢) أي اندرجت في جماعة كأنهم في الألفة قد نظموا في سلك انتظمت فيه **كواكب الثريا** وهي مجموع النجوم السبعة التي في عنق الثور لأن هذه الكواكب لا تفترق ومن كان اجتماعهم على مثال اجتماعها كانوا على رباط من المحبة لا ينقطع أو أراد التشبيه في الانضمام مع ضيق المكان. ويروى بدل سلك **سمط** وهو السلك ما دام اللؤلؤ مثلاً منظومًا فيه.

(٣) **احتفل** الجامع بأهله كما يقال: احتفل الوادي بالسيل إذا جاء بملء جوانبه.

(٤) **رداء ومئزر**: كل منهما خلق بال. ويروى بدل إلينا علينا.

(٥) **الصوان**: للثوب وعاؤه الذي يحفظ فيه وقد أرسله أي جعل طرفًا منه على عاتقه وأرسل بقيته تسيل على ظهره لفراغه إذ لو كان فيه شيء ما أمكن إرساله.

(٦) **استتلى**: أي استتبع خلفه طفلاً عريانًا. **وسعه**: أي طاقته تضيق عن احتمال ما به من الضر. ويروى: يضيق بالضر ويسعه أي أنه لا يحتمل الضر ولكن الضر يحيط به. ويروى: يضيق به الضر ويسعه أي أن الضر ملازم له وإنما تختلف عليه أطواره من ضيق به وسعة. **والقر**: البرد قد تسلط عليه فهو في قبضته لا واقي له منه يأخذه إن شاء ويتركه.

(٧) يريد من **القشرة** جلده **والبردة** كساء يلتحف به. أي لا ملحفة له إلا جلده.

(٨) **الرعدة**: الرعشة، والارتعاد من برد ونحوه أي ليست عنده حماية ومنعة. **يكتفي**: أي يمتنع ويتخلص بها من الرعدة. وفي رواية: لا يلتقي لحياه رعدة. **واللحيان**: تثنية لحي وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان وهو منبت اللحية.

يَنْظُرُ لِهذَا الطِّفْلِ إلّا مَنِ اللهُ طَفَّلَهُ[١]. وَلَا يَرِقُّ لِهذَا الضُّرِّ إلّا مَن لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ. يَا أَصْحَابَ الجُدُودِ المَفْرُوزَةِ[٢]. وَالأرْدِيَةِ المَطْرُوزَةِ. وَالدُّورِ المُنَجَّدَةِ. وَالقُصُورِ المُشيَّدَةِ[٣]. إنَّكُمْ لَنْ تَأْمَنُوا حَادِثًا. وَلَن تَعْدَمُوا وَارِثًا. فَبَادِرُوا الخَيْرَ مَا أَمْكَنَ. وَأَحْسِنُوا مَعَ الدَّهْرِ مَا أَحْسَنَ. فَقَدْ وَاللهِ طَعِمْنَا السِّكْبَاجَ. وَرَكِبْنَا الهِمْلَاجَ. وَلَبِسْنَا الدِّيبَاجَ. وَافْتَرَشْنَا الحَشَايَا بِالعَشَايَا[٤]. فَمَا رَاعَنَا إلّا هُبُوبُ الدَّهْرِ بِغَدْرِهِ وَانْقِلَابُ المِجَنِّ لِظَهْرِهِ[٥]. فَعَادَ الهِمْلَاجُ قَطُوفًا[٦] وَانْقَلَبَ الدِّيبَاجُ صُوفًا. وَهَلُمَّ جَرًّا إلى مَا تُشَاهِدُونَ مِن حَالِي وَزِيِّي. فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ ثَدْيَ عَقِيمٍ[٧]. وَنَرْكَبُ مِنَ الفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ[٨]. فَلَا نَرْنُو إلّا بِعَيْنِ اليَتِيمِ. وَلَا نَمُدُّ إلّا يَدَ الغَرِيمِ[٩]. فَهَلْ مِن

---

(١) **طفله الله**: أي رفق به من طفل الراعي الإبل إذا رفق بها في السير حتى تلحقها أطفالها. ويروى: لا يرحم هذا الطفل إلا مَن رحم طفله. أي مَن كانت له رحمة بطفله ويخشى أن ينزل به مثل ما نزل بهذا فليرحمه. ويروى: مَن يرحم الله طفله. وهو ظاهر.

(٢) أراد **بالجدود** الحظوظ والأرزاق المتسعة و**المفروزة** الممتازة كأنهم في حال من ذلك لا يشاركهم فيه غيرهم. ويروى: **الخزوز**: جمع خز وهو الثوب ينسج من صوف وحرير أو حرير فقط. وهذه الرواية أنسب بذكر الأردية.

(٣) **الأردية**: جمع رداء وهو الكساء والبردة. و**المطروز**: المعلم. طرز ثوبه أعلمه. و**المنجدة**: المزينة. و**القصور المشيدة**: المرفوعة أو المطلية بالشيد أي الجص.

(٤) **السكباج**: لحم يطبخ بالخل ويمرق له مرق والمجموع يقال له سكباج وربما أضيف إليه الزعفران وذلك كان من طعام المترفين في تلك الأزمان. و**الهملاج**: الدابة الحسنة السير في سرعة وسهولة. و**الديباج**: الحرير. و**الحشايا**: جمع حشية ما يحشى بقطن أو صوف ليفرش لجلوس أو نوم. و**العشايا**: جمع عشية وهي آخر النهار أو من المغرب إلى العشاء أراد به أوقات الراحة والفراغ.

(٥) **ما راعنا** الخ أي ما شعرنا إلا وقد هب الدهر أي نهض وثار علينا بغدره المعتاد فسلبنا ما كان بأيدينا. و**انقلاب** المجن لظهره: علامة العدوان والمحاربة وقالبه الدهر.

(٦) **القطوف**: الدابة الضيقة الخطا البطيئة السير.

(٧) **المرأة** لا تلد فثديها جاف يابس لا در فيه فكأن الدهر أم له ترضعه من مثل هذا الثدي ولا يجد من الرضاعة إلا ألم تعب المص وهو تمثيل للعدم والفاقة.

(٨) **البهيم** الأسود لا يخالطه لون آخر فهو قد ركب الفقر على أنه في هذا اللون الكريه لا يشوبه بياض اليسر والغنى تصوير لدوام الفقر في جميع حالاته وأوقاته على نمط واحد.

(٩) **لا نرنو**: أي لا ننظر إلا كما ينظر اليتيم واليتيم منكسر القلب بائس البال ينظر إلى مَن تعولهم آباؤهم نظرة الآسف الحزين على فقد ناصره وقلة كاثره وهكذا حال الفقير مع الأغنياء ويد الغريم ثقيلة على مَن تمد إليه فإن صاحب الدين أثقل على مدينه من حينه. أي نمد يدنا إلى مَن=

كَرِيمٍ يَجْلُو غَيَاهِبَ هذِهِ البُؤُوسِ(١). وَيَفُلُّ شَبَا هذِهِ النُّحُوسِ(٢)! ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِعًا وَقَالَ لِلطِّفْلِ: أنتَ وَشَأْنُكَ(٣). فَقَالَ: مَا عَسَى أن أقُولَ وَهذَا الكَلَامُ لَوْ لَقِيَ الشَّعْرَ لَحَلَقَهُ. أوِ الصَّخْرَ لَفَلَقَهُ. وَإنَّ قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ مَا قُلْتَ لَنِيءٌ(٤) وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ. مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ اليَوْمِ. فَلْيُشْغِلْ كُلٌّ مِنْكُمْ بِالجُودِ يَدَهُ. وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ. وَاقِيًا بِي وَلَدَهُ(٥). وَاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ. وَأعْطُونِي أشْكُرْكُمْ. قَالَ عِيسى بنُ هِشَامٍ: فَمَا آنَسَنِي فِي وَحْدَتِي إلَّا خَاتَمٌ خَتَّمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ(٦). فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أنْشَأَ يَصِفُ الخَاتَمَ على الإصْبَعِ وَجَعَلَ يَقُولُ:

وَمُمَنْطَقٍ مِن نَفْسِهِ   بِقَلَادَةِ الجَوْزَاءِ حُسْنَا(٧)

= يبغض مدها إليه ويستثقله. وفي نسخة: العديم بدل الغريم ومعناها الفقير والأول أفضل.

(١) **البؤوس**: جمع بؤس وهو شدة الحاجة. **وغياهبها**: ظلماتها. يريد ما تغشى به القلوب من الحيرة والدهش في طلب ما يدفعها. **ويجلوها**: يكشفها.

(٢) **النحوس**: جمع نحس وهو ما قدر من الشقاء. **وشبا**: جمع شباة وهي من النصل حده ومن السنان ظبته ومن العقرب إبرته تخيلها جارحًا أو واخزًا ذا حد قاطع أو حمة نافذة وهو يطلب من يفلها: أي يثلمها فإذا انثلمت زال أذاها وشرها.

(٣) تكلم عن نفسك كما تكلمت عن نفسي.

(٤) جعل الكلام نارًا أوقدت على قلوب السامعين لتنضجها فتتهيأ للانتفاع بها كما يصنع باللحم ونحوه. وقد كانت نار هذا الكلام في أشد ما يمكن من الالتهاب فقلب لم تنضجه نيء بطبيعته ليس فيه استعداد للنضج. وفي نسخة: «لم ينصحه لغبي» من النصيحة والغباوة.

(٥) أي وليذكر يومًا بعد يومه ربما يحدث له فيه من الحال مثل ما حدث لي ويضطر أن يتناول من الوسائل ما أتناول. وذكر مثل ذلك يحرك الشفقة ويدعو إلى الرحمة. أو أراد من هذه يوم القيامة. وقوله: واقيًا بي ولده صائنًا بما يجود به على ولده من أن يقع في مثل ما وقعت فيه. وهذا من بعض ما يجازي به الله المتصدقين أن يحفظهم في أولادهم إذا حفظوا أولاد غيرهم.

(٦) جعل فراغ يده من النقدين بمنزلة الوحشة من بعد الرفيق فكأنه كان وحيدًا موحشًا ولم يؤنسه مما يمنح إلا ذاك الخاتم. **فختم به**: أي ألبسه خنصر الغلام. ويروى: ختمت به ضجره. أي جعلت إعطاءه له خاتمة لضجره وسآمته من الفقر والفاقة.

(٧) أوصاف للخاتم. **وممنطق**: أي مستدير بمنطقة من نفسه ليست من خارج عنه كما هو المعهود في **المناطق** فإنها أحزمة تشد بها الأوساط. وعبر عن المنطقة التي تمنطق بها الخاتم من نفسه بالقلادة وإن كانت القلادة مختصة بالحلي الذي تقلد به الأعناق لأنه أراد تشبيه ما استدار به بقلادة الجوزاء في الحسن كما قال: لا في مكان الوضع. **والجوزاء**: مجموع كواكب تحسب في البروج الاثني عشر وقلادتها مثل عند العرب في نهاية حسن المطوق.

كَـمُـتَـيَّـمٍ لَقِـيَ الـحَـبِـيـ ـبَ فَـضَـمَّـهُ شَـغَـفًـا وَحُـزْنَـا[١]
مُـتَـأَلِّفٍ مِـنْ غَـيْـرِ أُسْـ ـرَتِـهِ عَـلَى الأَيَّـامِ خِـدْنَـا[٢]
عِـلْقٌ سَـنِـيٌّ قَـدْرُهُ لَـكِـنَّ مَـنْ أَهْـدَاهُ أَسْـنَـى[٣]
أَقْـسَـمْـتُ لَو كَـانَ الـوَرَى فِي المَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَنُلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ الفَوْرِ[٤]. فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا. فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الخَلْوَةُ عَن وَجْهِهِ[٥]. فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. وَإِذَا الطَّلَا زُغْلُولُهُ[٦]. فَقُلْتُ:

أَبَا الفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ الغُلَامُ[٧] فَأَيْـنَ الـسَّـلَامُ وَأَيْـنَ الـكَـلَامُ

---

(١) **المتيم**: المذلل بالحب المستعبد له يشبه به الخاتم في ضمه لخنصره كما يضم من تيمه الحب حبيبه عند لقائه ضمة المشتاق يبعث عليها الشغف وتمكن الحب من القلب قضاء لحق الشوق إن كان غائبًا أو ضمة يبعث عليها الحزن من الفراق عند الوداع وكلاهما في لقاء وفيهما التزام شديد من المحب للحبيب لا يكاد يفارقه.

(٢) **خدنًا**: مفعول به لمتألف. **والمتألف**: طالب الألفة الآخذ بأسبابها. **والأسرة**: العشيرة. **والخدن**: الصاحب والخليل. أي أن هذا الخاتم قد استأنس إلى صديق من غير قبيلته واتخذه على الأيام عونًا. فعلى الأيام متعلق بخدنًا على تأويل المعين لما في الصداقة من معنى المعاونة.

(٣) **العلق**: النفيس من كل شيء. أي أنه نفيس على القدر لكن مَن أعطاه أعلى قدرًا منه فإن خيرًا من الخير فاعله.

(٤) أي تشاركنا في إعطائه بعد ما انفردت في هبة الخاتم لولده ومنحناه ما تهيأ من فورنا أي وقتنا الأول المعقب لكلامه بلا تأخير. **والضمير** في نلناه للرجل لا للغلام.

(٥) أي تبعه حتى انفرد به عن الناس وخلا به فلما أمن اطلاع الناس عليه كشف عن وجهه فكانت الخلوة هي السبب في كشف وجهه لهذا نسب إليها الكشف في قوله: **سفرت** الخلوة: أي كشفت عن وجهه.

(٦) **الطلا والطلو**: ولد الظبي. وقد يقال لكل صغير طلا. وزغلوله أي ولده. ووجه الاستعارة ظاهر.

(٧) رحلت عن الصبا وشخت وهذا سن الكمال يذهب فيه طيش الشباب وتخلفه رزانة الأشياخ. ثم إن غلامك قد شب أي أتى عليه من العمر ما إذا انضمّ إلى عمرك قبل ولادته لكان منهما عمر الشيخوخة فهو تأكيد لقوله شبت. ولا يليق بالأشياخ أن يهملوا سنن الصداقة ومن سننها إذا تلاقى الصديقان فعرف أحدهما الآخر أن يبتدىء العارف بالسلام والكلام ليتم التعارف ثم يفتتح الأنس أبوابه ويمد الحديث أطنابه فأين السلام الواجب عليك إلقاؤه وأين الكلام المفروض إبداؤه.

فَقَـال:

غَـرِيـبًـا إذا جَـمَـعَـتْـنَـا الـطَّـرِيـقُ أَلِيـفًـا إذَا نَـظَّـمَـتْـنَـا الـخِـيَـامُ[١]

فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ.

(١) إذا جمعتنا الطريق وجدتني **غريبًا** أي لا معارفة بيني وبينك فلا سلام ولا كلام لأني لا أريد أن تعرفني فيعرفني الناس. وإذا نظمتنا الخيام وصرنا في أوطاننا وعن الناس في سترة رأيتني أليفًا أفاتحك الكلام وأبدأك بالسلام أي ونحن الآن في طريق فدعني. لهذا قال: فعلمت أنه يكره مخاطبتي.

المقامَةُ القَزْوينيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: غَزَوْتُ الثَّغْرَ بِقَزْوِينَ[١]. سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. فِيمَنْ غَزَاهُ. فَمَا أجزْنَا حَزْنًا. إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا[٢]. حَتَّى وَقَفَ المَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا. فَمَالَتِ الهَاجِرَةُ بِنَا إلى ظِلِّ أَثَلَاتٍ[٣]. في حُجْرَتِهَا عَيْنٌ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ. أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ[٤]. تَسِيحُ في الرَّضْرَاضِ. سَيْحَ النَّضْنَاضِ[٥]. فَنِلْنَا مِنَ الطَّعَامِ مَا نِلْنَا. ثُمَّ مِلْنَا إلى الظِّلِّ فَقِلْنَا[٦]. فَمَا مَلَكَنَا النَّوْمُ حَتَّى سَمِعْنَا صَوْتًا أَنْكَرَ مِن صَوْتِ حِمَارٍ. وَرَجْعًا أَضْعَفَ مِن رَجْعِ الحُوَارِ. يَشْفَعُهُمَا صَوْتُ طَبْلٍ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِن

---

(١) مدينة من بلاد الجبل في شماليها من جهة الديلم والكل من بلاد فارس وما كان من وطنك عند حدود بلاد محاربك من دول الأجانب فهو **ثغر**. وفي ذلك التاريخ كانت قزوين من ثغور بلاد المسلمين وما وراءها من البلاد لم يكن قد اكتمل افتتاحه. **وغزا** الثغر داخلاً إليه محاربًا عدوه فيه.

(٢) **الحزن**: ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعًا. **وأجزناه**: خلفناه وراءنا وتركناه. وأراد **بالبطن** ما انخفض منها. يريد أن مسالكهم لم تكن في سهل منبسط ولكن كانت من نجود إلى وهود.

(٣) **الهاجرة**: وسط النهار في القيظ وفيها يشتد الحر فهي على ما كان من حرها ألجأتنا إلى الاستظلال بظل الأثلات. **والأثل**: نوع من الشجر معروف يشبه الطرفاء.

(٤) **الحجرة**: الناحية أي في ناحية الأثلات والقرب منها ينبوع ماء ينبغ منه أشبه بلسان الشمعة أي شعلة فتيلتها في صفائها ولمعانها وفسر ذلك بقوله: أصفى من الدمعة واحدة دمع العين وهو مما يضرب به المثل في الصفاء.

(٥) **الرضراض**: الحصى والأرض المرضوضة بالحجارة. **والنضناض**: الحية لا تستقر في مكان وإذا نهشت قتلت. أي أن ماء هذه العين يجري على الحصباء جري الحية المذكورة.

(٦) تناولوا من الطعام ما تناولوه ثم مالوا إلى الظل ظل تلك الأثلات فقالوا: أي ناموا للقيلولة.

مَاضِغَيْ أَسَدٍ[١]. فَذَادَ عَنِ القَوْمِ. رَائِدَ النَّوْمِ[٢]. وَفَتَحْتُ التَّوْأَمَتَيْنِ إِلَيْهِ وَقَدْ حَالَتِ الأَشْجَارُ دُونَهُ. وَأَصْغَيْتُ[٣] فَإِذَا هُوَ يَقُولُ، عَلَى إِيقَاعِ الطُّبُولِ:

أَدْعُو إِلَى اللهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيبْ ... إِلَى ذَرًا رَحْبٍ وَمَرْعًى خَصِيبْ[٤]
وَجَنَّةٍ عَالِيَةٍ مَا تَنِي ... قُطُوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغِيبْ[٥]
يَا قَوْمُ إِنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ ... مِن بَلَدِ الكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبْ[٦]
إِن أَكُ آمَنْتُ فَكَمْ لَيْلَةٍ ... جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ المُرِيبْ[٧]

---

(١) **الحوار**: ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه. **ورجعه**: خطوه. والمراد هنا صوت الوقع لخطوه. ووطأة الجمل خفيفة الوقع ووطأة الحوار أخف وقعًا وأضعف صوتًا. يريد أنه سمع صوتًا منكرًا ووطئًا خفيفًا وجعلهما شيئًا واحدًا لأنهما لشخص واحد. وجعل صوت الطبل **شافعًا** لهما: أي جاعلاً لهما شفعًا بعد أن كان وترًا بحسب منشئهما. **وماضغا** الأسد أصول لحييه عند منبت الأضراس. شبه صوت الطبل بصوت الأسد الذي يخرج من بين ماضغيه في الشدة والضخامة.

(٢) **ذاد**: أي طرد النوم الشبيه بالرائد وهو مَن يتقدم القوم إلى مكان الخصب ليعود إليهم بخبره. والشبه في عدم الاستقرار حيث يرود.

(٣) **التوأمتان**: تثنية توأمة مؤنث توأم وهو ما يولد مع غيره في بطن واحد. أراد بهما العينين لأنهما تخلقان معًا فشبههما بالتوأمين أي نظرت إليه. **وأصغيت**: أي أملت أذني لأحقق ما يأتي به الصوت.

(٤) يزعم أنه يدعو إلى الله وهو خير مَن يدعى إليه أي إلى الإيمان به والأخذ بشريعته وملازمة ما أمر ومجانبة ما نهى. ثم أبدل من «إلى الله» «إلى ذرى الخ». **والذرا والكنف**: الناحية. **والرحب**: الواسع. **والمرعى**: مكان الرعي. **والخصيب**: الكثير العشب. وفي نسخة بدل مرعى عيش. **وخصب** العيش: رفاهته لأن مَن دعا إلى الله فقد دعا إلى سعادة الآخرة من الاستحفاظ بكنف الله الواسع الذي لا يضيق عن أهله سبحانه وإن تجاوز عددهم حد النهاية وهناك رفاهة العيش ولينه الذي لا تخالطه خشونة وشظف. وشبه مواطن اللذات الأبدية بالمرعى الكثير العشب لأن فيها كل ما تشتهي نفوس الصالحين مما يليق بنعيم أبدي في حياة أبدية.

(٥) **الجنة**: دار الجزاء على الأعمال الصالحة في الدار الباقية وهي في شأنها عالية تسمو بما فيها على كل نعيم يتصور في جنان الدنيا. **وما تني**: ما تزال قطوفها أي ثمار أشجارها دانية أي قريبة من متناوليها لا تغيب عنهم. وكل ذلك تصوير لملازمة اللذات لأنفس المؤمنين في حياتهم الأخرى وصفائها عن ألم الشوق إلى المشتهى لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب.

(٦) شروع منه في ذكر سابق حاله بعد ما ذكر حاضره. وهذا كان سدى الحيلة وذلك لحمتها وبها يتم نسيجها. **وتائب**: أي راجع إليكم من بلد الكفر. **والخروج** من بلاد الكفر فرارًا من كفر أهلها توبة إلى الله ورجوع إليه بالإيمان. ويروى: **ثائب** بالثاء المثلثة ومعناه راجع أو آت.

(٧) إن كان قد آمن اليوم فقد جحد ربه وأتى من المنكرات ما **يريب** فاعله أي يقلقه ويزعجه في ليالٍ كثيرة. وفي نسخة: «جحدت فيها وعبدت الصليب» بدل ما تقدم.

يَـا رُبَّ خِـنْـزِيـرٍ تَـمَـشَّـشْـتُـهُ وَمُسْكِرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبْ(١)
ثُـمَّ هَـدَانِـي اللهُ وَانْـتَـشَـانِـي مِن ذِلَّةِ الكُفْرِ اجْتِهَادُ المُصِيبْ(٢)
فَظَلْتُ أُخْفِي الدِّينَ في أُسْرَتِي وَأَعْـبُـدُ اللهَ بِـقَـلْـبٍ مُـنِـيـبْ(٣)
أَسْـجُـدُ لِلَّاتِ حِـذَارَ الـعِـدَى وَلَا أَرَى الكَعْبَةَ خَوْفَ الرَّقِيبْ(٤)
وَأَسْـأَلُ اللهَ إذَا جَـنَّـنِـي لَيْـلٌ وَأَضْـنَـانِـي يَـوْمٌ عَـصِـيبْ(٥)
رَبِّ كَـمَـا أَنَّـكَ أَنْـقَـذْتَـنِـي فَـنَـجِّـنِي إنَّنِي فِـيـهِـمْ غَـرِيـبْ(٦)
ثُـمَّ اتَّـخَـذْتُ الـلَّـيْـلَ لِي مَـرْكَـبًـا وَمَا سِوَى العَزْمِ أَمَامِي جَنِيبْ(٧)

---

(١) بيان لمربيات الأعمال التي كان يأتيها أيام جحوده. وإنما اقتصر منها على تمشش الخنزير وإحراز النصيب من المسكر لأنهما في المتعارف بين الناس من أبين ما يدل على استباحة ما حرم في الدين الإسلامي. **وتمشش** الخنزير: أكل مشاشه وهي رؤوس عظامه اللينة واحدتها مشاشة.

(٢) أرشده الله إلى الحق بعد الضلال عنه. **وانتاشه**: أي أخرجه من ذل الكفر وخلصه منه اجتهاده ونظره في الدلائل بقوة الفكر بدون معلم. ووصف اجتهاده بالمصيب لأنه أصاب الواقع وانطبق على الحقيقة وإنما كان في الكفر ذلة لأنه بطل وليس في الوجود أعز من الحق ولا أذل من الباطل وأهله وأي ذل أعظم من خزي الجهل الذي هو مبعث الكفر.

(٣) **أسرته**: عشيرته وكان يخفي دينه وهو فيهم لأنهم كفرة ويعبد الله سرًا بقلب راجع إليه وتائب.

(٤) **اللات**: من أصنام العرب كانت لثقيف بالطائف زعموا أنه سمي برجل كان يلت عنده السمن بالزيت ويطعم الحاج. وعن مجاهد: كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره ثم اتخذوه وثنًا. وسجوده للات دليل على أنه لم يكن صليبيًا فلا تصح الرواية التي ذكرناها سابقًا ولو كان صليبيًا لقال أسجد للابن. **والعدى**: اسم جمع للعدو. **وحذار**: مفعول لسجوده للات يبين سببه فالحامل عليه إنما هو خوف الأعداء. **ولا يرى** الكعبة: أي لا يستقبلها في صلاته خوفًا من الرقيب يشي عليه أنه آمن فيقتلونه. وعبّر عن الاستقبال بالرؤية ذكرًا لاسم الملزوم وإرادة اللازم لأن مَن رآك فقد استقبلك غالبًا.

(٥) **جنه** الليل: ستره. **وأضناه**: نهكه وأضعفه. واليوم **العصيب**: الشديد وإنما الشدة لما يعرض فيه من الآلام والمعاناة التي لا تحتمل.

(٦) بيان للسؤال الذي ذكره في البيت السابق.

(٧) إذا ركب المسافر راحلة أو جوادًا وقاد معه راحلة أخرى أو جوادًا آخر حتى إذا تعب المركوب راوح على المقاد قيل للمقاد **جنيب** ومجنوب ومجنب. فهذا الشاعر ركب ليله وبئس المركب وليس له جنيب يراوح عليه سوى عزمه وما أتعبه سواه فأية شدة لاقاها في سفره. ويروى بدل جنيب نجيب **والنجيب** من المراكب كريمها.

فَقَدْكَ مِن سَيْرِيَ فِي لَيْلَةٍ يَكَادُ رَأْسُ الطِّفْلِ فِيهَا يَشِيبْ[١]
حَتَّى إذَا جُزْتُ بِلَادَ العِدَى إلَى حِمَى الدِّينِ نَفَضْتُ الوَجِيبْ[٢]
فَقُلْتُ إذْ لَاحَ شِعَارُ الهُدَى نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبْ[٣]

فَلَمَّا بَلَغَ هذَا البَيْتَ قَالَ: يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعَزْمٍ لَا الْعِشْقُ شَاقَهُ. وَلَا الفَقْرُ سَاقَهُ[٤]. وَقَدْ تَرَكْتُ وَرَاءَ ظَهْرِي حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا[٥]. وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا[٦]. وَخَيْلًا مُسَوَّمَةً. وَقَنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً. وَعُدَّةً وَعَدِيدًا[٧]. وَمَرَاكِبَ وَعَبِيدًا[٨]. وَخَرَجْتُ خُرُوجَ الحَيَّةِ مِن جُحْرِهِ[٩]. وَبَرَزْتُ بُرُوزَ الطَّائِرِ مِن وَكْرِهِ[١٠]. مُؤْثِرًا دِينِي عَلَى دُنْيَايَ[١١].

---

(١) **قدك** بمعنى حسبك أي يكفيك أن تعلم ما أرهقني من النصب والعناء في سيري في ليلة محشوة بالخطر مفعمة بالرعب والفزع خوف اطلاع الأعداء على ما أسررت فيقتلونني.

(٢) **جاز** بلاد العدى: خلفها وتركها. وفي نسخة: **العمى**: أي الكفر والضلال. **وحمى الملك**: ما يحميه من سطوة غيره ومَن دخله كان آمنًا فكذا حمى الدين أرضه المسكونة بأهله من دخلها منهم أمن. ونفضت بالفاء من **نفض** السور إذا قرأها إلى آخرها. **والوجيب**: خفقان القلب ورجفانه. وعند الأمان ينتهي الرجفان. وقد يكون من نفض الغبار عن ثوبه أي أزال الوجيب عن قلبه كما يزيل الغبار عن ثوبه.

(٣) **شعار** الهدى: علامته. **ولاح**: ظهر. والبقية ظاهرة.

(٤) دستها والمراد أتيتها. لا **يشوق** عزمي عشق: أي لا يهيجه شوق سببه العشق ولا الفقر ساقني إليكم طلبًا للغنى. ويروى: بقلب بدل بعزم.

(٥) **الحدائق**: جمع حديقة وهي الروضة ذات الأشجار.

(٦) **الكواعب**: جمع كاعب وهي الجارية نهد ثديها. **والأتراب**: جمع ترب وهو مَن يكون على سنك. أي جوار فتيات ليس فيهن تفاوت ينقص حسن الكبيرة منهن.

(٧) **المسومة**: المعلمة كأنها أعلمت لتمتاز عن غيرها وتعرف أنها الجياد. **والقناطير** المقنطرة: أي من الذهب والفضة. **والعدة**: ما تعده لمغالبة مناويك فتغلبه به. وأراد من **العديد** قومه الكثير وجمعه الغفير.

(٨) **المراكب**: جمع مركب ما يركب عليه من حيوان وغيره كالعجلات مثلاً.

(٩) ذكر ضمير الحية لأنها تطلق على الذكر كما تطلق على الأنثى كإنسان فإذا أرادوا التمييز قالوا: حية ذكر أو أنثى. فتاؤها للوحدة لا للتأنيث كتاء دابة يقولون: دابة سريع وسريعة.

(١٠) **وكر** الطائر: مثواه وموضع مبيته ومبيضه في جبل أو عمارة. فإن كان في أفنان الشجر فهو **عش**. وإن كان في الأرض فهو أفحوص. والتشبيه في الفقرتين مثل لسرعة الانطلاق.

(١١) **مؤثرًا**: أي مختارًا ومفضلاً ديني والإخلاص فيه على دنياي التي سبق ذكرها وهو شأن أضعف المؤمنين إيمانًا فضلاً عن أقواهم.

جَامِعًا يُمْنَايَ إِلَى يُسْرَايَ. وَاصِلًا سَيْرِي بِسُرَايَ[١]. فَلَوْ دَفَعْتُمُ النَّارَ بِشَرَارِهَا. وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِحِجَارِهَا[٢]. وَأَعَنْتُمُونِي عَلَى غَزْوِهَا مُسَاعَدَةً وَإِسْعَادًا. وَمُرَافَدَةً وَإِرْفَادًا[٣]. وَلَا شَطَطَ فَكُلٌّ على قَدْرِ قُدْرَتِهِ[٤] وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ. وَلَا أَسْتَكْثِرُ البَدْرَةَ. وَأَقْبَلُ الذَّرَّةَ[٥]. وَلَا أَرُدُّ التَّمْرَةَ. وَلِكُلٍّ مِنِّي سَهْمَانِ سَهْمٌ أُذَلِّقُهُ لِلِّقَاءِ. وَآخَرُ أُفَوِّقُهُ بِالدُّعَاءِ. وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ. عَنْ قَوْسِ الظَّلْمَاءِ[٦].

---

(١) **المتردد في الأمر**: يقال فيه يقدم رجلاً ويؤخر أخرى أما **الناهض** به فيجمع كلاً منهما إلى الأخرى في التقدم إليه فيمناه ويسراه في رجليه. وقد يجوز أن يكون كناية عن فراغ اليد من المال لأن من جمع إحدى يديه إلى الأخرى لم يكن في واحدة منهما ما يملأها فيشغلها عن الانضمام إلى صاحبتها. وقد تكون كناية عن جمع قواه كلها للنجاة من أعدائه والفرار من بينهم. وعبر باليدين لأنهما موضع البطش ومظهر القوة في الإنسان. وأراد من **السير**: المشي في النهار. **والسرى**: هو المشي في الليل.

(٢) «**لو**» هٰهنا هي التي للحض والتحريض بمعنى هلا. أو هي التي للتمني بمعنى ليت. **ورمي** النار بشرارها مثل في مدافعة الشر بمثله كما قال: ودناهم كما دانوا. وإنما يكون الشيء مثل الشيء إذا كان من جنسه كما أن الشرر من جنس النار. ولأنه كان من ملّة الروم جعل نفسه شرارة من نارهم فلو رموهم به وأغزوه بلادهم لكان أنكى لهم. ويقال: رمى فلان **بحجره**: أي بقرنه الذي يضارعه في الصلابة وهو تعبير لسابقه.

(٣) **غزا** العدو طرقه في بلاده لانتهابه فيها أو إجلائه عنها. والمساعدة مفاعلة من **سعد** ضد شقي. **والمتعاونان** كل منهما يسعد الآخر. وهؤلاء يسعدونه إذا عاونوه بإبلاغه مطلبه من نيل شرف الشهادة وهو يسعدهم بإضعاف عدوهم وتنكيله. فإن لم يكن عملكم للمشاركة في السعادة فليكن تفضلاً منكم بإسعادي. **والمرافدة**: أن يعطي كل من معونته صاحبه. **والإرفاد**: بمعنى الإعطاء والمساعدة. ويقال في المصدرين مثل ما قيل في الإسعاد والمساعدة.

(٤) **الشطط**: مجاوزة الحد والقدر أي لا تكلفون شططًا يزيد على ما تستطيعون.

(٥) **البدرة**: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار. **والذرة**: واحدة الذر وهو صغار النمل يضرب بها المثل في القلة والحقارة. ويقال لكل جزء من أجزاء الهباء ذرة.

(٦) مَن أعانني فله مني حظان حظ آجل وهو السعي في عمل يستحق به ثواب الآخرة يوم لقاء الله عزّ وجلّ وحظ عاجل وهو توجهي إلى الله بالدعاء وسؤاله سبحانه أن لا يخذل أهل المعونة. غير أنه لما عبّر عن الحظ بالسهم جريًا على عادته أصحبه بما يوافق أصل معناه فقال: **أزلقه**: أي أحدده من ذلق النصل إذا حدده. وقال: أفوقه **والتفويق** وضع الفوق في السهم وهو موضع الوتر منه. ثم قال: وأرشق به أبواب السماء عن قوس الظلماء فهو يملل سعيه في عمل يؤجرون بالمعاونة عليه بتحديد سهم يصيبون به غرضهم من صيد المنافع الأخروية وطلبه من الله أن يمدهم بالمعونة كما أمدوه بتفويق سهم ليرمي به فيصيب المرمى من الإجابة. ولكون الدعاء بالليل أجدر بالإجابة لصدوره عن محض الإخلاص جعل المرمى عن قوس الظلماء. وفي نسخة: **الظماء** وهو عبارة عن حرارة الالتجاء إلى الله والافتقار إليه وهي الباعث على الدعاء=

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَاسْتَفَزَّنِي رَائِعُ أَلفَاظِهِ. وَسَرَوْتُ جِلْبَابَ النَّوْم. وَعَدَوْتُ إلى القَوْمِ(١). فَإِذَا وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ(٢). وَزِيٍّ قَدْ نَكَّرَهُ(٣). فَلَمَّا رَآنِي غَمَزَنِي بِعَيْنِهِ وَقَالَ: رَحِمَ اللهُ مَن أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذَيْلِهِ(٤). وَقَسَمَ لَنَا مِن نَيْلِهِ. ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلَوْتُ بِهِ فَقُلْتُ: أَأَنْتَ مِن أَوْلَادِ النَّبِيطِ(٥)؟ فَقَالَ:

أَنَا حَالِي مِنَ الزَّمَا ... نِ كَحَالِي مَعَ النَّسَبْ(٦)
نَسَبِي فِي يَدِ الزَّمَا ... نِ إِذَا سَامَهُ انْقَلَبْ(٧)
أَنَا أُمْسِي مِنَ النَّبِيطِ ... وَأُضْحِي مِنَ العَرَبْ

= والمستتبعة للإجابة غالبًا.

(١) **استفزه**: استخفه. **والرائع**: المعجب. **وسرى** الجلباب: ألقاه وكشفه عن بدنه. **والجلباب**: ما يلبس على الثياب. وشبه النوم به لأنه يعم البدن بسكونه كما يشمل الجلباب جميع ما تحته. **وعدا** إلى القوم: أسرع إليهم لينظر من المتكلم فيهم. وفي رواية: وغدوت بالمعجمة والأولى أولى.

(٢) **شهره**: سله ورفع به يده يشير إلى الضرب به.

(٣) **الزي**: الهيئة تكون للشخص فيما يبدو من ظاهر بدنه وهي تكون من الثياب ومن تلوين البشرة وتغيير حالة الشعر وغير ذلك مما تختلف به الهيئات. **ونكره** غيره إلى ما لا يعرف.

(٤) يعبرون بطول الذيل وفضوله عن الغنى ومنه ما يقولون: مَن يطل ذيل أبيه ينتطق به. وأصل **الذيل** فضل الثوب يجر على الأرض وهو لا يكون إلا للغني لهذا صحت الكناية لطوله عن الغنى. أما الفقير فحسبه أن يستتر ولا سعة في ماله لجر الذيول. ثم فيه تورية بطلب التستر عليه. وفي رواية: رحم الله من أحسن عشرته وملك نفسه ونزع قشرته وأعاننا الخ. **ونزع** القشرة: خلع الثياب وإعطاؤها له. والنيل العطاء.

(٥) ويروى من بنات الروم.

(٦) أراد أن يقول حالي من النسب كحالي من الزمان فتقلبي في نسبي كتقلب الزمان بأحوالي. لكنه عكس في التشبيه وهو معهود في كلامهم يستحسن في مواضعه. ويروى: مع الزمان.

(٧) أي إذا كلفه الانقلاب انقلب لأنه في قبضته لا يستطيع له خلافًا. والنبيط النبط وهم أجيال من العجم ينزلون بين العراقين.

المقَامَةُ السَّاسانيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشامٍ قَالَ: أَحَلَّتْنِي دِمَشْقَ بَعْضُ أَسْفَارِي[١]. فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِي. إذ طَلَعَ عَلَيَّ مِن بَنِي سَاسَانَ كَتِيبَةٌ قَد لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ[٢]. وَطَلَوا بِالْمَغْرَةِ لَبُوسَهُمْ. وَتَأَبَّطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجَرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ. وَفِيهِمْ زَعِيمٌ[٣] لَهُمْ

(١) **أحله** بالمكان: جعله محلاً له. **وبعض** فاعل أحل. أي أني كنت في بعض أسفاري وكان ذلك السفر سببًا لنزولي بدمشق في أثنائه. وفي رواية: أحلتني دمشق في بعض أسفاري. ومعناه جعلت لي دمشق منها محلاً.

(٢) **بنو ساسان**: الشحاذون وأهل المسألة. **وساسان** يقولون: إنه كان رجلاً فقيرًا حاذقًا في الاستعطاء دقيق الحيلة في الاستجداء فنسب إليه المكدون. وعندي أن الساسانية وبنو ساسان وما شاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير لساسان وأنه جد السفلة أو شيخهم إنما جاءت بعد زوال الدولة الساسانية من الفرس التي كان مؤسسها أردشير بن بابك فلما محقها الإسلام وبقي من أطرافها أفراد أذلاء سقطوا في ألسنة فتيان المسلمين الأولين فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان ويعيرونهم بعنوان آبائهم. فبعد أن كانت نسبتهم إلى **ساسان** نسبة مجد وحسب صارت نسبة قذف وسب. وكان في إشهار هذا الاسم بالتحقير غاية سياسية فضلاً عما تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب وهي أن لا يبقى لدولة الساسانية ذكر في لسان ولا أثر في جنان ينبىء عن سلطانها أو رفعة شأنها وإذا خطر أمرها بالبال فلا يخطر إلا مع لازمه الجديد وهو السفالة والدناءة. ثم نسي ذلك بمرور الأيام وبقي اللفظ مستعملاً في الشحاذين وهم أدنى طبقة في الناس. ولقد سمعت في بعض البلاد سبًا تعجبت لأول سماعه ثم انتبهت إلى سببه وذلك أن رجلاً قد رأى على ابنه شيئًا يشير إلى رخاوة فيه فكان نهاية شتم قاله في شدة غيظه يا برمكي فعلمت أن أهل الدولة من العباسيين بعد أن نكبوا البرامكة جعلوا عنوانهم عارًا لمن يتصل به وبقي ذلك إلى اليوم في ألسنة بعض البلاد في مصر. هذا وللبرامكة أعوان وأنصار حفظوا طيب ذكرهم في بطون الكتب إلى ما شاء الزمان أن يبقى. أما الساسانية فلم يكن لهم بعد تمكن الإسلام في فارس ولي ولا نصير.

(٣) **المغرة**: بفتح الميم طين أحمر يصبغ به. وفي رواية: وذللوا بالمعرة نفوسهم. **والمعرة**: الدناءة=

يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ[١]. وَيَدْعو وَيُجَاوِبُونَهُ. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ:

أُرِيــدُ مِــنْــكَ رَغِــيــفَــا ... يَــعْــلُو خُــوَانًــا نَــظِـيـفَـا[٢]
أُرِيــدُ مِــلْحًــا جَــرِيــشًــا ... أُرِيــدُ بَــقْــلًا قَــطِـيـفَـا[٣]
أُرِيــدُ لَحْــمًــا غَــرِيــضًــا ... أُرِيــدُ خَــلًّا ثَــقِــيــفَــا[٤]
أُرِيــدُ جَــدْيًــا رَضِــيــعًــا ... أُرِيــدُ سَــخْــلًا خَــرُوفَــا[٥]
أُرِيــدُ مَــاءً بِــثَــلْــجٍ ... يَــغْــشَــى إِنَــاءً طَــرِيـفَـا[٦]
أُرِيــدُ دَنَّ مُــدَامٍ ... أَقُــومُ عَــنْــهُ نَــزِيــفَــا[٧]
وَسَــاقِــيًــا مُــسْــتَــهَــشًّــا ... عَــلَى الــقُــلُوبِ خَــفِـيـفَـا[٨]
أُرِيــدُ مِــنْــكَ قَــمِــيــصًــا ... وَجُــبَّــةً وَنَــصِــيــفَــا[٩]
أُرِيــدُ نَــعْــلًا كَــثِــيــفًــا ... بِــهَــا أَزُورُ الــكَــنِــيــفَــا[١٠]

= والسفالة وهي أشد العار. **وتأبط** الشيء: حمله تحت الإبط. **والزعيم**: الرئيس المقدم بينهم.

(١) **راسل** هٰهنا مفاعلة من **رسل** في قراءته بمعنى رتل لأنه في قوله يرتبه على نغم مخصوص وهم يعيدون لفظه مع النغم المناسب لنغمه فهم لذلك يراسلونه وهو يراسلهم.

(٢) تقدم أن **الخوان** هو ما يمد ليوضع عليه الطعام فإذا وضع عليه سمي مائدة.

(٣) **الجريش** من الملح ما لم يطيب. **والبقل**: ما ينبت أوراقًا بلا ساق. وأراد منه هنا ما يأكله الناس من الأطعمة استكمالاً للذة كالبقدونس والجرجير وما شابههما وطلبه قطيفًا يقطف ورقه كما تقطف الثمرة لا يقلع بجذوره طلبًا لنظافته.

(٤) **اللحم الغريض**: الطري. **وخل ثقيف**: حامض جدًا.

(٥) كأنه يبين اللحم الغريض وليس في اللحم أشد طراوة من لحم الجدي وهو رضيع ولحم السخل والجدي ولد المعزى لسنته الأولى. **والسخل**: ولد الضأن أول ولادته والخروف الذكر منه وبين السخل بالخروف لأن لحم الذكر أطيب من لحم الأنثى والسخل يعمهما. والمسموع أن السخل جمع سخلة وهي للذكر والأنثى فيكون الشاعر قد أتى بلفظ الجمع للوزن وبينه بالجنس إظهارًا للرغبة في الكثير وعدم الاكتفاء بالقليل. ويروى: أو لا فسخلاً خروفًا.

(٦) لا يكتفي من الماء بما دون المثلج بردًا ولا يريده في إناء يعتاد الشرب فيه بل طلبه في إناء **طريف** أي نادر غريب في جوهره وصنعته.

(٧) **الدن**: الراقود العظيم للخمر. **والمدام**: الخمر. **والنزيف**: السكران.

(٨) **مستهشًا** بفتح الهاء من استهشه إذا استخفه يريد ساقيًا طروبًا يستخفه الطرب فيظرف في حركاته ولحظاته وعباراته فيكون خفيفًا على القلوب الملطفة بحرارة المدام.

(٩) **النصيف**: العمامة.

(١٠) ويروى: نعلاً ثخينًا بدل كثيفًا.

أُرِيدُ مِشْطًا وَمُوسَى أُرِيدُ سَطْلًا وَلِيفَا[١]
يَا حَبَّذَا أَنَا ضَيْفًا لَكُمْ وَأَنْتَ مُضِيفَا[٢]
رَضِيتُ مِنْكَ بِهذَا وَلَمْ أُرِدْ أن أَحِيفَا[٣]

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَنُلْتُهُ دِرْهَمًا وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ آذَنْتُ بِالدَّعْوَةِ وَسَنُعِدُّ وَنَسْتَعِدُّ. وَنَجْتَهِدُ وَنَجِدُّ[٤]. وَلَكَ عَلَيْنَا الوَعْدُ مِن بَعْدُ. وَهذَا الدِّرْهَمُ تَذْكِرَةٌ مَعَكَ فَخُذِ المَنْقُودَ. وَانْتَظِرِ المَوْعُودَ. فَأَخَذَهُ وَصَارَ إلى رَجُلٍ آخَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَلْقَاهُ بِمِثْلِ مَا لَقِيَنِي[٥]. فَقَالَ:

يَا فَاضِلًا قَدْ تَبَدَّى كَأَنَّهُ الغُصْنُ قَدًّا[٦]
قَدِ اشْتَهَى اللَّحْمَ ضِرْسِي فَاجْلِدْهُ بِالخُبْزِ جَلْدَا[٧]

---

(١) **السطل**: إناء من النحاس كالمرجل له علاقة من حديد ونحوه كنصف دائرة تقوم على فتحته تتصل بعروتين في دائرة فتحته وهو معروف عند العامة بهذا الاسم أيضًا يستعمل لنقل الماء وهو في هذا البيت يطلب أدوات النظافة.

(٢) يمدح نفسه من حيث هو ضيف ويمدح المخاطبين من حيث هم مضيفون. أما هو فلخفة طلبه وسهولته على المضيف وأما هم فلكرمهم وسخائهم بما يطلب منهم وهو تمليح في القول من باب قولهم ما ألطفه موضع ما أكثفه وما أخفه مكان ما أثقله.

(٣) يقول إنه رضي بهذا المطلوب القليل وما يريد أن يحيف أي يظلم في طلب الكثير وهذا البيت لاحق بسابقه في المعنى والمذهب.

(٤) **آذنت**: أي قد أعلمتك بأني دعوتك إلى ضيافتي. **وسنعد**: أي نهيّىء لك ما طلبت. **ونستعد**: أي نتهيأ لقبولك ضيفًا شرهًا يطلب الكثير ويتخيله قليلاً وينفد مال السخي ويتوهمه بخيلاً. والجد والاجتهاد يجريان مجرى واحدًا في المعنى.

(٥) أي أظنه أنه يوجه إليه من الطلب مثل ما وجه إلى الراوي فيكون ضيق المادة في القول لا يعرف منه إلا وجهًا واحدًا فلما استقبل الآخر بغير ما استقبل به الأول علم أن له فضلًا كما سيأتي ذكره.

(٦) بعد ما مدحه بالفضل وهو أخص مزايا الرجال وأعلى ما يمتدحون به مدحه بجمال الخلق أيضًا فقال **تبدى** أي ظهر وتجلى كأنه الغصن في قده. **والقد**: القامة ويشبهونها بالغصن في اعتدالها ورشاقتها.

(٧) كأن اللحم من المحظورات عليه لا يجوز له تعاطيه فاشتهاؤه ينزل منزلة الجرم الذي يستحق فاعله العقوبة عليه فيقول: إن ضرسه اشتهى اللحم وإن تناوله اللحم كتناول المسكر مثلًا يستحق متناوله الجلد عددًا من الضربات معلومًا. وبالغ في حرمانه من اللحم بأن اشتهاءه ولو لم يصحبه فعل يستحق الجلد وطلب أن يعاقب عليه بالجلد لكن لا بالسوط بل بالخبز. ولشدة ما سئم=

وَامْـــنُـــنْ عَـــلَيَّ بِـــشَـــيْءٍ وَاجْـعَـــلْهُ لِلْوَقْـــتِ نَـــقْـــدَا[١]
أَطْـــلِقْ مِـــنَ الـــيَـــدِ خَـــصْـــرًا وَاحْـلُلْ مِـنَ الكِـيـسِ عَـقْـدَا[٢]
وَاضْـــمُـــمْ يَـــدَيْـــكَ لِأَجْـــلِي إِلَـــى جَـــنَـــاحِـــكَ عَـــمْـــدَا[٣]

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَلَمَّا فَتَقَ سَمْعِي مِنهُ هذَا الكَلَامُ عَلِمْتُ أَنَّ وَرَاءَهُ فَضْلًا[٤] فَتَبِعْتُهُ حَتَّى صَارَ إِلى أُمِّ مَثْوَاهُ[٥]. وَوَقَفْتُ مِنهُ بِحَيْثُ لَا يَرَانِي وَأَرَاهُ[٦]. وَأماطَ السَّادَةُ. فَإِذَا زَعِيمُهُمْ[٧] أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقلْتُ: مَا هذِهِ

= الخبز لعدم اختلاطه بغيره صار تناوله مؤلمًا كما يؤلم الجلد. وفي رواية: بالخبز. وكأنه يريد التجربة.

(١) طلب بأن يمن عليه بشيء ما خبزًا أو غيره وأن يجعله للوقت الحاضر **نقدًا**: أي حالاً. ونقدًا مفعول ثانٍ. والوقت مرتبط بنقدًا أي حاضرًا في هذا الوقت.

(٢) تقدم أن إطلاق اليد من الخصر كناية عن تطامن النفس وتنازلها لإجابة الغير فيما يسأل كأن الرجل ويده في خصره غير مبالٍ بمن يخاطبه فإذا همه أن ينيله طلبًا أو يجيب له سؤالًا أطلق يده من خصره إلى فعل ما يهمه من شأنه ولذلك تراه بعد ما طلب إطلاق اليد من الخصر طلب حل عقد الكيس للإعطاء. ويروى: أطلق من البرد خصرًا يطلب خلع برده ومنحه إياه.

(٣) يشير إلى آية ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ من سورة طه في حكاية معجزات موسى عليه السلام. وموضع الرمز وصفها في الآية بالبيضاء وكان ذلك الوصف مرتبًا على ضمها إلى الجناح ويقولون لليد المحسنة بيضاء. ومن كلامهم: لفلان في هذا العمل اليد البيضاء. وضم اليدين إلى الجناح هنا كناية عن إدناء اليد إلى موضع النقد وهو عادة يكون في ناحية الجيب. ولاحتمال أن يكون النقد في اليمين أو في اليسار أتى باليدين معًا حتى يحيط بالاحتمالين وأتى بلفظ «لأجلي» و«عمدًا» أي قصدًا للتنصيص على أن ضم اليد إنما هو للإعطاء وكأنه يقول: اضمم يدك وصل بها إلى حيث الدراهم تخرج بيضاء بما أنالت من الإحسان وفي رواية: جناحيك بالتثنية.

(٤) كأن سمعه كان رتقًا وهذا الكلام بفصاحته فتقه فتقًا. والضمير في وراءه للكلام أي أن هذا الكلام مقدمة فضل وأن الفضل من ورائه وهذا يشف عنه.

(٥) **أم مثواه**: صاحبة منزله ويكني بالوصول إليها عن الوصول إلى منزله سواء كان للمنزل أم مثوى أم لا.

(٦) هذه النسخة الصحيحة بحيث لا يراني وأراه لأن المعنى على أن عيسى بن هشام استتر ليرى ماذا يصنع الساساني ليكشف حيلته هو ومن معه ولا يكون إلا إذا اختفى عن أبصارهم إذ لو رأوه لعملوا على الثبات في حيلتهم. وفي نسخة: بحيث يراني ولا أراه وهي غلط ظاهر.

(٧) **أماطوا** لثمهم: أزالوها عن وجوههم. واللثم: جمع لثام. وزعيمهم أي رئيسهم الذي كان يقول ويجاوبونه.

الحِيلَةُ وَيْحَكَ؟ فَأَنْشَأ يَقُولُ:

هَــذَا الــزَّمَــانُ مَــشُــومُ كَــمَــا تَــرَاهُ غَــشُــومُ[١]
أَلْحُــمْــقُ فِــيــهِ مَــلِــيــحٌ وَالْعَــقْــلُ عَــيْــبٌ وَلُومُ[٢]
وَالْمَــالُ طَــيْــفٌ وَلَــكِــنْ حَــوْلَ الــلِّئَامِ يَــحُــومُ[٣]

(١) **مشوم**: تخفيف مشؤوم أي جلاب للشؤم والنحس و«**كما تراه**» تابع لمشوم. **وغشوم**: وصف آخر معناه الظلوم القاسي.

(٢) **الحمق**: ضعف العقل وهو مما لا يبالى معه بالأعمال أيًا كانت فهذا الوصف مليح لأنا نرى أربابه وذوي الاتصاف به في خير ونعمة. أما العقل فقد عد في هذا الزمان عيبًا ونقصًا ولؤمًا وسوء طبع لأن الجملة إذا كانت على اختلال أنكرت ما يخالف حالها من الانتظام وعدت المنتظم منه مختلاً والصحيح معتلاً. ويروى: غث ملوم. **والغث**: المهزول يريد به الناقص الرديء.

(٣) **الطيف**: الخيال في المنام ونحوه وإنما كان طيفًا لأنه لا بقاء له يكسب لينفق ويختزن ليبذل فإن لم ينفده الإنفاق أنفدته عوادي الزمان ولهذا لا ترى غنيًا يخلد له غناه ولا فقيرًا يسجل عليه فقره. غير أنه وإن كان زائلاً إلا أنه لا يحوم إلا حول اللئام ولا يطيف إلا بهم.

المقَامَةِ القِرْدِيَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَام قالَ: بَيْنَا أنَا بِمَدِينَةِ السَّلَام. قَافِلًا مِنَ البَلَدِ الحَرَامِ[١]. أمِيسُ مَيْسَ الرِّجْلَةِ. على شَاطِىءِ الدِّجْلَةِ[٢]. أتَأمَّلُ تِلْكَ الطَّرَائِفَ. وَأتَقَصَّى تِلْكَ الزَّخَارِفَ[٣]. إذِ انْتَهَيْتُ إلى حَلْقَةِ رِجَالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي الطَّرَبُ أعْنَاقَهُمْ[٤]. وَيَشُقُّ الضَّحِكُ أشْدَاقَهُمْ. فَسَاقَنِي الحِرْصُ إلى مَا سَاقَهُمْ[٥]. حَتَّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ رَجُلٍ دُونَ مَرْأى وَجْهِهِ لِشِدَّةِ الهَجْمَةِ. وَفَرْطِ الزَّحْمَةِ[٦]. فَإذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ. وَيُضْحِكُ مَن عِنْدَهُ. فَرَقَصْتُ رَقْصَ المُحَرَّجِ[٧].

---

(١) **مدينة السلام**: مدينة بغداد. **وقافلاً**: أي راجعًا. **والبلد الحرام**: مكة.

(٢) **أميس**: من ماس إذا تبختر. **والرجلة**: جمع رجل أي أمشي كما يمشي الرجال على شاطىء نهر الدجلة وهو نهر بغداد شقيق الفرات.

(٣) **الطرائف**: جمع طريفة وهي الطرفة الأمر المعجب المستحسن. **والتقصي**: المبالغة في طلب الوقوف على دقائق شيء. فهو يتقصى الزخارف بنظره حتى لا يفوته منها فائت.

(٤) أي أن الطرب أخذ منهم حتى إنه ليميل أعناقهم من جانب إلى جانب. وهذه عادة الطرب يميل بعنقه ويضطرب بجميع بدنه.

(٥) حرصه على الاستقصاء ساقه إلى ما ساقهم حرصهم إليه وهو ما التفوا حوله فاندفاعه إلى ما اندفع إليه الجماعة وطلبه الوقوف حيث وقفوا هو حرصه على العلم بما يرى. أما حرصهم فربما لا يكون إلا على استملاح المجون.

(٦) أي وقف بحيث يسمع صوت الرجل ولا يرى وجهه لشدة ما يسرع الناس للوقوف عليه. **وشدة الهجمة**: مِنْ هجم البرد أسرع دخوله. **والفرط**: الإفراط ومجاوزة الحد أي لبلوغ الازدحام إلى حد يفوق المعروف منه.

(٧) **أرقص** القرد: حمله على اللعب في وثباته وحركاته المعروفة. أما رقص عيسى بن هشام فهو نزواته ووثباته في الإسراع إلى مكان منه القراد وقرده. **والمحرج**: الكلب المقلد بالحرج أي=

وَسِرْتُ سَيْرَ الأعْرَجِ(١). فَوْقَ رِقَابِ النَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هذَا لِسُرَّةِ(٢) ذاكَ. حَتَّى افْتَرَشْتُ لِحْيَةَ رَجُلَيْنِ. وَقَعَدْتُ بَعْدَ الأيْنِ(٣). وَقَدْ أشْرَقَنِي الخَجَلُ بِرِيقِهِ. وَأرْهَقَنِي(٤) المَكَانُ بِضِيقِهِ. فَلَمَّا فَرَغَ القَرَّادُ مِن شُغْلِهِ. وَانْتَفَضَ(٥) المَجْلِسُ عَن أهْلِهِ. قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي الدَّهَشُ حُلَّتَهُ(٦). وَوَقَفْتُ لأرَى صُورَتَهُ. فَإذَا هُوَ وَاللهِ أبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ مَا هذِهِ الدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ! فَأنْشَأَ يَقُولُ:

الـذَّنْـبُ لِلأَيَّـامِ لا لِي فَاعْتَبْ عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي(٧)
بِـالـحُـمْـقِ أدْرَكْـتُ الـمُـنَـى وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ الـجَـمَالِ(٨)

= الودع ولا يقلد بذلك حتى يكون معلمًا وهو إذا اشتد في الجري كان كل شده وثبًا وقفزًا.

(١) **سير الأعرج**: لا يخلو من صعود وهبوط وانحدار إلى الجوانب. ومَن يسرع في المزدحم فهذا سيره.

(٢) الناس جلوس وليس بينهم فرج يطأها في سيره للوصول إلى حيث يرى القرد فكان يسير فوق أعناق الناس **يلفظه** أي يرميه عاتق الأول إلى **سرة** الثاني أي بطنه. عبر عن البطن بالسرة لأن السرة في وسط البطن فإذا رمى إليها فقد رمى إلى البطن.

(٣) انتهى سيره إلى آخر الحلقة من قبل القراد وليس فيها مكان للجلوس على الأرض فجلس بين رجلين كأن نصف مجلسه على وجه أحدهما ونصفه على وجه الآخر فقد افترش لحيتيهما وهو مبالغة في شدة الازدحام. **والأين**: الإعياء من التعب. ويروى: بين اثنين بدل بعد الأين.

(٤) أصل المثل أشرقت فلانًا **بريقه** إذا وقفت دون ما يريد من قول وفعل. لكنه يريد أن الخجل أجرى من لساني ريقًا غزيرًا حتى أغصني به لكثرته فإضافة الريق إلى الخجل إضافة السبب إلى المسبب. وهكذا يقال: الخجل يسيل الريق والخوف يجففه. **وأرهقه**: كلفه من المشقة ما لا يطاق لضيقه. ويروى: **أزهقني** بالزاي المعجمة من قولهم: أزهق السهم عن الهدف إذا أجازه عنه كأن المكان لضيقه ألقاه خارجًا عنها.

(٥) كأن المجلس طائر ينفض ما على جناحيه من ماء أو تراب ليميطه عنهما وهو **ينتفض**: أي يهتز لنفض ما على بدنه من ذلك. والمراد خلو المجلس من أهله.

(٦) **الدهش**: الذهول. **وحلة الدهش**: ما يظهر على الوجه وسائر الأعضاء من علاماته وآثاره.

(٧) **صرف** الليالي: ما تتصرف به في الناس من نوائبها.

(٨) أراد من **الحمق** التحامق والتباله فإن صاحب الحيلة ليس بأحمق. وكثيرًا ما أفاد الحمق أهله عند أهله وأكسبهم أعظم أمانيهم لديهم. **ورفل في** حلله وأثوابه إذا جر ذيولها متبخترًا. أراد أنه بحمقه كسي في نظر الناس جمالاً ضافيًا يرفل في أثوابه أو أنه بالحمق كسب المال فاكتسى به أفخر الثياب وهي مجلبة الجمال.

المقَامَةُ المَوْصليَّة[1]

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ المَوْصِلِ. وَهَمَمْنَا بِالمَنْزِلِ. وَمُلِكَتْ عَلَيْنَا القَافِلَةُ. وَأُخِذَ مِنَّا الرَّحْلُ وَالرَّاحِلَةُ[2]. جَرَتْ بِي الحُشَاشَةُ[3] إلى بَعْضِ قُرَاهَا وَمَعي الإسْكَنْدَرِيُّ أَبُو الفَتْحِ. فَقُلْتُ: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الحِيلَةِ؟ فَقَالَ: يَكْفِي اللهُ[4]. وَدُفِعْنَا إلى دَارٍ قَد مَاتَ صَاحِبُهَا وَقَامَتْ نَوَادِبُهَا. وَاحْتَفَلَتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَى الجَزَعُ قُلُوبَهُمْ. وَشَقَّتِ الفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ[5]. وَنِسَاءٍ قَدْ نَشَرْنَ شُعُورَهُنَّ.

---

(١) وقد ترجمت في بعض النسخ بمقامة الميت نسبة إلى حكاية الميت المذكورة فيها.

(٢) **قفلنا**: أي رجعنا. والموصل: قاعدة بلاد الجزيرة على الجانب الغربي من الدجلة ويقابلها على الجانب الشرقي من دجلة موقع مدينة نينوى. **والمنزل**: الوطن الذي يقفل إليه فقفلنا هنا في موضع خرجنا من الموصل قافلين. ووجهنا عزمنا في رجوعنا إلى أوطاننا وفي أثناء الطريق بعد مبارحتهم المدينة خرج عليهم السلبة فملكوا عليهم القافلة وأخذوا منهم ما كان معهم من **الرحل** وهو ما يوضع على المطية ليركب عليه. **والراحلة**: هي المطية. يريد أنه لم يبق لهم شيء.

(٣) **الحشاشة**: بقية الناس. أي أسرع به ما بقي من حياته إلى بعض قرى الموصل التابعة لها لعله يجد فيها منجى ويصيب ما يحفظ عليه تلك البقية من الحياة. ويروى: جررت الحشاشة. ويروى: **حزت** الحشاشة: من حاز إبله ساقها سوقًا لينًا.

(٤) استفهام عن مكانهم بالنسبة إلى الحيلة يبعدون عنها أو يقربون منها. فقال: **يكفي** الله: أي يكفينا الله تعالى مؤونة التكلف في الحيلة أي هي قريبة منا يسهل علينا إتيانها بكفاية الله.

(٥) **النوادب**: جمع نادبة وهي التي تعدد أوصاف الميت عند البكاء عليه. **واحتفلت**: أي امتلأت من احتفل الضرع باللبن إذا امتلأ به. ويروى: واختلطنا بقوم الخ. **والجزع**: أشد الحزن لا يستطيع المصاب كتمانه فشبهه بالنار وأسند له فعل الكي لأن أثره في القلب ليس بأقل من أثر النار إذا كوي بها الجسم. **والفجيعة**: الرزية في فقد مَن يكرم على المفجوع. وإسناد شق الجيوب إلى الفجيعة لأنها السبب فيه. **وجيب القميص**: مدخل الرأس منه. ومن عادة المفجوعين أن=

يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ. وَجَدَدْنَ عُقُودَهُنَّ(١). يَلْطِمْنَ خُدُودَهُنَّ. فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: لَنَا في هذَا السَّوَادِ نَخْلَةٌ. وَفِي هذَا القَطِيعِ سَخْلَةٌ(٢). وَدَخَلَ الدَّارَ يَنْظُرُ إلى المَيْتِ وَقَدْ شُدَّتْ عِصَابَتُهُ لِيُنْقَلَ. وَسُخِّنَ مَاؤُهُ لِيُغْسَلَ. وَهُيِّيءَ تَابُوتُهُ لِيُحْمَلَ. وَخِيطَتْ أَثْوَابُهُ لِيُكَفَّنَ. وَحُفِرَتْ حُفْرَتُهُ(٣) لِيُدْفَنَ. فَلَمَّا رَآهُ الإِسْكَنْدَرِيُّ أَخَذَ حَلْقَهُ. فَجَسَّ عِرْقَهُ(٤). فَقَالَ: يَا قَوْمُ اتَّقُوا اللهَ لَا تَدْفِنُوهُ فَهُوَ حَيٌّ وَإِنَّمَا عَرَتْهُ بَهْتَةٌ. وَعَلَتْهُ سَكْتَةٌ. وَأَنَا أُسَلِّمُهُ مَفْتُوحَ العَيْنَيْنِ(٥). بَعْدَ يَوْمَيْنِ. فَقَالُوا: مِن أينَ لَكَ ذلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بَرَدَ إِبْطُهُ وَهذَا الرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ. فَجَعَلُوا أَيْدِيَهُمْ فِي إِبْطِهِ. فَقَالُوا: الأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرَ. فَافْعَلُوا كَمَا أَمَرَ. وَقَامَ الإِسْكَنْدَرِيُّ إلى المَيْتِ. فَنَزَعَ ثِيَابَهُ ثُمَّ شَدَّ لَهُ العَمَائِمَ. وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

= يمسكوا بجوانب جيب القميص ثم يحملون عليه فيشقونه إظهارًا لشدة الحزن أو اضطرارًا بتغلبها على العقل.

(١) **وجددن**: أي قطعن عقودهن أي قلائدهن. وفي أغلب النسخ: وشددن عقودهن. فتكون جمع عقد بالفتح فإنهن يعقدن ما عليهن من الثياب على مواضع من البدن ليتمكن من اللطم. والنسخة التي بأيدينا أوضح وأبين.

(٢) أراد من **السواد**: ما بدا بهذا اللون وإن لم يكن سوادًا حقيقيًا كما سموا رساتيق العراق سوادًا لكثرة أشجارها وزروعها فتبدو للناظر على بعد في لون السواد واستعمل السواد هنا في معنى النخيل المتكاثف لأنه يلوح أسود فأطلق عليه ما منه الاشتقاق كأنه قال لنا في هذا النخيل نخلة وهو مثل تضربه إذا أصبت حظًا بين حظوظ. والميت العزيز ينتفع من النفقة عليه خلق كثير من الفقراء والمجهزين والمسترحمين فقد وجد الإسكندري له ولرفيقه سهمًا من المنفعة بين هذه السهام لكنه يفوق جميعها لأنه ينتفع منفعة من يحيي عزيز القوم وأولئك ينتفعون منفعة مَن يجد له في زاد أخراه. ومثل هذا المثل قوله: وفي هذا القطيع سخلة. **وقطيع** الغنم مثلاً الجماعة منها. **والسخلة**: ولد الضأن ذكرًا أو أنثى. أي أن له بين المنافع منفعة وإن صغرت.

(٣) **العصابة**: ما يشد من تحت ذقن الميت فيؤخذ من جانبي اللحيين حتى يعقد بأعلى الرأس يفعل ذلك بالميت لينطبق الفم ولا يفتح فيقبح منظره أو يندفع بعض السائلات منه. **والتابوت** أو السرير: الخشبة التي يحمل عليها المعروفة بالنعش. **وتكفين الميت**: إدراجه في الأثواب التي تهيأ للموتى عادة وتعرف بالكفن. والمراد من **حفرته**: قبره.

(٤) الضمير المضاف إليه عرق للحلق. وأراد من **عرق الحلق**: الشريان الآخذ من تحته في العنق فإن له نبضًا كنبض شريان اليد يمكن أن يستدل منه على الموت والحياة بل هو في نظر العوام أدل.

(٥) **عرته**: طرأت عليه. **والبهتة**: البغتة أي عرض عليه عارض. **بهته**: أي قطعه عن الكلام وغيره من أعمال الحياة. **وعلته**: أي غشيته سكتة أي نازلة بمخه عطلت قواه عن تأدية وظائفها. ومفتوح العينين كناية عن حي.

تَمَائِمَ[١]. وَأَلعَقَهُ الزَّيْتَ[٢]. وَأَخْلَى لَهُ البَيْتَ. وَقَالَ: دَعُوهُ. وَلَا تَرْدَعُوهُ. وَإِنْ سَمِعْتُمْ لَهُ أنِينًا فَلَا تُجِيبُوهُ[٣]. وَخَرَجَ مِن عِنْدِهِ وَقَدْ شَاعَ الخَبَرُ وَانْتَشَرَ. بِأَنَّ المَيْتَ قَدْ نُشِرَ[٤]. وَأَخَذَتْنَا المَبَارُّ مِن كُلِّ دَارٍ[٥]. وَانْثَالَتْ عَلَيْنَا الهَدَايَا مِن كُلِّ جَارٍ. حَتَّى وَرِمَ كِيسُنَا فِضَّةً وَتِبْرًا. وَامْتَلَأَ رَحْلُنَا أقِطًا وَتَمْرًا[٦]. وَجَهَدْنَا أن نَنْتَهِزَ فُرْصَةً في الهَرَبِ فَلَمْ نَجِدْهَا حَتَّى حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ. وَاسْتُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ. فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: هَل سَمِعْتُمْ لِهذَا العَلِيلِ رِكْزًا. أو رَأَيْتُمْ مِنهُ رَمْزًا[٧]؟ فَقَالُوا: لَا. فَقَالَ: إن لَمْ يَكُن صَوَّتَ مُذْ فَارَقْتُهُ فَلَمْ يَجِىءْ بَعْدُ وَقْتُهُ. دَعُوهُ إلى غَدٍ فَإِنَّكُمْ إذَا

(١) في نسخة بعد نزع ثيابه: وقشر إهابه. **والإهاب**: الجلد أراد منه الثياب أيضًا ورشح المجاز بقوله: قشره. والجملة كالتكرار لسابقتها بعبارة أجود في نظره. **والعمائم**: جمع عمامة ما يلف على الرأس في هيئة معروفة. وإلباسه العمائم لأنه معدود في الأحياء فجعل العمامة مكان العصابة. **والتمائم**: جمع تميمة وهي ما يعلق من أوراق وتعاويذ ليظهر أثرها فيمن علقت عليه إما بحفظه من عين المعيان ولمس الجن مثلاً وإما بشفائه من أثر ذلك. ومن ذهب إلى تأثير بعض الأرواح في بعض إما بمجرد التوجه الروحاني أو مع ألفاظ أو أحرف أو ما شابه ذلك فللتمائم عنده ما يصفوه لها من الآثار إن وافقت شروطها. ومن ذهب إلى غير ذلك أنكرها وأنكر كل ما ينحو نحوها.

(٢) **ألعقه الزيت**: جعل الزيت في فمه ليلين يابسه.

(٣) أي إذا تحرك حركة بعد سريان الحياة فيه فلا تردعوه ولا تكفوه عنها. وفي نسخة: فلا **تروعوه** بواو مشددة بدل الدال أي لا تفزعوه بضجيج أصواتكم حوله. **والأنين**: تأوه المريض وصوته المندفع عن وجدان الألم كأنه يطلب به غياثًا مما هو فيه لهذا جعله بمنزلة النداء وقال: لا **تجيبوه** أي لا يأت أحد عنده ليسأله عما يؤلمه يؤكد لهم أنه لا بد أن يحيى بتمائمه وعمائمه وأنه سيئن وعليهم أن لا يجيبوه إذا سمعوه.

(٤) **نشر الميت**: بعث حيًا بعد موته.

(٥) **المبار**: جمع مبرة أراد منها الصلات والمواهب لأنهم قد أحبوا عزيز القوم فكل دار بها من ذلك مسرة تحملها على مبرة.

(٦) **التبر**: الذهب غير مسكوك وأراد منه مطلق الذهب لأن المبرات بالنقود وهي ذهب مسكوك وفضة كذلك. **وورم الكيس**: انتفاخه بما أودع فيه **والرحل**: هنا الوعاء كالعدل والجراب. **والأقط**: اللبن الحامض يملح ويجفف. وقد يطلق عليه اسم الجبن. فالمبرات كان بعضها نقودًا وبعضها طعامًا يليق بحال المسافرين وهو الأقط والتمر.

(٧) أي أن أهل الميت طلبوا من الإسكندري ورفيقه إنجاز وعدهما بحياة الميت بعد يومين. فقال الإسكندري: هل سمعتم لعليلكم هذا وهو الميت **ركزًا** أي صوتًا بأنين ونحوه أو رأيتم منه حركة ترمز وتشير إلى حياته.

سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ. أَمِنْتُم مَوْتَهُ. ثُمَّ عَرِّفُونِي لِأَحْتَالَ فِي عِلَاجِهِ(١). وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِن مِزَاجِهِ. فَقَالُوا: لَا تُؤَخِّرْ ذلِكَ عَنْ غَدٍ. قَالَ: لَا. فَلَمَّا ابْتَسَمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ وَانْتَشَرَ جَنَاحُ الضَّوْءِ. في أُفُقِ الجَوِّ(٢). جَاءَهُ الرِّجَالُ أفوَاجًا. وَالنِّسَاءُ أزوَاجًا. وَقَالُوا: نُحِبُّ أن تَشْفِيَ العَلِيلَ. وَتَدَعَ القَالَ وَالقِيلَ. فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ! ثُمَّ حَدَرَ التَّمَائِمَ عَنْ يَدِهِ(٣). وَحَلَّ العَمَائِمَ عَن جَسَدِهِ. وَقَالَ: أَنِيمُوهُ على وَجْهِهِ فَأُنِيمَ. ثُمَّ قَالَ: أَقِيمُوهُ على رِجْلَيْهِ فَأُقِيمَ. ثُمَّ قَالَ: خَلُّوا عَن يَدَيْهِ فَسَقَطَ رَاسِيًا(٤) وَطَنَّ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِفِيهِ(٥). وَقَالَ: هُوَ مَيْتٌ كَيْفَ أُحْيِيهِ. فَأَخَذَهُ الجُفُّ. وَمَلَكَتْهُ الأَكُفُّ(٦). وَصَارَ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى. ثُمَّ تَشَاغَلُوا بِتَجْهِيزِ المَيْتِ فَانْسَلَلْنَا هَارِبِينَ حَتَّى أَتَيْنَا قَرْيَةً عَلَى شَفِيرِ وَادِ السَّيْلُ يُطَرِّفُهَا. وَالمَاءُ يَتَحَيَّفُهَا(٧).

---

(١) أي إذا سمعوا الصوت وتحققوا الحياة فعليهم بإخباره لأجل أن يأخذ في علاج المرض ويدقق فيه حتى يشفى.

(٢) كأنه تخيّل انبجاس الظلام بالضياء في أول الصبح كانفتاح الفم عند الابتسام وأن ما يظهر من ذلك بمنزلة الثغر المبتسم وبعد ذلك ينتشر الضوء إلى جنوب الفجر وشماله. فصح أن يشبه المنتشر في اليمين بالجناح والمنتشر في الشمال بجناح آخر. **وأفق الجو**: طرفه الدائر بالأرض وإنما يكون الضوء خاصًا بالأفق في أول الصبح قبل أن يسفر الضوء ويعلو حتى ينير الجو بتمامه.

(٣) **حدرها**: نحاها عن يده بعد ما كانت معلقة عليها. وكان عليه أن يقول: «وحل العمائم عن رأسه» لكنه حسب الرأس من جملة الجسد فأتى به للسجعة.

(٤) **راسيا**: أي ثابتًا لا حراك به. ويروى: رأسًا أي سقط لرأسه.

(٥) **طن بفيه**: أي صوت به وإنما لم يقل صاح لأنه صوت الخزي والخجل فهو ضعيف كأنه طنين الذباب.

(٦) **الجف**: بالضم العدد الكثير من الناس أي فأخذه الجمهور بالضرب. وفي نسخة: الخف بالخاء أي ضربوه بأخفافهم قصد إهانته. **والأكف**: جمع كف. **وملكته**: أحاطت به حتى لا سبيل له إلى التخلص منها فكأنه مملوك لها لا يخرج عما تريد به.

(٧) **شفير الوادي**: أعلى حرفه. **والسيل**: الماء الكثير كان يسيل في ذلك الوادي. **ويطرفها**: من قولهم طرف الخيل إذا رد أوائلها على أواخرها أي أن السيل يأخذ بعض أطرافها فينتقل سكانه إلى الطرف الأبعد من السيل فبعد أن كان في طرف عاد إلى مجتمع البيوت كما يكون من الخيل إذا طرفت. **ويتحيفها**: أي يتنقصها من نواحيها وهي بمعنى الفقرة الأولى. ويروى: **يتطرفها** بدل يطرفها وهو من تطرفت الناقة رعت أطراف المرعى. فالسيل يأخذ من أطرافها ويهدم من جوانبها كما تفعل الناقة بالمرعى. ويروى واد يتطرفها بدون ذكر السيل وأطلق الوادي على الماء الجاري فيه كما في النهر ونحوه.

وَأَهْلُهَا مُغْتَمُّونَ لَا يَمْلِكُهُمْ غُمْضُ اللَّيْلِ[(١)]. مِنْ خَشْيَةِ السَّيْلِ. فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: يَا قَوْمُ أَنَا أَكْفِيكُمْ هذَا المَاءَ وَمَعَرَّتَهُ[(٢)]. وَأَرُدُّ عَن هذِهِ القَرْيَةِ مَضَرَّتَهُ. فَأَطِيعُونِي وَلَا تُبْرِمُوا أَمرًا دُونِي[(٣)]. فَقَالُوا: وَمَا أَمْرُكَ؟ فَقَالَ: اذْبَحُوا فِي مَجْرَى هذَا المَاءِ بَقَرَةً صَفْرَاءَ. وَأْتُونِي بِجَارِيَةٍ عَذْرَاءَ[(٤)]. وَصَلُّوا خَلْفِي رَكْعَتَيْنِ يَثْنِ اللهُ عَنْكُمْ عِنَانَ هذَا المَاءِ[(٥)]. إلى هذِهِ الصَّحْرَاءِ. فَإِنْ لَم يَنْثَنِ المَاءُ فَدَمِي عَلَيْكُمْ حَلَالٌ[(٦)]. قَالُوا: نَفْعَلُ ذلِكَ. فَذَبَحُوا البَقَرَةَ. وَزَوَّجُوهُ الجَارِيَةَ. وَقَامَ إلى الرَّكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا وَقَالَ: يَا قَوْمُ احْفَظُوا أنفُسَكُمْ لَا يَقَعْ مِنْكُمْ فِي القِيَامِ كَبْوٌ. أو في الرُّكُوعِ هَفْوٌ. أو في السُّجُودِ سَهْوٌ. أو في القُعُودِ لَغْوٌ[(٧)]. فَمَتَى سَهَوْنَا خَرَجَ أَمَلُنَا عَاطِلًا. وَذَهَبَ عَمَلُنَا

---

(١) **غمض الليل**: أي غمض الجفون بالنوم في الليل. فالإضافة إلى الظرف الواقع فيه المضاف كما في مكر الليل. أي لا يستولي الغمض على أجفانهم خوفًا من السيل. وقد يقرأ غمض منونًا، **والليل**: ظرف منصوب أي لا يملكهم ولا يستولي على أعينهم شيء من الغمض مدة الليل.

(٢) **معرة الماء**: مساءته وأذاه.

(٣) **أبرم الأمر**: أحكمه. أي: لا تحكموا تدبير أمر دون أن أكون صاحب الرأي فيه.

(٤) تخصيص لونها بالصفرة ليوهمهم أن في هذا اللون خاصة لكف الماء عن قريتهم وتحويله إلى الصحراء كأنه يذكرهم بما أمر الله بني إسرائيل في قصة القتيل المذكورة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ ثم قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فإذا ذكر السامعون ذلك لم يبعد منهم أن يصدقوا في نوع البقرة وفي لونها سرًا من أسرار الله تعالى في كشف السرائر ودفع الكرب. **والعذراء**: البكر.

(٥) **يثن الله عنكم** الخ تصوير للماء في صورة دابة مشتدة في عدوها مستعصية على قائدها لا تبالي ما وطئت. وخيل لها **عنانًا**: وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة. فهو يعدهم أنهم إذا ذبحوا البقرة وأتوه بالعذراء وصلوا خلفه الركعتين فالله الذي بيده أزمة الأشياء عامة يحول الماء إلى الصحراء كما يثني قائد الدابة عنانها إلى جهة فيصرفها إليها.

(٦) **حلال عليكم**: أي لكم أن تستبيحوه فتسفكوه. والمعروف في صفة الحلال اللام فيقال حلال له وفي صلة الحرام على فيقال حرام عليه. لكنه لما تصور **لازم الدم**: وهو الحرمة الدائمة إلا بحق شرعي أخذ لفظ على الذي يجب أن يقرن به دائمًا ووصل به حلال إشارة إلى ما للدم في الأذهان من الحرمة. ويروى لكم بدل عليكم.

(٧) أي لا يملكم الضجر من طول القيام **فتكبوا**: أي تنكبوا على وجوهكم ضعفًا منكم عن الثبات في قيامكم. يحذرهم من ذلك لئلا تخيب وسيلتهم إن وقع منهم شيء مما يحذرهم وقوعه. **والهفو**: مصدر هفا إذا أسرع. أي إذا ركعتم فلا يسئمنكم طول الانحناء فتسرعوا هافين إلى السجود. وإذا طال عليكم السجود فلا يسهون أحدكم فيرفع رأسه قبل أن يرفعها أمامه. وإذا=

بَاطِلًا. وَاصْبِرُوا عَلَى الرَّكْعَتَينِ فَمَسَافَتُهُمَا طَوِيلَةٌ. وَقَامَ لِلرَّكْعَةِ الأُولَى فَانْتَصَبَ انْتِصَابَ الجِذْعِ[١]. حَتَّى شَكَوْا وَجَعَ الضِّلْعِ. وَسَجَدَ. حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَد هَجَدَ. وَلَم يَشْجُعُوا لِرَفْعِ الرُّؤُوسِ. حَتَّى كَبَّرَ لِلْجُلُوسِ[٢]. ثُمَّ عَادَ إِلى السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ وَأَوْمَأَ إِليَّ فَأَخَذْنَا الوَادِيَ[٣] وَتَرَكْنَا القَوْمَ سَاجِدِينَ لَا نَعْلَمُ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمْ. فَأَنْشَأَ أَبُو الفَتْحِ يَقُولُ:

لَا يُبْعِدِ اللهُ مِثْلِي وَأَيْنَ مِثْلِيَ أَيْنَا[٤]
للهِ غَفْلَةُ قَوْمٍ غَنِمْتُهَا بِالهُوَيْنَا[٥]

= قعدتم للتشهد وأطال الإمام بكم القعدة فلا تلغوا فيما تقرأون بل عليكم بترديد ما ورد في السنة أنه يقرأ في التشهد لا تخرجوا عنه إلى ما يحسن لديكم مما لا يطابق سنة ولم تأت به آثار. ويروى: لا يقع منكم في القيام كبو، وفي السجود سهو، وفي القعود لهو، وفي القراءة لغو. ويروى أيضًا: لا يقع منكم في القيام كبو، وفي الركوع سهو، وفي السجود هفو، وفي القراءة لغو، والمعنى في الكل ظاهر.

(١) **الجذع**: ساق النخلة ويضرب به المثل في الاستقامة لأنها ألزم له من بين الأشجار. ثم له جذور ضاربة في الأرض فهو غاية في الثبات. وهكذا كان حال أبي الفتح في قيامه للصلاة محافظًا على الاعتدال في القيام ثابتًا فيه ثبوت الجذع في الأرض. ولم يزل قائمًا وهم خلفه قيام حتى شكوا وجع ضلوعهم من طول ما قاموا.

(٢) **هجد**: أي نام والهجود النوم بالنهار وقد كانت الصلاة التي دعاهم إليها نهارية. لم **يشجعوا**: لم يجرأوا على رفع رؤوسهم مع طول سجودهم إلا بعد ما كبر للجلوس فرفعوا رؤوسهم لتكبيره. **والتكبير**: إيذان منه برفع رأسه. وعدم تجرؤهم على رفع الرؤوس لشدة ما حذرهم في أول النصيحة.

(٣) **أومأ** إلي: أشار. والقوم في سجودهم لا يشعرون ولا يشجعون على رفع رؤوسهم. **وأخذنا** الوادي: أي سرنا على امتداده فجعلناه طريقًا لنا. ومَن اختار طريقًا فكأنه أخذه من بين الطرق.

(٤) دعاء لمثله بالقرب من الله وأن لا يبعده عن أبوابه. وهو كناية عن امتداح نفسه بأنه مستحق لمقامات القرب بما له من الحذق الذي لا يشابهه فيه غيره. ولما وجد من نفسه قوة الحيلة وأن الناس صيد لشباكه يخلب عقولهم بخزعبلاته ويخدعهم بترهاته ادعى التفرد في وصفه فاستفهم عن وجود مثله استفهام المنكر فقال: وأين مثلي أين أي لا يوجد مثلي.

(٥) ينسب الشيء إلى الله إذا كان عجيبًا. فهو يتعجب من غفلتهم لكثافة حجابها عليهم وبلوغها من تغليف قلوبهم حدًا لا يقدر على إيصالها إليه إلا الله سبحانه وتعالى. وقد غنم هذه الغفلة وجنى=

اِكْتَلْتُ خَيْرًا عَلَيْهِمْ وَكِلْتُ زُورًا وَمَيْنَا

= ثمرتها **بالهوينا** وهي تصغير الهونا مؤنث الهون. ثم بين كيف غنم الغفلة فقال: اكتلت خيرًا عليهم. **اكتال:** أخذ لنفسه بالكيل. فهو لما أخذ الخير لنفسه من زواج العذراء ونيل الغذاء من البقرة الصفراء. أما هو فقد كالهم أي أعطى لهم بالكيل **زورًا:** أي باطلاً، ومينًا: أي كذبًا فما أربح صفقته وما أخسر صفقتهم. وفي نسخ كثيرة: «لله قلعة قوم فتحتها بالهوينا». و**القلعة:** الحصن. مثل حاله وحالهم بحال المتحاربين يغنم أحدهما ما كان فيه الآخر من مال بعد غلبته عليه.

المقَامَةُ المَضِيريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بالبَصْرَةِ[١] وَمَعِي أَبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ رَجُلُ الفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيبُهُ. وَالبَلَاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ[٢]. وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ فَقُدِّمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ تُثْنِي عَلَى الحَضَارَةِ وَتَتَرَجْرَجُ في الغَضَارَةِ. وَتُؤْذِنُ بِالسَّلَامَةِ. وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ بِالإمَامَةِ[٣]. في قَصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ.

---

(١) **البصرة**: مدينة معروفة على الشط الغربي من النهر الحادث من التقاء الفرات ودجلة تبعد عن مصبه في خليج العجم بسبعين ميلاً.

(٢) يقال: فلان رجل الحرب مثلًا إذا كان فريدًا في القيام بأعبائها لا يباريه فيها أحد. ورجل الفصاحة صاحبها الفرد ليس في الرجال من تؤهله آلاته لأن يكون من رجالها اللائقين بنسبتهم إليها ونسبتها إليهم. ثم تمثل الفصاحة كأنها من حشم أبي الفتح وحفدته فهو إذا دعاها ليستخدمها فيما يريد من أغراضه تجيبه والبلاغة كذلك يأمرها بإصابة الغرض من قلوب سامعيه وبلوغ مراده من نفوسهم فتطيعه. وقد ترى في الكلام تمثيلًا لحال أبي الفتح في تسلطه على الأساليب الفصيحة يورد بها مقاصده في المقامات المتعددة يأتي لكل مقام بما يناسبه كأنه حاكم يتحكم فيها بما يريده لا يتكلف ولا يتعسف.

(٣) **المضيرة**: لحم يطبخ باللبن المضير أي الحامض وربما خلط المضير بالحليب وهو الأجود ثم يضيفون إليه من الأبزار ما يوفر اللذة في طعمه وله مريقة يحمدون أكلها. وربما كان هذا اللون من الطعام لا يبعد عن لبنية بلاد الشام. وإنما كانت تلك المضيرة تثني على الحضارة التي هي ضد البداوة لأنها بجودة طبخها تشير إلى أن أهل الحضر أحذق في صنعتها من سكان البدو. **والترجرج**: التحرك بشدة توصف به الأشياء الرقيقة كالفالوذج ونحوه وهو من آيات كثرتها. **والغضارة**: القصعة الكبيرة. **وإيذانها** بالسلامة: أي أن إشعارها بسلامة مَن يأكل منها لأنها لطيبها مستساغة سهلة الهضم لا يخشى آكلها من ضرر البطنة وإن بالغ في الالتهام. ومعاوية ادعى الخلافة بعد بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يكن من يشهد له بها في حياة علي إلا طلاب اللذائذ وبغاة الشهوات. فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكليها على الشهادة له بالخلافة وإن كان صاحب البيعة الشرعية حيًا. وإسناد الشهادة إليها لأنها سببها=

وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ(١). فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الخُوَانِ مَكَانَهَا. وَمِنَ القُلُوبِ أوطَانَهَا(٢). قَامَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا. وَيَمْقُتُهَا وَآكِلَهَا. وَيثْلِبُهَا وَطَابِخَهَا(٣). وَظَنَنَّاهُ يَمْزَحُ فَإِذَا الأَمْرُ بِالضِّدِّ. وَإِذَا المِزَاحُ عَيْنُ الجِدِّ. وَتَنَحَّى عَن الخُوَانِ. وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ الإِخْوَانِ. وَرَفَعْنَاهَا فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا القُلُوبُ. وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا العُيُونُ وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الأَفْوَاهُ. وَتَلَمَّظَتْ لَهَا الشِّفَاهُ. وَاتَّقَدَتْ لَهَا الأَكْبَادُ وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الفُؤَادُ(٤). وَلكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا. وَسَأَلْنَاهُ عَن أَمْرِهَا(٥). فَقَالَ: قِصَّتِي مَعَهَا

= الحامل عليها. والإمامة والخلافة في معنى واحد.

(١) أراد من الطرف البصر وأصله من العين أو ما تحرك من أشفارها. وفي كلامهم تخييل البصر كأنه شيء يمتد من العين إلى المبصر. فإذا كان المرئي متألقًا لم يثبت عليه البصر بل ينقبض عنه ثم يمتد إليه. فهو يصف القصعة بأنها لامعة الجوهر كأنها مضيئة. **يزل**: أي يزلق البصر عنها لشدة نقاوتها وظهور وبيصها فلا يثبت عليها. ويروى: يكل. **والظرف**: حسن الهيئة وبراعة اللسان فيما تسر الأنفس باستماعه ذلك أصله وأطلقه هنا وأراد مطلق الحسن والبهاء. وصوره متموجًا للأشعار بتوفره فيها كأنه ماء في جوهرها يموج ويضطرب. وفي نسخة ويمرح بدل يموج. **والطرف** بالطاء المهملة بدل الظاء المشالة وهو أحد الأطراف بدل الظرف يمثل بالفقرة سعة القصعة أي أن اليد تمرح فيها ذهابًا وإيابًا.

(٢) تقدم ذكر **الخوان** وتفسيره مرارًا وهو ما يوضع عليه الطعام. وأخذ مكانها من الخوان كناية عن وضعها عليه. ولشدة ما اشتهتها الأنفس للتناول منها تمثلت في القلوب بشخصها حتى عد كل قلب وطنًا لها لا تفارقه. والضميران للمضيرة.

(٣) أراد من **المقت** الكلام الدال عليه وإلا فهو فعل نفسي وهو أشد البغض. **والثلب**: الشتم والسب. **وصاحبها** وآكلها وطابخها معطوفات على الضمائر المتصلة كل على سابقه وهو معروف في الفصيح وإن كان قليلاً.

(٤) **تحلبت**: أي سال ريقها لأجل المضيرة. والفم يتحلب عند رؤية شيء من المطعم تميل النفس إلى تناوله بل عند تذكره كذلك. ويروى: اجتلبت وتجلبت وكلاهما غير صحيح. **والتلمظ**: إخراج اللسان بعد الأكل والشرب ليمسح به الشفتان ولا بد للشفتين من حركة عند ذلك فينسب إليهما الفعل أيضًا فلما تحلبت الأفواه شوقًا إلى المضيرة وتمكن خيالها في نفس القوم خيل لهم أنهم أكلوا منها فتلمظوا أو أن **التلمظ** لمسح الريق المتحلب على الشفة أو أراد من التلمظ حركة الشفاه بالكلام الخفي في شأنها وعبر عنه بالتلمظ لشدة خفائه كأنه بلا صوت فهو شبيه بحركة التلمظ. **واتقاد** الأكباد: اشتعالها بحرارة الأسف عليها. ويروى: انقادت بدل اتقدت وما هي من الخطأ ببعيد. **ومضي الفؤاد** في إثرها تمثيل لتعلق نفوسهم بها حتى كأن أفئدتهم أي قلوبهم سائرة خلفها تتبعها إلى حيث حملت.

(٥) **ضمير** هجرها لأبي الفتح أي مع ما يجدون في أنفسهم من الألم لحرمانهم منها ساعدوا أبا الفتح على هجرها والابتعاد عنها وسألوه عن أمرها عنده وما الذي حمله على هذه النفرة=

أطْوَلُ مِن مُصِيبَتِي فِيهَا[١]. وَلو حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَم آمَنِ المَقْتَ[٢]. وَإضَاعَةَ الوَقْتِ. قُلْنَا: هَاتِ. قَالَ: دَعَانِي بَعْضُ التُّجَّارِ إلى مَضِيرَةٍ وَأنَا بِبَغْدَادَ وَلَزِمَنِي مُلاَزَمَةَ الغَرِيمِ. وَالكَلْبِ لأصْحَابِ الرَّقِيمِ[٣]. إلى أن أجَبْتُهُ إلَيْهَا وَقُمْنَا فَجَعَلَ طُولَ الطَّرِيقِ يُثْنِي على زَوْجَتِهِ. وَيُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهِ[٤]. وَيَصِفُ حِذْقَهَا في صَنْعَتِهَا. وَتَأنُّقَهَا في طَبْخِهَا[٥] وَيقُولُ: يَا مَولايَ لَو رَأيْتَهَا. وَالخِرْقَةُ في وَسْطِهَا[٦]. وَهِيَ تَدُورُ في الدُّورِ. مِنَ التَّنُّورِ إلى القُدُورِ. وَمِنَ القُدُورِ إلى التَّنُّورِ. تَنْفُثُ بِفِيهَا النَّارَ. وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الأبْزَارَ[٧]. وَلَوْ رَأيْتَ الدُّخَانَ وَقَدْ غَبَّرَ فِي ذلِكَ الوَجْهِ الجَمِيلِ. وَأثَّرَ فِي

= واستتباعها بالنعرة.

(١) **أبو الفتح** ليس بأقل تحرقًا على الحرمان من المضيرة فمصيبته فيها عظيمة لكن السبب في النفرة منها أعظم وقصته في حكاية هذا السبب أطول.

(٢) تقدم أن **المقت**: أشد البغض. ولو حدث بالقصة على طولها لخشي أن يمقته السامعون وأن يضيع الوقت في حكايتها.

(٣) **الغريم**: رب الدين وملازمته لمدينه يضرب بها المثل. فكأن هذا التاجر له دين في ذمة أبي الفتح يتقاضاه ويلازمه إلى أن يقضيه إياه. **وأصحاب الرقيم**: أهل الكهف وقصتهم في القرآن معروفة وكلبهم معهم لا يفارقهم. وفي الفقرة السابقة بين ثقل التاجر في دعوته وفي الثانية أشار إلى خسته.

(٤) **فداه**: قال له جعلت فداك. **والمهجة**: دم القلب أي يقول في بيان منزلتها عنده وأنها أحب إليه من الحياة فلتكن مهجته فداء لها من الموت.

(٥) **التأنق** في العمل: الإتيان به على أحسن وجوهه.

(٦) المراد من **الخرقة**: ما يضعه الطباخ في وسطه مرسلاً إلى ساقيه شبه المئزر ليقي ثيابه من الوضر.

(٧) **تدور** تتحرك **والدور** جمعه دار أي تتحرك في كل دار تكون فيها. وتقول: فلان **رفيع** المقام في البلدان أي في أي بلد يكون فيها يرتفع مقامه. وفلان **حلس** أبيات أي كل بيت يكون فيه يلزمه لا يخرج منه. **فهي** تدور في دارها من **التنور** وهو ما يخبز فيه أنواع الخبز **إلى القدور** جمع قدر وهو الإناء يطبخ فيه. فهذه الزوجة تصنع الأشياء الكثيرة في الوقت الواحد لا يشغلها تفقد القدور المتعددة لألوان الطعام المختلفة عن تفقد التنور وما يخبز فيه من فطير ونحوه فهي تتردد بين القدور والتنور بخفة معجبة وهي مع ذلك لا تحتاج إلى منفاخ تستعين به على نفخ النار بل هي تنفخها بفيها. وكأن الصواب «تنفخ» موضع «تنفث» لأن **النفث** نفخ يصحبه شيء من الريق أو أنه أراد أن القليل من نفسها يشعل النار. **والنفث** نفخ خفيف وجرده عن معنى استصحاب الريق. ولا تحتاج أيضًا إلى خادم يدق لها الأبزار. **والأبازير** والأبزار ما يوضع في الطعام لتطييبه كالفلفل والقرنفل ونحوهما.

ذلِكَ الخَدِّ الصَّقِيلِ[١]. لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُ فِيهِ العُيُونُ. وَأَنَا أَعْشَقُهَا لِأَنَّهَا تَعْشَقُنِي. وَمِن سَعَادَةِ المَرْءِ أن يُرْزَقَ المُسَاعَدَةِ مِن حَلِيلَتِهِ. وَأن يُسْعَدَ بِظَعِينَتِهِ[٢]. وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ مِن طِينَتِهِ. وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحًّا[٣]. طِينَتُهَا طِينَتِي. وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي. وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي. وَأَرُومَتُهَا أَرُومَتِي[٤]. لكِنَّهَا أَوْسعُ مِنِّي خُلُقًا. وَأَحْسَنُ خَلْقًا[٥]. وَصَدَعنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ. حَتَّى انْتَهَيْنَا إلى مَحَلَّتِهِ. ثُمَّ قالَ: يَا مَوْلَايَ تَرَى هذِهِ المَحَلَّةَ. هِيَ أَشْرَفُ مَحَالِّ بَغْدَادَ يَتَنَافَسُ الأَخْيَارُ في نُزُولِهَا. وَيَتَغَايَرُ الكِبَارُ في حُلُولِهَا[٦]. ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التُّجَّارِ. وَإِنَّمَا المَرْءُ بِالجَارِ. وَدَارِي في السِّطَةِ مِن قِلَادَتِهَا[٧]. وَالنُّقْطَةِ مِن دَائِرَتِهَا. كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلَايَ أُنْفِقُ على كُلِّ دَارٍ مِنْهَا[٨]؟ قُلْهُ تَخْمِينًا. إن لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا.

---

(١) **الصقيل**: المجلو كالسيف الذي جلي حتى ظهر بريقه ولمعانه. ويروى: الأسيل بدل الصقيل. و**أسل** الخد يأسل أسالة لان وطال فهو أسيل.

(٢) **الظعينة**: المرأة ما دامت في هودجها أراد منها الزوجة. و**الحليلة**: التي يحل له استيلادها. **ويسعد** مبني للمجهول من أسعده إذا أعانه. وهذه الفقرة في معنى التي قبلها أي من أركان سعادة الرجل أن تكون زوجته معينة له على تدبير بيته والعمل له فيما يحتاج إليه فيه. ومن أهم الأعمال في البيت توفير اللذة في مأكله ومشربه والخفة في الخدمة وكفاية مؤونة الخدم.

(٣) **لحًا**: مصدر لحت القرابة بيننا لحًا إذا التصقت والتحمت ثم قيل هو ابن عمي لحًا أي ملتصقًا أي ابن عم أقرب أخ للأب.

(٤) **الأرومة**: الأصل. أصولها هي أصوله. والفقرات كلها تأكيد لمعنى لحًا.

(٥) أراد أن يبين ما امتازت به عليه وإن اتحد أصلهما فاستدرك على ما أوهمته وحدة الأصول والمنابت من أنها مثله في خلقه وخلقه فقال: غير أنها تمتاز عنه بسعة **الخلق** بضمتين أي الحلم والرزانة لا يضيق صدرها لكثرة ما نيط بها من مصالحه ومصالحها وبحسن **الخلق** بفتح فسكون بمعنى جمال الخلقة.

(٦) **يتغايرون**: أي يغار كل واحد منهم عليها أن يسكنها غيره كما يغار الرجال أن يمس أجنبي ذوات رحمه بما لا يحل له كأنها من الشرف عندهم بحيث لا يستحق الحلول فيها إلا من أهّله لذلك شرفه ويأنف كل منهم أن يساكنهم بها إلا من يحسبه من ذوي رتبته أو أن **المغايرة** هي المعارضة مطلقًا أي أنهم يتدافعون ويتزاحمون على حلولها ويروى: الأحرار بدل الكبار. ونسختنا أمس بالمعنى.

(٧) جعل بيوت المحلة كجواهر القلادة وبيته في مكان الوسط من تلك القلادة. **وواسطة القلادة**: هي أعظم جوهرة فيها.

(٨) **تقدر**: من قدر تقديرًا بمعنى جعل قدرًا. أي بأي مبلغ تحدد وتحسب مقدار ما أنفق في كل دار من دور تلك المحلة.

قُلْتُ: الكَثِيرَ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ ما أَكْبَرَ هذَا الغَلَطَ. تَقُولُ الكَثِيرَ فَقَطْ! وَتَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ[١]. وَقَالَ: سُبْحَانَ مَن يَعْلَمُ الأَشْيَاءَ. وَانْتَهَيْنَا إلى بَابِ دَارِهِ. فَقَالَ: هذِهِ دَارِي كَمْ تُقَدِّرُ يَا مَوْلايَ أَنْفَقْتُ على هذِهِ الطَّاقَةِ؟ أَنْفَقْتُ وَاللهِ عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ[٢]. وَوَرَاءَ الفَاقَةِ. كَيْفَ تَرَى صَنْعَتَهَا وَشَكْلَهَا. أَرَأَيْتَ بِاللهِ مِثْلَهَا. أُنظُرْ إلى دَقَائِقِ الصَّنْعَةِ فِيهَا وَتَأَمَّلْ حُسْنَ تَعْرِيجِهَا فَكَأَنَّما خُطَّ بِالبِرْكَارِ[٣]. وَانْظُرْ إلى حِذْقِ النَّجَّارِ في صَنْعَةِ هذَا البَابِ. اتَّخَذَهُ مِن كَمْ؟ قُلْ: وَمِنْ أَيْنَ أَعْلَمُ. هُوَ سَاجٌ مِن قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ[٤] لا مَأْرُوضٌ وَلَا عَفِنٌ[٥]. إذَا حُرِّكَ أَنَّ. وَإذَا نُقِرَ طَنَّ[٦]. مَنِ اتَّخَذَهُ يَا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو إسْحٰقَ بنُ مُحَمَّدٍ البَصْرِيُّ وَهُوَ وَاللهِ رَجُلٌ نَظِيفُ الأَثْوَابِ[٧]. بَصِيرٌ بِصَنْعَةِ الأَبْوَابِ. خَفِيفُ اليَدِ في العَمَلِ للهِ دَرُّ ذلِكَ الرَّجُلِ.

---

(١) **الصعداء** على وزن العلماء إطلاق النفس مندفعًا من الصدر من بين ضواغط الحزن والأسف وهو ما يعرف عند الجمهور من الناس عندنا بالتنهد وربما أبدلوا دال التنهد بالتاء فقالوا: فلان يتنهت. فلفظ «كثير» عريانًا من ثوب المبالغة في معناه أثار عند التاجر أسفًا من عدم معرفة الناس بما يصرف أهل المحلة في دورهم فتنفس له الصعداء.

(٢) أراد من **الطاقة** ما يفهم من معناها إلى اليوم وهو ما يعبّر عنه بالشباك. **والطاقة** الثانية: الوسع والاستطاعة. أي أنه أنفق عليها ما يفوق استطاعته ويسوق إليه فاقته فهو يأتي من ورائها يحثها إليه.

(٣) **التعريج**: هو الميل والانحناء على نسب محفوظة يشكل به البنيان للزينة فيما تكون زينته به. **والبركار**: هو البيكار آلة لتحديد الدوائر. وقسيها: تحفظ بها الدائرة أو القوس من تفاوت الانحناء في أجزائها.

(٤) أي من كم لوح أو قطعة صنع هذا الباب يريد أن يمتحن عقله بكشف غرابة الصنعة ثم أراد أن يظهر أنها دقيقة لا يمكن للمخاطب أن يعرفها فأمره أن يعترف بجهله ويسأل من أين يكون له علم استفهامًا إنكاريًا يقصد به السلب أي لا علم لي. ثم أخذ في بيان ما استفهم عنه أولًا فقال إنه من قطعة واحدة من ساج. **والساج**: هو شجر يعظم جدًا قالوا: لا ينبت إلا في أرض الهند. ويروى في البيان هو **خليطا** ساج وعاج وقد ازدوجا أي ازدواج اتخذه والله في كم قل ومن أين أعلم هو ساج قطعة لا مأروض الخ. وقوله: «في كم» بمعنى من كم.

(٥) **المأروض** من الخشب الذي أكلته الأرضة. **والعفن**: الذي فسد من رطوبة إصابته فيضعف تماسك أجزائه فهو يتفتت إذا مس.

(٦) إذا حرك لفتح أو إغلاق **أن** أي كان له **أنين** أي صوت مستطيل في دقة كأنه أنين المريض. وإذا **نقر** أي قرع للاستفتاح **طن** أي صوت وسمع له طنين وهذه دلائل متانته وسلامته من الأرضة والعفن.

(٧) ويروى: الأسباب بدل الأثواب.

بِحَيَاتِي لَا اسْتَعَنْتُ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ. وَهذِهِ الحَلْقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتُهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِن عِمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ مُعِزِّيَّةٍ[1] وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنَ الشَّبَهِ[2]؟ فِيهَا سِتَّةُ أَرْطَالٍ وَهِيَ تَدُورُ بِلَوْلَبٍ فِي البَابِ[3] بِاللهِ دَوِّرْهَا. ثُمَّ انْقُرْهَا وَابْصُرْهَا وَبِحَيَاتِي عَلَيْكَ لَا اشْتَرَيْتَ الحَلَقَ إِلَّا مِنْهُ[4] فَلَيْسَ يَبِيعُ إِلَّا الأَعْلَاقَ[5]. ثُمَّ قَرَعَ البَابَ وَدَخَلْنَا الدِّهْلِيزَ وَقَالَ: عَمَّرَكِ اللهُ يَا دَارُ. وَلَا خَرَّبَكَ يَا جِدَارُ. فَمَا أَمْتَنَ حِيطَانَكِ. وَأَوْثَقَ بُنْيَانَكِ. وَأَقْوَى أَسَاسَكِ. تَأَمَّلْ بِاللهِ مَعَارِجَهَا[6] وَتَبَيَّنْ دَوَاخِلَهَا وَخَوَارِجَهَا. وَسَلْنِي: كَيْفَ حَصَّلْتَهَا وَكَمْ مِنْ حِيلَةٍ احْتَلْتَهَا. حَتَّى عَقَدْتَهَا[7]. كَانَ لِي جَارٌ يُكَنَّى أَبَا سُلَيْمَانَ يَسْكُنُ هذِه المَحَلَّةَ وَلَهُ مِنَ المَالِ مَا لَا يَسَعُهُ الخَزْنُ. وَمِنَ الصَّامِتِ مَا لَا يَحْصِرُهُ الوَزْنُ[8]. مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ وَخَلَّفَ خَلَفًا أَتْلَفَهُ بَيْنَ الخَمْرِ وَالزَّمْرِ. وَمَزَّقَهُ بَيْنَ النَّرْدِ وَالقِمْرِ[9]. وَأَشْفَقْتُ أن يَسُوقَهُ قَائِدُ

---

(١) أراد **الحلقة** التي يطرق بها الباب عند الاستفتاح ويجذب منها عند الإقفال. **وسوق الطرائف** كان في بغداد لبيع النفائس. والدنانير **المعزية** نسبة إلى المعز وهذا كما يقال الآن في الديار الشامية لكل نقد مصريات نسبة إلى مصر. وكان المعز لدين الله حمل إلى مصر أموالاً جمة عند استيلائه عليها وعلى الشام وفرق منها في البلاد وكانت الأيام أيام قحط فشاع تداولها ونسبت الدنانير إليه فثبتت لها النسبة وإن تغيرت السكة. ويروى: **مغربية** وهي دنانير المعز أيضًا.

(٢) **الشبه** بالتحريك والشبه بالكسر النحاس الأصفر.

(٣) **اللولب**: الآلة من الحديد لها محور ذو دوائر فيدار إلى اليمين مثلاً فيدخل في الثقب الذي يراد إدخاله فيه فإذا أريد إخراجه أدير إلى خلاف الجهة التي أدير إليها عند إدخاله. وقد يطلق على بعض أنواعه في بعض البلاد وفي بعضها القلاووظ.

(٤) **الضمير** إلى عمران الطرائفي.

(٥) **الأعلاق**: جمع علق بمعنى النفيس فإن كان عمران قد امتاز ببيع النفائس والتاجر قد اشترى الحلقة منه فلا بد أن تكون نفيسة.

(٦) **المعارج**: السلالم التي يصعد منها إلى أعلى الدار. ويروى بعد معارجها «ومدارجها». **والمدارج**: هي المعارج وإنما العطف للإطناب بزيادة الألفاظ أو أراد من المدارج المسالك والمذاهب مطلقًا من عطف العام على الخاص.

(٧) **عقدها**: أي ملكها كأنه ربطها وشدها بنفسه فهي لا تنفصل عن تصرفه أو أنه سلط العقد على الدار وهو يريد البيع الذي هو واسطة التملك أي كيف عقدت بيعها.

(٨) **الصامت**: المال من الذهب والفضة ونحوهما من المعادن والجوهر في مقابلة **الناطق** وهي الأموال من الحيوان كالإبل والبقر والغنم ونحوها.

(٩) **خلف** الرجل مَن يخلفه في ماله أي يرثه ويقوم مقامه وأكثر إطلاقه في الذرية والبنين أي ترك=

الاضْطِرَارِ[١]. إلى بَيْعِ الدَّارِ. فَيَبِيعَهَا في أَثْنَاءِ الضَّجَرِ[٢]. أو يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلْخَطَرِ. ثُمَ أرَاهَا. وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا. فَأَنْقَطِعُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ. إلى يَوْمِ المَمَاتِ. فَعَمِدْتُ إلى أثْوَابٍ لَا تَنِضُّ تِجَارَتُهَا[٣]. فَحَمَلْتُهَا إلَيْهِ وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ. وَسَاوَمْتُهُ على أن يَشْتَرِيهَا نَسِيَّةً[٤]. وَالمُدْبِرُ يَحْسَبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً. وَالمُتَخَلِّفُ يَعْتَدُّهَا هَدِيَّةً[٥]. وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ المَالِ فَفَعَلَ وَعَقَدَهَا لِي[٦]. ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَن اقْتِضَائِه[٧] حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُّ[٨] فَأَتَيْتُهُ فَاقْتَضَيْتُهُ. وَاسْتَمْهَلَنِي

= أولادًا أتلفوا ماله هذا في المسكرات والمطربات. وقال: بين الخمر والزمر لأن النفقة ليست قاصرة على أثمان المسكر وأجرة المطرب ولكن بين ذلك شهوات تنبسط فيها النفقات بما لا تبلغ أثمان المسكر وأجر المطرب مهما ارتفعت قيمتها وغلت أسعارها. **والنرد**: الآلة المعروفة بالطاولة يلعب بها المقامرون غالبهم سالب ومغلوبهم مسلوب. **والقمر**: مصدر قمره إذا غلبه في القمار وخسار المقامر لا يقف عند ما يغرمه لغالبيه بل الخسار الأعظم ضياع أوقاته في المغالبة واشتغاله بطلبها عن العمل في تدبير أمواله بما ينميها ويحفظها لهذا قال بين النرد والقمر.

(١) **أشفقت**: خفت وخشيت. وأراد من يسوقه يوصله. **والاضطرار**: شدة الحاجة التي لا تحتمل وهي تقود الإنسان إلى بيع أملاكه ليدفع بها الضرورة عن نفسه. وأراد أن يطابق بين السوق والقود لكنه أخطأ لأن السائق في المؤخر فلا يكون القائد وهو في المقدم إلا على ما أولنا.

(٢) **الضجر**: الملل وانخذال الصبر وإذا ضجر من الضيق باع الدار لمن يصادف بأي ثمن فلا يشعر صاحب القصة حتى يزيد في سومها ويأخذها. وقوله: فانقطع عليها حسرات يروى: فأتقطع.

(٣) **لا تنض** تجارتها من قولهم ما نض بيدي منه شيء أي ما حصل. أي قصد إلى أثواب كسدت تجارتها فلا يحصل منها ربح وحملها إلى ذلك المضيع.

(٤) **نسية**: أصلها نسيئة بالهمز بعد الياء ثم سهل الهمز بقلبه ياء ثم أدغم. **والنسيئة**: التأجيل أي سألته أن يشتريها لأجل فيكون ثمنها دينًا في ذمته.

(٥) **المدبر**: الذي أدبر عن السعادة وولاها ظهره فهو إلى الشقاء دائمًا فمن كان هذا حاله تراه يستسهل الأخذ بالنسيئة ويظنه عطية لأنه ينتفع بما أخذ ولا يدفع عليه في الحال شيئًا فكأنه منحة ولا يتدبر في إدباره عاقبة الدين ولا ثقل المطالبة. **والمتخلف**: المتأخر عن الناس في حسن الحال فهو وراءهم في راحته وثروته وجميع وسائل سعادته فهذا لتأخره عن أهل الحزم يعتد النسيئة هدية بلا ثمن.

(٦) **الوثيقة**: الصك الذي يكتبه الدائن على المدين شهادة بأن الدين في ذمته. **وأصل المال**: ثمن ما باعه من تلك الأثواب الكاسدة. **وعقد له** الوثيقة: حررها وأمضاها والتزم بما ألزمته.

(٧) **الاقتضاء**: طلب الدائن من المدين أن يقضيه دينه ويؤديه إياه.

(٨) تخيل حاله من الغنى في صورة جلباب قد تجلبب به وأنه بعد ما كان جديدًا كاد يخلق ويرث وأول ما يظهر الوهن في **حواشي الثوب** أي أطرافه لأن المحاكة تكون بها أكثر مما تكون ببقية أجزاء الثوب خصوصًا ما يلي الأرض منها. **ورقة الحاشية** ورقة الحال: أمثال في ضعف الثروة=

فَأَنْظَرْتُهُ[١]. وَالْتَمَسَ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيَابِ فَأَحْضَرْتُهُ. وَسَأَلْتُهُ أن يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ. وَوَثِيقَةً في يَدَيَّ[٢]. فَفَعَلَ ثُمَّ دَرَّجْتُهُ بِالمُعَامَلاتِ إلى بَيْعِهَا حَتَّى حَصَلَتْ لي بِجَدٍّ صَاعِدٍ. وَبَخْتٍ مُسَاعِدٍ وَقُوَّةِ سَاعِدٍ[٣]. وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ[٤]. وَأَنَا بِحَمْدِ اللهِ مَجْدُودٌ[٥]. في مِثْلِ هذِهِ الأَحْوَالِ مَحْمُودٌ. وَحَسْبُكَ يا مَوْلَايَ أني كُنْتُ مُنْذُ لَيَالٍ نَائِمًا في البَيْتِ مَعَ مَن فِيهِ إذ قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ. فَقُلْتُ: مَنِ الطَّارِقُ المُنْتَابُ[٦]؟ فَإِذَا امْرَأَةٌ مَعَهَا عِقْدُ لآلٍ[٧]. فِي جِلْدَةِ مَاءٍ وَرِقَّةِ آلٍ[٨] تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ. فَأَخَذْتُهُ مِنْهَا إِخْذَةَ خَلْسٍ[٩]. وَاشْتَرَيْتُهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ. وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ. وَرِبْحٌ وَافِرٌ. بِعَوْنِ اللهِ وَدَوْلَتِكَ[١٠]. وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهذَا الحَدِيثِ لِتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي في التِّجَارَةِ. وَالسَّعَادَةُ

= وقلة ذات اليد غير أنه يوجد في السنة بعض الناس في بعض البلاد استعمال رقة الحاشية في لين الجانب وهو لازم لضعف الحال عادة فقد يكون مأخوذًا من هذا.

(١) **أنظره**: أخره حتى ينظر كيف يقضيها.

(٢) **الوثيقة** هنا بمعنى ما تكون به الثقة في قضاء دينه استعملها بالمعنى الأعم أي ما يستوثق به أيًا كان. والسياق يعين المراد.

(٣) أي بحظ صاعد بي على مراقي السعادة. **والبخت**: معاونة القدر لا كسب للإنسان فيها. وقوله: **وقوة ساعد**: إشارة إلى أنه لم ينلها بمحض المعونة البختية بل كان له فيها سعي بحيلته فهو كمن حصلها بقوة ساعده وعمل يديه.

(٤) **رب ساع لقاعد** من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تهوين الدنيا أي قد يسعى المرء في كسب ولا ينتفع به هو وإنما يتركه فينتفع به قاعد لم يكسبه بسعيه. وموضع سوقه في القصة حال رب الدار أبي سليمان فإنه سعى وعمر وبنى وشيد فكانت ثمرة سعيه للقاعد الذي لم يبن ولم يعمر ولكنه انتفع بسكنى الدار والتمتع بالراحة فيها وهو صاحب القصة فأما سعيه في امتلاكها فليس بشيء لقلة الخسارة فيه.

(٥) **المجدود**: العظيم الحظ.

(٦) **المنتاب**: الذي يأتي القوم مرة بعد أخرى كأنه جعل إتيانه نوبًا. ثم شاع فيمن يأتي وقت لا يأتي الناس فكأنه لم يطرق بابك إلا بعد ما طرق أبوابًا فرد فانتهت نوبة الطرق إلى بابك.

(٧) **لآل**: جمع لؤلؤ أو لؤلؤة.

(٨) **في جلدة ماء**: أي أن هذه اللآلي في صفائها كأنها في جلدة من الماء فظاهره أشبه بجلد من ماء. **والآل**: السراب وهو يبدو للنظر كأنه ماء وليس بماء فهو وصل من الرقة إلى حد العدم.

(٩) أخذ العقد بثمن بخس زهيد فلا يعد ثمنًا لهذا العقد فكأنه أخذه اختلاسًا ومخاتلة.

(١٠) **دولتك** معطوف على عون الله. وأراد من **دولته** قوة معونته بشهره والرواية عنه حتى تتوجه إليه رغبات الراغبين.

تُنْبِطُ المَاءَ مِنَ الحِجَارَةِ(١). اللهُ أَكْبَرُ لَا يُنْبِئُكَ أصدَقُ مِنْ نَفْسِكَ. وَلَا أَقْرَبُ مِن أَمْسِكَ(٢). اشْتَرَيْتُ هذَا الحَصِيرَ في المُنَادَاةِ. وَقَدْ أُخْرِجَ مِن دُورِ آلِ الفُرَاتِ(٣). وَقْتَ المُصَادَرَاتِ وَزَمَنَ الغَارَاتِ. وَكُنْتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ مُنْذُ الزَّمَنِ الأَطْوَلِ فَلَا أَجِدُ(٤). وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرَى مَا يَلِدُ(٥). ثُمَّ اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ(٦). وَهذَا يُعْرَضُ في الأَسْوَاقِ. فَوَزَنْتُ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دِينَارًا. تَأَمَّلْ بِاللهِ دِقَّتَهُ وَلِينَهُ وَصَنْعَتَهُ وَلَوْنَهُ فَهُوَ عَظِيمُ القَدْرِ. لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا في النَّدْرِ(٧). وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ الحَصِيرِيِّ فَهُوَ عَمَلُهُ وَلَهُ ابنٌ يَخْلُفُهُ الآنَ في حَانوتِهِ لَا يُوجَدُ أَعْلَاقُ الحُصُرِ إِلَّا عِنْدَهُ(٨) فَبِحَيَاتِي لَا اشْتَرَيْتَ الحُصُرَ إِلَّا مِن دُكَّانِهِ فَالمُؤْمِنُ نَاصِحٌ

---

(١) **تنبط الماء**: تستنبعه منها والحجارة في يبسها وصلابتها ليست مظنة الماء ومَن ساعده البخت تراه يكسب من حيث لا مظنة للكسب.

(٢) أما أن الإنسان لا يصدقه في الخبر مثل نفسه فظاهر لأن نفسه هي المدرك منه ولا تكذب فيما وصل إليها إذا رددته في ذكرها. وأما أنه لا ينبئه أقرب من أمسه فلأن المدركات الماضية تضعف صورها من المخيلة فكلما امتد عليها الزمان تضعف القوة الذاكرة في استحضارها حتى تنسى وأقرب ماض من أيامك الأمس فما أدركت فيه باقٍ في الذاكرة على قوة تشخصه فهو أقرب المخبرين إليك يمثل لك حكاية الأمر كأنه حاضر لديك.

(٣) **آل الفرات** علي بن محمد بن موسى بن الحسن ابن الفرات وأخوه أبو العباس أحمد بن محمد ابن الفرات وأخوهما أبو الخطاب جعفر بن محمد كان أولهم وزيرًا للمقتدر بالله بن المعتضد العباسي ثم نكبه وصادره على جميع أمواله في سنة ٣١٢ من الهجرة فيشير صاحب القصة إلى ما أصاب آل الفرات في نكبتهم.

(٤) **الغارة** يصحبها في الأغلب سلب ونهب حتى عد من لوازمها فلهذا تطلق ويراد منها الانتهاب وأخذ الأموال بالقهر بدون سبب شرعي من الأسباب المعروفة عقودًا كانت أو غيرها. فهو يريد من الغارات ما أراده من المصادرات وقوله: فلا أجد يروى: فلم أجد.

(٥) شبه الدهر بالحبلى فإن فيه خفايا حوادث لا يعرف نوعها ولا مقدار أثرها حتى يأتي بها. وإن أحشاء الحبلى تكنُّ من الجنين ما لا يعرف أذكر هو أم أنثى وحي هو أم ميت وذكي هو أم خبيث ولا ما وراء ذلك من صفات كثيرة حتى يبرز. وكما لا بد من ظهور ما أكنت أحشاء الحبلى كذلك لا بد من تصريح الزمان بما يضمر. وقوى التشبيه بقوله: ليس يدري ما يلد. وضرب هذه القضية مثلًا لما كان يخفيه الزمان عليه من وجود حصير مثل الذي وجده، ثم أعثره عليه بما حدث من مصادرات آل الفرات.

(٦) من أبواب بغداد.

(٧) **الندر**: مصدر ندر الشيء يندر ندرًا وندورًا إذا قل وجوده.

(٨) **الأعلاق**: النفائس كما قدمنا.

لِإِخْوَانِهِ. لَا سِيَّمَا مَن تَحَرَّمَ بِخُوَانِهِ[١]. وَنَعُودُ إلى حَدِيثِ المَضِيرَةِ. فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهِيرَةِ. يَا غُلَامُ الطَّسْتَ وَالمَاءَ. فَقُلْتُ: اللهُ أكْبَرُ رُبَّمَا قَرُبَ الفَرَجُ. وَسَهُلَ المَخْرَجُ. وَتَقَدَّمَ الغُلَامُ. فَقَالَ: تَرَى هذَا الغُلَامَ. إِنَّهُ رُومِيُّ الأَصْلِ عِرَاقِيُّ النَّشْءِ. تَقَدَّمْ يَا غُلَامُ وَاحْسِرْ عَن رَأسِكَ[٢]. وَشَمِّرْ عَن سَاقِكَ. وَانْضُ عَن ذِرَاعِكَ وَافْتَرَّ عَن أَسْنَانِكَ. وَأَقْبِلْ وَأَدْبِرْ[٣]. فَفَعَلَ الغُلَامُ ذلِكَ. وَقَالَ التَّاجِرُ: بِاللهِ مَنِ اشْتَرَاهُ. اشْتَرَاهُ وَاللهِ أَبُو العَبَّاسِ. مِنَ النَّخَّاسِ[٤]. ضَعِ الطَّسْتَ. وَهَاتِ الإِبْرِيقَ. فَوَضَعَهُ الغُلَامُ وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ وَقَلَّبَهُ وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ثُمَّ نَقَرَهُ[٥]. فَقَالَ: انْظُرْ إلى هذَا الشَّبَهِ[٦] كأَنَّهُ جُذْوَةُ اللَّهَبِ[٧]. أو قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ. شَبَهُ الشَّامِ[٨]. وَصَنْعَةُ العِرَاقِ. لَيْسَ مِنْ خِلْقَانِ الأعْلَاقِ[٩]. قَدْ عَرَفَ دُورَ المُلوكِ وَدَارَهَا. تَأَمَّلْ حُسْنَهُ[١٠] وَسَلْنِي: مَتَى اشْتَرَيْتَهُ؟ اشْتَرَيْتُهُ وَاللهِ عَامَ المَجاعَةِ[١١]. وَادَّخَرْتُهُ لِهذِهِ السَّاعَةِ. يَا غُلَامُ

---

(١) **الخوان** ما يوضع عليه الطعام كما تقدم **وتحرم**: أي تمنع يقال: تحرم من فلان بذمة أو عهد أو جوار إذا صار في حمايته. وأبو الفتح سيأكل على مائدة التاجر فيكون في حرمه وحمايته لذلك ولهذا يجب عليه أن ينصحه في شراء الحصير أن لا يكون إلا من دكان ابن صاحبه.

(٢) **حسر** عن رأسه: كشف عنها.

(٣) أي انزع ثوبك عن ذراعك. **وافتر**: أي تبسم لتكشف عن أسنانك. وقوله: «وأقبل وأدبر» يروى فيه: وأقبل ببدرك وأدبر بربلك. **وبدره**: وجهه. **وربله**: ما عظم من مؤخره.

(٤) **النخاس**: بائع العبيد يتجر فيها.

(٥) **الضمير** في أخذه للإبريق أي أخذ التاجر الإبريق وقلبه. **وأدار** نظره فيه: أي قلبه ليحيط بجوانبه. ويروى: فقلبه ونقره وأجال فيه نظره.

(٦) **الشبه** كما تقدم النحاس الأصفر.

(٧) **الجذوة**: مثلثة الجيم القبسة من النار والقطعة من الجمر.

(٨) **شبه الشام**: نحاسه وكان مشهورًا بالجودة وصفاء اللون.

(٩) **الأعلاق**: النفائس. **وخلقانها**: جمع خلق بمعنى البالي الرثيث فهو علق وليس ببال ولا رثيث فان.

(١٠) **فاعل** عرف ضمير الإبريق أي أنه كان يستعمل في دار بعض الملوك. **ودارها**: فعل وفاعله ضمير الإبريق أيضًا ومفعوله ضمير دور الملوك أي أن هذا الإبريق طاف في دور الملوك دارًا بعد دار يتنافسون فيه لنفاسته فينتقل من يد ملك إلى يد آخر. وقوله فيما بعد: «تأمل حسنه» يروى بدله: «أحرز بالله وزنه وتأمل حسنه ومتنه».

(١١) يريد أن مالكه كان حريصًا عليه لا يبيعه لولا أن العام كان عام مجاعة. والاضطرار للقوت هو الذي دعا إلى بيعه.

الإِبْرِيقَ[١]. فَقَدَّمَهُ. وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ فَقَلَّبَهُ. ثُمَّ قَالَ: وَأُنْبُوبُهُ مِنْهُ[٢]. لَا يَصْلُحُ هذَا الإِبْرِيقُ إِلَّا لِهذَا الطَّسْتِ. وَلَا يَصْلُحُ هذَا الطَّسْتُ إِلَّا مَعَ هذَا الدَّسْتِ[٣]. وَلَا يَحْسُنُ هذَا الدَّسْتُ إِلَّا في هذَا البَيْتِ. وَلَا يَجْمُلُ هذَا البَيْتُ إِلَّا مَعَ هذَا الضَّيْفِ. أَرْسِلِ الماءَ يَا غُلَامُ[٤]. فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الطَّعَامِ. بِاللهِ تَرَى هذَا المَاءَ مَا أَصْفَاهُ أَزْرَقُ كَعَيْنِ السِّنَّوْرِ[٥]. وَصَافٍ كَقَضِيبِ البِلَّوْرِ. اسْتُقِيَ مِنَ الفُرَاتِ. وَاسْتُعْمِلَ بَعْدَ البَيَاتِ[٦]. فَجَاءَ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ. فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ[٧]. وَلَيْسَ الشَّأْنُ في السَّقَّاءِ. الشَّأْنُ فِي الإِنَاءِ[٨]. لَا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ. أَصْدَقُ مِن نَظَافَةِ شَرَابِهِ[٩]. وَهذَا المِنْدِيلُ سَلْنِي عَنْ قِصَّتِهِ. فَهُوَ نَسْجُ جُرْجَانَ. وَعَمَلُ أَرَّجَانَ[١٠]. وَقَعَ إِلَيَّ فَاشْتَرَيْتُهُ

---

(١) **الإبريق** مفعول المحذوف أي هات الإبريق أو قدم الإبريق.

(٢) مزية أخرى من مزايا الإبريق وهي أن أنبوبه الذي ينزل منه الماء هو منه أي ليس قطعة أخرى تلتحم به ولا يكون ذلك إلا من حذق صانعه وفيه متانة الإبريق وأنه لا يهن منه جزء قبل جزء وأول ما يعرف الخلل عادة في الأنبوب فإذا كان منه فكله في جودة واحدة.

(٣) أراد من **الدست** أشرف مجلس في البيت بما فيه من فرش ووسائد.

(٤) هذا أوان أمره بصب الماء من الإريق ليغسل أبو الفتح يده قبل الطعام.

(٥) **السنور** هو الذي يسمى الهر ويسمى القط.

(٦) **استقي**: أي أخذ من نهر الفرات وهو معروف بصفاء الماء وإنما صح التعبير عن أخذ الماء بالاستقاء لأن الماء يؤخذ عادة للسقيا فتوسع في الاستعمال وعد كل أخذ منه استقاء. والفرات بعيد عن بغداد بمسافة طويلة ولا يجاورها إلا دجلة فكان لهذا التاجر عناية باختيار المياه حتى أنه ليبعث السفار لاستقائه من الفرات. وزاد في صفائه أنه استعمل بعد البيات أي بعد ما بات عنده ليلة فإن كان فيه عكر رسب وخلص الماء منه.

(٧) **لسان الشمعة**: مصباحها المضيء منه وشبهه باللسان لقربه منه في شكله. **ودمعة العين** يضرب بها المثل في الصفاء.

(٨) أي شأن صفاء الماء ونقاوته ليس من براعة السقاء الذي يحمل الماء واختياره لمواضع الاستقاء بل ذلك منشأه من الإناء وهو عود إلى مدح الإبريق. ويروى: وليس الشأن في الماء لكن الشأن في السقاء. يريد أن جنس الماء في نفسه وهو ماء الفرات ليس له شأن في الصفاء ولكن الشأن في السقاء الذي يختار مواضع الاستقاء فهو ينتقي أصفاها. وهذه الرواية بعكس المتقدمة أشبه.

(٩) إذا كان الشراب من الماء صافيًا نظيفًا دل ذلك على نظافة أسباب الماء وهي الأدوات التي فيها حمل وفيها اختزن. ويروى «إلا نظافة أثوابه» وهو يؤيد الرواية الثانية فهو يمدح السقاء الذي يحمل ماءه لبيته.

(١٠) عمل أرجان أي أنه بعد ما نسج في جرجان وهي البلدة التي اشتهر نساجها في جودة النسج وإتقانه حبكوه وطرفوه في أرجان وهي شهيرة أيضًا في مثل هذه الصنعة. وإلا فبين جرجان=

فَاتَّخَذَتْ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلًا. وَاتَّخَذَتْ بَعْضَهُ مِنْدِيلًا. دَخَلَ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا. وَانْتَزَعْتُ مِن يَدِهَا هذَا القَدْرَ انْتِزَاعًا. وَأَسْلَمْتُهُ إلى المُطَرِّزِ حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ وَطَرَّزَهُ[١]. ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ. وَخَزَنْتُهُ فِي الصُّنْدُوقِ. وَادَّخَرْتُهُ لِلظِّرَافِ[٢]. مِنَ الأضْيَاف. لَمْ تُذِلَّهُ عَرَبُ العَامَّةِ بِأَيْدِيهَا. وَلَا النِّسَاءُ لِمَآقِيهَا[٣]. فَلِكُلِّ عِلْقٍ يَومٌ. وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ[٤]. يَا غُلَامُ الخُوَانَ. فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ. وَالقِصَاعَ. فَقَدْ طَالَ المَصَاعُ[٥]. وَالطَّعَامَ. فَقَدْ كَثُرَ الكَلَامُ. فَأَتَى الغُلَامُ بِالخُوَانِ. وَقَلَبَهُ التَّاجِرُ عَلَى المَكَانِ. وَنَقَرَهُ بِالبَنَانِ. وَعَجَمَهُ بالأسْنَانِ[٦]. وَقَالَ: عَمَّرَ اللهُ بَغْدَادَ فَمَا أَجْوَدَ

= وأرجان مسيرة الليالي والأيام الطوال. فأرجان في آخر حدود فارس من ناحية خوزستان فيما يلي شرق العراق العربي. وجرجان بين طبرستان وخراسان وهي فيما يقرب من أواخر مملكة إيران الآن وقلب بلاد فارس الأولى على القرب من بلاد أفغانستان.

(١) **التطريز** في معناه المعروف إلى اليوم وهو رقم الثوب وتوشيته بأعلامه وأغلب ما يكون في الأطراف.

(٢) **الظراف** جمع ظريف وهو هنا حسن الهيئة. **والزي النظيف**: الثوب والبدن.

(٣) أي أنه بعد ما رده من السوق عند ما تم تطريزه خزنه في الصندوق وأعده للأضياف الظراف ولم يبتذله للاستعمال حتى تمتهنه أيدي العرب من العامة، فاستعمل الإذلال وأراد به الامتهان بكثرة المسح في الأيدي الغليظة كأيدي العرب من العامة فإنهم على ما في أيديهم من الخشونة لا يبالون بالنظافة فلا تخلو من الوسخ غالبًا فتصيب المنديل بما يذهب برونقه ويزيل من جدته. ويروى: لم تذله العامة، بدون كلمة العرب. والنساء عطف على العرب أو العامة على الرواية الأخرى. وأعاد **لا** للتنبيه على عين المعطوف عليه من التصريح بحكمه في الارتباط بالفعل أي ولم تذله النساء بمآقيها. **والمآقي**: جمع ماق أو مؤق وهو طرف العين مما يلي الأنف. وقد جرت عادة المرأة إذا اكتحلت أن تمسح مؤق عينها بطرف المنديل لتخفيف الكحل حتى يبقى ما حسن منه مع التوقي من بقاء ما يقذي الحدقة وأثر ذلك في المنديل ليس بأقل من أثر الأدران التي تصيبه من أيدي العرب.

(٤) تقدم أن **العلق**: النفيس. فلكل نفيس يوم يستعمل هو فيه ولا يليق ابتذال النفائس في جميع الأيام ولا استعمال الواحد حيث ينبغي استعمال الآخر دون غيره فيوم هذا المنديل يوم حضور مثل هذا الضيف الجليل. ثم إن لكل قوم آلة تليق لاستعمالهم وهذا الضيف العزيز لا يليق به إلا هذا المنديل وما يماثله.

(٥) **المصاع**: فعال من ماصع القوم مماصعة ومصاعًا تجالدوا وتقاتلوا كأنه أحس بأن إطالته في وصف زوجته وما بعدها مجالدة لضيفه ويشبه أن يكون مقاتلة لثقل الأسر عليه مع احتراق أحشائه بالجوع.

(٦) **البنان**: أطراف الأصابع. **وعجمه**: أي اختبره بأسنانه عضًا.

مَتَاعَهَا. وَأَظْرَفَ صُنَّاعَهَا. تَأَمَّلْ بِاللهِ هذَا الخُوَانَ. وَانْظُرْ إلى عَرْضِ مَتْنِهِ[١]. وَخِفَّةِ وَزْنِهِ. وَصَلَابَةِ عُودِهِ وَحُسْنِ شَكْلِهِ. فَقُلْتُ: هذَا الشَّكْلُ. فَمَتَى الأكْلُ. فَقَالَ: الآنَ. عَجِّلْ يَا غُلَامُ الطَّعَامَ. لكِنَّ الخُوَانَ قَوَائِمُهُ مِنْهُ[٢]. قَالَ أَبُو الفَتْحِ: فَجَاشَتْ نَفْسِي[٣] وَقُلْتُ: قَدْ بَقِيَ الخَبْزُ وَآلَاتُهُ. وَالخُبْزُ وَصِفَاتُهُ[٤]. وَالحِنْطَةُ مِن أَيْنَ اشْتُرِيَتْ أصلًا. وَكَيْفَ اكْتَرَى لَهَا حَمْلًا[٥]. وَفِي أيِّ رَحًى طَحَنَ. وَإِجَّانَةٍ عَجَنَ[٦]. وَأَيَّ تَنُّورٍ سَجَرَ[٧]. وَخَبَّازٍ اسْتَأْجَرَ. وَبَقِيَ الحَطَبُ مِنْ أينَ احْتُطِبَ. وَمَتَى جُلِبَ وَكَيْفَ صُفِّفَ حَتَّى جُفِّفَ. وَحُبِسَ حَتَّى يَبِسَ. وَبَقِيَ الخَبَّازُ وَوَصْفُهُ وَالتِّلْمِيذُ وَنَعْتُهُ[٨] وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ. وَالخَمِيرُ وَشَرْحُهُ. وَالْمِلْحُ وَمَلَاحَتُهُ. وَبَقِيَتِ السُّكُرُّجَاتُ مَنِ اتَّخَذَهَا[٩]. وَكَيْفَ انْتَقَذَهَا. وَمَنِ اسْتَعْمَلَهَا. وَمَنْ عَمِلَهَا[١٠].

---

(١) **المتن**: الظهر وأراد من متنه سطحه وما اتسع منه مما يوضع عليه الأكل. **والخوان** يعرف عند العامة اليوم بالطاولة أو الطرابيزة فظهرها أعلاها الذي يوضع عليه الطعام.

(٢) يريد أن يبين أن ظهر الخوان وقوائمه من قطعة واحدة وهي مزية من مزاياه.

(٣) **جاشت**: هاجت وغلت غضبًا. ويروى: فحاسبت نفسي. فإن كان قوله: «وقلت» بيانًا للجملة قبله كانت هذه الرواية هي الصحيحة. ويصح أن يكون قوله: «وقلت» ابتداء لبيان ما أوجب الجيشان فالرواية الأولى أيضًا في صحتها.

(٤) **الخبز** بالفتح مصدر خبز يخبز **والخبز** الثاني بالضم هو المخبوز. ويروى: قد بقي الخبز وصفاته والخباز وآلاته. والأولى أصح لأن الخباز يأتي ذكره بعد فيتكرر.

(٥) **أصلاً**: تمييز من ضمير اشتريت أي أين اشتري أصلها وهو الحب. **وحملاً** مفعول لاكترى. والمكتري في الحقيقة الحامل لكنه أوقع الاكتراء على الحمل لأنه المقصود به.

(٦) **الإجانة**: المركن وهو إناء يغسل فيه ويعجن وتقضى به حاجات كثيرة من شبه ذلك.

(٧) **سجر التنور**: ملأه وقودًا وأحماه.

(٨) أراد تلميذ الخباز. ويروى قبل قوله وبقي الخباز «وبقي من شقه وكيف قضينا حقه» أي شق الحطب وكسره ليصلح للوقود وكيف قضى حقه من الأجرة على ذلك.

(٩) **السكرجات**: الصحاف التي توضع فيها ألوان الطعام. **واتخذها**: صنعها. ويقال: اتخذت إبريقًا من النحاس مثلاً أي صنعته منه.

(١٠) **انتقذها** بالقاف أي استخلصها بالشراء من يد صانعها أو بائعها. ففاعل انتقذ ضمير صاحب القصة بخلاف فاعل اتخذ فإنه ضمير من. ومن **استعملها**: أي استعمل نوعها أي أن نوع هذه الصحاف يستعمله أي طبقة من الناس الأعالي منهم أو الأداني أو الملوك أو الصعاليك. ومن **عملها** أي طبقة من الصناع تصنعها. **فمن اتخذها** يريد منه الشخص. ومن **عملها** يريد منه الطائفة. ويروى: انتفذها بالفاء ولا معنى لها. ويروى: أنفذها أي أرسلها إليه بعد صنعتها.

وَالخَلُّ كَيْفَ انْتُقِيَ عِنَبُهُ. أوِ اشْتُرِيَ رُطَبُهُ. وَكَيْفَ صُهْرِجَتْ مِعْصَرَتُهُ[١] وَاسْتُخْلِصَ لُبُّهُ[٢] وَكَيْفَ قُيِّرَ حُبُّهُ. وَكَمْ يُسَاوِي دَنُّهُ[٣]. وَبَقِيَ البَقْلُ كَيْفَ احتِيلَ لَهُ حَتَّى قُطِفَ. وَفِي أيِّ مَبْقَلَةٍ رُصِفَ[٤]. وَكَيْفَ تُؤُنِّقَ حَتَّى نُظِّفَ. وَبَقِيَتِ المَضِيرَةُ كَيْفَ اشْتُرِيَ لَحْمُهَا. وَوُفِّيَ شَحْمُهَا[٥]. وَنُصِبَتْ قِدْرُهَا. وَأُجِّجَتْ نَارُهَا[٦]. وَدُقَّتْ أبْزَارُهَا. حَتَّى أُجِيدَ طَبْخُهَا وَعُقِّدَ مَرَقُهَا[٧]. وَهذَا خَطبٌ يَطُمُّ[٨]. وَأمْرٌ لَا يَتِمُّ. فَقُمْتُ. فَقَالَ: أينَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةً أقْضِيهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ تُرِيدُ كَنِيفًا يُزْرِي بِرَبِيعِيِّ الأمِيرِ. وَخَرِيفِيِّ الوَزِيرِ[٩]. قَدْ جُصِّصَ أعْلَاهُ وَصُهْرِجَ أسْفَلُهُ وَسُطِّحَ سَقْفُهُ[١٠] وَفُرِشَتْ بِالمَرْمَرِ أرضُهُ. يَزِلُّ عَن حَائِطِهِ الذَّرُّ فَلَا يَعْلَقُ[١١]. وَيَمْشِي عَلَى أرْضِهِ الذُّبَابُ فَيَزْلَقُ. عَلَيْهِ بَابٌ غَيْرَانُهُ مِن خَلِيطَي سَاجٍ وَعَاجٍ[١٢]. مُزْدَوِجَيْنِ

---

(١) **صهرجت**: طليت بالصاروج وهو النورة وأخلاطها. وأراد من **المعصرة**: ما يوضع فيه العنب أو الرطب للعصير. ثم يدار عليه حجر العصر. **والحوض**: الذي يسيل إليه العصير.

(٢) أراد من **اللب** النوى في الرطب وما يشبهه في العنب أي كيف نقي من لبه. وقد يراد من اللب الخلاصة والضمير للخل أي كيف استخلص أجوده من رديئه.

(٣) **الحب**: الخابية أو الجرة الكبيرة. **وقير**: مبني للمجهول كغير أي طلي **بالقار** وهو القطران. **والدن**: الخابية أيضًا. أراد أنه لا بد من الكلام في كم تساوي الخابية بعد الكلام في كيف قيرت إلا أنه أعادها بلفظ آخر صريح لأن المقام للإطناب.

(٤) **المبقلة**: ما يوضع فيه البقل. **ورصف**: أي ضم بعضه إلى بعض.

(٥) أي كيف جرى التأنق والدقة في العمل حتى نظف ذلك البقل من الأتربة التي لا تخلو منها وهو في منبته. وقوله في الحديث عن المضيرة (ووفي شحمها) يروى (ووفر شحمًا) والتوفير التكثير.

(٦) **أججت** النار: أشعلت وأضرمت.

(٧) **عقد** المرق تعقيدًا: إذا أغلاه حتى غلظ.

(٨) **الخطب**: الأمر الجسيم. **ويطم** أي يعظم ويتفاقم.

(٩) **ربيعي الأمير** ما يتخذه من المساكن في الخلوات أيام الربيع ومثله يتأنق فيه لأنه يبنى لترويح النفس وإنعاشها. فكنيف صاحب القصة يزري ويتنقص بحسنه ونظافته قصر الأمير المختص بإقامته أيام الربيع. ومثله خريفي الوزير.

(١٠) **جصص**: طلي بالجص وهو الجير. **وصهرج**: طلي بالصاروج كما تقدم قبل أسطر. **وسطح**: أي سوي سقفه.

(١١) **الذر**: صغار النمل. **ويزل** عن حائطه: يزلق عنه لشدة ملاسته ومثله ما يزلق الذباب إذا مشى على أرضه.

(١٢) **الغيران**: جمع غار أصله الأخدود بين اللحيين من الفم استعمله في الفواصل بين ألواح الباب. ثم قال: إن هذه المفاصل من **ساج** وهو خشب شجر عظيم قالوا إنه لا ينبت إلا في بلاد الهند=

أحْسَنَ ازْدِوَاجٍ. يَتَمَنَّى الضَّيْفُ أن يَأْكُلَ فِيهِ. فَقُلْتُ: كُلْ أنْتَ من هذَا الجِرَابِ. لَمْ يَكُنِ الكَنِيفُ في الحِسَابِ. وَخَرَجْتُ نَحْوَ البَابِ. وَأسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ. وَجَعَلْتُ أعْدُو وَهُوَ يتْبَعُنِي وَيَصِيحُ يَا أبَا الفَتْحِ المَضِيرَةَ. وَظَنَّ الصِّبْيَانُ أنَّ المَضِيرَةَ لَقَبٌ لِي فَصَاحُوا صُيَاحَهُ فَرَمَيْتُ أحَدَهُمْ بِحَجَرٍ. مِنْ فَرْطِ الضَّجَرِ. فَلَقِيَ رَجُلٌ الحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ. فَغَاصَ في هَامَتِهِ[1]. فَأُخِذْتُ مِنَ النِّعَالِ بِمَا قَدُمَ وَحَدُثَ. وَمِنَ الصَّفْعِ بِمَا طَابَ وَخَبُثَ. وَحُشِرْتُ إلى الحَبْسِ. فَأَقَمْتُ عَامَيْنِ فِي ذَلِكَ النَّحْسِ. فَنَذَرْتُ أن لَا آكُلَ مَضِيرَةً مَا عِشْتُ. فَهَلْ أنَا فِي ذَا يَا آلَ هَمَذَانَ ظَالِمٌ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَقَبِلْنَا عُذْرَهُ. وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ[2]. وَقُلْنَا قَدِيمًا جَنَتِ المَضِيرَةُ عَلَى الأحْرَارِ. وَقَدَّمَتِ الأرَاذِلَ عَلَى الأخْيَارِ[3].

= **وعاج** وهو عظم سن الفيل. يريد أن الباب من خشب الساج وأنه ركب العاج في فواصله للزينة فكانت تلك المفاصل من خليطين وهما الساج والعاج. وقد ازدوجا واصطحبا بحسن التأليف أحسن ازدواج.

(١) دخل الحجر في **هامة** الرجل أي رأسه فهاج القوم على أبي الفتح لشجه أحد رجالهم فأخذوه بنعالهم القديم منها والحديث وأنالوه من الصفع بالطيب منه والخبيث أي الخفيف والثقيل والمؤلم منه وغير المؤلم.

(٢) نذروا أن لا يأكلوا مضيرة كما نذر.

(٣) لما كانت المضيرة سبب الدعوة إلى بيت التاجر وإجابة الدعوة جرت إلى حكاية الرجل حال زوجته وما بعدها وذلك أدى إلى حجز أبي الفتح وفراره مما عساه يزيد في إملاله وانطلاق الرجل خلفه ينادي بالمضيرة ومشايعة الصبيان له في الصياح وغيظ أبي الفتح ورميه الحجارة على الصائحين العادين خلفه وشجه أحد الرجال وتحريك ذلك لهم على ضربه وصفعه ثم حبسه فقد كانت المضيرة هي السبب في هذا النحس الذي أصابه. ومن تسبب لك في مصيبة فقد جنى عليك فكأن المضيرة هي التي جنت عليه لا أولئك الضاربون والحابسون فلهذا نسب الجناية إليها. **والأحرار** أبو الفتح وأمثاله ولم يسمع بجنايتها إلا على أبي الفتح لكن جنايتها عليه وحده جناية على الأحرار كلهم لأن الحر يألم بألم الحر. **والأراذل**: الذين بدأوا بإساءته والصياح عليه لم ينتصف منهم ولكنهم انتقموا منه. ويروى بدل «الأراذل» الأنذال.

المقَامَةُ الحِرْزِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا بَلَغَتْ بِيَ الغُرْبَةُ بَابَ الأَبْوَابِ[١]. وَرَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[٢]. وَدُونَهُ مِنَ البَحْرِ وَثَّابٌ بِغَارِبِهِ[٣]. وَمِنَ السُّفُنِ عَسَّافٌ بِرَاكِبِهِ[٤]. اسْتَخَرْتُ اللهَ فِي القُفُولِ[٥]. وَقَعَدْتُ مِنَ الفُلْكِ. بِمَثَابَةِ الهُلْكِ[٦]. وَلَمَّا مَلَكَنَا البَحْرُ. وَجُنَّ عَلَيْنَا اللَّيْلُ[٧] غَشِيَتْنَا سَحَابَةٌ تَمُدُّ مِنَ الأَمْطَارِ

---

(١) **باب الأبواب**: ثغر من ثغور بحر الخزر في الشمال الغربي من بلاد فارس على حدودها ويعرف بدربند أيضًا وهو اليوم في بلاد داغستان في حوزة الروس. وإنما سمي باب الأبواب للأبواب الحديدية التي كانت في أسواره.

(٢) **الرضى** من الغنيمة بالإياب مثل في الخيبة يضرب لكل مَن سعى إلى شيء فلم ينله غير أنه لم يعطب.

(٣) **دونه** أي دون الإياب أي مع أنه لم يغنم شيئًا سوى الرجوع بنفسه كان يحول بينه وبين الرجوع بحر الخزر وهو مشهور بالهياج والاضطراب. **والغارب**: أعلى الموج وإن الغوارب تثب على المراكب لتعلوها. **فوثاب** صيغة مبالغة من وثب وكأن البحر حي له وثبات إرادية على الجواري التي تسير على ظهره. والبحر وثاب وغير وثاب والذي دون رجوعه هذا من البحر هو الوثاب. ويروى: «ودونه من البحر وثاب رجاف بغاربه، وفي السفن عساف بصاحبه». **والرجاف**: الكثير الرجفان وهو الاضطراب.

(٤) **العساف**: الذي يبالغ في الاعتساف وهو السير على غير طريق. والسفن بين تدافع الأمواج لا يمكن ضبط سيرها على طريق قويم فهي مع قذفات الأمواج تارة ترمي بها إلى اليمين وأخرى إلى الشمال ومرة إلى الخلف وأخرى إلى الأمام.

(٥) **استخرت**: جواب لما. **والقفول**: الرجوع. أي عزمت على ذلك وإن كان دونه ما تقدم ذكره.

(٦) **المثابة**: الموضع الذي يثاب إليه أي يؤوى إليه. **والهلك** بالفتح والضم الهلاك. أي كان جلوسي في موضع يثوب إليه الهلاك فأنا هالك فيه لا محالة. فالكلام كناية عن كونه في خطر الهلاك وهي من لطيف الكنايات.

(٧) توسطنا البحر فصار محيطًا بنا فكأنه مالك لنا لا نستطيع الافتكاك من قبضته. **وجن الليل**: أظلم=

جِبَالًا[١]. وَتَحُوذُ مِنَ الغَيْمِ جِبَالًا[٢]. بِرِيحٍ تُرْسِلُ الأَمْوَاجَ أَزْوَاجًا. وَالأَمْطَارَ أَفْوَاجًا[٣]. وَبَقِينَا في يَدِ الحَيْنِ. بَيْنَ البَحْرَينِ[٤]. لَا نَمْلِكُ عُدَّةً غَيْرَ الدُّعَاءِ. وَلَا حِيلَةَ إِلَّا البُكَاءَ. وَلَا عِصْمَةَ غَيْرَ الرَّجَاءِ[٥]. وَطَوَيْنَاهَا لَيْلَةً نَابِغِيَّةً[٦] وَأَصْبَحْنَا نَتَبَاكَى وَنَتَشَاكَى وَفِينَا رَجُلٌ لَا يَخْضَلُ جَفْنُهُ[٧]، وَلَا تَبْتَلُّ عَيْنُهُ. رَخِيُّ الصَّدْرِ مُنْشَرِحُهُ[٨]، نَشِيطُ القَلْبِ فَرِحُهُ. فَعَجِبْنَا وَاللهِ كُلَّ العَجَبِ، وَقُلْنَا لَهُ: مَا الَّذِي أَمَّنَكَ مِنَ العَطَبِ. فَقَالَ: حِرْزٌ لَا يَغْرَقُ صَاحِبُهُ[٩]. وَلَوْ شِئْتُ أن أَمْنَحَ كُلًّا مِنْكُمْ حِرزًا لَفَعَلْتُ. فَكُلٌّ رَغِبَ إِلَيْهِ، وَأَلَحَّ فِي المَسْأَلَة عَلَيْهِ. فَقَالَ: لَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ حَتَّى يُعْطِيَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَارًا الآنَ وَيَعِدَني دِينَارًا إِذَا سَلِمَ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَنَقَدْنَاهُ مَا طَلَبَ.

= حتى ستر ما فيه.

(١) تمثيل تلاحق القطرات النازلة وامتدادها في صور الحبال معروف مشهور.

(٢) **تحوذ**: بالذال المعجمة من حاذ الدابة ساقها سوقًا سريعًا. أي أن هذه السحابة تسوق إلينا جبالاً من السحاب وكثيراً ما تظهر السحب للعين كأنها جبال شامخة فالتشبيه على حده. وفي نسخة: «وتحدو» بدل تحوذ.

(٣) **الأفواج**: الجماعات.

(٤) **الحين**: الهلاك كأنه جبار له يدان قد وقعوا في قبضته بين بحرين بحر السماء وبحر الخزر. وفي نسخة: بين بحرين بدون تعريف.

(٥) **العدة**: ما يستعان به على قهر العدو والنجاة من يده. ولم يبق لهم عدة ولا قوة سوى الدعاء والتضرع إلى الله وهي عدة العاجزين إذا تجردت. ومَن لا حيلة له إلا البكاء فقد فقد الحيلة وكان البكاء غاية ما يدرك من الحظ. **العصمة**: ما تعتصم به وتمتنع من الردى وإذا يئست فقد قضيت وإنما يعصم من الهلاك عند اشتداد البلاء بقية الرجاء في الفرج. فهم في حالة لم يبق مما يحفظ عليهم حياتهم سوى رجائهم في الله أن يخلصهم.

(٦) **نابغية** نسبة إلى النابغة. وليلته المشار إليها بقوله:

كليني لهمٍّ يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب

أو قوله:

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

(٧) **اخضل** يخضل صار نديًا بليلاً كنى بهذا عن عدم البكاء أي لا يندى جفنه بالدموع.

(٨) **رخي** الصدر: كقولهم: رخي البال أي واسعه.

(٩) **أصل الحرز**: ما يحفظ به الأشياء من صندوق ونحوه ثم استعمل في كل ما يمنع من ضياع وتلف ثم خصص في اصطلاح المعوذين بما يكتب ويحمل فيقي حامله من الخطر أو يبلغه إلى وطر أو يحفظ عليه صحة أو يقيه من مرض كل ذلك في مزاعمهم وقد نهى الإسلام عنه.

وَوَعَدْنَاهُ مَا خَطَبَ. وَآبتْ يَدُهُ إلى جَيْبِهِ فَأَخْرَجَ قِطْعَةَ دِيبَاجٍ فِيهَا حُقَّةُ عَاجٍ[١]. قَدْ ضُمِّنَ صَدْرُهَا رِقَاعًا. وَحَذَفَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا[٢]. فَلَمَّا سلِمَتِ السَّفِينَةُ. وَأَحَلَّتْنَا الْمَدِينَةُ[٣] اقْتَضَى النَّاسَ مَا وَعَدُوهُ[٤]. فَنَقَدُوهُ وَانْتَهَى الأمْرُ إلَيَّ فَقَالَ: دَعُوهُ. فَقُلْتُ: لكَ ذلِكَ. بَعْدَ أن تُعْلِمَنِي سِرَّ حَالِكَ[٥]. قَالَ: أنَا مِن بِلَادِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ. فقُلْتُ: كَيْفَ نَصَرَكَ الصَّبْرُ وَخَذَلَنَا[٦]. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَيْكَ لَوْلَا الصَّبْرُ مَا كُنْـ ـتُ مَلَأْتُ الْكِيسَ تِبْرَا[٧]
لَنْ يَنَالَ الْمَجْدَ مَنْ ضَا قَ بِمَا يَغْشَاهُ صَدْرَا[٨]
ثُمَّ مَا أعْقَبَنِي السَّا عَةَ مَا أُعْطِيتُ ضَرًّا[٩]

(١) **آبت**: رجعت. ويروى: فمد يده. **والديباج**: الحرير. **والعاج**: سن الفيل. **والحقة**: معروفة. ويروى: فأخرج خرقة ديباج في حقة عاج.

(٢) **حذف** كل واحد منا بواحدة أي رمى كلامنا برقعة من تلك الرقاع. **والرقاع**: هي الأوراق المكتوبة أحرازًا. ويروى: وكف كل واحد بدل حذف ولا معنى لها.

(٣) **المدينة** فاعل أحلتنا أي جعلتنا المدينة حالين بما فيها من الاستعداد للحلول بها.

(٤) **اقتضاهم**: طلب منهم أن يؤدوا إليه الدينار الذي وعد كل منهم أن يعطيه بعد السلامة.

(٥) قال الرجل دعوه أي اتركوه لا تأخذوا لي منه شيئًا. فقال عيسى بن هشام: إني إسمح لك بالدينار لكن بعد أن تطلعني على باطن حالك. ويروى: شرح حالك بدل سر حالك.

(٦) **الصبر** ينصر صاحبه على زحف المصيبة فلا تفعل به ما تفعل بالجزع فإن الحزن والأسف وشدة الجزع من أشد نواهك البدن. وإذا خذل الصبر المصاب أسلمه للمصيبة تنهك قواه وتستلب راحته حتى لقد تسلمه إلى العطب.

(٧) جواب للسؤال السابق أي أنه صبر لعلمه بفوائد الصبر فلولا الصبر وظهور الطمأنينة عليه واهتمامهم بسؤاله عن حاله واحتياله عليهم بالإحراز ما ملأ الكيس ذهبًا فهي إحدى فوائد الصبر.

(٨) من ضاق صدره بما **يغشاه** أي يطرأ عليه من الكروب فهو ضعيف العزم واهنه فلا ينهض به عزمه إلى بلوغ المجد ونيله.

(٩) بعدما بين في البيت السابق أن الصبر من قوة العزم وفاقده ليس أهلًا لنيل المجد وهي مزية ذاتية تحمل على اقتنائه وإلزام النفس بالتحلي به أراد أن يبين أنه مع تلك المزية لا يكلف ضررًا فإن الذي أعطيته من النقود وكان من فوائد الصبر لم يجلب علي في هذه الساعة ضرًا وخسارًا بل أفادني فوائد فإني أشتد به أزرًا الخ. فهو في البيت الأول استدل على فضل الصبر بالفائدة المحسوسة وفي الثاني بالمزية الذاتية وأنه من آيات قوة النفس وعلو الهمة وضده من علامات الخسة والانحطاط. وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة رجوع إلى تفصيل ما أجمل في الإشارة إليه في البيت الأول. وقدم المحسوس لأنه أقرب تناولًا. ثم ثنى بالمعقول لأن النفس قد ركنت إلى=

بَـــلْ بِـــهِ أَشْـــتَـــدُّ أَزْرًا وَبِـــهِ أَجْـــبُـــرُ كَـــسْـــرًا[١]
وَلَوَ أَنِّـي الـيَـوْمَ فِـي الـغَـرْ قَـى لَمَـا كُـلِّفْـتُ عُـذْرًا[٢]

= التصديق فاستعدت للتأمل فلا يبعد عليها إدراك ما علا عن الحس. ثم ثلث بتفصيل الفوائد الحسية للصبر ترشيحًا للاستدلال.

(١) **الأزر**: الظهر. واشتداده كناية عن قوته. وما أخذه من المال يعين الضعيف فيقويه وينصره على الفقر. **وجبر الكسر** إزالة أثره وإعادة الكسير إلى صحته. ثم يكنى به عن سد الحاجة وما المحتاج بأحسن حالاً من الكسير.

(٢) أي لو غرقت السفينة وكنت معكم في الغرقى جمع غريق لما وجد مَن يقول أين ما وعدت به من السلامة بسر إحرازك حتى أتكلف له عذرًا وهذا بيان لبصيرته في حيلته وهي من روح الصبر وشعلة من ناره.

المقَامَةُ المارِسْتَانيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ مَارِستَانَ البَصْرَةِ[١] وَمَعِي أَبُو دَاوُدَ المُتَكَلِّمُ[٢] فَنَظَرْتُ إلى مَجْنُونٍ تَأْخُذُنِي عَيْنُهُ وَتَدَعُنِي[٣]. فَقَالَ: إن تَصْدُقِ الطيْرُ[٤] فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ. فَقُلْنَا: كَذلِكَ. فَقَالَ: مَنِ القَوْمُ للهِ أبُوهُمْ؟ فَقُلْتُ: أَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ وَهذَا أَبُو دَاوُدَ المُتَكَلِّمُ. فَقَالَ: العَسْكَرِيُّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: شَاهَتِ الوُجُوهُ وَأَهْلُهَا[٥] إنَّ الخِيرَةَ للهِ لَا لِعَبْدِهِ[٦]. وَالأُمُورُ بِيَدِ اللهِ لَا بِيَدِهِ. وَأَنْتُمْ يَا مَجُوسَ هذِهِ

---

(١) **المارستان**: موضع ما يعالج المجانين.

(٢) **المتكلم**: الناظر في علوم العقائد الدينية وفنها فن الكلام في اصطلاح أهلها وسمي بذلك لكثرة ما وقع فيه الجدال. وأهل الجدال فيه كانوا أبرع الناس منطقًا فسموا فنهم بالكلام. **وأبو داود** كان من متكلمي المعتزلة وما يقع من المجنون رد عليه في عقائده وسيأتي بيانها عند الرد.

(٣) **تأخذه** عينه: ينطلق إليه بصره. وتدعه: يرجع عنه البصر.

(٤) **الطير**: قد تكون اسم جنس الطائر. وفي عوائد العرب إذا أرادوا أمرًا أن يستدلوا على مغبته من خير وشر بأصوات الطائر أو بعض حركاته فتارة ينفرونه لينظروا إلى أي جهة بطير ثم يستنبطون من ذلك ما أرادوا. ثم عرف في كلامهم عند الحكم بما فهموه من أصوات الطير وحركاته أن يقولوا: إن صدقت الطير كان كذا وكذا. ثم صار هذا القول مثلاً في كل تفرس وحكم على الغيب بقوة الحدس. وقد يكون الطير هٰهنا اسمًا من **الطيرة** وهي التشاؤم وأصلها أيضًا مما قدمنا ولم يرد حقيقة معناها ولكنه أراد أن تصدق الفراسة لأن الطيرة تكاد تكون ضربًا منها إن صدقت.

(٥) **شاهت** الوجوه: قبحت. وهي كلمة دعاء تقولها لمن لا يسرك أن تراه. ويروى: «البلدة وأهلها» وأراد بلدة داود ورفيقه.

(٦) **الخيرة**: الاختيار المطلق. والمعتزلة يذهبون إلى أن العبد مختار مطلق في أفعاله وما لإرادة الله دخل فيها. والمجنون يدفع ذلك ويقرر أن الاختيار لله وحده وليس للعبد إرادة مطلقة في أفعاله وأن الأمور وتصريفها سواء كانت من أفعال العبد أم لا هي بيد الله لا بيد العبد.

الأُمَّةِ تَعِيشُونَ جَبْرًا. وَتمُوتُونَ صَبْرًا. وَتُسَاقُونَ إلى المَقْدُورِ قَهْرًا[١]. وَلَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِم القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِمْ[٢]. أَفَلَا تُنْصِفُونَ. إن كَانَ الأمْرُ كَمَا تَصِفُونَ[٣] وَتَقُولُونَ خَالِقُ الظُّلْمِ ظَالِمٌ[٤]. أَفَلَا تَقُولُونَ خَالِقُ الـهَلْكِ هَالِكٌ. أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا. أَنَّكُمْ أَخْبَثُ مِن إبْلِيسَ دِينًا، قَالَ: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي[٥] فَأَقَرَّ

---

(١) **مجوس هذه الأمة** الذين ينكرون القدر الإلـٰهي ويلمز به المعتزلة لقولهم المتقدم وهو يستدل عليهم بأنهم يعيشون في هذه الحياة جبرًا لأنهم ولدوا بغير اختيارهم ونموا بغير صنعهم ولا يزالون لا يستشارون في حفظ حياتهم أو إعدامها فإن كانت معيشتهم جبرية وكل يحس من نفسه أنه مصرف بقوة أعلى من قوته وهو في يومه لا يعلم ما يكون في غده بل هو في عمله المشتغل به لا يأمن أن يعرض عليه ما يمنعه من إتمامه بل هو في تناول شربة من ماء أو لقمة من غذاء على خطر أن يغص بها فيموت فكيف مع شهود هذه الحال من أنفسهم يذهبون أن الخيرة للعبد في أحواله وأعمال. **والموت صبرًا** أن يحبس حتى يموت وهكذا حال كل حي هو مقبوض عليه في حياته بيد يجد أثر قبضها وهو لا يراها ولا يزال كذلك حتى يموت رغم أنفه فهو بمنزلة من يحبس حتى يموت. ويقال لمن أمسك ثم ضرب حتى مات إنه مات صبرًا. وهكذا الحي لا يزال يرمى بصدمات الفواعل التي قد يسمونها بالقوى الطبيعية ولا تزال تتقلب عليه أدوار الحياة ويمنى بعوارض الأسنان حتى تنتهي به هذه القواسر إلى الموت كمن يرمى بالحجارة أو يضرب حتى يموت وليس في اختيار أحد أن يتملص من حكم سن الشبيبة أو الشيخوخة مثلاً. وقوله: **وتساقون** الخ. أي كثيرًا ما يعرض لكم أن تريدوا شيئًا فتطلبوه ثم تنقلبوا عنه إلى ما لا تحبون على غير اختياركم فأنتم تساقون إلى ما قدره الله قهرًا بلا خيرة.

(٢) هذا انتقال إلى دليل بعد ما فرغ من الدليل العقلي. والجملة آية من القرآن ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ الخ في جواب القائلين ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ والمراد من الآية أن الجبن والقعود لا يطول أجلًا فلو كانوا في بيوتهم على حذر من حتوفهم وكان قد قدر لبعضهم أن يموتوا لبرز الدين كتب عليهم القتل إلى حيث يصرعون.

(٣) ينكر عليهم عدم الإنصاف في دعواهم إن كانت كما يزعمونها فيما يظهر من كلامهم عليها أي أنهم في زعمهم هذا على ما يصفونه غير منصفين لظهور ما يخالفه ويدحض حجتهم عليه إن كانت.

(٤) يقول المعتزلة في الاستدلال على أن الله لا يخلق أفعال العبد: لو كان الله خالقًا لأفعال العبد وفي العبيد من يقع منه الظلم قطعًا لكان الله خالقًا للظلم ولو كان خالقًا للظلم لكان ظالمًا فلو كان خالقًا لأفعال العبد لكان ظالمًا والتالي باطل بالإجماع فالمقدم باطل فليس بخالق لأفعال العبد. فهذا المجنون يعارض هذا الدليل بأنه خالق للهلك قطعًا في قوله لأن الإعدام كالإيجاد من خصائص القدرة الإلـٰهية خصوصًا الهلاك العام عندما يؤذن العالم بالانقضاء فلو صح استدلالكم ذلك للزمكم أنه هالك لأنه خالق الهلك. ويروى: قاضي بدل خالق وهو بمعنى المقدر.

(٥) في قول إبليس هذا إقرار بأن الله هو الذي أغواه. والمعتزلة ينكرون مثل ذلك.

وَأَنْكَرْتُمْ. وَآمَنَ وَكَفَرْتُمْ. وَتَقُولُونَ: خُيِّرَ فَاخْتَارَ. وَكَلَّا فَإِنَّ الْمُخْتَارَ لَا يَبْعَجُ بَطْنَهُ. وَلَا يَفْقَأُ عَيْنَهُ. وَلَا يَرْمِي مِن حَالِقٍ ابنَهُ. فَهَلِ الإِكْرَاهُ. إِلَّا مَا تَرَاهُ(١)؟ وَالإِكْرَاهُ مَرَّةً بِالْمِرَّةِ. وَمَرَّةً بِالدِّرَّةِ(٢). فَلْيَخْزِكُمْ أَنَّ القُرْآنَ بَغِيضُكُمْ. وَأَنَّ الحَدِيثَ يَغِيظُكُمْ(٣). إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ أَلْحَدْتُمْ(٤). وَإِذَا سَمِعْتُمْ زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ فَأُرِيتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا جَحَدْتُمْ(٥). وَإِذَا سَمِعْتُمْ عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ حَتَّى هَمَمْتُ

---

(١) يقول المعتزلة إن العبد خير في أي الأفعال يفعل فاختار ما مالت إليه نفسه لا مدخل لغير اختياره في فعله. وهذا المجنون يقول كلا لا يكون ذلك فإنا نرى من الناس من **يبعج** بطنه بالسكين أي يشقه به ولا يعقل أن مثل ذلك الفعل باختياره ومنهم مَن يفقأ عين نفسه ومنهم مَن يرمي بابنه من **حالق** أي مكان عال شامخ فيموت فهل يعقل أن ذلك يصدر عنه باختياره مع أنه في إتيان هذا الفعل لا تختلف إرادته في توجهها إليه عنها في توجهها إلى سائر الأفعال فهي حركة إرادية كسائر الحركات. وما الإكراه إلا هذا الذي تراه من تصرف الأسنان بتصريف قوة يجد أثرها ولا يرى جوهرها.

(٢) **المرة**: بالكسر العقل. والقضية جواب عما عساه يقال: إنا نجد إرادتنا تنبعث عن تصديق عقولنا بغايات أعمالنا فكيف نكون مكرهين فيها. فقال: إن الإكراه يكون تارة بهذه القوة التي سميتها عقلاً فهي تسوقك إلى ما أراد بك مصرفك وهذا هو السائق الباطني وتارة **بالدرة** أي السوط الذي يضرب به فمكرهك المحسوس يسوقك إلى ما أراد بالسوط، ومكرهك المعقول يسوقك إليه باللطيف.

(٣) فليكن موجبًا لخزيكم أن القرآن بغيضكم أي ممقوتكم الذي تبغضونه الذي ينطق بخلاف ما تعتقدونه وأن الحديث المروي عن النبيّ ﷺ يغيظكم أي يوجب كمدكم وحنقكم ... بين ذلك بما يذكر من بعد في قوله إذا سمعتم الخ.

(٤) **ألحدتم**: أي ملتم عن ظاهر ما يفهم منها وحدتم عنه إلى تأويل لا ينطبق على الآية وهذا متعلق بمسألة الاختيار أيضًا وأنه تعالى خالق كل شيء خيرًا كان أو شرًا والآية شاهدة على أن الله هو المضل كما أنه الهادي. والمعتزلة يقولون إنه لا يصح أن ينسب الإضلال إلى الله تعالى لأنه شر وإنما الضلال من اختيار البشر إما لتقصير في النظر أو ذهاب وراء الأباطيل لشهوة النفس ويؤولون هذه الآيات بأن الإسناد إلى الله إسناد إلى السبب الأول لأنه سبحانه خالق الأسباب الأولى باتفاق أهل الكلام بل المليين عمومًا. وقال نصير الدين الطوسي: إن الإضلال يطلق على أحد معانٍ ثلاثة: الأول الإشارة إلى الباطل. والثاني فعل الضلالة. والثالث الإهلاك بسببها والأخير هو الذي يسند إلى الله أي ومن يهلكه الله فلا منقذ له. **والهداية** على مقابل كل معنى من معاني الإضلال.

(٥) المعتزلة لا ينكرون شيئًا من المعجزات حسيها ومعنويها ولا يجحدون أن الله تعالى قد يطلع نبيه على بعض غيبه. ولكن حديث **زويت** لي الأرض: أي قبضت وتقاربت أطرافها حتى صارت بأجمعها مسرحًا لطرفي فأبصرت مشارقها ومغاربها إذا أخذ بظاهره دل على أن الأرض تنقبض وتتدانى أطرافها وهو مما يسهل القول بالإسراء والمعراج الجسدانيين يقظة. وجمهور المعتزلة=

أن أَقْطِفَ ثِمَارَهَا. وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ حَتَّى اتَّقَيْتُ حَرَّهَا بِيَدِي أَنْغَضْتُمْ رُؤوسَكُمْ وَلَوَيْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ[١]. وَإِنْ قِيلَ عَذَابُ القَبْرِ تَطَيَّرْتُمْ[٢]. وَإِنْ قِيلَ الصِّرَاطُ تَغَامَزْتُمْ[٣]. وَإِنْ ذُكِرَ المِيزَانُ قُلْتُمْ: مِنَ الفِرْغِ كِفَّتَاهُ[٤]. وَإِن ذُكِرَ الكِتَابُ قُلْتُمْ: مِنَ القِدِّ دَفَّتَاهُ[٥]. يَا أَعْدَاءَ الكِتَابِ وَالحَدِيثِ بِمَا تَطَيَّرُونَ[٦]. أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ تَسْتَهْزِئُونَ. إِنَّمَا مَرَقَتْ مَارِقَةٌ فَكَانُوا خَبَثَ الحَدِيثِ[٧]. ثُمَّ مَرَقْتُمْ مِنْهَا فَأَنْتُمْ خَبَثُ الخَبِيثِ. يَا

= ينكرونهما ويزعمون أنهما روحانيان أو من الرؤيا الصالحة كما روي عن معاوية وعائشة فهم إذا ذكر هذا الحديث **يجحدونه** أي ينكرون نسبته إلى النبيّ ﷺ حتى إذا صح ينظرون في تأويله.

(١) **أنغضتم** رؤوسكم: حركتموها كالمتعجبين من رواية هذا الحديث ولويتم أعناقكم إنكارًا لصحته لأنه لو صح لدل على أن النار والجنة موجودتان الآن وجمهور المعتزلة ومنهم القاضي عبد الجبار وأبو هاشم ينكرون ذلك. وفي رواية: (أن أقطف من ثمارها. وعرضت علي النار حتى كدت أتشفع لأشرارها) ونسختنا أصح.

(٢) **عذاب القبر** بآلام حسية عقيدة أهل السنة. وأنكره ضرار بن عمرو وبشر المريسي وأكثر المتأخرين من المعتزلة فإذا ذكر عذاب القبر على المعروف من معناه **تطيروا** أي تشاءموا لأنه إنذار بمكروه كما في الطيرة الحقيقية وهو كناية عن إنكارهم له ونفورهم من القول به كما ينفر المتشائم مما تشاءم منه. ويروى: طنزتم بطاء فنون فزاي. **والطنز**: السخرية. طنز به كنصر سخر به.

(٣) **الصراط** مجاز أهل الجنة إلى الجنة لا بد لأهل النعيم أن يمروا عليه. وقد أنكر المعتزلة كونه جسرًا حسيًا يمد على متن جهنم كما روي وذهبوا إلى أنه عبارة عن طريق الحق والدين القويم والعدل في الأخلاق. فإذا ذكر الصراط على ما تعارفه مجسموه تغامز المعتزلة استهزاء بقائله.

(٤) **الفرغ** بالكسر الفراغ يريد به الخلاء أي إذا قيل لهم إن للأعمال ميزانًا قالوا تهكمًا كفتاه من الفراغ والفراغ ليس بمادة حتى تكون منه كفتان فهو كناية عن نفي الميزان الحسّي وهو مذهب جمهور المعتزلة يقولون إن **الميزان** هو العدل الإلـهي الذي لا يحيف وليس في يوم الحساب آلة للوزن. وهذا المجنون يقرعهم على تهكمهم هذا.

(٥) **الكتاب** القرآن والمعتزلة يذهبون إلى أنه حادث غير قديم ويستدلون بأنه مكتوب مقروء محصور بين الدفتين من **قِدّ** أي جلد وهي كلها أوصاف الحوادث فإذا ذكر عندهم قالوا دفتاه من الجلد يكنون بذلك عن حدوثه.

(٦) يكرر ذكر الطيرة في الإنكار إشارة إلى ما قص الله من كلام المنكرين لرسلهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي ماذا تنكرون مع وضوح الدليل وقيام الحجة.

(٧) **مرقت** مارقة: خرجت جماعة عن نظام السنة في أيام الحسن وهو من المحدثين. وكان المارقون الذين يذكرهم يأخذون عنه ومنهم واصل بن عطاء المعتزلي وقد اعتزل الحسن وأخذ يقرر خلاف مذهبه فلقب بالمعتزل ولقب أصحابه ومَن شاركوهم في الأصول معتزلة وكانوا هؤلاء **خبث الحديث** أي كانوا لمجالس الحديث كالصدإ على الحديد وكما أن الكير ينفي الصدأ عن=

مَخَانِيثَ الخَوَارِجِ(١). تَرَوْنَ رَأْيَهُمْ إِلَّا القِتَالَ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ هِشَامٍ تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ(٢). سَمِعْتُ أَنَّكَ افْتَرَشْتَ مِنْهُمْ شَيْطَانَةً(٣). أَلَمْ يَنْهَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن تَتَّخِذَ مِنْهُمْ بِطَانَةً(٤). وَيْلَكَ هَلَّا تَخَيَّرْتَ لِنُطْفَتِكَ. وَنَظَرْتَ لِعَقِبِكَ(٥). ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهؤُلَاءِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَشْهِدْنِي مَلَائِكَتَكَ(٦). قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ وَبَقِيَ أَبُو دَاوُدَ لَا نُحِيرُ جَوَابًا وَرَجَعْنَا عَنْهُ بِشَرٍّ وَإِنِّي لَأَعْرِفُ فِي أَبِي دَاوُدَ انْكِسَارًا(٧)

= الحديد فهؤلاء قد نفاهم روح الحديث عنه وعزلهم عن مجالس أهله لأن المذهب في صدر الإسلام كان مذهب الحديث ما صح أخذ به وما لم يصح ترك. وأول مَن سلك طريق التأويل في العقائد وعدلوا عن الأخذ بالظواهر هم المعتزلة. ثم اختلف المتأخرون منهم عن المتقدمين في مسائل يطول شرحها. وكان داود العسكري الموجه إليه الكلام من متأخريهم فهو مارق من مارقين فهو وأمثاله خبث الخبيث فهم غاية في الخبث.

(١) **المخانيث**: جمع مخنات وهو الرجل المتكسر على صورة الرجال وأحوال النساء. و**الخوارج**: الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ورأيهم فيه تفسيقه بتحكيمه عمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري فيما كان بينه وبين معاوية من النزاع والمعتزلة على شبه رأي الخوارج يفسقون أحد المتنازعين لا على التعيين ويردّون شهادتهما معًا: لكن الخوارج من رأيهم قتال من ضللوه أما المعتزلة فإنهم يقولون ما يقولون بين الحوائط لا يرون القتال ولا يحسنون فهم في الخوارج وأمثالهم خبث كالمخانيث في الرجال.

(٢) يقال لمن آمن بالدين ولم يرع بعض أحكامه إنه آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض منه كما قال الله في حق اليهود تؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض. ويحق معنى الكفر إذا كان ترك رعاية الحكم عن إنكار له. وقد جاء في الكتاب **نهي المؤمنين** أن يتخذوا بطانة من دونهم وأن من بطانة الرجل زوجته فكأن ابن هشام آمن بالكتاب وكفر منه بآية النهي عن اتخاذ البطانة من دون المؤمنين.

(٣) أراد **بالشيطانة**: إحدى نساء المعتزلة. **وافترشها**: اتخذها فراشًا أي زوجة.

(٤) تقدم الكلام على هذه الفقرة في الكلام على قوله تؤمن ببعض وتكفر ببعض.

(٥) **التخير**: اختيار الشيء. يحضه على أن يختار حرثًا طيبًا ومنبتًا حسنًا تنبت فيه ذريته. والنساء منابت الذراري. ولأخلاقهن وأمزجتهن أثر ظاهر في أولادهن. فعلى العاقل أن يختار منهن خيرهن. فاللائمة على ابن هشام في اتخاذه زوجة من المعتزلة لأن أفكارها تهيّىء في ولدها استعدادًا لقبول مثلها. ومثل ذلك قوله: ونظرت لعقبك. **والعقب** الذرية أيضًا. والنظر إليه مراعاته عند التزويج وتوجيه النية إلى استصلاحه وأول ما يقصد به إلى ذلك تزوج الصالحات ليلدن الصالحين.

(٦) **إشهاده لملائكته**: بأن ينقله من هذه الحياة إلى الحياة الأخرى وفيها يلاقي الملائكة وهم خير من هؤلاء المعتزلة والذين يوالونهم فهو تفسير لقوله: أبدلني بهؤلاء خيرًا منهم.

(٧) **لا نحير** جوابًا: لا نرد. ورجعوا عن هذا المجنون بشر لأنهم بهتوا وفي أبي داود انكسار من الخزي الذي نزل به من تبهيت المجنون له.

حَتَّى أَرَدْنَا الافْتِرَاقَ. قَالَ: يَا عِيسَى هذَا وَأَبِيكَ الحَدِيثُ[١] فَمَا الَّذِي أَرَادَ بِالشَّيْطَانَةِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي هَمَمْتُ أن أَخْطُبَ إلى أحَدِهِمْ وَلَمْ أُحَدِّثْ بِمَا هَمَمْتُ بِهِ أَحَدًا. وَاللهِ لَا أَفْعَلُ ذلِكَ أبَدًا. فَقَالَ: مَا هذَا وَاللهِ إلَّا شَيْطَانٌ. فِي أَشْطَانٍ[٢]. فَرَجَعْنَا إلَيْهِ. وَوَقَفْنَا عَلَيْهِ. فَابْتَدَرْنَا بِالْمَقَالِ. وَبَدَأْنَا بِالسُّؤَالِ. فَقَالَ: لَعَلَّكُمَا آثَرْتُمَا أن تَعْرِفَا مِن أَمْرِي مَا أَنْكَرْتُمَا. فَقُلْنَا: كُنْتَ مِنْ قَبْلُ مُطَّلِعًا عَلَى أُمُورِنَا. وَلَمْ تَعْدُ الآنَ مَا في صُدُورِنَا[٣] فَفَسِّرْ لَنَا أَمْرَكَ. وَأَكْشِفْ لَنَا سِرَّكَ. فَقَالَ:

أَنَا يَنْبُوعُ العَجَائِبْ ... فِي احْتِيَالِي ذُو مَرَاتِبْ
أَنَا فِي الحَقِّ سَنَامٌ ... أَنَا فِي البَاطِلِ غَارِبْ[٤]
أَنَا إسْكَنْدَرُ دَارِي ... فِي بِلَادِ اللهِ سَارِبْ[٥]
أَغْتَدِي فِي الدَّيْرِ قِسِّيسًا ... وَفِي المَسْجِدِ رَاهِبْ

---

(١) أي هذا حديث المعتزلة وعقائدهم فهمناه. **وأبيك** قسم. فما مراده من الشيطانة التي ذكرها.

(٢) لأن الشيطان يرى من الناس ما تحدثهم به ضمائرهم فاطلاعه على أن ابن هشام عزم على أن يبعث إلى أحد المعتزلة ليخطب بنته مع أنه لم يحدث بعزمه أحدًا إنما هو من مسارق الشيطان. **والأشطان**: الحبال جمع شطن وكان المجنون مقيدًا بحباله في المارستان.

(٣) أي أنك كاشفت عما في نفوسنا واطلعت على أمورنا حتى عزمي على خطبة بنت من بنات المعتزلة ولم **تعد** أي لم تتجاوز الآن ما في نفوسنا بل وافقته ووقفت عنده فإننا ما رجعنا إلا لنعرف من حالك ما جهلناه.

(٤) **السنام**: أعلى البعير معروف وهو مثل في العلو. **والغارب**: الكاهل وهو كذلك مثل في الارتفاع غير أنه دون السنام. فهذا المجنون إذا أراد تقرير الحق عد في أعلى مقام منه والناس دونه وإذا عزم على تمويه الباطل عد في البارعين من المبطلين فالبيان مطاوعه واللسان متابعه.

(٥) **السارب**: الذاهب في الأرض على وجهه لا يقصد غاية ينتهي إليها. وقوله: إسكندر داري أي مدينة إسكندر. أو أنه أطلق اسم إسكندر على مدينته والاشتباه مأمون.

المقَامَةُ المَجَاعيَّة

حَدَّثَنَا عِيسى بنُ هِشَام قالَ: كُنْتُ بِبَغْدَادَ عَامَ مَجَاعَةٍ[1]. فَمِلْتُ إلى جَمَاعَةٍ. قَدْ ضَمَّهُمْ سِمْطُ الثُّرَيَّا[2]. أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيًّا. وَفِيهِمْ فَتًى ذُو لُثْغَةٍ بِلِسَانِهِ. وَفَلَجٍ بِأَسْنَانِهِ[3]. فَقَالَ: مَا خَطْبُكَ[4]؟ قُلْتُ: حَالَانِ لَا يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا. فَقِيرٌ كَدَّهُ الجُوعُ وَغَرِيبٌ لَا يُمْكِنُهُ الرُّجُوعُ[5]. فَقَالَ الغُلَامُ: أَيَّ الثُّلْمَتَيْنِ تُقَدِّمُ سَدَّهَا[6]؟ قُلْتُ: الجُوعُ فَقَدْ بَلَغَ مِنِّي مَبْلَغًا[7]. قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي رَغِيفٍ. عَلَى خُوَانٍ نَظِيفٍ. وَبَقْلٍ

---

(١) **عام المجاعة**: عام القحط وعموم الجوع.

(٢) **مال** إلى الجماعة: تحوّل إليهم لالتماس الحاجة. وفي نسخة بدل ملت فدفعت بالبناء للمجهول أي دفعه الجوع إليهم لينال شيئًا من غذاء. **والسمط**: هو سلك النظم ما دام المنظوم فيه فإن نثر منه فهو سلك. **والثريا**: مجموع الكواكب المعروف ويشبهون به الجموع الخفيفة في حسن النظام وتناسب الأفراد وتلازم المجتمعين بصلات الألفة والمحبة حتى كأنهم لا يتفارقون. وفي نسخة: قد نظمهم سلك الثريا. والمعنى واحد.

(٣) **اللثغة**: عجز اللسان عن النطق بالسين فيحولها إلى ثاء أو عن الراء فيحولها إلى غين أو لام. أو العجز عن بعض الحروف ثم إبداله بآخر مطلقًا. وأشهر استعمالها في المعنى الأول. **والفلج**: تباعد ما بين الأسنان وهو مما تصاحبه اللثغة غالبًا.

(٤) ما الأمر الذي نزل بك فأنت تطلب المعونة على دفعه.

(٥) **كده** الجوع: كلفه الكد والتعب وأجهده.

(٦) **الثلمة**: هي الفرجة في المهدوم من أثر الهدم والفصل بين ما استوى من حد السيف مثلاً من أثر الكسر. **وثلم السيف**: كسر حده والحائط خرقه أو شقه. **والجوع** وكرب الغربة بلا رجوع ثلمتان عظيمتان في راحة المصاب بهما وفي قوته فكأنه يشبه الراحة بسياج وهما يخرقانه أو يشبه القوة بسيف وهما يثلمانه.

(٧) أي مبلغًا عظيمًا وأشار إلى تعظيمه بتنكيره. وفي نسخة: بلغ مني مبلغه.

قَطِيفٍ. إلى خَلٍّ ثَقِيفٍ[(١)]. وَلَوْنٍ لَطِيفٍ. إلى خَرْدَلٍ حِرِّيفٍ[(٢)]. وَشِوَاءٍ صَفِيفٍ. إلى مِلْحٍ خَفِيفٍ[(٣)]. يُقَدِّمُهُ إلَيْكَ الآنَ مَنْ لَا يَمْطُلُكَ بِوَعْدٍ[(٤)] وَلَا يُعَذِّبُكَ بصَبْرٍ ثُمَّ يَعُلُّكَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِأَقْدَاحٍ ذَهَبِيَّةٍ. مِنْ رَاحٍ عِنَبِيَّةٍ[(٥)]. أذَاكَ أحَبُّ إلَيْكَ أم أوْسَاطٌ مَحْشُوَّةٌ. وَأَكْوَابٌ مَمْلُوَّةٌ. وَأَنْقَالٌ مُعَدَّةٌ. وَفُرُشٌ مُنَضَّدَةٌ وَأَنْوَارٌ مُجَوَّدَةٌ[(٦)]. وَمُطْرِبٌ

---

(١) **الخوان** كما تقدم ما يوضع عليه الطعام. **والبقل**: يريد به ما يستصحب مع الطعام لتوفير اللذة كالجرجير والبقدونس. **والقطيف**: المقطوف خصصه لأنه يكون أنظف من المقلوع من جذوره. وقوله: إلى خل أي قد أضيف ذلك البقل إلى **خل ثقيف** أي شديد الحموضة.

(٢) **اللون**: نوع من التمر وهو أدنى من البرنيّ والمراد هنا منه نبيذه لا نفسه أي ونبيذ تمر قد صفا ولطف وقد أضيف إليه شيء من الخردل لتزيد حرارته وهم يصنعون به ذلك لأنه أضعف من نبيذ العنب وأخف منه فإذا أرادوا إبلاغه من القوة أضافوا إليه بعض الأشياء الحريفة كالخردل وهو أجودها وأعونها على الهضم وأوفرها لذة عند اعتداله. **والحرافة**: طعم من الطعوم لا يعبر عنه بأبين من طعم الخردل.

(٣) **الشواء**: هنا اللحم المشوي. **والصفيف**: المصفوف. يقطع اللحم ثم تنظم قطعه مصفوفة في مشكة من حديد ثم يستوي على النار فيها. ويعرف عند عامة مصر والشام بالكباب ويضيفونه في سورية فيقولون: **كباب السيخ** ولحم السيخ ويعنون **بالسيخ** تلك المشكة وهو إذا ضم إلى ملح خفيف كان من ألذ المطعومات وإنما يصلح الطعام بالملح إذا كان خفيفًا فإن زاد عن الاعتدال لم يلذ طعمه بل يبشع. وتروى تلك الفقرات هكذا «ونقل قطيف على لون لطيف. وخردل حريف إلى شواء صفيف». **والنقل**: ما يتنقَّل به على الشراب. والقطيف كالتفاح ونحوه. والمراد من اللون نبيذه غير مضاف إليه الخردل. **والخردل في** هذه الرواية صنف على حدة. ويروى ملح طريف بدل خفيف. **والطريف**: النادر في جودته.

(٤) **مطل بوعده**: سوفه ودفع به من وقت إلى آخر وطول الزمان إلى وفائه. والضمير في يقدمه إلى كل من المذكورات أو هو باعتبار مجموعها أي يقدم إليك الأشياء المذكورة سخي بها لا يماطل في الوفاء بوعده ولا يسوفه. ويروى بدل بصبر «بصد».

(٥) **عله يعله**: إذا سقاه تباعًا أي يتابع عليك السقي بأقداح الخ. وإنما جعل السقي بعد الطعام متابعة له لأنه قد كان قدم إليه نبيذ اللون ليشربه مع الطعام فالشرب من **الراح** أي الخمر العنبية التي أخذت من عصير العنب يعد علاًّ بعد الشرب من نبيذ التمر. ونسب الأقداح للذهب لأنها تكون بلونه إذا وضع فيها نوع من نبيذ العنب. وتشبيهه الخمر **بالذهب المذاب** مطروق بل مبتذل.

(٦) أراد إن لم يكن الجوع قد أخذ منك وفيك بقية للطرب ولا حاجة بك إلى الطعام الآن فإني أعرض عليك الأوساط المحشوة الخ. **والأوساط** جمع وسط بالتحريك وهو ما توسط بين الشيئين أراد بها مواضع الطرب وعبّر عنها بذلك ليشير إلى أنها مجالس أنس قد احتفلت بأهلها حتى حشيت أوساطها. **والأكواب**: الأقداح التي لا عرى لها جمع كوب وهو القدح بلا عروة. =

مَجِيدٌ. لَهُ مَنَ الغَزَالِ عَيْنٌ وَجِيدٌ(١)؟ فَإِنْ لَمْ تُرِدْ هذَا وَلَا ذاكَ فَمَا قَوْلُكَ فِي لَحْمٍ طَرِيٍّ. وَسَمَكٍ نَهْرِيٍّ(٢). وَبَاذِنْجَانٍ مَقْلِيٍّ. وَرَاحٍ قُطْرُبُلِيٍّ(٣). وَتُفَّاحٍ جَنِيٍّ. وَمَضْجَعٍ وَطِيٍّ. على مَكَانٍ عَلِيٍّ(٤). حِذَاءَ نَهْرٍ جَرَّارٍ. وَحَوْضٍ ثَرْثَارٍ. وَجَنَّةٍ(٥) ذَاتِ أَنْهَارٍ؟ قَالَ عِيسى بنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أَنَا عَبْدُ الثَّلَاثَةِ(٦). فَقَالَ الغُلَامُ: وَأَنَا خَادِمُهَا لَوْ كَانَتْ(٧). فَقُلْتُ: لَا حَيَّاكَ اللهُ أَحْيَيْتَ شَهَوَاتٍ قَدْ كَانَ الْيَأْسُ أَمَاتَهَا. ثُمَّ

= ومملوءة أي من الشراب. **وأنقال** بالنون جمع نقل بالضم في المشهور وبالفتح في الفصيح وهو ما يتنقَّل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما. **ومعددة**: كثيرة. **ومنضدة**: مصفوفة مرتبة: ويروى: معدودة ومنضودة. **والأنوار المجودة**: التي قد أجيد إسراجها وتؤنق في مسارجها كل ذلك وصف المجلس وما فيه.

(١) انتقل من وصف المجلس وزينته إلى المقصود من الاجتماع فيه وهو المطرب فذلك المطرب كما أنه يلذ استماعه لما يجيد من صنعته كذلك يروق للعين منظره لأنه أشبه الغزال في عينه **وجيده**: أي عنقه وهما أجمل ما فيه. وعبارته من جمل التشبيه الفصيحة فيقولون: له من **سحبان** لسانه وبيانه وله من **علي** جأشه وجنانه يقصدون تشبيهه بمن ذكروا فيما أضافوا إليه.

(٢) فإن كان به جوع خفيف لا يفرغ معه إلى الطرب ولا يسنده التنقل ولا هو من الشدة بحيث يحتاج معه إلى وفرة الغذاء التي سبق وصفها في أول معروض فما يقول في طعام خفيف فيه لحم طري كلحم صغار الطير ويروى «طيري» نسبة إلى الطير. **وسمك نهري**: ينسب إلى النهر لأنه يخرج منه وهو أطرى لحمًا من سمك البحر الملح غير أن هذا ألذ. وفي نسخة بدل نهري «بحري».

(٣) **الراح**: الخمر. وقطربلي نسبة إلى قطربل قرية من قرى العراق يستجاد خمرها ويروى: راح نقي.

(٤) **الجني** من الثمر: الطري الذي جني من قريب. **والوطي** من المراقد: الممهد اللين الذي لا يوجد فيه ما يقلقك. **والمكان العلي**: المرتفع.

(٥) **شديد الجرية** يجر الماء بقوة. ويروى: جار. **والحوض الثرثار**: الذي قد أخذت إليه شعبة من النهر غزيرة الماء تصب فيه من جانب وقد فتح للماء مصرف منه في جانب آخر فهو على الدوام يسمع فيه صوت الماء. ويروى: وبركة ذات ثرثار. **والجنة** أراد بها البستان بأشجاره وإنما يبهج منظر الأشجار إذا تلاعبت في جذورها جداول الأنهار.

(٦) يأكل الغذاء الأول ثم يحضر المجلس الثاني ثم إذا دخل به الشراب والطرب وانهضم غذاؤه عاد إلى الثالث ثم نام.

(٧) أي لو كانت موجودة لقنعت بأن أكون خادمًا لأربابها. وفي نسخة: لو حضرت بدل لو كانت. ولكن لا شيء منها بموجود وإنما الغرض بتعدادها تشويق الجائع وإثارة حر الخوى في جوفه.

قَبَضْتَ لَهَاتَهَا[١]. فَمِنْ أَيِّ الخَرَابَاتِ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

أَنَا مِنْ ذَوِي الإسْكَنْدَرِيَّهْ   مِنْ نَبْعَةٍ فِيهِمْ زَكِيَّهْ[٢]
سَخُفَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ   فَرَكِبْتُ مِنْ سَخَفِي مَطِيَّهْ[٣]

(١) عند ذكر تلك الملذات الماضية استحيت شهواتها الدافعة بالنفس إليها وانفتحت لها **اللهاة** وهي منفتح الحلق من أقصى اللسان. ثم لما دل على فقدها انقبضت اللهاة التي كانت انفتحت لها لهذا أضاف اللهاة إلى ضمير الشهوات.

(٢) **من ذوي الإسكندرية**: من أهلها. **والنبعة**: واحدة النبع وهو أجود شجر تتخذ منه القسي وأصلبه ومن أغصانه تتخذ الرماح. وأراد من أصل أصيل. وزكية طيبة. ويروى: من ربعة الإسكندرية. ولا بد أن يكون ربعة بالتحريك بمعنى المنزل ولا يستقيم بها وزن البيت على بحر البيتين.

(٣) **سخف** الرجل: رق عقله فأتى بما لا يحسن. أي لما كان الزمان وأهله في سخف ورداءة عقل عاملتهما بما ينبغي لهما ولهذا تساخفت واتخذت لي مطية من سخفي تحملني إلى حيث أشاء من المآرب فالزمان السخيف لا يعلو فيه ولا ينال أربه إلا السخيف.

المقَامَةُ الوَعظِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: بَيْنَا أَنَا بِالْبَصْرَةِ أَمِيسُ(١) حَتَّى أَدَّانِي السَّيْرُ إِلَى فُرْضَةٍ قَدْ كَثُرَ فِيهَا قَوْمٌ(٢) عَلَى قَائِم يَعِظُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى. وَإِنَّ مَعَ اليَوْمِ غَدًا(٣). وَإِنَّكُمْ وَارِدُو هُوَّةٍ(٤). فَأَعِدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ. وَإِنَّ بَعْدَ المَعَاشِ مَعَادًا. فَأَعِدُّوا لَهُ زَادًا(٥). أَلَا لَا عُذْرَ فَقَدْ بُيِّنَتْ لَكُمُ المَحَجَّةُ. وَأُخِذَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَّةُ. مِنَ السَّمَاءِ بِالخَبَرِ. وَمِنَ الأَرْضِ

---

(١) **أميس**: من ماس إذا تبختر. ويروى: أمشي وهو أليق بالشيخ من أميس.

(٢) **الفرضة** بالضم: الثلمة في النهر تصعد منها السفن ويستقى منها. وأراد هنا الفرضة مطلقًا أي المكان الفسيح. وقوله: قد كثر فيها قوم، ويروى: قد أكنز فيها قوم ولا معنى له والصواب ما في نسختنا.

(٣) **سدى**: أي مهملين. يقال: إبل سدى أي مهملة ليس لها راعٍ. أي أن الله لم يدعكم هملاً تعملون كما تشاؤون بل رعاكم بحكمته وحدد أعمالكم بشريعته ووعد القائمين عند حدودها بمثوبته وأوعد من تعداها بعقوبته. فإن قلتم إنكم اليوم في دار قد لا يصيبكم فيها ما وعدتم فاعلموا أن مع **اليوم غدًا** أي أن يومكم لا يدوم لكم ولا بد أن ينضم الغد إليه ثم حكمه حكم اليوم وهكذا تتوالى الأيام حتى تنقضي الآجال وتقدمون على ما أعد لكم من ثواب وعقاب. ويمكن أن يكون معنى قوله مع اليوم غدًا أنه قريب منه ينحو نحو قولهم: «كل آتٍ قريب» وأراد من غدًا يوم الارتحال عن هذه الحياة الدنيا أي أن يوم الفناء قريب منكم.

(٤) أراد من **الهوة** القبر وأن نعومة المستقر بعد ورود القبر إنما تكون لمن استقام في الدنيا حاله وصلحت فيها أعماله. فالإعداد للقبر وما بعده بتقويم الملكات وعمل الصالحات وهي القوة العظمى التي تتقى بها أهوال ما يلقاه الأشقياء بعد الموت.

(٥) المعاد: يوم القيامة وبعث الأرواح في أجسادها للنشأة الثانية. ويشبهون ما بين الموت وبينه بمسافة سفر ويشبهون طيب الأعمال بالزاد الذي يحمله المسافر ليسد به الحاجة عند انقطاعه عن وطنه وبعده عن مدخره في سكنه.

بِالعِبَرِ[١]. ألَا وَإنَّ الَّذِي بَدَأَ الخَلْقَ عَلِيمًا يُحْيِي العِظَامَ رَمِيمًا[٢]. ألَا وَإنَّ الدُّنْيَا دَارُ جِهَازٍ. وَقَنْطَرَةُ جَوَازٍ. مَن عَبَرَهَا سَلِمَ. وَمَنْ عَمَرَهَا نَدِمَ[٣]. ألَّا وَقَدْ نَصَبَتْ لَكُمُ الفَخَّ وَنَثَرَتْ لَكُمُ الحَبَّ فَمَنْ يَرْتَعْ يَقَعْ. وَمَنْ يَلْقُطْ يَسْقُطْ[٤]. ألَا وَإنَّ الفَقْرَ حِلْيَةُ نَبِيِّكُمْ فَاكْتَسُوهَا. وَالغِنَى حُلَّةُ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا[٥]. كَذَبَتْ ظُنُونُ المُلْحِدِينَ. الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ. وَجعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ[٦]. إنَّ بَعْدَ الحَدَثِ جَدَثًا. وَإنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا[٧]. فَحَذَارِ حَرَّ النَّارِ. وَبَدَارِ عُقْبَى الدَّارِ[٨]. ألَا وَإنَّ العِلْمَ أحْسَنُ عَلَى عِلَّاتِهِ[٩]. وَالجَهْلَ أقْبَحُ على حَالاتِهِ. وَإنَّكُمْ أشْقَى مَنْ أظَلَّتْهُ السَّمَاءُ إن شَقِيَ بِكُمُ

(١) **المحجة**: الطريق الواضح يريد منها طريق السعادة وأراد **بالخبر** ما جاء على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما فيه هداية للخلق إلى سبيل الحق. **والعبر**: جمع عبرة وهي الموعظة. وإن في أحوال الأرض من تغيرها وبنائها على التبدل والفناء لموعظة وإرشادًا للمتأمل إلى أن هذا الوجود الناقص الذي لا ثبات في أطواره لا بد أن يؤول إلى وجود في عالم أجل وأبقى.

(٢) **الرميم** من العظام: البالي. ومن تناولت قدرته بدء الأشياء مع العلم أكمل بها فلأن تتناول إعادة ما بدأ أحق بها وأجدر.

(٣) إن **الحياة الدنيا** دار يتجهز فيها إلى حياة أرقى منها وأبقى وهي أشبه بقنطرة بين العدم الأول والوجود الكامل فمن عبرها وتجاوزها ونظر إليها بحالها الحقيقية سلم من وصمة النقص والعناء في استدامة ما لا يدوم واستبقاء ما لا يبقى واستصفاء ما لا يصفو. ومن **عمرها** أي عمل فيها على أن تكون له مقرًا دائمًا واستفرغ وسعه في توفير ما تميل إليه الأهواء فيها ندم عند حلول أجله وظهور الخيبة في أمله وفوات الغاية من عمله.

(٤) تمثيل لما تزينه الشهوة في الحياة الدنيا والألفاظ ظاهرة.

(٥) **الغنى** الذي هو حلة الطغيان ما كان كنزًا للمال وخدمة للشهوة ومطاوعة للحرص. أما الغنى الذي يؤدى منه حق الله إلى عباده ويستعان به على تأييد الحق ودحض حجة الباطل فهو حلة التقوى والوقاية من البلوى.

(٦) **عضين**: جمع عضة وأصله الواو من عضوته أي فرقته. والمشركون كانوا يفرقون في القرآن أقاويلهم فيقولون: سحر وشعر وكهانة وأساطير الأولين.

(٧) أي بعد الحدوث والوجود في هذه الدنيا **الجدث**: وهو القبر. **والعبث**: ما لا حكمة في وجوده. والمراد منه هنا ما يراد من السدى في قوله: أيحسب الإنسان أن يترك سدى أي مهملاً.

(٨) **بدار** بفتح أوله وكسر آخره أي بادروا. **وعقبى الدار**: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة. ويروى: نظار بدل بدار وهو اسم فعل بمعنى انتظروا أي استعدوا لتلك العاقبة.

(٩) **علاته**: حالاته وشؤونه سواء كان فيها ما يلذ للنفس أو ما يكره لها. **والعلم** في جميع حالاته أحسن الحسن. **والجهل** في جميع هيئاته أقبح القبيح.

العُلَمَاءُ[١]. النَّاسُ بِأَئِمَّتِهِمْ. فَإِنِ انْقَادُوا بأزِمَّتِهِمْ. نَجَوْا بِذِمَّتِهِمْ[٢]. وَالنَّاسُ رَجُلَانِ: عَالِمٌ يَرْعَى. وَمُتَعَلِّمٌ يَسعَى[٣]. وَالبَاقُونَ هَامِلُ نَعَامٍ. وَرَاتِعُ أَنْعَامٍ[٤]. وَيْلُ عَالٍ أَمِرَ مِن سَافِلِهِ. وَعَالِمِ شَيْءٍ مِن جَاهِلِهِ[٥]. وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بنَ الحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعِظُ النَّاسَ وَيَقُولُ: يَا نَفْس حَتَّامَ إِلى الحَيَاةِ رُكُونُكِ. وإِلى الدُّنْيَا وَعَمَارَتِهَا سُكُونُكِ. أَمَا اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكِ. وَبِمَنْ وَارَتْهُ الأَرْضُ مِن آلَافِكِ[٦]. وَمَنْ فُجِعْتِ بِهِ مِن إِخْوَانِكِ. وَنُقِلَ إِلى دَارِ البِلَى مِن أَقْرَانِكِ.

فَهُمْ فِي بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ[٧]
خَلَتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتْ عِرَاصُهُمْ ... وَسَاقَتْهُمُ نَحْوَ الْمَنَايَا الْمَقَادِرُ[٨]
وَخَلَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا ... وَضَمَّتْهُمُ تَحْتَ التُّرَابِ الحَفَائِرُ[٩]

---

(١) إن شقي العلماء بكم فأنتم أشقى أهل الأرض وشقاء العلماء أن لا يكون في الناس منتفع بعلمهم ومقتد بهداهم.

(٢) حال الناس متصل بحال أئمتهم وشأنهم معهم فإن انقاد الناس بأزمة الأئمة خلصت ذمتهم من الحقوق اللازمة لها. **والأزمة** جمع زمام ما تقاد به الدابة.

(٣) عالم يرعى أي يعمل على وفق ما أرشد إليه العلم. والمتعلم يسعى حتى يكون العلم له وصفًا ثابتًا وترسخ به ملكات ثابتة في روحه ينشأ عنها أعمال صحيحة فينتقل من مقام الرواية إلى مقام الرعاية.

(٤) **هامل النعام**: المتروك سدى لا قائم عليه في تدبير معيشته وتربية فراخه. **والأنعام**: البهائم.

(٥) ما أتعس حال **عال في ذاته** أي رفع بما ارتفعت إليه نفسه من ذرى الكمال والفضل إذا كان مأمورًا ممن هو أسفل منه وحاله أدنى من حاله. وما أشقى عالمًا بشيء يؤمر فيه من جاهل بذلك الشيء. إذا أمر في الناس جهالهم وساد فيهم سفلتهم فقد تودع منهم. وقد يكون المعنى في الفقرة الثانية وويل عالم بشيء من جاهل به.

(٦) الآلاف جمع ألف كحمل وأحمال. ويروى: آلافك بتشديد اللام جمع آلف. **وعلي بن الحسين**: هو زين العابدين أبو محمد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم. وفي رواية ذكر اللقب والكنية والنسب كما قلنا في الأصل كلام المصنف.

(٧) **بوال**: جمع بال من بلي الثوب رث. **والدوائر**: الهوالك الزائلة.

(٨) **أقوت** عراصهم خلت من صبيانهم. **والعراص**: جمع عرصة وهي البقعة بين الدور ليس فيها بناء والصبيان يعرصون فيها أي يلعبون ويمرحون. **والمقادر**: المقادير الإلهية والأقضية السماوية. والشطر الأول كناية عما تضمنه الثاني.

(٩) **خلوا** عن الدنيا: مضوا عنها ورحلوا. **والحفائر**: جمع حفيرة يريد منها القبور.

كَم اخْتَلَسَتْ أَيْدِي المَنُونِ. مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ. وَكَمْ غَيَّرَتْ بِبِلَاهَا. وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا(١):

وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ(٢)
عَلَى خَطَرٍ تَمْشِي وَتُصْبِحُ لَاهِيًا أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ(٣)
وَإِنَّ امْرَءًا يَسْعَى لِدُنْيَاهُ جَاهِدًا وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لَا شَكَّ خَاسِرُ

أُنْظُرْ إلى الأُمَمِ الخَالِيَةِ. وَالْمُلُوكِ الفَانِيَةِ. كَيْفَ انْتَسَفَتْهُمُ الأَيَّامُ. وَأَفْنَاهُمُ الحِمَامُ(٤). فَانْمَحَتْ آثَارُهُمْ. وَبَقِيَتْ أَخْبَارُهُمْ.

فَأَضْحَوْا رَمِيمًا فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ مَجَالِسُ مِنْهُمْ عُطِّلَتْ وَمَقَاصِرُ(٥)
وَخَلَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا بِهَا وَمَا فَازَ مِنْهُمْ غَيْرُ مَنْ هُوَ صَابِرُ
وَحَلُّوا بِدَارٍ لَا تَزَاوُرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّى لِسُكَّانِ القُبُورِ التَّزَاوُرُ
فَمَا إنْ تَرَى إِلَّا رُمُوسًا ثَوَوْا بِهَا مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْهَا الأَعَاصِرُ(٦)

---

(١) **المنون**: الموت ومثلها في صورة شاطر يختلس أرواح الناس قرونًا وأجيالاً بعد قرون. والضمير في غيرت للمنون. **والبلى**: الفناء وإضافة **الثرى** أي التراب إلى ضميرها لأنه مستودع ما تودعه فكأنه خزانة لها تودع فيه ما تشاء. ويروى: وكم غيرت الأرض ببلاها الخ وعلى هذا فالإضافة في ثراها إلى ضمير الأرض وهو ظاهر.

(٢) **مكب** على الدنيا: أي مقبل على تدبير أمر حياتك هذه واستيفاء ما تطالبك به الشهوة فيها فأنت منافس **لخطابها** جمع خاطب أي الذين يطلبونها ليسكنوا إليها كما يخطب الرجل زوجة ليسكن إليها ويلازم الإقامة معها. **والمنافسة** أن يطلب كل مثل ما يطلب الآخر. **والمكاثر** الذي يطلب أن يفوق جميع الخطاب في كثرة ما توفر لديه من الحطام.

(٣) يخاطر بنفسه.

(٤) من **انتسف البناء**: قلعه من أصله. **والحمام**: الموت.

(٥) **الرميم**: البالي من العظام. **وإقفار** المجالس منهم: خلوها. **والمقاصر**: أراد منها المقاصير جمع مقصورة وهي الدار الواسعة الحصينة أو هي من الدار ما اختصت بصاحبها لا يدخلها غيره ولذلك تسمى **الحجلة** مقصورة. ومقصورة المسجد مقام الإمام.

(٦) **الأعاصر**: جمع إعصار وهي الريح الشديدة فيها **العصار**: أي الغبار الكثير. **وتسفي عليها**: من سفت الريح التراب ذرته أو حملته. **والرموس**: القبور. **وثووا بها**: أقاموا.

كَمْ عَايَنْتَ مِن ذِي عِزَّةٍ وَسُلْطَانٍ. وَجُنُودٍ وَأَعْوَانٍ. قَدْ تَمكَّنَ مِنْ دُنْيَاهُ. وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ. فَبَنَى الحُصُونَ وَالدَّسَاكِرَ. وَجَمَعَ الأَعْلَاقَ[١] وَالعَسَاكِرَ.

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةِ إذْ أتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إلَيْهِ الذَّخَائِرُ[٢]
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الحُصُونُ الَّتِي بَنَى وَحَفَّتْ بِهَا أنْهَارُهَا وَالدَّسَاكِرُ
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ المَنِيَّةَ حِيلَةٌ وَلَا طَمِعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ العَسَاكِرُ[٣]

يَا قَوْمُ الحَذَرَ الحَذَرَ. وَالْبِدَارَ البِدَارَ. مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا. وَمَا نَصَبَتْ لَكُمْ مِن مَصَايِدِهَا. وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِن زِينَتِهَا. وَاسْتَشْرَفَتْ لَكُم مِن بَهْجَتِهَا[٤].

وَفِي دُونِ مَا عَايَنْتُ مِن فَجَعَاتِهَا إلى رَفْضِهَا دَاعٍ وَبِالزُّهْدِ آمِرُ[٥]
فَجُدَّ وَلَا تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ بَائِدٌ وَأَنْتَ إلى دَارِ المَنِيَّةِ صَائِرُ[٦]
وَلَا تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإنَّ طِلَابَهَا وَإنْ نِلْتَ مِنْهَا رَغْبَةً لَكَ ضَائِرُ[٧]

وَكَيْفَ يَحْرَصُ عَلَيْهَا لَبِيبٌ. أو يُسَرُّ بِهَا أرِيبٌ[٨]. وَهُوَ عَلَى ثِقَةٍ مِن

---

(١) جمع بين البأس والفكاهة فبنى الحصون لبأسه. **والدساكر** وهي بيوت الملاهي والشراب للذة نفسه. **والأعلاق**: النفائس.

(٢) **الذخائر**: فاعل ما صرفت وكف المنية مفعوله. وفاعل تهوي ضمير كف المنية أي تمتد إليه لتخطفه.

(٣) **حيلة**: فاعل قارعت. والمنية مفعول سبق فاعله. **والمقارعة**: المغالبة أي أن الحيل لم تجد في مغالبة المنية ومدافعتها عنه ولا طمعت العساكر في الذب أي الدفع عنه كذلك.

(٤) عليكم بالمبادرة إلى التخلص من سلطة الدنيا على أنفسكم واختلاب مكايدها لعزائمكم. **وتجلت**: أي تكشفت لكم عنه من الزينة وفي نسخة: تحلت أي تحلت وتزينت به. **واستشرفت**: انتصبت لأعينكم في معنى تجلت. والبهجة الحسن والسرور.

(٥) **الفجعات**: جمع فجعة وهي الواحدة من الفجع أي الإيلام أو هو أن يرجع الإنسان بشيء يكرم عليه فيفقده. يقول: إن في أقل مما شاهد من موجعات الدنيا ورزاياها داعيًا إلى رفضها آمرًا له بالزهد فيها وطلب التحول عنها إلى دار أشرف منها.

(٦) **بائد**: زائل. وفي رواية: زائل. ويروى: زائر في آخر البيت بدل صائر.

(٧) **ضائر**: خبر إن طلابها. **والضائر**: الضار. ويروى: رتبة بدل رغبة وهو ظاهر.

(٨) **الأريب**: العاقل من أرب إرابة كظرف ظرافة إذا عقل أو هو من أرب بالشيء يأرب أربًا كفرح بمعنى درب عليه ومهر فيه أي كيف يسر بالدنيا ويركن إليها المحنك المجرب. ويروى: وكيف يسير بلذاتها أريب.

فَنَائِهَا[١]. ألا تَعْجَبُونَ مِمَّنْ يَنَامُ وَهُوَ يَخْشَى المَوْتَ. وَلَا يَرْجُو الفَوْتَ.

أَلَا لَا وَلَكِنَّا نَغُرُّ نُفُوسَنَا وَتَشْغَلُهَا اللَّذَّاتُ عَمَّا تُحَاذِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ بِمَوْقِفِ عَدْلٍ حَيْثُ تُبْلَى السَّرَائِرُ[٢]
كَأَنَّا نَرَى أَنْ لَا نُشُورَ وَأَنَّنَا سُدًى مَا لَنَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مَصَايِرُ

كَمْ غَرَّتِ الدُّنْيَا مِنْ مُخْلِدٍ إِلَيْهَا[٣]. وَصَرَعتْ مِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا. فَلَمْ تُنْعِشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ. وَلَمْ تُقِلْهُ مِنْ صَرْعَتِهِ[٤]. وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقَمِهِ. وَلَمْ تَشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ.

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عِزٍّ وَرِفْعَةٍ مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهُنَّ مَصَادِرُ[٥]
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّهُ هُوَ المَوْتُ لَا يُنْجِيهِ مِنْهُ المُؤَازِرُ[٦]
تَنَدَّمَ لَوْ أَغْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكَتْهُ الذُّنُوبُ الْكَبَائِرُ[٧]

بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ. وَتَحَسَّرَ عَلَى مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ. حَيْثُ لَمْ يَنْفَعْهُ الاسْتِعْبَارُ[٨]. وَلَمْ يُنْجِهِ الاعتِذَارُ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهُمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ المَعَاذِرُ[٩]

---

(١) يروى: وكيف نحل بفنائها ونحن على ثقة من فنائها أي كيف ننزل بذراها ونسكن لجوارها ونحن موقنون أن لا بد من فنائها.

(٢) **لذ العيش**: وجده لذيذًا أي كيف يستلذ العيش فيشتغل بلذاته عن عاقبته من كان له يقين بالمصير إلى موقف عدل تبلى فيه السرائر وينكشف ما بطن فيها. ويروى: يوم تبلى السرائر.

(٣) **المخلد** إلى الشيء المائل إليه.

(٤) **لم تنعشه**: لم تنهضه من سقطته ولم ترفعه منها. ويروى: فلم تقله من عثرته ولم تنعشه من صرعته. وهي أمس بالاستعمال في قران الألفاظ وإن كان المعنى لا يختلف.

(٥) فاعل أوردت ضمير الدنيا المحدث عنها. وموارد مفعوله. **والمصادر**: المراجع بعد الورود أي من عادة الوارد لأجل الشرب أن يصدر عن المشرعة بعد الورود أما موارد السوء التي يردها المغرور بالدنيا فإنه لا يصدر عنها.

(٦) **المؤازر**: المعاون والنصير.

(٧) **عليه** متعلق بطول أي لو أغناه طول الندامة عليه عن وسائل النجاة مما نزل به لكان ندمه هذا مفيدًا. والضمير في عليه لما عاد إليه ضمير رأى وتندم وأمثالهما.

(٨) **الاستعبار**: البكاء.

(٩) **أبلس**: حزن حزنًا شديدًا بهو بمعنى إحاطة الأحزان والهموم. وترديد المعنى الواحد في الألفاظ=

فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ المَوْتِ فَارِجٌ   وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَاذِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ   تُرَدِّدُهَا مِنْهُ اللَّهَى وَالحَنَاجِرُ(١)

فَإِلَى مَتَى تُرَقِّعُ بِآخِرَتِكَ دُنْيَاكَ. وَتَرْكَبُ فِي ذاكَ هَوَاكَ. إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ اليَقِينِ. يَا رَافِعَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ. أَبِهذَا أَمَرَكَ الرَّحْمٰنُ. أم عَلَى هذَا ذلِكَ القُرْآنُ.

تُخَرِّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا   فَلَا ذاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذاكَ عَامِرُ(٢)
فَهَلْ لَكَ إنْ وَافَاكَ حَتْفُكَ بَغْتَةً   وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللهِ عَاذِرُ(٣)
أَتَرْضَى بِأَنْ تَقْضِي الحَيَاةَ وَتَنْقَضِي   وَدِينُكَ مَنْقُوصٌ وَمالكَ وَافِرُ(٤)

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَقُلْتُ لِبَعْضِ الحَاضِرينَ: مَن هذَا؟ قَالَ: غَرِيبٌ قَدْ طَرَأَ لَا أَعْرِفُ شَخْصَهُ(٥) فَاْصبِرْ عَلَيْهِ إلَى آخِر مَقَامَتِهِ. لَعَلَّهُ يُنْبِىءُ بِعَلَامَتِهِ(٦). فَصَبَرْتُ فَقَالَ: زَيِّنُوا العِلْمَ بِالعَمَلِ وَاشْكُرُوا القُدْرَةَ بِالعَفْوِ(٧) وَخُذُوا الصَّفْوَ وَدَعُوا

= الكثيرة للتهويل. أو هو بمعنى يئس من رحمة الله والعياذ بالله. **والمعاذر**: جمع معذرة بمعنى العذر. **والأعذار تعجزه** أي يبحث عنها فيعجز عن موافاتها ويعوزه وجودها. ويروى: وإبليس وهي بعيدة جدًا لا يصح معناها إلا بتكلف زائد.

(١) **خسئت** نفسه من خسىء الكلب إذا بعد كأن قد كان لنفسه مقر من جسده فلما سرت فيه المنية طفت نفسه فوق المنية كما يطفو الغثاء على الماء. وأول ما يظهر أثر الموت في أسفل البدن ولهذا جعل النفس عند تزعزعها من الجسد وابتعادها عن مقرها منه طافية فوق المنية ذاهبة إلى **اللها** جمع لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. **والحناجر**: جمع حنجرة وهي معروفة. وفي رواية جشأت بدل خسئت وهو بمعنى نهضت وجاشت للخروج. ويروى في الشطر الثاني: يرددها دون اللهاة الحناجر وهو ظاهر. والكلام مبني على ما يظهر لأعين العامة من أن النفس أشبه شيء بالنفس وأن الحشرجة تردد الروح في مجرى النفس.

(٢) يصح تفسير اسم الإشارة في الموضعين في كل من الفاني والباقي والمعنى صحيح لأن ما يبقى إذا خرب فلا هو موفور ولا هو عامر. والفاني وإن أفرغ الوسع في تعميره لا هو موفور ولا هو عامر لأن حكم طبيعته من الفناء يذهب السعي في تعميره باطلًا.

(٣) **عاذر** خبر للجار والمجرور أي فهل لك عاذر لدى الله إن وافاك حتفك أي هلاكك بغتة ولم تكن اكتسبت خيرًا تقدمه بين يديك ولا استبرأت بتوبة تغسل ما قدمت من خطيئاتك.

(٤) الضمير في تقضي وتنقضي للمخاطب. وفي رواية: تفنى بدل تقضي والمعنى واحد ظاهر.

(٥) في رواية: لا أعرف إلا شخصه: أي دون اسمه.

(٦) يروى: عن علامته. والمعنى واحد وظاهر.

(٧) في رواية: وقيدوا القدرة بالعفو. أي أن تأدية الشكر لله تعالى على نعمة القدرة إنما يكون بالعفو=

الكَدَرَ[١] يَغْفِرِ اللهُ لِي وَلَكُمْ. ثُمَّ أَرَادَ الذَّهَابَ فَمَضَيْتُ عَلَى إِثْرِهِ[٢] فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ يَا شَيْخُ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ لَمْ تَرْضَ بِالحِلْيَةِ غَيَّرْتَهَا[٣] حتَّى عَمَدْتَ إلى المَعْرِفَةِ فَأَنْكَرْتَهَا. أَنَا أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: حَفِظَكَ اللهُ فَمَا هذَا الشَّيْبُ؟ فَقَالَ:

نَذِيرٌ وَلَكِنَّهُ سَاكِتُ ... وَضَيْفٌ وَلكِنَّهُ شَامِتُ
وَإِشْخَاصُ مَوْتٍ وَلكِنَّهُ ... إِلَى أَنْ أُشَيِّعَهُ ثَابِتُ[٤]

= عن الأذى الذي مكنك الله من العقاب عليه. وفي المشهور الشكر قيد النعم والكفران فكاكها.

(١) في رواية بعد هذا: واشكروا الله ليصونكم من خلل الغفلة والسهو.

(٢) في رواية: فنهضت على أثره.

(٣) أراد من **الحلية** الهيئة والصورة. **وغيرتها** ادعيت أنها متغيرة أي لم تكتف بزعمك أن صورتي تغيّرت حتى قصدت أن تنكر معرفتك بي. ويروى: الحيلة بدل الحلية وهي غلط.

(٤) **إشخاص** موت أي إزعاجه يقال: أشخصه إذا أزعجه من مكانه. وأشخص فلانًا إلى فلان بعثه إليه. وعبر بالإشخاص عن فاعله وهو الرسول أي هو رسول موت يزعجني بالدعوة إليه. ولكنه لا يكتفي بتبليغ الرسالة ثم يذهب بل هو ثابت معي حتى أشيعه وأودعه بالفراق الأبدي. ويروى: إلى أن يودعني ثابت. أي هو رسول ولكنه ينتظر أن أفارق فيودعني لا أن يفارق فأودعه على عادة الرسل.

المقَامَةُ الأسْوَديَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشامٍ قَالَ: كُنتُ أُتَّهَمُ بِمَالٍ أصَبْتُهُ. فَهِمْتُ عَلَى وَجْهِي هَارِبًا[١] حَتَّى أَتَيْتُ البَادِيَةَ فَأَدَّتْنِي الهَيْمَةُ[٢]. إلى ظِلِّ خَيْمَةٍ. فَصَادَفْتُ عِنْدَ أطْنَابِهَا[٣] فَتًى يَلْعَبُ بِالتُّرَابِ. مَعَ الأتْرَابِ[٤]. وَيُنْشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ. وَلَا يَقْتَضِيهِ ارْتِجَالُهُ[٥]. وَأَبْعَدْتُ أَنْ يُلْحِمَ نَسِيجَهُ[٦]. فَقُلْتُ: يَا فَتَى العَرَبِ أَتَرْوِي هذَا

(١) أي أنه أصاب مالًا فاتهم فيه وظن به الحاكم أنه أصابه من غير وجهه. فالباء في قوله بمال باء السبب فوجهت عليه لذلك شبهت الجرم فخاف الوقوع في المحاكمة وتدقيق الحساب فهام. وقد تكون الباء للصلة وأن الجرم المتهم به هو المال نفسه لأن الظلمة كانوا إذا رأوا علائم الغنى على شخص عدوا ذلك جرمًا عظيمًا وأسرعوا إلى مصادرته وسلب ما بيده. **وهام** على وجهه ذهب في الأرض لا يدري أين ترمي به قدمه.

(٢) **الهيمة** بالفتح الواحدة من الهيم مصدر هام أي فأداني الهيام إلى ظل خيمة صادفتها لا عن سوق إرادة.

(٣) **الأطناب** جمع طنب بضمتين وهو الحبل يشد به سرادق البيت أو هو الوتد الذي تشد به الحبال. والمعنيان هنا صحيحان والثاني أقرب لأن الصبيان يلعبون عند الأوتاد على قرب منها.

(٤) **الأتراب**: جمع ترب وهو من يكون على سنك.

(٥) **يقتضيه حاله**: يناسب ما هو فيه من الفتاء والحداثة فحاله يطلب مثل تلك المعاني التي يفصح عنها شعره. **والارتجال** في الكلام: إرساله نظمًا أو نثرًا من غير تهيئة ولا إعمال فكر سابق. وأراد منه هنا ملكة ذلك أي أن قوة ارتجاله التي يمكن أن تكون لمثله ممن على سنه لا يلتمس منها مثل ذلك الشعر بل هو أعلى منها فهي لا تستدعيه.

(٦) **النسيج** المنسوج كأن الشعر ثوب في التحام أجزائه وتناسبها وتأليفه **إلحام** أي نسج وقد أبعد ابن هشام أن يكون الفتى هو ناسج ذلك الشعر أي مؤلفه أي عد ذلك بعيدًا. ويروى: «وأردت» بدل «أبعدت» أي تمنيت ذلك أو قصدت امتحانه لأقف على ذلك منه وفي الكل تكلف. والصحيح ما في نسختنا.

الشِّعْرَ أم تَعْزِمُهُ؟ فَقَالَ: بَلْ أعْزِمُهُ(١) وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

إنِّـي وَإنْ كُـنْـتُ صَـغِـيـرَ الـسِّـنّ وَكَـانَ فِـي الـعَـيْـنِ نُـبُـوٌّ عَـنِّـي(٢)

فَـإنَّ شَـيْـطَـانِـي أَمِـيـرُ الـجِـنّ يَـذْهَـبُ بِي فِي الـشِّـعْـرِ كُلَّ فَـنِّ(٣)

حَـتَّـى يَـرُدَّ عَـارِضَ الـتَّـظَـنِّـي فَأمْضِ عَلَى رِسْلِكَ وَٱغْرُبْ عَنِّي(٤)

فَقُلْتُ: يَا فَتَى العَرَبِ أدَّتْنِي إلَيْكَ خِيفَةٌ. فَهَلْ عِنْدَكَ أَمْنٌ أَوْ قِرًى(٥)؟ قَالَ بَيْتَ الأمْنِ نَزَلْتَ. وَأَرْضَ القِرَى حَلَلْتَ(٦). وَقَامَ فَعَلِقَ بِكُمِّي. فَمَشَيْتُ مَعَهُ إلى خَيْمَةٍ قَدْ أُسْبِلَ سِتْرُهَا. ثُمَّ نَادَى: يَا فَتَاةَ الحَيِّ هذَا جَارٌ نَبَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ. وَظَلَمَهُ

---

(١) **رواية** الشعر إنشاده وهو من غير قول المنشد فهو يحدث به عن غيره ويحفظه عنه. وعزم القول قاله عن قريحته وقوة ملكته لا نقله عن قائل سواه. وأصل **العزم** عقد النية على الأمر وإمضاؤه بغير تردد استعمل في نفس العمل لأنه سببه كأنه قال: هل حفظت الشعر عن غيرك أو أصدرته عن قوة إرادتك واندفاع قريحتك إليه. فقال: لا أرويه بل أقوله عن ملكتي وجودة قريحتي.

(٢) **نبو العين**: تجافيها عن المرئي فالبصر لا يثبت عليه. ولا تنبو العين إلا عن حقير في منظره.

(٣) لدقة ما في الشعر من المعاني ينسبون ما يقذف في ذهن الشاعر منها إلى وحي الشيطان كأن ما ينقاد إلى الشعراء من مخدرات المعاني وطرائف الأساليب ليس مما يستفيده الناس عادة وإنما يزف به إليهم شياطينهم من الجن خصوصًا والشعر لا يكون أغلبه إلا في الباطل وقليلًا ما يجود في الحق فلهذا غلبت نسبته إلى الشيطان لا إلى الملك. فهذا الفتى يزعم أن شيطانه ليس من أفراد الشياطين بل هو أمير الجن وصاحب السلطة فيهم فهو أوسعهم اقتدارًا لهذا يصرفه ويذهب به على صغر سنه في كل فن من فنون الشعر.

(٤) **التظني** إعمالك الظن في أمر لعله يكون كما تظن. يقال: ليس الأمر بالتظني ولا التمني. فيقول: إذا عرض لأحد أن يتظنى في أمري وأني لا أستطيع قول الشعر في سني هذا رد ذلك شيطاني ودفعه عني بما يصرفني فيه حتى يقطع ريبة المرتاب في شأني. **وعلى رسلك** بالفتح أي سيرك. **والرسل** السير السهل والبعير السهل أيضًا، وأما قولهم لمريد الذهاب «**على رسلك**» فهو بكسر الراء بمعنى تأن لأن الرسل بالكسر الرفق والتؤدة. واغرب عني ابعد. ويروى. واعزب بالزاي بعد العين والمعنى واحد.

(٥) أي أوصلني إليك الخوف. والأمن ما يحفظ من المخوف. **والقرى** ما يصنع للضيف من الطعام إكرامًا له.

(٦) «**بيت**» ظرف لنزلت. أي نزلت في بيت تأمن فيه مما تخاف وحللت أرض الكرم تصيب فيها من القرى ما تقر به عينك.

سُلْطَانُهُ(١). وَحدَاهُ إِلَيْنَا صِيتٌ سَمِعَهُ. أَوْ ذِكْرٌ بَلَغَهُ(٢). فَأَجِيرِيهِ. فَقَالَتِ الفَتَاةُ: اُسْكُنْ يَا حَضَرِيُّ(٣).

أَيَا حَضَرِيُّ اُسْكُنَ وَلَا تَخْشَ خِيفَةً ... فَأَنْتَ بِبَيْتِ الأَسْوَدِ بنِ قِمَانِ(٤)
أَعَزِّ ابنِ أُنْثَى مِنْ مَعَدٍّ وَيَعْرُبٍ ... وَأَوْفَاهُمُ عَهْدًا بِكُلِّ مَكَانِ(٥)
وَأَضْرَبِهِمْ بِالسَّيْفِ مِنْ دُونِ جَارِهِ ... وَأَطْعَنِهِمْ مِنْ دُونِهِ بِسِنَانِ(٦)
كَأَنَّ الْمَنَايَا وَالْعَطَايَا بِكَفِّهِ ... سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ
وَأَبْيَضَ وَضَّاحِ الجَبِينِ إِذَا انْتَمَى ... تَلَاقَى إِلَى عِيصٍ أَغَرَّ يَمَانِي(٧)
فَدُونَكَهُ بَيْتَ الجِوَارِ وَسَبْعَةٌ ... يَحُلُّونَهُ شَفَّعْتَهُمْ بِثَمَانِ(٨)

---

(١) **نبت به** الأوطان: لم يطب له المقام فيها كأنها لفظته ورمت به إلى غيرها. وقوله: «وظلمه» يروى: «وطلبه سلطانه» أي التمسه لإيقاع العقوبة به.

(٢) **حداه إلينا** ساقه صيت أي شهرة أو ذكر رفيع سمعه عنا بأنا نجير مَن ينزل بحمانا. والفقرة الثانية في معنى الأولى فإن الشهرة إنما انتشار الذكر فالفصل بأو مما لا يناسب.

(٣) **اسكن**: أي اطمئن. **والحضري** نسبة إلى الحضر وهو توطن المدن ويقابله البدو وهو الضرب في البوادي.

(٤) من مشايخ العرب كان بباديتهم مشهورًا.

(٥) **أعز ابن أنثى** أي أعز العرب كافة وكنت بابن الأنثى لأن شخصًا قد يولد لا عن ذكر كما عرف في شأن عيسى عليه السلام لكنه لم يعهد القول بأن أحدًا يولد لا عن أنثى. فلهذا كان ابن الأنثى أعم من ابن الذكر. **ومعد** بن عدنان أبو عرب الحجاز. **ويعرب** بن قحطان أبو عرب اليمن. وليس في العرب مَن ينتسب إلى غيرهما. وقد عرف في لسانهم التعبير عن القوم بأبيهم فيريد بمعد أبناء معد وبيعرب أبناء يعرب.

(٦) وأعرفهم بضرب السيف وأكثرهم به ضربًا لحماية جاره وقالوا في مثل هذا الموضع من دون جاره مثلًا لأن المجير يحول بين المعتدي وبين الجار فهو أدنى إلى المعتدي من الجار ومتوسط بينهما.

(٧) لا يذكر البياض في مدح الرجال عند العرب إلا مرادًا منه نقاء العرض والنظافة من دنس اللؤم. **والوضاح** الأبيض الحسن. فوضاح الجبين تأكيد لأبيض. **والجبين**: ناحية الجبهة مما يلي الصدغ. ولا يكون الجبين وضاحًا حتى يكون البياض مشرقًا. وإذا **انتمى** أي انتسب إلى آبائه تلاقى في نسبه ووصل إلى **عيص** أي أصل أغر أي مشهور معروف يلمع ذكره في الناس بحميد الخلال كما يلمع بياض الأغر. **والأغر** على نحو الأبيض. **والوضاح** يقصد منه المعروف بالمكارم نقي النفس من دون المآثم. واليماني نسبة إلى اليمن مسموعة. **والأسود** بن قنان كان من عرب اليمن.

(٨) **دونكه** بيت الجوار: أي الزمه. وبيت بدل من الضمير. كأنها قالت الزم بيت الجوار. وإنما أتت=

فَأَخَذَ الفَتَى بِيَدِي إلى البَيْتِ الَّذِي أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ[١]. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَبْعَة نَفَرٍ فِيهِ. فَمَا أَخَذَتْ عَيْنِي إِلَّا أَبَا الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيَّ فِي جُمْلَتِهِمْ[٢]. فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ بِأَيِّ أَرْضٍ أَنْتَ؟ فَقَالَ:

نَزَلْتُ بِالأَسْوَدِ فِي دَارِهِ ... أَخْتَارُ مِنْ طَيِّبِ أَثْمَارِهَا
فَقُلْتُ إِنِّي رَجُلٌ خَائِفٌ ... هَامَتْ بِي الخِيفَةُ مِنْ ثَارِهَا[٣]
حِيلَةُ أَمْثَالِي عَلَى مِثْلِهِ ... فِي هٰذِهِ الحَالِ وَأَطْوَارِهَا[٤]
حَتَّى كَسَانِي جَابِرًا خَلَّتِي ... وَمَاحِيًا بَيِّنَ آثَارِهَا[٥]
فَخُذْ مِنَ الدَّهْرِ وَنَلْ مَا صَفَا ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْقَلَ عَنْ دَارِهَا[٦]
إِيَّاكَ أَنْ تُبْقِيَ أُمْنِيَّةً ... أَوْ تَكْسَعَ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا[٧]

= بالضمير لتقيمه مقام الإشارة فهي تقول هذا بيت الجوار فالزمه وفيه سبعة يحلونه وقد شفعتهم أي بعد أن كانوا وترًا وعددًا فردًا جعلتهم أنت شفعًا وعددًا زوجًا. وقوله: بثمانٍ أي بجعلهم ثمانية أو أراد بثامن ويقال للعدد الثامن أنه هو الثمانية أي متممها ألا ترى أنك عند العد تأخذ الواحد بعد الأربعة وتقول خمسة ثم ما بعده وتقول ستة وهكذا إلى بقية الأعداد.

(١) **أومأت**: أي أشارت والإشارة كانت في الضمير المتصل بدونك وقد تقدم توضيحه.

(٢) أي لم يصب نظري أحدًا أعرفه إلا أبا الفتح في جملة أولئك السبعة.

(٣) **الخيفة**: الخوف. **وهامت به**: ذهبت به على وجهه وضمن هام معنى هرب فعلق به «من» أي هربت بي الخيفة من ثأرها الثأر الذي أوجبها. فهو يزعم أنه قتل قتيلاً وأولياء دمه يطلبونه بثأره فكأن ذلك الثأر الذي هو الموجب لخيفته وقد فرّ به الخوف منه. ويروى: أطمارها وهو تحريف أطوارها.

(٤) أي تلك حيلة أمثالي على مثله. والرجل العزيز الكريم لا يتبع أحوال الملتجئين إليه ليتبين صدقهم من عدمه فعزته وكرمه يأبيان ذلك. وهذه الحال حال الفقر والضعف. وأطوارها درجاتها ومظاهرها من خفة تحتمل وثقل لا يطاق.

(٥) **الخلة** بالفتح: الحاجة والفقر. احتال عليه حتى كساه وألبسه ثيابًا. وجابرًا حال من فاعل كسا. وماحيًا عطف على جابرًا. **والبيّن**: الظاهر. أي ومزيلاً آثارها الظاهرة. والضمير للخلة.

(٦) الضمير في دارها للحياة الدنيا المفهومة عند المتخاطبين من ذكر الحيلة والحاجة ونيل ما صفا من المستلذات الحاضرة فإن ذلك كله شأن الحياة الدنيا.

(٧) **الشول**: جمع شائلة وهي من النوق التي أتي عليها من وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وكاد يجف لبنها. **وكسع الشول بأغبارها**: أبقى بقية من اللبن في خلفها يريد تغزيرها. وفي الأساس **كسع الناقة** بغبرها: ضرب أخلافها بالماء البارد ليتراد في ظهرها فيكون أشد لها. وكلاهما إنما يفعل إذا أريد حفظ اللبن للأيام الآتية خوف الحاجة فيها والإعواز مما يسدها فيستبقي ما في=

قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ يَا سُبْحَانَ اللهِ أيَّ طَرِيقِ الكَرَائِهِ لَمْ تَسْلُكْهَا[١]. ثُمَّ عِشْنَا زمَانًا فِي ذلِكَ الجَنَابِ[٢] حَتَّى أَمِنَّا. فَرَاحَ مُشَرِّقًا وَرُحْتُ مُغَرِّبًا[٣].

= الضرع أو يضرب في الماء ليتراد إلى الظهر ليرجع إليه عند الحاجة. وهذا ينهى عن مراقبة الأماني وحرمان النفس من شيء الآن لشيء يؤمل فيه من بعد. فما في الضرع من بقية اللبن احتلبه اليوم ونل من لذة الانتفاع به ولا تنظر في العاقبة فإنما العيش ما حضر وكذلك ما تيسر لك من غنيمة جود الكرام فاحتل لنيله ولا تخش أن يقال إنه محتال فبعد النوال لا يبالى بالمقال ولا تطمع في العود إليهم فتنقبض عن الاحتيال عليهم.

(١) **الكرائه**: جمع كريهة وهي ما تكرهه النفس من الشدائد. يستفهم عن طريق لها لم يسلكها أبو الفتح فهو لا يعرف طريقًا من طرق المكاره إلا وقد سلكها فيومىء بهذا الاستفهام ومثله إلى النفي العام. وفي أكثر النسخ الكدية بدل الكرائه. **والكدية**: الشحاذة وتكفف الناس وهي أكره الكرائه.

(٢) **الجناب**: الفناء وما قرب محلة القوم ويكنون بالعيش فيه عن الإقامة في جوار صاحبه.

(٣) يريد تفارقنا فأنا إلى وطني وهو إلى حيث يجد صيدًا.

المقَامَة العِراقيَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: طُفْتُ الآفَاقَ. حتَّى بَلَغْتُ العِرَاقَ. وَتَصَفَّحْتُ دَوَاوِينَ الشُّعَرَاءِ. حَتَّى ظَنَنْتُنِي لَمْ أُبْقِ فِي القَوْسِ مِنْزَعَ ظَفَرٍ(١). وَأَحَلَّتْنِي بَغْدَادُ(٢). فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى الشَّطِّ(٣) إذْ عَنَّ لِي فَتًى فِي أطْمَارٍ(٤) يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَحْرِمُونَهُ فَأَعْجَبَتْنِي فَصَاحَتُهُ. فَقُمْتُ إليْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَصلِهِ وَدَارِهِ. فَقَالَ: أَنَا عَبْسِيُّ الأَصْلِ(٥) إسْكَنْدَرِيُّ الدَّارِ. فَقُلْتُ: مَا هذَا اللِّسَانُ. وَمِنْ أَيْنَ هذَا البَيَانُ؟ فَقَالَ: مِنَ العِلْمِ. رُضْتُ

---

(١) قد يروى منزع بكسر الميم والظفر بالتحريك. **والمنزع**: السهم البعيد المرمى. **والظفر** مصدر ظفر فلان بمطلوبه أي وصل إليه أو بعدوه غلبه. وإضافة المنزع بذاك المعنى إلى الظفر لأنه آلته فإن السهام آلات حرب تستعمل في قهر الأعداء والظفر بالمطلوب من نكايتهم وغلبتهم على ما في أيديهم. ولم **يبق في القوس سهمًا** أي أنه رمى بجميع ما يمكن أن يرمي به من السهام وكل سهم أصاب غرضًا فقد أصاب جميع الأغراض فلم يبق سهم من سهام الظفر إلا وقد رمى به وأصاب فليس في قوسه سهم لم يرم به حتى يرمي. **وظننتني** ظننت نفسي أي أنني أتيت على دواوين الشعراء كافة حتى ظننت نفسي محيطًا بجميع ما قيل من شعر فلا قول ينسب إلى قائل إلا وقد ظفرت به. وعبر عن هذا المعنى بعبارة المثل لم يبق في القوس منزعًا. وقد يروى **منزع** بفتح الميم مصدر ميمي من نزع القوس أو عنها أو بالسهم. والظفر على حاله. أي لم يبق في القوس موضعًا للنزع أي الرمي بالسهم أو عن القوس أو لمد القوس وجذب وترها للرمي على قصد الظفر بغرض يصاب. وبقية المعنى كما تقدم. وقد يروى الظفر مع الرواية الثانية بضم الظاء ومعناها هنا ما وراء معقد الوتر من القوس إلى طرفها وهو ما ترد إليه اليد عند جذب الوتر للرمي. فإضافة المنزع إليه على معنى أنه هو المنزع الذي هو الظفر أنه أبلى موضع النزع من قوسه من كثرة ما رمى عنها. والرواية الأولى أبين.

(٢) أي وسعتني.

(٣) **الشط**: شط الدجلة.

(٤) **عنّ له**: ظهر. **والأطمار**: الثياب البالية.

(٥) **عبسي** نسبة إلى عبس قبيلة من العرب منها عنترة العبسي المشهور.

صِعَابَهُ(١) وَخُضْتُ بِحَارَهُ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ العُلُومِ تَتَحَلَّى؟ فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ(٢) فَأَيَّهَا تُحْسِنُ؟ فَقُلْتُ: الشِّعْرَ. فَقَالَ: هَلْ قَالَتِ العَرَبُ بَيْتًا لا يُمْكِنُ حَلُّهُ(٣) وَهَلْ نَظَمْتْ مَدْحًا لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ(٤). وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ(٥). وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ(٦). وَأَيُّ بَيْتٍ يَثْقُلُ وَقْعُهُ(٧). وَأَيُّ بَيْتٍ يَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ(٨). وَأَيُّ بَيْتٍ يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ(٩). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِنْ يَبْرِينَ(١٠). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ كَأَسْنَانِ المَظْلُومِ. وَالمِنْشَارِ

---

(١) بعدما قال إن لسانه وبيانه من العلم لأن سعة المنطق وشرفه إنما يكون لغزارة المعاني العالية ووفرة الألفاظ الغالية وملكة الأساليب المعجبة ولا يكون ذلك إلا من علم أراد أن يبين كيف حصل العلم. **وراض صعابه**: أي ذللها كأن معضلات المسائل كالصعاب من النوق تقف براكبها عن السير إلى الغاية المطلوبة له **فهو يروضها**: أي يذللها حتى تكون له منقادة إلى ما يريد.

(٢) **سهم** مبتدأ **ولي في** موضع الخبر. **والكنانة**: وعاء السهام. والجملة مثل ضربه في أن له إلمامًا بكل فن ومعرفة بكل علم ومن له سهم في كل كنانة تيسر له الرمي بكل يد إلى كل غرض وكذلك من له نظر في كل فن يمكنه أن يبحث في كل موضوع ويمد نظره للإحاطة بكل معنى.

(٣) حل **البيت**: نثره. فللشعر أساليب تلجىء إليها مراعاة الوزن وأغلب الشعر إذا حل إلى نثر ظهر انقلاب في تركيبه أو نقص أو زيادة فيه وذهب وزنه فالبيت الذي لا يمكن حله هو الذي جاء في أساليب النثر فلما نثر لم يتغير وضع ألفاظه كبيت الأعشى الآتي ذكره.

(٤) أي أنت بصفات مدح في نظمها لممدوح غير معروف للمادح.

(٥) أما سماجة الوضع فهي قبح ما سيق له النظم من المعنى فكأن البيت وضع لأجله. **وحسن القطع**: حسن التفصيل كما يفصل الثوب على مقدار لابسه فقطعه حسن جميل وإن كان لابسه مشوهًا قبيحًا.

(٦) **البيت** لا دمع له غير أن ما فيه من المعاني والألفاظ يخيل للسامع انسكابًا لا ينقطع. **ورقأ الدمع**: سكن وانقطع جريانه.

(٧) **البيت** الذي يثقل وقعه إما لثقل في النطق به وإما لكراهته في السمع كأنه وقع حافر في صخر وإما لأن معانيه تصور للذهن أثقالاً وكأنها سقطت من الذهن على ما لا يثبت لها.

(٨) **عروض البيت**: الجزء الأخير من الشطر الأول. **والضرب**: الجزء الأخير من الشطر الثاني. **ويشج**: أي يجرح ويكسر. **ويأسو**: أي يداوي ويطبب. وعروض البيت الآتي وهو «دلفت له الخ» لفظ مشرفي وهو الحسام وهو يشج. وضربه السلام وهو **أسو** أي أن سامع أول البيت يظن ضربًا وحربًا وسامع آخره يظن أخوة وسلامًا.

(٩) **يعظم وعيده** أي أن صورة الإنذار فيه فخيمة عظيمة ولكن الخطب والشأن فيه صغير لا يبالى به.

(١٠) **يبرين** أرض ذات رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة. ومعنى كون البيت أكثر رملاً منها أنه يمثل للسامع ما يكثر ذلك الرمل.

المَثْلُومِ(١). وَأَيُّ بَيْتٍ يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوءُكَ آخِرُهُ(٢). وَأَيُّ بَيْتٍ يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ(٣). وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تُذْكَرَ جَوَامِعُهُ(٤). وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ(٥). وَأَيُّ بَيْتٍ يَسْهُلُ عَكْسُهُ(٦). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ(٧). وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ مَهِينٌ بِحَرْفٍ وَرَهِينٌ

---

(١) أراد من **المظلوم** الذي حيف عليه فضرب على فمه فسقطت بعض أسنانه أو أراد منه البعير المذبوح بغير داء مع إطلاقه عن قيده. وأسنان البعير لا تتصل اتصال أسنان الإنسان مثلاً. **والمنشار**: آلة النجار المعروفة. **والمثلوم**: المكسور. وإنما كان البيت كذلك لأنه كثير الشينات وكل شين لها ثلاث أسنان وبين كل ثلاث وثلاث فاصل. والمنشار إذا تكسرت بعض أسنانه لا يبعد عن هذا. ومثله الذي تكسرت أسنانه بما ظلمه الظالم. ويروى: المطلوم بالطاء المهملة ولا معنى لها.

(٢) لو أنك وصفت بأوله سرك الوصف به فإذا وصفت بآخره ساءك نسبته إليك.

(٣) **يخدع ظاهره**: يظن أن فيه معنى فإذا تأملته كان أثره في نفسك أثر صفع الصافع لك وما أقبحه من أثر. ويروى: يصفيك بدل يصفعك ولا بد أن يكون بالغين لا بالفاء بمعنى ينقصك فيتفق في المراد مع يصفعك.

(٤) البيت الذي تسمعه وأنت تظن أنه لشاعر آخر غير صاحب البيت كأنك لست بسامعه وإنما تسمع قول ذلك الشاعر الآخر فإذا أتى منشده على آخره وتعين قائله غير مَن كنت تسمع له رجع ذهنك عمن ظننته إلى قائله الحقيقي فكأنك لم تخلق ولم توجد له سامعًا إلا بعد أن ذكرت جميع أجزائه فيخلق من الخلقة وذلك يأتي في كل بيت توافق عليه شاعران إلا في الجزء الأخير وكان لأحدهما أشهر منه للآخر فإن **بيت طرفة** يكون سامعه سامعًا لبيت امرىء القيس حتى يأتي الجزء الأخير فينقلب سامعًا لبيت طرفة فكأنه لم يخلق السامع له إلا عند ذكر جميع أجزائه. وإنما سميت المفاهيم التي ترد إلى الذهن من ألفاظ البيت **جوامع** لأن كل واحد منها يستورد الآخر معه في الفهم لشدة التناسب بينها عادة فكأن كلاً بالنسبة إلى البقية جامعة تشد بعضها ببعض وتضم الواحد منها للآخر. وفي أكثر النسخ: لا يخلف بالفاء بدل يخلق وهو من **أخلفت الشجرة**: أنبتت عوض ما قطع منها كأن شيئًا قطع من السامع بتغير ظنه وخلفه شيء آخر. أو هو من أخلف فلان لنفسه إذا ذهب له شيء فجعل مكانه آخر. والسامع للبيت لا يذهب من ذهنه أنه لامرىء القيس حتى تأتي اللفظة الأخيرة فيخلفه عندها أنه لطرفة.

(٥) للطف الصورة التي يخيلها الذهن عند سماعه وانتهائها في اللطف إلى حد يبعدها عن الملموسات.

(٦) أي جعل الشطر الثاني منه أولًا والأول ثانيًا.

(٧) **البيت أطول** من مثله لاحتوائه على ألفاظ أكثر وحروف أوفر مما يكون في غيره من مثل وزنه وهو لطوله يظنه السامع ليس من أهله أي ليس من الأبيات التي على أوزانه وكما أن الأهل يتقاربون في أنسابهم فالأبيات من وزن واحد تتقارب في تقاطيعها فالواحد منها فيما بينها كأنه في أهله.

بِحَذْفٍ(١)؟ قَالَ عِيسى بنُ هِشَامٍ: فَوَاللهِ مَا أَجَلْتُ قِدْحًا فِي جَوَابِهِ وَلَا اهْتَدَيْتُ لِوَجْهِ صَوَابِهِ(٢) إِلَّا: لَا أَعْلَمُ. فَقَالَ: وَمَا لَا تَعْلَمُ أَكْثَرُ(٣). فَقُلْتُ: وَمَا لَكَ مَعَ هذَا الفَضْلِ. تَرْضَى بِهذَا العَيْشِ الرَّذْلِ(٤)؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

بُـؤْسًـا لِهـذَا الـزَّمَـانِ مِـنْ زَمَـنٍ كُـلُّ تَـصَـارِيـفِ أَمْـرِهِ عَـجَـبُ
أَصْـبَـحَ حَـرْبًـا لِكُـلِّ ذِي أَدَبٍ كَـأَنَّـمَـا سَـاءَ أُمَّـهُ الأَدَبُ

فَأَجَلْتُ فِيهِ بَصَرِي. وَكَرَّرْتُ فِي وَجْهِهِ نَظَرِي فَإِذَا هُوَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللهُ وَأَنْعَشَ صَرْعَكَ(٥) إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ بِتَفْسِيرِ مَا أَنْزَلْتَ.

---

(١) **مهين** بفتح الميم اسم مفعول. **ومهانة البيت**: بأن تكون معانيه مما يهان ويحتقر في حقيقته. وكل أوصاف القدح كذلك فإنه لولا هوانها وخستها ما قدح بها في موصوفها **فالبيت** المهين بحرف ما لو أبدل حرف منه بآخر لانقلب من المهانة إلى علو المكانة. وقد يكون **مهين** بضم الميم اسم فاعل أي يهين من قيل فيه بحرف لو أبقي في بعض كلماته. ولو أبدل ذلك الحرف بغيره لم يكن مهينًا بل كان معظمًا. ومعنى كونه **رهينًا بحذف** أن البيت بتمامه مأخوذ بحرف واحد من حروف بعض كلماته ومعناه في موضوعه من مدح وذم محبوس عليه لو حذف ذلك الحرف لانقلب المعنى. ويروى: رهين بحرف مهين بحذف ومعناه يفهم مما قلناه.

(٢) **أجال القدح**: خلطه بالقداح ثم حركها وأدارها من قداح الميسر أي سهامه تجال. ثم يأخذ المتقامرون كل واحد سهمًا فمن كان سهمه ذا حظ كسب ومَن كان سهمه بلا حظ خسر. وضرب إجالة السهم هنا مثلاً للتفكر وإجالة الرأي للعثور على جواب وإنما لم يفكر في الجواب لأن الأسئلة في غاية الغموض فأبواب الفكر دونها مسدودة. **والضمير** في صوابه للجواب أي لم يهتد إلى وجه صواب في الجواب عن مسائله.

(٣) أي لم يجد وجه صواب في الجواب إلا قوله: **لا أعلم**. لأن مضمونها هو حقيقة حاله. ويروى: إلا بلا أعلم وهي ظاهرة. ويروى: بلا لا أعلم والصواب فيها حذف لا الثانية. وقوله: وما لا تعلم أكثر أي الذي لم يتصوره ذهنك ولا بوجه ما أكثر من هذا الذي تصورته بوجه أنك لا تعلمه. وتسمية التصور على هذا الوجه علمًا بناء على عموم استعماله في كل ما يظهر في لوح الذهن صحيحًا كان أو باطلاً مطابقًا لمنشإ انتزاع له أو غير مطابق.

(٤) **الرذل**: الرذيل الدون.

(٥) **الصرع**: السقوط مصدر مبني للمجهول. وأصل **أنعشه**: أقامه من سقطته فحق الكلام أنعشك الله من صرعك أي رفعك من سقطتك. لكنه استعمل أنعش في معنى أزال السقطة أي أزال الله سقوطك ورفعك بعد هبوطك. ويروى: صرعتك. ويروى: لا حيًا الله طلعتك ولا نعش صرعتك وهي غير صحيحة لأن المقام للاستعطاف فلا يليق به الشتم.

وَتَفْصِيلِ مَا أَجْمَلْتَ. فَعَلْتَ[١]. فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ: أَمَّا البَيْتُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ حَلُّهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ الأَعْشَى:

دَرَاهِـمُـنَـا كُـلُّهَـا جَـيِّـدٌ ... فَـلَا تَـحْـبِـسَـنَّـا بِـتَـنْـقَـادِهَـا[٢]

وَأَمَّا المَدْحُ الَّذِي لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ الهُذَلِيِّ:

وَلَمْ أَدْرِ مَـنْ أَلْقَـى عَـلَيْـهِ رِدَاءَهُ ... عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ[٣]

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ. فَقَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ:

فَـبِـتْـنَـا يَـرَانَـا اللهُ شَـرَّ عِـصَـابَـةٍ ... نُجَرِّرُ أَذْيَالَ الفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ[٤]

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ فَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ[٥]

---

(١) **فعلت** جواب إن رأيت. واشتهر التفسير للتنزيل أي الكتاب المنزل وكأنه يشير إلى أن ما جاء به من المسائل أشبه بمتشابهات المنزلات لهذا قال: تفسير ما أنزلت.

(٢) حبسه وقفه. يقول: لا تقفنا ولا تضع وقتنا بتنقاد الدراهم وتمييز زيفها من جيدها فإن جميعها جيد ونظم البيت كأنه أسلوب منثور لا يمكن حله بأوجز ولا بأطول منه ولا بتقديم بعض أجزائه وتأخير بعض. وسيأتي له أن حله دراهمنا جيد كلها ولا يغير وزنه وهو اختلاف في الاعتبار.

(٣) **البيت** في مدح شخص غير معروف كان قد ألقى رداءه على أخ للشاعر ليحميه ممن كانوا قد أرادوا الفتك به فنجا بسبب ذلك فالشاعر يذكر **القصة** ويقول: لم أدر الشخص الذي ألقى رداءه على أخي حتى نجاه من الهلكة على أن هذا المحسن قد انتزع عن أب ماجد أو أصل ماجد شريف خالص الشرف لم تشبه شائبة دنس. ويمكن عود الضمير في «أنه» إلى الرداء والماجد نفس صاحب الرداء أي على أن هذا الرداء إنما انتزع عن ماجد خالص المجد صريحه. وفي بعض النسخ قبل قوله الهذلي لفظ «أبي خراش» والمشهور أنه للأعشى.

(٤) بعدما ذكر من أنواع اللذات التي اغتنموا فرصها تلك الليلة في أبيات سابقة جاء بهذا البيت. **ويرانا الله**: أي يعلمنا في حالنا هذه شر جماعة اجتمعت على أمر وتجرير أذيال الفسوق تمثيل لاشتمال الفسق جميع أعمالهم تلك الليلة حتى كان لهم كأنه ثوب سابغ أحاطهم وفاض عنهم بذيل يجرونه ولا فخر أولى بهم من هذا الفخر. والبيت رقيق في لفظه حسن في أسلوبه غير أنه سمج في موضوعه وأي سماجة أبين من الاعتراف بالفسق والفخر به والانتساب إلى الشر والمصارحة بالتفوق فيه مع الإقرار بأن الله يعلم جميع ذلك وعدم المبالاة به.

(٥) **الكلى**: جمع كلية وللإنسان ونحوه من الحيوان كليتان وهما لحمتان منتبرتان حمراوان لازقتان=

فَإِنَّ جَوَامِعَهُ إِمَّا مَاءٌ أَوْ عَيْنٌ أَوِ انْسِكَابٌ أَوْ نَشِيئَةٌ أَوْ أَسْفَلُ مَزَادَةٍ أَوْ شِقٌّ أَوْ سَيَلَانٌ. وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَثْقُلُ وَقْعُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ:

إِذَا مَـنَّ لَمْ يَـمْـنُـنْ بِـمَـنٍّ يَـمُـنُّـهُ وَقَالَ لِنَفْسِي أَيُّهَا النَّفْسُ أَمْهِلِي[١]

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي تَشُجُّ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبُهُ فَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

دَلَفْـتُ لَهُ بِـأَبْـيَـضَ مَـشْـرَفِـيٍّ كَـمَا يَدْنُـو الـمُـصَافِحُ لِلسَّلَامِ[٢]

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ فَمِثَالُهُ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ كُلْثُومٍ:

كَـأَنَّ سُـيُـوفَـنَـا مِـنَّـا وَمِـنْـهُـمْ مَـخَـارِيـقٌ بِـأَيْـدِي لَاعِـبِـيـنَـا[٣]

= بعظم الصلب عند الخاصرتين في كظرين من الشحم ووظيفتهما إفراز البول. **والكلية** أيضًا من السحاب أسفله ومن المزادة رقعة مستديرة تخرز عليها تحت العروة. فلفظ الكلى يحضر في ذهنك مثال البول ومثال **النشيئة** بمعنى السحابة ومثال أسفل المزادة وهي من أوعية الماء. **والمفرية**: المقطوعة. **والسرب**: الماء السائل. فلهذا عد النشيئة وأسفل المزادة والبول من جوامع البيت لأنها تحضر الذهن من ألفاظه والشق من مفرية والسيلان من سرب والباقي معروف المأخذ. ويروى بدل نشيئة «أو تشبيه به» أي ببعض ما سبق. والتشبيه بالشيء يحضر صورته. وفي بعض النسخ: إما ماء أو بول أو عين أو انسكاب أو تشبيه به أي بالانسكاب في قوله: كأنه من كلى الخ. والصواب له بدل به إن أراد هذا الانسكاب الذي في البيت فإن أراد مطلقه صح فإن هذا الانسكاب شبيه بالانسكاب من الكلى المفرية حقيقة.

(١) **منّ** أنعم ويمنن بعدد ما أنعم به ويذكره للتبجح وطلب الإقرار بالصنيع والقيام بالشكر. **والمن**: الإحسان **ويمنّه**: أي يحسنه وينعم به. أي إذا أنعم لم يذكر النعم التي ينعمها علي وطالب نفسي بالإمهال في ذكر نعمها وشكرها كتمًا لجميل فعله فهو يمن لا لطلب شكر بل يفيض الجود عن طبعه فيضًا. وثقل وقع البيت لأن تكرار المن في الشطر الأول مع برودة اللفظ في الشطر الثاني مما يكره سماعه أو لأنه ذكر المن فيه أربع مرات وكل **مَنّ** مائتان وثمانون مثقالاً. فالذهن يحمل من ثقل البيت ألفًا ومائة واثنين وثلاثين مثقالاً وما هي بقليل.

(٢) **دلفت له**: تقدمت. يقال: دلفت الكتيبة إلى الحرب أي تقدمت. **والمشرفي**: نسبة إلى قرى من بلاد العرب تدنو من ريف العراق تسمى مشارف الشام والنسبة إليها مشرفي لا مشارفي. وأول البيت حرب وكلام وآخره مصافحة وسلام.

(٣) **المخاريق**: ما يلعب به الصبيان من خرقة مفتولة كمنديل ونحوه يتضاربون بها. وعمرو بن كلثوم يصف دنوهم من عدوهم وسرعة تضاربهم مع اختلاطهم بعدوهم واختلاط عدوهم بهم ويشبه سيوفهم وسيوف أعدائهم بتلك المخاريق في أيدي الصبيان. **فوعيد البيت**: أي ما ينذر به من السوء عظيم. ولكن إذا تذكرنا بأن المخاريق بأيدي اللاعبين قلما يكون عنها أذى يذكر أو نكاية يؤلم لها صغر عندنا الخطب وهان الأمر.

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِن يَبْرِينَ فَمِثْلُ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ:

مُـعْـرَوْرِيًـا رَمَـضَ الـرَّضْـرَاضِ يَـرْكُـضُـهُ
وَالـشَّـمْـسُ حَـيْـرَى لَهَـا فِـي الـجَـوِّ تَـدْوِيـمُ(١)

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ كَأَسْنَانِ المَظْلُومِ. وَالمِنْشَارِ المَثْلُومِ. فَكَقَوْلِ الأَعْشَى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي   شَاءٍ مِشَلٌّ شُلَيْلٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ(٢)

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَسُرُّكَ أَوَّلُهُ وَيَسُوؤُكَ آخِرُهُ فَكَقَوْلِ امْرِىءِ القَيْسِ:

مِـكَـرٍّ مِـفَـرٍّ مُـقْـبِـلٍ مُـدْبِـرٍ مَـعًـا   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ(٣)

---

(١) **معروريًا**: من اعرورى الفرس إذا ركبه عريانًا. **والرمض**: شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه. **والرضراض**: الحصى أو صغارها. **ويركضه**: يضربه ويدوسه. **وتدويم الشمس**: دورانها في كبد السماء كأنها لا تنتقل من موضعها يظهر ذلك في عين المسافر أيام الصيف في طول النهار وشدة الحر وخيلت له كثرة الرمل من ذكر الرضراض وأنه يركض بالسير السريع ولا يقطعه لأنه لو قطعه لخف عليه الأمر فلم يكن يرى الشمس تدور في كبد السماء ولا تنتقل على قوس الهبوط. وإيقاع الركض على الرمض نفسه ليدل على أن الرمل احترق من شدة الحرارة حتى انقلب إلى عين الحرارة. وليس في البيت ما يفيد كثرة الرمل إلى الحد الذي ذكره ولو أنه مثل بمثل قوله:

قـطـعـنـا الـعـقـنـقـل والأوعـس   وجـزنـا الـكـثـيـب إلـى الـعـانـك

لكان أشد انطباقًا على ما قاله من أن البيت أكثر رملاً من يبرين. فإن **العقنقل**: ما تراكم من الرمل. **والأوعس**: ما سهل ولان منه. **والكثيب**: ما انبسط وطال منه. **والعانك**: ما تعقد منه حتى لا يستطيع البعير أن يسير فيه. فالبيت كله رمل.

(٢) **الحانوت**: دكان الخمار. **وشاء**: من شأى يشؤو إذا سبق أي سابق من سباق. **والمشل**: الخفيف السريع. **وشليل**: تصغير شلل بضمتين بمعنى المشل. ويروى بدله شلول وهو بمعنى الشلل بضمتين. **والشلشل**: بفتح الشينين وضمهما كذلك. **والشول**: بفتح فكسر بمعناها. وهو يصف خادمه بغاية الخفة والسرعة في الحاجة.

(٣) يصف جواده بالانقياد وائتلافه لحركات القتال فنعته **بالمكر**: أي السريع الكر والعطف إلى العدو إذا عطفته عن العدو لحيلة تتمكن بها منه. **ومقبل ومدبر** في معنى الوصفين الأولين. **ومعًا** حال من الأوصاف كلها والمراد أنها مجتمعة فيه متى أريد الواحد منها لم يقصر عنه وكل واحد يطلب في موضع. **ثم** يصفه في سرعته وشدة خلقه بأنه كجلمود صخر. **والجلمود**: الصلب العظيم من الحجر. **والصخر**: الحجر كما لا يخفى. **وعل**: بمعنى فوق. والحجر الجامد العظيم إذا دفعه السيل من فوق إلى أسفل كان أسرع شيء حركة لأن الثقيل يميل بطبعه إلى مركز الأرض في جوها ولا يعوقه عنها إلا الموانع إن كانت وكلما عظم الجسم وصلب ضعفت=

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ فَكَقَوْلِ القَائِلِ:

عَاتَبْتُهَا فَبَكَتْ وَقَالَتْ يَا فَتَى نَجَّاكَ رَبُّ العَرْشِ مِنْ عَتَبِي(١)

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تُذْكَرُ جَوَامِعُهُ فَكَقَوْلِ طَرَفَةَ:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ(٢)

فَإِنَّ السَّامِعَ يَظُنُّ أَنَّكَ تُنْشِدُ قَوْلَ امْرِئِ القَيْسِ. وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي لَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ فَكَقَوْلِ الخُبْزُرُزِّيِّ:

تَقَشَّعَ غَيْمُ الهَجْرِ عَنْ قَمَرِ الحُبِّ وَأَشْرَقَ نُورُ الصُّلْحِ مِنْ ظُلْمَةِ العَتْبِ(٣)

= مقاومة الهواء له في ميله إلى الاتصال بالأرض فأسرع شيء حركة إلى أسفل صخرة عظيمة صلبة تنحدر بدفع السيل من مكان عالٍ. وأول البيت يسر أهل الذوق في النظم أما آخره فإنه يسوؤهم أي يقبح عندهم موقعه لأن جلمود الصخر إذا انحط من عل لم يمكن تحويله عن جهة انحطاطه فلو أن امرأ القيس كان راكبه في هذه الحالة لهوى به إلى حيث لا يجد للرجعة إلى الحياة سبيلاً فكيف يكون صاحب هذا الشبه مكرًا مفرًا الخ.

(١) البيت ظاهر وهو كما كان يظن أن فيه معنى ولا معنى له. فإن التي تبكي من عتبه لا قوة لها عليه في عتبها فلا حاجة إلى الدعاء له بالنجاة منه على أن هذا القول في أشد ما يكون من البرودة. ويروى يصفيك بدل يصفعك ومعناه ينقصك كما تقدم.

(٢) تقدم بيان كيف أن البيت لا يخلق سامعه حتى تذكر جوامعه ورواية **يخلف** بالفاء بدل القاف فراجعه والبيت يروى مثله لامرىء القيس إلا لفظ **تجلد** فإن بدله في قول امرىء القيس **تجمل**. وروايته لامرىء القيس أشهر لأن قصيدته على الألسنة أكثر دورانًا. ومعنى البيت مطروق معروف. أما تأليفه **فوقوفًا** حال من فاعل قفا أو نبك في «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» في قصيدة امرىء القيس وهو جمع واقف. **وصحبي** فاعل لوقوفًا. **ومطيهم** مفعوله. وأعرب بعضهم وقوفًا مصدرًا مفعولاً مطلقًا لقفا والفاعل والمفعول على حاله. وهو ضعيف لأن وقوف أصحابه للتسلية إذ يقولون له: لا تهلك **أسى**: أي حزنًا وتجمل. أما فعل قفا فهو طلب الوقوف للبكاء والتذكر. أما في قول **طرفة** فهو ومَن لم يتقدمه أمر بالوقوف للبكاء لكن المقام مقام تذكر وتعداد ماضيات يؤسف لفواتها فالإعراب الأول هو الصحيح في القصيدتين.

(٣) **غيمه وقمره ونوره وظلامه** كلها معانٍ لا تحس وإن كانت ألفاظها في أصل وضعها تدل على ما يحس. وما لا يقع تحت الحس لا يلمس بالضرورة وكيف يلمس غيم من الهجر وقمر من الحب أو يحس نور من الصلح أو ظلمة من العتب ولكن يخيلها الذهن تخييلاً. ويروى: الصبح بدل الصلح والغيب بدل العتب وهو تحريف. وقائل البيت يروى فيه الخبزرزي والخبزأرزي.

وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ:

نَسِيمُ عَبِيرٍ فِي غِلَالَةِ مَاءِ وَتِمْثَالُ نُورٍ فِي أَدِيمِ هَوَاءِ(١)

وأَمَّا البَيْتُ الَّذِي يَسْهُلُ عَكْسُهُ فَكَقَوْلِ حَسَّان:

بِيضُ الوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أحْسَابُهُمْ شُمُّ الأُنُوفِ مَنَ الطِّرَازِ الأَوَّلِ(٢)

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ فَكَحَمَاقَةِ المُتَنَبِّي:

عِشْ ٱبْقَ ٱسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ ٱنْهَ ٱسْرُ فُهْ تُسَلْ

غِظْ ٱرْمِ صِبِ ٱحْمِ ٱغْزُ ٱسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ ٱثْنِ نَلْ(٣)

---

(١) **العبير**: الزعفران أو ضرب من الطيب مركب من أنواع منه. **والغلالة**: بالكسر شعار يلبس تحت الثوب أو الدرع ولا يكون إلا رقيقًا. **والأديم**: الجلد. فإن كان جوهر ما يصفه نسيمًا مرّ على طيب وشعار الذي يخطر فيه من ماء وهو تمثال من النور في جلد من الهواء فكيف يحس اللمس. فمعنى أن البيت لا يلمس أنه مثل لنا من اللطف ما يقصر عن دركه اللمس أو ما لا تتأتى منه المصادمة حتى يؤثر في اللمس. ويروى: عود بدل نور وهو غلط.

(٢) **الشمم**: ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها في حسن. **والشم**: جمع أشم لمن اتصف بالشمم ثم صار الشمم كناية عن عزة النفس والشهامة. فشم الأنوف إباة الضيم من الطراز الأول أي النمط الأعلى الذي لا يتقدم عليه في الكمال غيره. ولو عكست فقلت: «شم الأنوف من الطراز الأول. بيض الوجوه كريمة أحسابهم» لكان المعنى كما هو وهو معنى سهولة العكس.

(٣) **عش**: طلب من عاش يعيش. **وابق**: من البقاء. **واسم**: من السمو وهو الارتفاع. **وسد**: من السيادة. **وجد**: من الجود. **وقد**: من قاد يقود قيادة يريد قيادة الجيش. **ومر**: من أمر يأمر. **وأنه**: من نهى ينهى. **واسر**: من السرو وهو المروءة في سخاء. **وفه**: من فاه إذا تكلم. أي تكلم بما لديك من العلوم وما اختزنه سرك من المعارف العالية. **تسل**: أي تسأل عما أشكل لحله وما غمض لتوضيحه وقد يفسر «فه» بالأمر بالعطايا وتسل بسؤال الحاجات فيكون **فه** مكرر جد. **وغظ** من غاظه أي غظ أعداءك **وارم** من الرمي. **وصب** من صاب السهم لغة في أصاب. ومنه قول المتنبي أيضًا:

ورمى وما رمتا يداه فصابني سهم يعذب والسهام تريح

واحم: من الحماية أي احم أولياءك. **واغز**: من الغزو أي اغز أعداءك. **واسب**: من سباه. أي اسب وأسر لنا الأعداء وذراريهم. **ورع**: من راعه إذا أخافه. **وزع**: من وزعه أي كفه. **ود**: من وداء إذا أعطى ديته أي تحمل الدية عمن تلزمه من أنصارك. **ول**: من الولاية. **واثن**: من ثنى يثني أي حول قصد أعدائك عن السير إلى أرضك بما تقيم عليها من أسوار المهابة وما تبعثه إلى قلوبهم من جيوش الرعب. **ونل**: من النيل أي نل أمانيك وابلغها بسعدك وجدك. وفي نسخة بدل نل صل وهو في معنى جد المتقدم. ويروى: مر انه ر ف أسر نل. ور: أمر من ورى الزند=

وَأَمَّا البَيْتُ الَّذِي هُوَ مُهِينٌ بِحَرْفٍ وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ. فَكَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَهْ[(١)]

وَكَقَوْلِ الآخَرِ:

إِنَّ كَلَامًا تَرَاهُ مَدْحًا كَانَ كَلَامًا عَلَيْهِ ضَاءَ[(٢)]

يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا أَنْشَدَ «ضَاعَا» كَانَ هِجَاءً. وَإِذَا أَنْشَدَ «ضَاءَ» كَانَ مَدْحًا. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَتَعَجَّبْتُ وَاللهِ مِنْ مَقَالِهِ. وَأَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ. وَٱفْتَرَقْنَا.

= خرج شراره وهو كناية عن النجاح والظفر. **وف**: أمر من الوفاء. **ونل**: هي في معنى جد. والرواية التي اخترناها أقل تكرارًا وأجود.

(١) **خالصة**: جارية كانت للرشيد قبيحة المنظر غير أنه كان يحبها فيزينها بثمين الحلي. قالوا ورآها أو سمع بها أبا نواس مرة فكتب على الباب هذا البيت فجرى ذلك مثلاً فيمن لا تفيده الزينة شيئًا لقبح خلقته. وشكت للرشيد لما خبرت بالبيت فدعا أبا نواس فمر بالباب فمحا العين إلا رأسها فبقيت همزة فلما وبخه الرشيد على صنعه قال: لم أفعل موجب العتب وإن شئت فانظر إلى البيت. فلما رآه الرشيد عجب من رقاعته وقال: هذا بيت قلعت عينه. فخروج البيت من باب الهجاء إلى باب المدح أو رجوعه من المدح إلى الهجاء متعلق بحرف واحد الهمزة تصير عينًا والعين تصير همزة.

(٢) ما وجدت من الكلام مدحًا لهذا الممدوح فهو كلام يضوء أي ينير ويشرق على ذلك الممدوح لأنه أهل له فإذا أبدلت الهمزة بالعين كان المعنى فهو كلام ضائع عليه كاللباس الفاخر يضيع على لابسه إن لم يكن أهلاً للبسه. والشاعر وضع البيت على خيار المنشد إن شاء أبقاه مدحًا وإن شاء حوله إلى هجاء حتى إذا ليم على المدح قال: إنما قلت ضاعا وإذا عوتب على الذم قال: إنما قلت ضاء.

المقامَةُ الحَمْدانيَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بنِ حَمْدَانَ يَوْمًا وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ. مَتَى مَا تَرْقَ العَيْنُ فِيهِ تُسْهِلْ[١]. فَلَحَظَتْهُ الجَمَاعَةُ وَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: أَيُّكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ. جَعَلْتُهُ صِلَتَهُ[٢]. فَكُلٌّ جَهَدَ جَهْدَهُ. وَبَذَلَ مَا عِنْدَهُ. فَقَالَ أَحَدُ خَدَمِهِ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ رَأَيْتُ بِالأَمْسِ رَجُلًا يَطَأُ الفَصَاحَةَ بِنَعْلَيْهِ. وَتَقِفُ الأَبْصَارُ عَلَيْهِ[٣]. يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَسْقِي اليَأْسَ[٤]. وَلَوْ أَمَرَ الأَمِيرُ بِإِحْضَارِهِ لَفَضَلَهُمْ بِحِضَارِهِ[٥]. فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَهِ: عَلَيَّ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ. فَطَارَ الخَدَمُ فِي طَلَبِهِ. ثُمَّ جَاؤُوا لِلْوَقْتِ بِهِ[٦]. وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لِأَيَّةِ حَالٍ دُعِيَ. ثُمَّ قُرِّبَ وَٱسْتُدْنِيَ وَهُوَ فِي

(١) أي أن أعلاه سواء في الحسن مع أدناه فلا ترتقي العين فيه لنظر أعاليه حتى تنحط إلى أسافله إعجابًا بما فيها من المحاسن. وأصل **تسهل** من أسهل إذا نزل إلى السهل وكأنه يشير إلى أنه مع حسنه **سلهب** تصعد العين فيه لتصل إلى إعلاه ثم تسهل ليخالط البصر أدناه.

(٢) **الصلة**: العطية. أي: من أجاد في وصفه وهبته له.

(٣) **ذللت** له الفصاحة حتى كأنه افترشها فهو يطأها بنعليه أو أنه خيل الفصاحة قد صارت له مهادًا وهو بكلامه يسري على أديمها كما يمشي الماشي بنعليه على أديم الأرض. ووقوف الأبصار عليه لشدة ما تعجب به فلا يستميلها عنه منظر غير منظره.

(٤) في نسخة بدل **يسأل** الناس أي يستعطيهم: **يشلي** الناس: أي يغريهم بإعطائه أو يدعوهم إليه بفصاحته. **ويسقي اليأس**: من سقى فلان فلانًا إذا عابه. أي يعيب ما وصل إليه من اليأس والقنوط. وقد يروى البأس بمعنى الشدة التي هو فيها كأن للفقر عليه بأسًا وصولة.

(٥) **الحضار** بكسر الحاء مصدر حاضر الجواب جاء به حاضرًا. أي لفاق على هؤلاء بسرعة جوابه الحاضر.

(٦) جاؤوا به للوقت أوصلوه إلى سيف الدولة في ذلك الوقت عينه.

طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ(١). وَحِينَ حَضَرَ السِّمَاطَ لَثَمَ البِسَاطَ(٢). وَوَقَفَ فَقَال سَيْفُ الدَّوْلَةِ: بَلَغَتْنَا عَنْكَ عَارِضَةٌ فَأَعْرِضْهَا(٣) فِي هٰذَا الفَرَسِ وَوَصْفِهِ. فَقَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ. وَكَشْفِ عُيُوبِهِ وَغُيُوبِهِ. فَقَالَ: ارْكَبْهُ. فَرَكِبَهُ وَأَجْرَاهُ ثُمَّ قَالَ: أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ هُوَ طَوِيلُ الأُذُنَيْنِ. قَلِيلُ الإِثْنَيْنِ. وَاسِعُ المَرَاثِ. لَيِّنُ الثَّلَاثِ(٤). غَلِيظُ الأَكْرُعِ. غَامِضُ الأَرْبَعِ(٥). شَدِيدُ النَّفَسِ(٦). لَطِيفُ الخَمْسِ. ضَيِّقُ القَلْتِ. رَقِيقُ السِّتِّ(٧). حَدِيدُ السَّمْعِ. غَلِيظُ السَّبْعِ(٨).

---

(١) **الطمران**: ثوبان باليان كساء وإزار. **وأكل الدهر وشرب عليهما**: مثل لطول الزمان عليهما في الابتذال والامتهان حتى خلقا وبليا.

(٢) **السماط**: مفعول حضر. والسماط صف الحاضرين مع سيف الدولة وبين يديه. **ولثم البساط**: قبله تعظيمًا للملك ومقامه. ويروى: شم البساط وهو كناية عن لثمه.

(٣) **العارضة**: اللسن والبيان. وقوله: **فأعرضها**: أي أظهرها.

(٤) **المراث والمروث**: خوران الفرس. **والخوران**: المبعر يجتمع عليه حتار الصلب أو هو رأس المبعرة أو الذي فيه الدبر. **والحتار** لكل شيء ما استدار به وحرفه. وقوله: لين الثلاث سيأتي بيانه في كلامه.

(٥) **الأكرع**: جمع كراع وهو من الدواب ما دون الكعب ومن الإنسان ما دون الركبة أو هو مستدق الساق. وغامض الأربع يأتي تفسيرها.

(٦) **النفس**: بالتحريك أي إذا تنفس كان نفسه شديدًا. قال بعض العرب في تعداد محامد الفرس: أن يشتد نفسه ويرحب متنفسه. **والمتنفس**: بفتح المشدّدة المنخر. وقال شاعرهم:

لـهـا مـنـخـر كـوجـار الـسـبـاع ... فـمـنـه تـريـح إذا تـبـتـهـر

والوجار: جحر الضبع مبالغة في نعت منخرها بالسعة. ويروى: النفس بسكون الفاء وشدة النفس بشهامتها وهي تمتدح في الخيل كما تمدح في الرجال.

(٧) **القلت**: النقرة في رأس الورك وهي الخربة وفي جوفها الموقف وهو **عصبة** في الخربة إذا انفكت عرجت الدابة ثم لا تبرأ أبدًا. قال النابغة:

شـديـد قـلات الـمـوقـفـين كـأنـمـا ... بـه نـفـس أو قـد أراد لـيـزفـرا

ويقال للقلت هذا حق أيضًا. ويطلق **الحق** كذلك على رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ ورأس العضد الذي فيه الوابلة والنقرة في رأس الكتف وأصله كل ما يثبت فيه شيء فلا تلتبس عليك المعاني من عبارات اللغويين. ويروى: القلف وهو تحريف وسيأتي الكلام في رقيق الست.

(٨) **حديد السمع**: أي حديد الأذن. فعبر عن الأذن بالسمع لأنها آلته. ومن ممادح الخيل أن تكون أذناها محددتين رقيقتين منتصبتين قال عتبة:

وتـرى أذنـهـا كـإعـلـيـط مـرخ ... حـدة فـي لـطـافـة وانـتـصـاب

ولابن دريد: «يدير إعليطين في ملمومة». **والإعليط**: وعاء ثمر **المرخ** بالخاء وهو شجر سريع الوري قالوا: إذا سحق المرخ على العفار وهما أخضران رطبان انقدحت النار ومنه المثل: «في=

دَقِيقُ اللِّسَانِ. عَرِيضُ الثَّمَانِ. مَدِيدُ الضِّلْعِ. قَصِيرُ التِّسْعِ[١]. وَاسِعُ الشَّجْرِ. بَعِيدُ العَشْرِ[٢]. يَأْخُذُ بِالسَّابِحِ. وَيُطْلِقُ بِالرَّامِحِ. يَطْلُعُ بِلَائِحٍ وَيَضْحَكُ عَنْ قَارِحٍ[٣]. يَحُزُّ وَجْهَ الجَدِيدِ. بِمَدَاقِّ الحَدِيدِ[٤]. يُحْضِرُ كَالبَحْرِ إِذَا مَاجَ[٥]. وَالسَّيْلِ إِذَا هَاجَ. فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: لَكَ الفَرَسُ مُبَارَكًا فِيهِ. فَقَالَ: لَا زِلْتَ تَأْخُذُ الأَنْفَاسَ. وَتَمْنَحُ الأَفْرَاسَ[٦]. ثُمَّ انْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ: لَكَ عَلَيَّ مَا يَلِيقُ بِهذَا الفَرَسِ مِنْ

= كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار». والملمومة: الهامة المجتمعة ويصح أن يكون السمع على حقيقته من القوة السامعة. وحدته قوته. قال المعري:

كأن أذنيه أعطت قلبه خبرًا عن السماء بما يلقى من الغير

وقال المتنبي:

وتنصب للجرس الخفي سوامعًا يخلن مناجاة الضمير تناجيا

ومثل ذلك كثير في كلامهم للوصفين وكل يحمد. وسيأتي الكلام في غليظ السبع.

(١) **مديد الضلع**: سابغ الضلوع مستكملها وهو من دلائل إحكام الخلق. ومديد الضلوع يسمى **الجرشع**. وسيأتي تبيين التسع. وفي نسخة بدل مديد الضلع شديد الضلع والمعنى فيها ظاهر.

(٢) أراد من **الشجر**: شق الشدقين ويوصف واسع الفم من الخيل **بالهريت** قال:

هريت قصير عذار اللجام أسيل طويل عذار الرسن

يقول: قصر عذار لجامه لاستطالة شق شدقيه وطال عذار رسنه لسيلان خديه واستطالتهم. ويروى بدل الشجر النحر. وسيأتي الكلام على بعيد العشر.

(٣) **سبح الفرس**: عدا عدوًا سريعًا. وأول ما ينطلق للجري من الفرس يداه ورجلاه تركضان الأرض لاعتماده عليهما عند نقل اليدين. واستعمل يأخذ هٰهنا موضع يمسك. يريد أن يصفه **بالتحجيل** فيقول: إنه محجل اليدين مطلق الرجلين وسمى اليدين **سابحًا** لأن بهما أول الجري. وسمى الرجلين **رامحًا** من رمح بمعنى ركض أي يدفع برجله في الأرض. وقوله: **يطلع بلائح** يريد أنه يقبل عليك بلائح وهو الفجر في جبهته يصف غرته وأنها لامعة في وجهه كما يلوح الصبح في برد الظلام. وأراد من الضحك ما يلزمه من بدو الأسنان **وقارح الفرس**: سنه التي يصير بها قارحًا. **وقرح الفرس قروحًا**: شق نابه وطلع وهو في الخيل كالبازل في الإبل. **والفلو** في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح يستوي في لفظه الذكر والأنثى.

(٤) **الجديد**: بالجيم وجه الأرض. **ويحزه**: يقطعه. ويروى: **يخد**: أي يشق. وفي نسخة: **الكديد**: بالكاف وهو الأرض الغليظة. **والمداق**: جمع مدق بكسر ففتح أو بضمتين وهو آلة يدق بها. وإضافتها إلى الحديد لأنها منه كما تقول خاتم فضة. وأراد من **مداق الحديد**: حوافره فكأنها لصلابتها جبلت من حديد.

(٥) **أحضر الفرس**: ارتفع في عدوه. والاسم الحضر بالضم وإذا ماج البحر أي اضطرب تلاحقت أمواجه بسرعة شديدة جدًا فكذلك هذا الفرس إذا عدا تلاحق كفله بصهوته وصهوته بهاديه كما تتلاحق أمواج البحر المائج.

(٦) أراد **بالأنفاس** جمع نفس بالتحريك وهو هذا الهواء المندفع من رئة الحيوان والإنسان عبّر به عن=

خِلْعَةٍ[(١)] إن فَسَّرْتَ مَا وَصَفْتَ. فَقَالَ: سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِكَ بَعِيدُ العَشْرِ؟ فَقَالَ: بَعِيدُ النَّظَرِ[(٢)] وَالخَطْوِ وَأَعَالِي اللَّحْيَيْنِ[(٣)]. وَمَا بَيْنَ الوَقْبَيْنِ. وَالجَاعِرَتَيْنِ[(٤)]. وَمَا بَيْنَ الغُرَابَيْنِ. وَالمِنْخَرَيْنِ[(٥)]. وَمَا بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ[(٦)]. وَمَا بَيْنَ المَنْقَبِ وَالصِّفَاقِ[(٧)]. بَعِيدُ الغَايَةِ فِي السِّبَاقِ. فَقُلْتُ: لَا فُضَّ فُوكَ فما مَعْنَى قَوْلِكَ قَصِيرُ التِّسْعِ؟ قَالَ: قَصِيرُ الشَّعْرَةِ قَصِيرُ الأُطْرَةِ قَصِيرُ العَسِيْبِ. قَصِيرُ العَضُدَيْنِ قَصِيرُ الرُّسْغَيْنِ. قصِيرُ النَّسَا قَصِيرُ الظَّهْرِ قَصِيرُ الوَظِيفِ[(٨)].

= الكلام لأن القول أشكال لذلك النفس إذا تكيف بالصوت وقطع بالحروف. يدعو له بملازمة الفضل في اشتراء الكلام الجيد بالخيل الجياد أي لا زلت تعاوض عن الأنفاس بالأفراس ولما لم تكن المعاوضة مال بمال جعل أحد طرفيها أخذًا والآخر منحة.

(١) أراد بالخلعة: سرجه ولجامه وآلاتهما.

(٢) **بعيد النظر**: يرى الشيء على بعد وهو من محامد أوصاف الخيل يكثر ذكره في أشعارهم ويطول.

(٣) **اللحيان**: تثنية لحي وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان. ويروى: الجنبين. **وبعد الجنبين**: كناية عن متانة الخلق.

(٤) **الوقبان** من الفرس هزمتان فوق عينيه. **والجاعرتان**: مضرب الفرس بذنبه على فخذيه أو هما حرفا الورك المشرفان على الفخذين. ويقال: كوى دابته على جاعرتيها من المعنى الأول أو الثاني. أي بعيد ما بين الوقب والوقب ما بين الجاعرة والجاعرة. وكان الصواب تكرير لفظ بين في الجاعرتين فإن العبارة كما هي توهم أن المراد البعد ما بين مجموع الوقبين والجاعرتين فيكون الوقبان طرفًا والجاعرتان طرفًا آخر وليس كذلك فإن العدد يمنعه.

(٥) **الغرابان**: طرفا الوركين الأسفلان يليان أعالي الفخذين. وقوله: **والمنخرين**: أي بعيد ما بينهما. وكان الصواب زيادة «ما بين» أيضًا.

(٦) بعد ما بين الرجلين تارة يكون **فججًا** أو **فحجًا** وهو مذموم لكنه يريد تباعدًا مع السلامة من العيبين وصاحب هذا الوصف المحمود هو الملقب بالمجنب.

(٧) **المنقب**: الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة وهو على السرة ينقبه البيطار ليخرج من السرة ماء أصفر قال: «أقبّ لم ينقب البيطار سرته» **والصفاق**: هو الجلد الأسفل تحت الذي عليه الشعر أو ما بين الجلد والمصران أراد بذلك أن يكون متين الجلدة واسعها. ويروى: الثقبة والنقبة ولا موضع لهما إلا بتكلف.

(٨) **قصير الشعرة**: أي أجرد من الخيل. **والأطرة**: بالضم ما أحاط بالظفر من اللحم أراد منها هنا **الإطار** وهو ما أحاط بالشعر من الحافر وهو دائرة الأعلى. وسوغ له هذا الإطلاق أن الإطار كما أنه محيط بالشعر محيط بالحافر فمنزلته منه بمنزلة ما أحاط بالظفر منه. وأراد من **قصره** أن لا يكون بين الحافر والشعر فاصل عريض وهو دليل **الضبارة** وهي اجتماع الخلق وشدته. **والعسيب**: عظم الذنب. **والعضد منك**: ما غلظ من ذراعك الذي بين المرفق والكتف وهو من=

فَقُلْتُ: للهِ أَنْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: عَرِيضُ الثَّمَانِ؟ قَالَ: عَرِيضُ الجَبْهَةِ عَرِيضُ الوَرِكِ عَرِيضُ الصَّهْوَةِ عَرِيضُ الكَتِفِ عَرِيضُ الجَنْبِ عَرِيضُ العَصَبِ عَرِيضُ البَلْدَةِ(١) عَرِيضُ صَفْحَةِ العُنُقِ. فَقُلْتُ: أَحْسَنْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ غَلِيظُ السَّبْعِ؟ قَالَ: غَلِيظُ الذِّرَاعِ غَلِيظُ المَحْزَمِ(٢) غَلِيظُ العُكْوَةِ غَلِيظُ الشَّوَى غَلِيظُ الرُّسْغِ(٣) غَلِيظُ الفَخِذَيْنِ غَلِيظُ الحَاذِ(٤). قُلْتُ: للهِ دَرُّكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ رَقِيقُ السِّتِّ؟ قَالَ: رَقِيقُ الجَفْنِ رَقِيقُ الشَّالِفَةِ رَقِيقُ الجَحْفَلَةِ رَقِيقُ الأَدِيمِ(٥) رَقِيقُ أَعَالِي الأُذُنَيْنِ رَقِيقُ العُرُضَيْنِ(٦). فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَطِيفُ الخَمْسِ؟ فَقَالَ: لَطِيفُ الزَّوْرِ لَطِيفُ النَّسْرِ لَطِيفُ الجَبْهَةِ(٧) لَطِيفُ الرُّكْبَةِ لَطِيفُ

= الفرس مثل ذلك ما بين الركبة والكتف. **والرسغ**: المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل. **والنسا**: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. وأراد من **قصر النسا** شدته وصلابته لأنه لو طال لكان مسترخيًا ضعيفًا والمعروف في كلامهم مدح الخيل بصلابة النسا لا بقصره وأراد من **الظهر** مركب الفارس منه كأنه الصهوة. **والوظيف**: مستدق الذراع والساق وأراد من جمع أطراف القصر في أعضائه هذه أنه مضبر الخلقة محكمها. لكن إذا قصر عضداه ورسغاه ونساه ووظيفه كان كل قائم فيه قصيرًا فكان الفرس كاللاطىء بالأرض وأي مدح فيه إلا أن يريد من القصر في بعضها لازمه من الاكتناز والقوة كما تقدم.

(١) **الصهوة**: مقعد الفارس من الفرس. **والعصب**: أطناب المفاصل وعريضها أوثقها وأقواها. **والبلدة**: الصدر. ويروى: العكدة بدل البلدة. **والعكدة**: العصعص ولا معنى لذكره هنا إلا على بعد المناسبة وكأنه يريد العكوة.

(٢) **المحزم**: موضع الحزام.

(٣) **العكوة**: أصل ذنب الدابة حيث عري من الشعر من المغرز. **والشوى**: جلدة الرأس. **والرسغ**: تقدم تفسيره.

(٤) **الحاذ**: الظهر أو موضع اللبد منه. وأراد غلظًا بلا سمن. وفي نسخة بدل الحاذ «الحبال» بمعنى العروق وأربطة اليد.

(٥) **شالفة الفرس**: هاديه وهو ما تقدم من عنقه. **والجحفلة**: بتقديم الجيم للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان. **والأديم**: الجلد. ويروى بدل الجفن الخصر. ويروى في كلها دقيق بدل رقيق.

(٦) **العرضان**: جانب العنق. ويروى: الغرضين بالغين المعجمة ولا معنى له هنا.

(٧) **النسر**: لحمة في باطن الحافر كأنها نواة أو حصاة وما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه. ويروى: البشرة بدل النسر. **والبشرة**: ما ظهر من جلد الإنسان أطلقها هنا عن قيدها. **والجبهة**: مستوى ما بين الحاجبين. وفي نسخة: **الجبة**: وهي حجاج العين أي العظم الذي ينبت عليه الحاجب. وفي نسخة: **الجبه**: بالتحريك وهو اتساع الجبهة وحسنها.

العُجَايَةِ(١). فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللهُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ غَامِضُ الأَرْبَعِ؟ قَالَ: غَامِضُ أَعَالِي الكَتِفَيْنِ غَامِضُ المَرْفِقَيْنِ. غَامِضُ الحِجَاجَيْنِ. غَامِضُ الشَّظَى(٢). قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَيِّنُ الثَّلَاثِ؟ قَالَ: لَيِّنُ المَرْدَغَتَيْنِ لَيِّنُ العُرْفِ لَيِّنُ العِنَانِ(٣). قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ قَلِيلُ الاثْنَيْنِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الوَجْهِ قَلِيلُ لَحْمِ المَتْنَيْنِ(٤). قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ مَنْبِتُ هذَا الفَضْلِ؟ قَالَ: مِنَ الثُّغُورِ الأُمَوِيَّةِ. وَالبِلَادِ الإِسكَنْدَرِيَّةِ(٥). فَقُلْتُ: أَنْتَ مَعَ هذَا الفَضْلِ. تُعَرِّضُ وَجْهَكَ لِهذَا البَذْلِ(٦). فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سَاخِفْ زَمَانَكَ جِدًّا … إِنَّ الزَّمَانَ سَخِيفْ(٧)

---

(١) العجاية عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة.

(٢) **غامض أعالي الكتفين**: ليس بناشزهما فهو مكتنز اللحم غاب فيه ناتىء العظم. قال امرؤ القيس:

كأن على الكتفين منه إذا انتحى … مداك عروس أو صلاية حنظل

والمداك: الحجر الذي يسحق عليه الطيب. **والصلابة**: الحجر الأملس الذي يكسر عليه أو يدق الحنظل يشبه أعلى كتفيه بهما في الملاسة والاستواء. **والمرفقان**: مؤخر العضلين اللذين يتصل عليهما العضدان. **والحجاجان**: منبت الحواجب ويروى بدل الحجاجين الحجابين والحاجبين وكلاهما غلط. **والشظى**: عظيم مستدق لازق بالركبة أو بالذراع أو بالوظيف أو عصب صغار فيه. وغموض هذه الأشياء أن لا تكون بارزة ناشزة.

(٣) **المردغة**: ما بين العنق والترقوة واللحمة بين وابلة الكتف. **وجناجن الصدر**: أي عظامه. **والعرف**: الشعر النابت على محدب عنق الفرس. **والعنان**: سير اللجام. وأراد بلين هذه الأشياء سهولة انعطافها فكلما أراد الفارس عطف الفرس انعطف إلى حيث يريد.

(٤) **متنا الظهر**: ما يكتنفان الصلب عن يمين وشمال من عصب. وقد جمع قلة اللحمين طفيل الغنوي في قوله: «معرقة الألحى تلوح متونها». **والألحى**: جمع لحي. **والمعرقة**: التي لا لحم عليها. **وتلوح متونها**: تظهر من قلة اللحم عليها.

(٥) **الأموية** نسبة إلى بني أمية. **وإسكندرية** التي ينتسب إليها من ثغور الأندلس لا الإسكندرية المشهورة من بلاد مصر.

(٦) **بذل الوجه** يراد منه هنا هوانه واحتقاره كأنه مصدر للمجهول. **والوجه المبذول**: المهان المحتقر. ويروى: النذل ولا معنى له هنا لأنه لا يريد سب سيف الدولة وعرض وجهه للهوان جعله في سبيله.

(٧) **المساخفة**: المحامقة كأن كلاً من المتفاعلين يعامل الآخر بالحماقة. وحيث إن الزمان سخيف أحمق لهذا تراه لا يؤاتي إلا الحمقى فإن لم تكن سخيفًا فساخفه. ويروى: «فالدهر جد سخيف» بإضافة جد إلى سخيف فيصبح إطلاق القافية بجر الفاء في سخيف وما بعدها.

دَعِ الـحَـمِـيَّـةَ نِـسْـيَـا وَعِـشْ بِـخَـيْـرٍ وَرِيـفْ[١]
وَقُـلْ لِعَـبْـدِكَ هـذَا يَـجِـيـئُنَـا بِـرَغِـيـفْ

(١) **الحمية**: الأنفة مما يشين عرضًا أو يمس شرفًا وكم يحتمل صاحبها في التوقي من الضيم والانتقام للنفس ممن يرومها بالسوء وكم يحرم من منافع كان يصيبها لو لم تنب به الحمية عن مواردها فهو يأمر بترك الحمية بل بنسيانها. **والوريف**: ذو السعة في المأكل والمشرب. لكن أهل الحمية يرون فيها من اللذة ما يرى الإسكندري في السخافة بل ما يجدونه أوفر مما يجده.

المقامَةُ الرُّصَافيّة(١)

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الرُّصَافَةِ أُرِيدُ دَارَ الخِلَافَةِ(٢). وَحَمَارَّةُ القَيْظِ تَغْلِي بِصَدْرِ الغَيْظِ(٣). فَلَمَّا نَصَفْتُ الطَّرِيقَ اشْتَدَّ الحَرُّ. وَأَعْوَزَنِي الصَّبْرُ(٤). فَمِلْتُ إلى مَسْجِدٍ قَدْ أَخَذَ مِنْ كُلِّ حُسْن سِرَّهُ(٥). وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلُونَ سُقُوفَهُ. وَيَتَذَاكَرُونَ وُقُوفَهُ(٦). وَأَدَّاهُم عَجُزُ الحَدِيثِ(٧). إلى ذِكْرِ اللُّصُوصِ

(١) نذكر من هذه المقامة ما لا هجر فيه ولا عيب يلحق قارئه ويضع من شأن ناقله فإن لكل أيام كلامًا ولكل مقال مقامًا وندع منها ما يخجل من ذكره ولا فائدة في نشره.

(٢) **الرصافة المشهورة**: محلة من بغداد وهي الجانب الشرقي منها. فإن كانت المرادة هنا وكانت دار الخلافة مقام الخلفاء في مدينة بغداد فهو كان يذهب من أحد جوانب المدينة إلى جانب منها وهو بعيد من العبارة لأن المسافة بين محلتين في مدينة واحدة لا يعوز الصبر قاطعها ما طالت واشتد الحر فيها فالمراد هنا بلدة قرب البصرة ودار الخلافة مدينة بغداد.

(٣) **حمارة القيظ**: شدة الحر. ويروى: **جمار القيظ**: جمع جمرة. وأصل الغليان للماء عند بلوغ الحرارة به أشد درجاتها. ثم قيل: فلان يغلي صدره من الغيظ تشبيهًا لما يتردد في الصدر عند الغضب بغليان الماء في القدر وانتشر الاستعمال في ذلك حتى صار أشبه بالحقيقة منه بالمجاز وعد أصلاً يلحق به ما ماثله فساغ أن يتخيل لحمارة القيظ نفسًا يفعل بها الغيظ وصدرًا يغلي بحرارته وأن تصور في صورة غضوب مسه ما يغيظه فهو منه في جيشان وغليان.

(٤) **أعوزه الصبر**: يلتمسه ولا يجده. (٥) **سر الحسن**: خالصه.

(٦) لعله أراد من **الوقوف**: جمع واقف كنى بها عن الأعمدة والأساطين. فالقوم ينظرون إلى سقوفه عجبًا بما رسم فيها من محاسن النقوش وما حليت به من أنواع الزينة ثم يذكرون سواريه وجودة معدنها وحسن اعتدالها وتناسب أجزائها وما ينحو نحو ذلك. وقد يراد من **الوقوف** جمع وقف وهو ما حبس على المسجد لينفق من ريعه عليه وإن كان الأشهر في جمعه أوقاف. وتذاكرهم الوقوف لأن وفرة ريعها هي التي مكنت من إتقان بنائه وتزيين سقوفه.

(٧) **عجز الحديث** آخره تشبيهًا بعجز الدابة.

وَحِيَلِهِمْ. وَالطَّرَّارِينَ وَعَمَلِهِمْ[١]. فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الفُصُوصِ. مِنَ اللُّصُوصِ[٢]. وَأَهْلَ الكَفِّ[٣] وَالقَفِّ[٤]. وَمَنْ يَعْمَلُ بِالطَّفِّ[٥]. وَمَنْ يَحْتَالُ في الصَّفِّ[٦]. وَمَنْ يَخْنُقُ بِالدَّفِّ[٧]. وَمَنْ يَكْمُنُ فِي الرَّفِّ. إلى أن يُمْكِنَ اللَّفُّ[٨]. وَمَن يُبَدِّلُ بِالمَسْحِ[٩]. وَمَنْ يَأْخُذُ بِالمَزْحِ[١٠]. وَمَنْ يَسْرِقُ بِالنُّصْحِ[١١]. وَمَنْ يَدْعُو إلى

---

(١) **الطرارون**: سلبة الأموال اختلاسًا.

(٢) إذا طمحت نفس الواحد منهم إلى سرقة مال بعينه نقش اسم صاحب المال على فص مثل فصه ووضعه على خاتمه ثم انتظر بصاحب المال غيبته وجاء بالخاتم لأهل بيته فطلب المال كأنه لرب البيت والخاتم علامة منه على الطلب فلا يجد أهل البيت بدًا من تسليمه له.

(٣) **أهل الكف**: الذين يدخلون بين غالب ومغلوب فيكفون الغالب عن المغلوب ويصرفونه عنه وبين ذلك يختلسون ما يمكنهم اختلاسه وهؤلاء غير مَن يدعون إلى الصلح. أو هم الذين لا حيلة لهم إلا في أكفهم يختطفون ما يلوح لهم متى ما أمكن الاختطاف ولا يستعملون وسيلة وراء ذلك وإلا فكل سارق يستعمل كفه لكن مع حيل أخرى.

(٤) **القف**: يظهر أنه مصدر من قف الصيرفي سرق الدراهم بين أصابعه والمصدر المعروف فيه **القفوف** لا القف فلعله مصدر لم يروه بعض نقلة اللغة ورواه المصنف.

(٥) **طف الأناء**: طفافه وهو ما ينقص من ملئه. يريد أن منهم من تكون سرقته بالتطفيف في المكيال والانتقاص منه.

(٦) **يحتال في الصف**: يقف في صف المصلين حتى إذا اشتغلوا بركوع أو سجود سرق ما أمكن له من ثياب أو نحوها.

(٧) يدخل جماعة منهم إلى بيت ليسرقوا منه فإن وجدوا مَن يمانعهم كرب البيت أو حارسه بادر أحدهم إلى خنقه وضرب الآخرون دفوفهم فارتفعت أصوات الطبول ولم تسمع صيحة المخنوق وعمي الخبر على سائر الناس إذ لا يتوجه الذهن إلى أن بيتًا فيه دفوف وطبول يكون فيه سارقون وسلبة.

(٨) منهم مَن يدخل البيت على غفلة من أهله ويرتقي إلى الرف الذي يضعون عليه طرائفهم فيكمن فيه بين الأشياء الموضوعة فيه حتى يتمكن من لف ما عليه وطيه ثم إذا حانت الفرصة وثب من الرف ونجا بما أخذ.

(٩) يضع دراهم رديئة غير رائجة أو زائفة في فمه ثم يتعرض لبعض المتشككين في جودة نقودهم عند قبضها من مشترٍ أو صيرفي ويستأذنهم في نقدها لهم فيتناول الدراهم ويدنيها من فيه ثم يمسحها يوهم ربها أنه يتبين جودتها وهو في الحقيقة يبدلها بما وضع في فمه من زائف ونحوه.

(١٠) يأخذ منك شيئًا فإذا فطنت له رده إليك في هيئة المازح ثم لامك على إغفالك ما كان سرقه وحذرك ضياعه إن أغفلته.

(١١) **يسرق بالنصح**: يكون نصحه هو عين فعل السرقة كأن يدخل على شخص وبين يديه كيس نقود ويقول له: إن فلانًا كان بين يديه كيس مثل هذا (ويضع يده عليه) فدخل عليه أحد الطرارين فقبض على الكيس هكذا وأخذه من بين يديه وأقبل نحو الباب حتى إذا خرج أغلق الباب هكذا. ويكون هو قد فعل ذلك كله وهرب وصاحب الكيس ذاهل يصغي للحكاية ولا يشعر إلا=

الصُّلْحِ[١]. وَمَنْ قَمَشَ بِالصَّرْفِ[٢]. وَمَنْ أنْعَسَ بِالطَّرْفِ[٣]. وَمَنْ بَاهَتَ بِالنَّرْدِ[٤] وَمَن غَالَطَ بِالقِرْدِ. وَمَن كَابَرَ فِي الرَّيْطِ. مَعَ الإبْرَةِ وَالخَيْطِ[٥]. وَمَنْ جَاءَكَ بِالقُفْلِ[٦]. وَشَقَّ الأرْضَ مِنْ سُفْلٍ[٧]. وَمَنْ نَوَّمَ بِالبَنْجِ[٨]. أوِ احتَالَ بِنِيرَنْجٍ[٩].

= وقد تمت الحيلة عليه. وقد وقع مثل هذا في أيامنا على مشهد منا في بعض الاحتفالات المعروفة في مصر بالموالد.

(١) يرقب متنازعين حتى إذا اشتبك النزاع بينهما جاء ليصلح فمد يده إلى كل منهما يسكن ما هاج ولا يزال يتردد بينهما حتى يتسنى له سلب ما طالت إليه يده منهما أو من أحدهما وهما في شغل بشأنهما وشأنه فيهما.

(٢) **قمش**: جمع. وهذا يأتي الصيرفي بعلة أنه يريد صرف دينار مثلاً فيأخذ ما بين يدي الصيرفي ويفر.

(٣) يتناوم عند صاحب المال فيؤثر فيه تناومه فينام فيأخذ المال ويتركه نائمًا. وفي بعض النسخ بعد هذا «ومن خاصم بالحق ومن عالج بالسوق ومن زج إلى الخلف ومن غرك بالألف» والصواب حذفها من هذا الموضع لأنه سيذكرها فيما بعد.

(٤) من باهت بالنرد: الذي يذهب للسرقة مستصحبًا النرد فإذا دخل البيت الذي يسرق منه بسط النرد. فإن فطن له رب الدار وتحقق أنه يقبض عليه صاح ونادى بأنه يظلمه ولا ينصفه في القمار ويمنعه ما قمره به ولا يزال به حتى يأخذ منه شيئًا أو ينجو من يده. وفي بعض النسخ بعد هذا «ومن أتحف بالورد» والصواب حذفه من هذا المحل لأنه يأتي ذكره فيمن يحيي بالرياحين فإن تلك وهذه حيلة واحدة أريد أن هذه فرد من أفراد تلك.

(٥) **الريط**: جمع ريطة وهو الثوب اللين الرقيق يشبه الملحفة أراد به هنا ما يرتدي به فوق الثياب مطلقًا. **والهميان**: الذي يعقد على الدراهم يكون تحت الثياب ولا يتمكن من قطعه وأخذ ما فيه إلا بكشف الريط فهذا السارق يمشي خلف الرجل فيرفع ريطته إلى عاتقه ويأخذ يخيط طرفها الأسفل بما على العاتق منها ليكشف الهميان فإذا أحس به صاحب الهميان وصاح قال له: لا تخف فقد كنت أخيط لك ريطتك هكذا أفلا تحب وبهذا ينجو بعد أن يكون قد سرق أو قبل ذلك. وهذا الجواب نوع من المكابرة أي المغالبة ظاهر.

(٦) **من جاء بالقفل** هو الذي يأتي التاجر مثلاً بقفل مكسور أو يسهل فتحه بغير مفتاحه فيضعه التاجر غلقًا لمخزنه فيأتي هذا ويفتحه ويأخذ مما استودع في مخزن التاجر.

(٧) يشق الأرض من أسفل البيت حتى يصل الشق إلى داخله فإذا جاء الليل دخل من الشق فسرق ما شاء.

(٨) يحتال على صاحب المال حتى يطعمه مطعومًا قد خلطه بالبنج إما حلوى أو غيرها **والبنج**: مخدر معروف فإذا تناول صاحب المال منه أخذه شبه النوم فينال السارق من ماله ما أراد.

(٩) النيرنج ضرب من الشعبذة يشبه السحر ينخدع له ضعفاء القلوب لغرابة ما يرون من مظاهره فيبذلون المال لمنتحليه محتارين لما بهرهم من غرابته. أو يأخذ بأبصارهم ويملك قلوبهم حتى يشغلهم النظر فيه عن حفظ ما يكون بأيديهم فيتمكن السارق من ندله فينداه.

وَمَن بَدَّلَ نَعْلَيْهِ[١]. وَمَن شَدَّ بِحَبْلَيْهِ[٢]. وَمَنْ كَابَرَ بِالسَّيْفِ[٣] وَمَنْ يَصْعَدُ فِي البِيرِ[٤]. وَمَن سَارَ مَعَ العِيرِ[٥]. وَأَصْحَابُ العَلَامَاتِ[٦]. وَمَن يَأْتِي المَقَامَاتِ. وَمَن فَرَّ مِنَ الطَّوْفِ[٧]. وَمَنْ لَاذَ مِنَ الخَوْفِ. وَمَن طَيَّرَ بِالطَّيْرِ[٨]. وَمَن لَاعَبَ بِالسَّيْرِ. وَقَالَ: اجْلِسْ وَلَا ضَيْرَ[٩]. وَمَن يَسْرِقُ بِالبَوْلِ[١٠]. وَمَن يَنْتَهِزُ

---

(١) يأخذ إلى الحمام أو المسجد نعلين خلقين وينتهز غفلة من المجتمعين ويبدلهما بجديدين.

(٢) يصعد على الجدران أو السطوح مثلًا فيشد حبلًا بما عليها من ثياب وفرش ثم ينزل إلى الأرض ويجذب ما شد به حبليه وإنما ثنى الحبل لأن الغالب على مثل هذا السارق أن يكون معه حبال متعددة ليتمكن من سرقة أشياء متعددة وليس المراد الحصر في الاثنين. وفي بعض النسخ بعد هذا «ومن جاءك كالضيف» والصواب حذفه لأنه يأتي فيمن يقتحم الباب على ذي منتاب. **والمنتاب**: الضيف.

(٣) **كابر بالسيف**: غالب به وهم قطاع الطريق.

(٤) يختبىء في بئر حتى إذا أتى المستقون للاستقاء صعد إليهم مع الدلاء فيخافونه يظنونه من الجن فيتذرع بخوفهم إلى سلبهم. ويروى: يعرج بدل يصعد وهو بمعناه.

(٥) **العير**: بالكسر القافلة أي جماعة الإبل تحمل الميرة يسير السارق معها كأنه أحد المسافرين يقصد حيث يقصدون حتى إذا وجد غرة منهم أخذ ما أخذ وتوارى عنهم.

(٦) أراد من **العلامات** ما تتخذه الطوائف المتزهدة لتمييزها بعضها عن بعض كما نراه في أبناء الطرق المتصوفين لهذا العهد وأمثالهم في الملل الآخرة فإن لكل طريقة زيًّا يتزيا به أهلها فمن السارقين من يتزيا بزي من هذه الأزياء ليغر الناس فيأمنوه فيتمكن من اختلاس أموالهم. ومثلهم من يأتي المقامات فهو يلبس لباس الأعلياء ويلج البيوت ويتصل بالمقامات الرفيعة ولا يدفعه الحفاظ حياءً وتوقيرًا فينال بذلك بغيته من السرقة.

(٧) **الطوف**: العسس. يوهم السارق أنه فار منهم فيدخل بيتًا فما وجده أخذه فإن فطنوا له قال: إن الطواف يطلبه وإنما جاء ليختفي من طلبهم وهو مظلوم يطلب بلا سبب فينجو بهذه الحيلة. ومثله مَن لاذ من الخوف يتعلق بك ويلتجىء إليك يوهمك أنه خائف وليس به حتى إذا لاحت له منك غرة أخذ منك ما أخذ وشكرك على حمايته ومضى.

(٨) يتخذ حمامًا يطيره إلى بعض الدور ثم يدخل إليها ليسرق فإذا فطن له قال: جئت لآخذ طيري من داركم.

(٩) **السير**: قدة من جلد مستطيلة. واللعب بالسير معروف يخبأون شيئًا في مكان ويطلب من الشخص أن ينبىء عنه فإن لم يصب ضرب السير على يده أو رجله فإن أصاب انتقلت النوبة إليه يخبىء الشيء ويسأل غيره وهكذا، وقد يطلبك السارق إلى مثل هذا اللعب وهو لا يخلو من منازعة فينتهزها فرصة للسلب. **والضير**: الضرر.

(١٠) يجلس بجانب المال إن كان بالفناء كأنه يبول ويأخذ منه ما يريد فإن فطن له قال إنه كان يبول. ومنه مَن يكشف سوءته كأنه يبول فيغض صاحب المال بصره حياء فيأخذ منه ما شاء.

الهَوْلَ(١). وَمَن أَطْعَمَ فِي السُّوقِ. بِمَا يَنْفُخُ فِي البُوقِ(٢). وَمَن جَاءَ بِبَسْتُوقٍ(٣). وَأَصْحَابُ البَسَاتِينِ(٤). وَسُرَّاقُ الرَّوَازِينِ(٥). وَمَن ضَبَرَ فِي الصَّرْحِ(٦). وَمَن سَلَّمَ فِي السَّطْحِ(٧). وَمَنْ دَبَّ بِسِكِّينٍ(٨). عَلَى الحَائِطِ مِن طِينٍ. وَمَنْ جَاءَكَ فِي الحِينِ. يُحَيِّي بِالرَّيَاحِينِ(٩). وَأَصْحَابُ الطَّبرَزِينِ(١٠). كَأَعْوَانِ الدَّوَاوِينِ. وَمَنْ

---

(١) يتربص بالناس أن يقعوا في هول معركة أو حريق أو شبههما فينتهز اشتغالهم بدفع ما هالهم فرصة للاختلاس.

(٢) **من أطعم في السوق** الخ هو الذي يغش الناس بزعمه أنه يعالج الشهوة بدواء يقويها. **والبوق**: كناية.

(٣) **البستوق والبستوقة**: إناء كالقلة من فخار. يجيئك به يوهمك أنه يطلب ماء للشرب فإن تيسر له شيء أخذه وإن نذر به احتج بما جاء له.

(٤) يأتي إليك أحدهم يصف نفسه بالحذق في القيام على البساتين وخدمتها حتى توليه خدمة بستانك فإذا ائتمنته عليه سرق منه ما شاء ولا يشتبه في أمره مَن يراه متصرفًا فيما سرق لأنه يظنه نائبًا عنك. يروى: البساتيق بدل البساتين وهو غير صحيح فإن الذين يأتون بالبساتيق تقدم ذكرهم فيمن جاء ببستوق.

(٥) **الروازين**: جمع روزنة وهي الكوة فهؤلاء يمدون أيديهم إلى داخل البيت من كوته فيأخذون ما وصلوا إليه. وحق الجمع روازن لكنه زاد الياء لمشالكة البساتين وهو معروف عند أهل اللغة عند عدم الالتباس. ويروى بدل الروازين الزواريق وكأنه جمع زورق بمعنى السفينة الصغيرة وهؤلاء يحملون الناس في سفنهم حتى إذا توسطوا بهم البحر سلبوهم ما معهم فإن قاوموهم أغرقوهم.

(٦) **الصرح**: البناء العالي. **وضبر**: بالضاد والباء الموجدة أي وثب. وأصل **الضبر**: أن يجمع الفرس قوائمه ويثب. أي منهم مَن تخف حركته حتى لقد يثب على البناء فيكون فيه ويسرق منه ما أحرز فيه. وفي بعض النسخ: صير (بالصاد المهملة والياء المثناة من تحت) ولا معنى لها.

(٧) هذا لا يصعد إلى الأعالي بالوثوب ولكنه معه حبل في طرفه آلة معكوفة فيرميها إلى السطح فتنشب فيه فيصعد على الحبل إلى السطح ثم منه يدخل البيت فيسرق منه **فسلم في السطح**: أوصل آلته إليه كأنه يعطيه إياها.

(٨) **دب**: مشى على هينة كيلا يحس به أحد ومعه سكين يقتل بها مَن يصده عما يريد أو يمزق ما يحول بينه وبين ما عزم على سرقته. وخص الحائط بأنه من طين ليدل على مهارة السارق في إمساك جسمه ودبيبه على هذا الحائط مع ضعف تماسكه ولو كان الحائط من حجر أو آجرّ لسهل على الداب عليه أن يتمسك به. أما وهو من طين فخطر التمسك به قريب.

(٩) يدخل البيت وفي يده ريحان أو ورد وما يشبههما كأنه يريد إهداءها لرب البيت أو مَن يجده. ثم يأخذ ما أمكنه.

(١٠) **الطبرزين**: آلة من السلاح يعبر عنها بالطبر كان يحملها أعوان الشرطة. فمن السارقين مَن يتقلد هذه الآلة كأنه شرطي ثم يدخل البيت الذي يريد السرقة منه من أي طريق وبأية حيلة فإذا ظفر به=

دَبَّ بِأَنِينٍ. عَلَى رَسْمِ المَجَانِينِ[١]. وَأَصحَابُ المَفَاتِيحِ[٢]. وَأَهْلُ القُطْنِ وَالرِّيحِ[٣]. وَمَنْ يَقْتَحِمُ البَابَ. عَلَى زِيِّ مَن انْتَابَ[٤]. وَمَن يَدْخُلُ فِي الدَّارِ. عَلَى صُورَةِ مَن زَارَ. وَمَن يَدْخُلُ بِاللِّينِ. عَلَى زِيِّ المَسَاكِينِ. وَمَن يَسْرِقُ فِي الحَوْضِ. إِذَا أَمْكَنَ فِي الخَوْضِ[٥]. وَمَن سَلَّ بِعُودَيْنِ[٦]. وَمَن حَلَّفَ بِالدَّيْنِ[٧]. وَمَن غَالَطَ بِالرَّهنِ[٨]. وَمَن سَفْتَجَ بِالدَّيْنِ[٩]. وَمَن خَالَفَ

= صاح بصاحب الدار أن قم وامض معي فقد أتيت لجلبك إلى صاحب الشرطة في تهمة كذا. فيظن صاحب البيت ومَن يكون قد رآه من الناس أن الأمر كذلك فلا يقبضون عليه قبضهم على السارق بل يمتثل المأمور منهم أمره حتى إذا خرج ووجد سبيل النجاة أفلت.

(١) يلابس عمل السرقة فإذا أحس بمتيقظ لعمله أخذ في الأنين والخلط في الأصوات والحركات تشبهًا بالمجانين ليظن به ذلك فيترك ويسلم من المؤاخذة.

(٢) **أصحاب المفاتيح** الذين يستصحبون معهم مفاتيح كثيرة لفتح الأقفال للبيوت أو الصناديق.

(٣) يأخذون ندائف من القطن فيطيرونها في مجرى الريح إلى البيوت ثم يطلبونها فيجدون سبيلًا لدخول تلك البيوت وهو دعوى أن القطن كان في أيديهم فانتزعته الريح فهم يطلبونه وفي هذا الطلب يغنمون السلب.

(٤) يقتحم الباب يلجه بدون استيناس. ومن انتابك الذي ينزل عليك ضيفًا. فمن السارقين مَن يلج عليك الباب وهو في هيئة ضيف يطلب القرى. ومثله الذي يأتي بعده وهو مَن يدخل في الدار على صورة الزائر. والفرق بينهما أن الثاني أعجل من الأول وإقامته أقصر مدة. والذي بعد ظاهر وكثير بين الناس في هذه الأيام.

(٥) من السارقين مَن يراقب المستحم حتى إذا خلع ثيابه ونزل في الحوض ونحوه اختطف الثياب وفر. وفي الداخلة على الحوض سببية. وتخصيص الحوض بالذكر ليس لتخصيص العمل ولكن لأنه الأغلب في الاستحمام. وفي عامة النسخ إذا أمكن بالكاف ولعل الصواب بالعين والفعل مجهول أي إذا حصل الإمعان في الحوض بمعنى عندما يمعن المستحم في الحوض ويطمئن ويعود من الصعب عليه أن يخرج في أثر السارق ولا يصح أمكن إلا بجعل الفاعل ضمير الأمر المعروف من السياق وجعل في سببية كسابقتها.

(٦) **من سل بعودين** الذي يقوم على سطح بيته ينتظر مرور العير حتى إذا حاذته أرسل عصًا طويلة رأسها كرأس المحجن فتناول بها من ظهور الأحمال ما سهل نزعه من أثواب ونحوها.

(٧) يدعي على عظيم من الناس مقدارًا من النقود أو غيرها ليس بكثير بحيث يخجل ذلك العظيم أن يساق فيه إلى القاضي وإذا حضر عند القاضي يأنف أن يحلف على البراءة منه فيضطر إلى دفعه قبل أن يصل إلى القاضي.

(٨) يأتي إلى التاجر فيأخذ منه مالًا ويدع عنده رهنًا في حرز مغلق يوهم أن فيه جوهرًا نفيسًا ولا يكون كذلك. ويروى: حصل بالرهن بدل غالط ومعناه ظاهر.

(٩) **سفتج**: عامل بالسفتجة وهي المعروفة اليوم عند التجار بالبولصة. وهذا السارق يأتي لمسافر يحمل معه نقودًا فيقول له: أريحك من ثقل النقود وأعطيك سفتجة لفلان في البلد الذي تذهب=

بِالكِيسِ(١). وَمَن زَجَّ بِتَدْلِيسٍ(٢). وَمَن أعْطَى المَفَالِيسَ(٣). وَمَن قَصَّ مِنَ الكُمِّ(٤). وَقَالَ: انْظُرْ وَاحْكُمْ. وَمَنْ خَاطَ عَلَى الصَّدْرِ(٥) وَمَن قَالَ: أَلَمْ تَدْرِ(٦). وَمَنْ عَضَّ وَمَن شَدَّ(٧). وَمَن دَسَّ إِذَا عَدَّ(٨). وَمَن لَجَّ مَعَ القَوْمِ. وَقَالَ: لَيْسَ ذَا

= إليه ولنا قبله دين أو معه معاملة فهو يعطيك هناك ما دفعت هٰهنا ولا يكون لشيء من ذلك حقيقة.

(١) **من خالف بالكيس**: الذي يأتي إلى التاجر يساومه في سلعة ويبرز كيسًا ينقد منه دراهم أو دنانير تحت بصر التاجر يوهمه أنه ينقده الثمن فإذا لم يرض التاجر لقلة المقدار رد الكيس إلى كمه أو مستودعه الآخر من ثيابه وهو يماكس التاجر حتى إذا تم القول بينهما أخرج كيسًا غير الذي كان يبرزه إلا أنه في لونه وهيئته فينقد منه العدد الذي اتفق عليه وليس بدراهم ولا دنانير بل هو فلوس ثم يدفعها إلى التاجر وهو لا يعرف في الكيس إلا الدنانير أو الدراهم فيأخذ المنقود يعد آحاده فقط ولا يجيد التأمل في جوهره ويكون السارق قد أخذ السلعة ونجا. ويروى بدل خالف بالكيس **أودعك الكيس** وهو الذي يودعك كيسًا على أنه دنانير وهو في الحقيقة فلوس والطريقة في الإبدال هي ما ذكرنا.

(٢) **من زج بتدليس** الذي ينتقد دراهم لغيره فيدخل فيها زيوفًا ويرسل الجياد إلى مخابىء من ثيابه من حيث لا يشعر صاحب الدراهم.

(٣) **يعقد** معاقد التجار حتى إذا أمنوه على أموالهم أخذ يعامل بعض المفاليس فيعطيهم من السلع بأضعاف قيمتها يوهم أنه واسع المعاملة جم الربح. وبعد أن يوقع أن ما في ذمة أولئك المفاليس يساوي ما في ذمته للتجار أشهر أنه مفلس وادعى أن أموال مطالبيه قد هلكت عند مداينيه ويكون قد أخفى من الأموال شيئًا كثيرًا.

(٤) يقص كمه فإذا رأى إنسانًا قد حمل نقودًا بين يدي تاجر أو صراف تبعه ثم تعلق به وادعى أنه جاره وأخذ نقوده وقال للناس: انظروا كيف قطع كمي وأخذ ما كنت عقدت فيه واحكموا لي عليه.

(٥) هذا مثل مَن كابر في الربط يستصحب إبرة وخيطًا فإذا رأى غرًا ينخدع أخذ بتلابيبه ثم شرع يخيط ثوبه على صدره وينصح الغر بأن ذلك أولى له فيدهش ذلك لغرابة فعله وقوله فيسلبه ما يسلبه في حال دهشته ثم ينصرف.

(٦) يأتي إلى المخدوع فيقول له: ألم تدر ما وقع بفلان هذا اليوم صادفه سارق فأمسك بثيابه هكذا وجاذبه وفي مجاذبته تيسر له الوصول إلى موضع الدراهم من ثوبه ويتعجب من الواقعة فلا ينصرف إلا وقد أوقعها بمن يرويها له يكون القول كذبًا فينقلب صدقًا غير أن الزمان مختلف.

(٧) من **عض** يبدأ شخصًا بالمنازعة فإذا اشتبك معه أخذ يعضه في مظان النقود فيقرض ما ارتبطت به. ومن **شد**: يربط الثوب ونحوه بما يمسكه في يده فينهض عنه صاحبه وقد انسل عنه وهو غافل.

(٨) **من دس إذا عد** مثل الذي زج بتدليس فهو في عدّه الدراهم لغيره يدس فيها الزيوف ويختلس الجياد.

نَوْم(١). وَمَن غَرَّكَ بِالألْفِ(٢). وَمَنْ زَجَّ إلَى خَلْفٍ(٣). وَمَنْ يَسْرِقُ بِالقَيْدِ. وَمَنْ يَأْلَمُ لِلْكَيْدِ(٤). وَمَنْ صَافَعَ بِالنَّعْلِ(٥). وَمَنْ خَاصَمَ فِي الحَقِّ(٦). وَمَنْ عَالَجَ بِالشَّقِّ(٧). وَمَنْ يَدْخُلُ فِي السِّرْبِ(٨). وَمَنْ يَنْتَهِزُ النَّقْبَ(٩). وَأَصْحَابُ الخَطَاطِيفِ(١٠). عَلَى الحَبْلِ مِنَ اللِّيفِ. وَانْجَرَّ الحَدِيثُ إلى ذِكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ.

(١) يأتي مع أصحابه إلى نائم فيلغطون حتى يوقظوه بما يقولون إنه نائم أو ليس بنائم وهم يوهمونه أنهم يريدون دفن شيء ويخافون اطلاعه عليه فيتناوم كيدًا لهم ويشتد الخلاف بينهم في نومه ويقظته فيمتحنون حاله فيأخذون في سلبه ثيابه وما معه وهو يتناوم ولا يدفعهم فإذا انتهى عملهم وذهبوا قام ليأخذ الدفين فيجده خزفًا أو لا يجد شيئًا وإنما كانوا يحفرون لخدعته وهو يظن أنه كان يكيد لهم.

(٢) يضع عند التاجر كيسًا مملوءًا مختومًا يسع نحو الألف من الدنانير ويكون قد جعل في رأس الكيس مقدارًا من الدنانير وبقيته فلوس ثم يرجع إلى التاجر فيفتح الكيس ويأخذ من الدنانير ما يشتري به شيئًا من السلع ويختمه ولا يزال هكذا حتي يستنزف الدنانير ولا يبقى إلا الفلوس. ثم يأتي إلى التاجر فيأخذ منه عرضًا كثيرًا والتاجر واثق بأن عنده ما لا يضيع معه شيء يعطيه ثم لا يعود إليه بعد ذلك فإذا طال الزمن اضطر التاجر لفتح الكيس فلا يجد فيه إلا الفلوس.

(٣) **زج**: هنا بمعنى دفع. يتفق السارق مع شخص آخر فيذهبان إلى الصيارفة أو الباعة فيأخذ شيئًا يقلبه في يده ثم يدفعه بنوع من الخفة لا يحس به رب المال إلى صاحبه فيأخذه ويذهب فيضطرب السارق ويقول لعنه الله سلب وذهب فما أصنع.

(٤) يقيد نفسه ويمشي يرسف في قيده فإذا رأيته ملت إلى التأمل في حاله والسؤال عنها فيقول كنت أسيرًا أعاني من الأعداء شدة العناء فترق له وتفك قيوده ثم تؤويه فإذا وجد منك غرة سرق وانطلق. **والذي يألم للكيد** مثله.

(٥) هذا مثل الذي بدل نعليه فيما سبق. يصفع شخصًا بنعل له عتيق فإذا خلع الشخص نعله ليصفعه به اختطفه منه وفر. ويروى: صانع بالنون بدل صافع ولا معنى لها هنا.

(٦) **خاصم في الحق** نازع فيه وأنكره وذلك بأن يعرف أن معك مبلغًا من الدراهم فيتعرض لك ويعرض عليك أن عنده سلعة تساوي قيمة أعلى من المبلغ الذي معك ويرضى فيها بما معك ولا يظهر لك أنه عارف به ثم يقول: نعم. فيقول: كلا فتبرزه وتعده. فإذا صار في يده أنكر أنه لك فإما فر من بين يديك بما أخذ وإما صالحته على بعضه.

(٧) يعالج السرقة ويحاول الوصول إليها بشق ما وضعت فيه من كيس ونحوه.

(٨) يكمن في حفيرة من الأرض حتى يجد فرصة للسرقة.

(٩) **ينتهز النقب**: ينقب البيوت ويعد نقبها غنيمة لأنها وسيلة إلى ما يغنمه بالسرقة.

(١٠) يشدون الخطاطيف بأطراف الحبال ويرسلونها إلى البيوت فما تعلق بها أخذوه.

وأتَى بقِصَّة لأبي الفتح الإسْكَنْدَرِي حَذَفنَاهَا لِعَدَمِ الفائِدة فيها مَع وُجُود ألفَاظ تنافي آداب هذه الأيام. وليس فيها من شيء يستحق الذكر سوى أن الليلة القمراء يقال فيها: ليلة في غير زيّها وأنشد:

وَطَيْفٌ سَرَى وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيِّهِ ... وَوَافَاهُ بَدْرُ التِّمِّ فَٱبْيَضَّ مَفرِقُهْ(١)

(١) **الطيف**: الخيال الطائف في المنام. **وسرى**: سار ليلاً ليوافي محبه والليل في غير زيه. **الزي**: الهيئة من اللباس. وزي **الليل** السواد فإذا كان القمر طالعًا منيرًا كان الليل لابسًا لبياض النور بدلاً عن زيه وهو أسود الظلام. وجملة وافاه معطوفة على ما تعلق به في غير زيه فهي معطوفة على الخبر أي والليل في غير زيه وقد وافاه بدر التم. **ووافاه**: مَن وافى فلان القوم أتاهم. فتكون هذه الجملة كالتفسير لقوله في غير زيه. **وبدر التم**: القمر في كماله. **والمفرق**: وسط الرأس **وابيض مفرقه**: تمثيل لبياض الليل الطارىء على سواده ببياض الشيب العارض لشعر الرأس.

المقَامَةُ المِغْزليَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ البَصْرَةَ وَأَنَا مُتَّسِعُ الصِّيتِ كَثِيرُ الذِّكْرِ[1]. فَدَخَلَ إِلَيَّ فَتَيَانِ. فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ دَخَلَ هذَا الفَتَى دَارَنَا فَأَخَذَ قَبَجَ سُنَّارٍ[2]. بِرَأْسِهِ دُوَارٌ[3]. بِوَسْطِهِ زُنَّارٌ. وَفَلَكٌ دَوَّارٌ[4]. رخِيمُ الصَّوْتِ

---

(١) **الصيت**: الثناء الحسن ينتشر بين الناس في عمل محمود أو جملة أعمال واتساعه اتساع البقاع التي ينتشر الثناء فيها على ألسنة أهلها. **وكثير الذكر**: كالتفسير له.

(٢) **قبج سنار**: هكذا في النسخ التي وقعت إلينا قبج بالقاف والباء والجيم. ولم نر **للقبج** معنى سوى الحجل والكروان للطائرين المعروفين ولا مناسبة بينهما وبين ما يمكن قصده هنا. والظاهر أن الصواب **فنج** بفاء ونون فجيم مع فتحات وهو معرب فنك الفارسية لحيوان يتخذ من جلده أحسن الفراء وأشرفها قالوا إنه صالح لجميع الأمزجة المعتدلة. والسنار بضم السين وتشديد النون السنور للهر وهو الحيوان الإنسي المعروف بالقط. قيل إن ذلك الحيوان إنما يسمى **فنجًا** وهو جرو كما يدل عليه لفظه في الفارسية وهو ليس من الحيوانات الأهلية فأضافه إلى السنار ليفيد أنه جرو ذلك الحيوان على أنه مستأنس كالسنور وسهل له ذلك شبهه بالقط في خلقته كأنه قال: أخذ فنجًا أهليًا أو أخذ جرو سنور إلا أنه في صنفه أشبه بالفنج في طيب فروته. وإنما رمز بذلك إلى المغزل لأنه وهو مكتس بالغزل يشبه أعلاه أعلى الهر. ثم هو إذا غزل به أعلى صوف وأجوده وكان الغزل باقيًا عليه يكون شبيهًا بذلك الحيوان في أن عليه ما يتخذ منه أفضل لباس فذلك الحيوان يتخذ اللباس من جلده وهذا يتخذ اللباس مما هو في الصورة كجلده وإنما ينطبق الرمز على المغزل إذا أشير فيه إلى أنه حيوان أهلي لأن المغزل لا يفارق بيوت الغازلين به كما أن الهر الإنسي لا يعيش إلا في البيوت التي أنس بها.

(٣) **الدوار** بالضم والفتح شبه الدوران يأخذ في الرأس وهكذا المغزل غير أن المغزل يدور رأسه حقيقة. والدوار في الرأس أشبه بالمخيل وإن كان الرأس لا يخلو معه من اضطراب.

(٤) **الزنار**: ما يشده رهبان النصارى على أوساطهم. وفي المغزل ما يشبهه كما لا يخفى. ثم في وسطه مع الزنار الذي يلف عليه من خيوط الغزل فلك دوار وهو ما صنع من نفس عوده مستديرًا عليه كأنه حزام من خشب.

إنْ صَرَّ(١). سَرِيعُ الكَرِّ إنْ فَرَّ. طَوِيلُ الذَّيْلِ إنْ جَرَّ. نَحِيفُ المُنَطَّقِ. ضَعِيفُ المُقَرْطَقِ(٢). فِي قَدْرِ الحَرَرِ(٣). مُقِيمٌ بِالحَضَرِ. لَا يَخْلُو مِنَ السَّفَرِ. إنْ أُودِعَ شَيْئًا رَدَّ. وَإنْ كُلِّفَ سَيْرًا جَدَّ. وَإنْ أَجَرَّ حَبْلًا مَدَّ(٤). هُنَاكَ عَظْمٌ وَخَشَبٌ(٥). وَفِيهِ مَالٌ وَنَشَبٌ(٦). وَقَبْلٌ وَبَعْدٌ(٧). فَقَالَ الْفَتَى: نَعَمْ أَيَّدَ اللهُ الشَّيْخَ لِأَنَّهُ

---

(١) **صر**: صوَّت. وللمغزل صوت خفيف عند شدة دورانه.

(٢) **المنطق**: مكان النطاق وهو ما يشد في الوسط من نطقه بالتضعيف أي ألبسه النطاق والمنطقة. **والمقرطق**: مكان القرطق بضم فسكون ففتح وهو قباء ذو طاق واحد معرب كرته الفارسية وأراد منه عوده بتمامه لأنه إذا لم يكن عليه من الخيوط إلا طاق واحد كان ضعيفًا بخلاف ما إذا تضاعفت الطاقات فإنه يكون بها غليظًا.

(٣) هكذا في النسخ بحاء وراءين ولا يتجه له معنى ولعل الصواب **الجزر** بجيم فزاي فراء لأن المغزل بما عليه من الصوف أشبه بجزرة طويلة غليظة في شكلها وتدرج حجمها من غلظ إلى دقة مع استدارة رأسها.

(٤) قلما يتمكن المسافر من العمل في الغزل إلا أن ينزل فربما يغزل عند نزوله وإنما يشتغل بالغزل المقيمون. فالمغزل من آلات الإقامة وعمله من عملها. ومع ذلك فهو مسافر ما دام في عمله. ويريد بسفره تلك الحركة المستديرة عند سحل الخيط أو برمه والحركة المترددة عند طيه على عوده ولا غزل بدون إحدى الحركتين فهو مسافر بهذا المعنى لا يقيم. والمراد من الشيء الذي إذا أودعه رده لا يخون فيه هو ما عليه من الغزل فإنك تطويه عليه فيكون وديعة لديه ثم تسترده منه ولا يمنعك. وإذا كلفته السير عند الإدارة للغزل جد فيه وأتى على الغاية مما يمكن له. وإن أجر حبلًا مد. أي وإن تركته يجر حبلًا يريد به الخيط الذي يطوى عليه مد في ذلك الحبل وأطال فيه من أجرّ الفصيل رسنه إذا تركه يجره.

(٥) **الخشب**: عود المغزل. والعظم رأسه وهو يصنع من العظم غالبًا وقد يصنع من الخشب كالعود أيضًا وقد يصنع الرأس من العظم مع الخشب مركبًا قطع أحدهما في الآخر.

(٦) **المال والنشب** في مثل هذا الحديث شيء واحد وإنما أتى باللفظين المترادفين لتعظيم المنفعة وعرضها في معرض التفخيم لكن قد يستعمل النشب في أخص من المال ولا يصح هنا هذا الاستعمال.

(٧) **قبل وبعد** على الظرفين أي في هذا الملغز فيه من المنافع والمرافق ما يسبق وجودك فترثه عن سلفك كالبيوت من الشعر وكالثياب الثمينة التي يحرص على صونها أزمانًا طويلة. وفيه كذلك ما يبقى بعدك ويورث عنك فتكون **قبل** اسمًا للسابق مطلقًا لا بقيد كونه من زمان أو مكان، **وبعد** اسمًا للاحق كذلك. ويصح أن يكون اللفظ الأول بتحريك أوله وفتح ثانيه من قولهم: ما لي قبل بكذا أي ليست لي به طاقة. وفي المغزل قبل لأن ما عليه من الغزل يفيد في مدافعة الحر والبرد إذا نسج أثوابًا تعد لذلك. واللفظ الثاني بضم أوله وفتح ثانيه من قولهم: ما عنده بعد أي طائل وهو غير ذي بعد أي لا خير فيه.

غَصَبَنِي عَلَى:

مُــــرَهَّـــفٍ سِـــنَـــانُـــهُ مُـــذَلَّقٍ أسْـــنَـــانُـــهُ[١]
أوْلاَدُهُ أعْـــــــوَانُــــــهُ تَـفْـريـقُ شَـمْـلٍ شَـانُـهُ[٢]
مُـــوَاثِـــبٌ لِصَـــاحِـــبِـــهْ مُـــعَـــلَّقٌ بِـــشَـــارِبِـــهْ[٣]
مُـــشْـــتَـبِـــكُ الأنْـــيَـــابِ فِـي الـشِّـيْـبِ وَالـشَّـبَـابِ[٤]
حُـــلْوٌ مَـــلِيـــحُ الـــشَّـــكْـــلِ ضَـــاوٍ زَهِـــيـــدُ الأكْـــلِ[٥]
رَامِ كَـــثِـــيـــرُ الـــنَّـــبْـــلِ حَـوْفَ الـلُّحَـى والـسَّـبْـلِ[٦]

فَقُلْتُ لِلأوَّلِ: رُدَّ عَلَيَّ المشْطَ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ المِغْزلَ.

---

(١) **المرهف**: المحدد المرقق. **والسنان**: نصل الرمح كنى به عن أطراف أسنان المشط غير أنه يمثل المشط في صورة إنسان أو حيوان غيره. **والمذلق**: المحدد أيضًا من ذلق السكين حدده.

(٢) أراد من **أولاده** الذين هم أعوانه الأسنان لأنها منه كما أن الولد من أبيه. ومن شأن المشط تفريق ما اجتمع من شمل الشعر. لهذا قال: تفريق شمل شأنه. فشأن خبر تفريق.

(٣) **مواثب لصاحبه** مساور له يقفز عليه فيتعلق برأسه أو بلحيته أو بحاجبه.

(٤) **الشيب**: بكسر الشين جمع أشيب وهو الذي ابيض شعره في طور من أطوار سنه. **والشباب** جمع شاب وهو الفتى إلى أن يكتهل. **والأنياب** هنا أسنان المشط أيضًا وهو مشتبكها في الفتيان والشيب. لأن كلاً يحتاج لتسريح شعره.

(٥) **ضاوٍ** من ضوي يضوى ضوى دق عظمه وقل جسمه خلقة أو هزالاً. والمشط كذلك دقيق رقيق. **وزهيد الأكل**: قليله لأنه إنما يتناول بعض ما يتشبث به من الشعر.

(٦) **رام** لأنه يرمي بأسنانه ما ينشب فيه من الرؤوس واللحى والشوارب **ونبله الكثير**: أسنانه. وقوله: **حوف اللحى** الخ كذا في نسختنا حوف بالفاء أي أنه في رميه يحوف اللحى والسبل حوفًا أي يأتي في **حوافيها** أي أطرافها وهو بعيد ولعل الصواب **حوق** بالقاف من حاق الشيء دلكه وملسه ويكون مفعولاً لأجله لرام أي أنه رام لتمليس اللحى والسبل وإزالة ما تلبد منها من أوساخ ونحوها. **والسبلة**: ما على الشارب من الشعر وكأن المصنف جمعها على **سبل** بالتحريك ثم سكن باءه لتوافق السجعات.

المقامَةُ الشيرازيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ اليَمَنِ. وَهَمَمْتُ بِالوَطَنِ. ضَمَّ إِلَيَّ رَفِيقٌ رَحْلَهُ[1] فَتَرَافَقْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَذَبَنِي نَجْدٌ. وَالْتَقَمَهُ وَهْدٌ. فَصَعَّدْتُ وَصَوَّبَ[2]. وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ. وَنَدِمْتُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ بَعْدَ أَن مَلَكَنِي الجَبَلُ وَحَزْنُهُ[3]. وَأَخَذَهُ الغَوْرُ وَبَطْنُهُ. فَوَاللهِ لَقَدْ تَرَكَنِي فِرَاقُهُ. وَأَنَا أَشْتَاقُهُ. وَغَادَرَنِي بَعْدَهُ. أُقَاسِي بُعْدَهُ[4]. وَكُنْتُ فَارَقْتُهُ ذَا شَارَةٍ

---

(١) **قفلت من اليمن**: رجعت من سفري فيه. **وهم بالوطن**: عقد العزيمة على الرجعة إليه ووجه القصد نحوه. **وضم الرفيق رحله إليه**: سار معه مرافقًا له يرحل بارتحاله وينزل بنزوله. ويروى رحاله بدل رحله.

(٢) **النجد**: ما ارتفع من الأرض وللتكلف في صعوده احتاج إلى جذب. **والوهد**: ما انخفض منها ولسهولة النزول فيه كان كأنه ملتقط للهابط إليه. أي لم نزل سائرين معًا حتى أتينا مكان **الافتراق** فأخذت طريق نجد وأخذ سبيل الغور. وزاد القصد إيضاحًا بقوله: **فصعدت**: أي رقيت في النجود. **وصوب**: أي انحدر إلى السهول.

(٣) **الحزن**: الأرض الغليظة خلاف السهل وطرق الجبال حزون في الأغلب. وملكه لأنه بعد أن يغلغل فيه لا يسهل عليه الرجوع منه لطلب لقيا الرفيق ولولا ذلك وأخذ الغور لرفيقه وصعوبة الوصول إليه لرجع طلبًا للأنس به واستعادة لنعيم صحبته. وإنما منعه أن كلاً منهما أبعد في طريقه وصار الطالب بحيث لا يدرك والمطلوب بحيث لا يدرك.

(٤) يقال **تركته يفعل كذا** أي خليت بينه وبين الفعل. وفراق الرفيق خلى بينه وبين الشوق إليه. وكان حق التعبير تركني فراقه أشتاقه إلا أنه أقام الجملة الحالية مقام الفعل المخلي بينه وبينه. ولا يصح أن يكون تركني من الترك بمعنى ما يقابل الفعل وهو ظاهر ولا بمعنى المفارقة لأنه لو فارقه الفراق لواصله الوصال وهو غير صحيح هنا كما لا يخفى. وإنما تركني هنا مرادف غادرني. وقد يكون ترك مضمنًا معنى الصيرورة. **فتركته يفعل**: صيرته يفعل. والأصل ما ذكرنا والكلام في الجملة الحالية على حاله. وقوله: **غادرني** بمعنى تركني على ما ذكرنا. ويروى: =

وَجَمَالٍ[١]. وَهَيْئَةٍ وَكَمَالٍ. وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنَا ضُرُوبَهُ. وَأَنَا أَتَمَثَّلُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَأَتَذَكَّرُهُ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ. وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الدَّهْرَ يُسْعِدُنِي بِهِ وَيُسْعِفُنِي فِيهِ[٢]. حتَّى أَتَيْتُ شِيرَازَ[٣]. فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي حُجْرَتِي إِذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَّرَ فِي وَجْهِهِ الفَقْرُ. وَٱنْتَزَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ[٤]. وَأَمَالَ قَنَاتَهُ السَّقَمُ. وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ العَدَمُ[٥]. بِوَجْهٍ أَكْسَفَ مِنْ بَالِهِ[٦]. وَزِيٍّ أَوْحَشَ مِنْ حَالِهِ[٧]. وَلِثَةٍ نَشِفَةٍ. وَشَفَةٍ قَشِفَةٍ[٨].

= خلفني و«بعده» على لفظ الظرف أي من بعد فراقه. **وقاسى** مقاساة كابد مكابدة. **والبعد**: بضم الباء الفراق وهو لا يقاسي نفس البعد ولكنه يكابد آلام الوحشة التي جلبها.

(١) **الشارة**: الزينة والجمال الحسن.

(٢) أحدث الدهر فينا أحداثه وتصرف بنا تصرفاته المعروفة في تشتيت الأحبة وتعذيب قلوبهم بما يجلب الفراق من الوحشة. **وأتمثله**: أتخيله وأستحضر صورته في كل وقت لشدة ولوعي به. وقوله: أتذكره في كل لمحة كالتفسير أو التوكيد لجملة أتمثله في كل وقت. **واللمحة**: النظرة من العين كأنها انفتاح الجفن مرة لإصابة شيء بالنظر على خفة واختلاس. ثم صارت كالحقيقة في مقدار ذلك من الزمان. وقوله: يسعدني به ويسعفني فيه يروى بدله: يسعدني منه ويشفعني به. أي يجعله ثانيًا لي فنكون بالاجتماع شفعًا بعد أن كنت وحدي وترًا.

(٣) **شيراز** من بلاد إيران وقصبة ولاية فارس من ولايات تلك المملكة.

(٤) **الكهل**: من وخطه الشيب. **وغبر**: أثار الغبار. **والفقر**: مما لا يستطاع معه نظافة ولا يمكن للمصاب به أن يلتفت إلى إصلاح هيئته ولهذا نسب إليه التغيير في وجه ذلك الكهل حتى تلطخ بالغبار ويروى: في وجنته بدل وجهه. ثم يروى وانتزف ماءهما الدهر بدل ماءه. يريد أن الفقر قد ذهب بوضاءة وجهه ونضرة محياه. **وانتزف الدهر ماءه**: اشتفه ولم يبق منه شيئًا. **والماء** هنا ماء الشباب والفتوة كماء العود وهو أخضر ناضر فإذا جف الماء يبس العود وذهبت نضرته وكذلك من انتزف الدهر ماءه يذبل وييبس ويقرب إلى الفناء وتلوح عليه آياته.

(٥) **القناة**: الرمح أراد منها هنا قده. **وأمالها**: حناها وقوسها أي أنه انحنى من الأسقام والأمراض. **والعدم**: الفقر. **وقلم أظفاره**: تمثيل لضعفه فإن ذا المخلب إذا قلمت أظافره ضعف وكاد يكون فريسة لغيره لعجزه عن المدافعة بما فقد من آلتها. وكذلك المعدم الفقير في ضعف لا ينقص عن درجة ذاك.

(٦) **كسفت حاله**: ساءت. وفلان كاسف البال سيّء الحال. **وكسف وجهه**: عبس وتغير. وسوء الحال يظهر أثره في الوجه أشد ظهورًا فلا بدع أن يكون وجهه أشد تغيرًا من حاله.

(٧) **الزي**: الهيئة من اللباس **وأوحش**: أي أشد إيجادًا للوحشة بمعنى الهم والاغتمام. ولم أر فعلاً ثلاثيًا في هذا المعنى ولكن من الرباعي أوحش فلانًا جعله يستوحش وهو قريب مما نريد. وصوغ التفضيل من الرباعي مسموع.

(٨) **اللثة**: ما أحاط بالأسنان من اللحم وفيه مغارزها. **ونشفة** قد امتصت جمع رطوبتها حتى جفت ويبست. **والشفة القشفة**: التي علاها القشف وهو القذر أو تلك الخشونة التي تنشأ عن نحو العطش والجوع وتلويح الشمس ولفح البرد.

وَرِجْلٍ وَحِلَةٍ. وَيَدٍ مَجِلَةٍ[(١)]. وَأَنْيَابٍ قَدْ جَرِعَهَا الضُّرُّ. وَالعَيْشُ المُرُّ[(٢)]. وَسَلَّمَ فَأَزْدَرَتْهُ عَيْنِي[(٣)] لكِنِّي أَجَبْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يُظَنُّ بِنَا. فَبَسَطْتُ لَهُ أَسِرَّةَ وَجْهِي. وَفَتَقْتُ لَهُ سَمْعِي. وَقُلْتُ لَهُ: إِيهِ[(٤)]. فَقَالَ: قَدْ أَرْضَعْتُكَ ثَدْيَ حُرْمَةٍ[(٥)]. وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ عِصْمَةٍ. وَالْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الكِرَامِ حُرْمَةٌ[(٦)]. وَالمَوَدَّةُ

---

(١) **وحلة** بفتح فكسر ففتح من يوحل كفرح يفرح إذا وقع في الوحل وتلطخ به فكان الرجل حافيًا ورجله ملطخة بالوحل. **واليد المجلة** بالجيم المعجمة من مجلت يده تمجل من باب نصر ومجلت تمجل من باب فرح نفطت من العمل فمرنت وجست جلدتها. فكأن الفقر اضطر الرجل إلى العمل في يده فيما لم تألفه من الأعمال البدنية مثل الحفر والحرث والنقل وما يشبهها فأثر ذلك في يده الجساوة التي تعهد في أيدي العملة ولا أثر لها في أيدي أهل الرفه. ويروى: يد قحلة ولا معنى لها.

(٢) **الأنياب**: جمع ناب وهو السن الذي خلف الرباعية. **وجرعها**: من باب فرح ومنع أي بلعها يريد أن أنيابه قد سقطت وصار أثرم وإنما ثرمه وأسقط أسنانه. **الضر**: وهو الشدة والبؤس. **والعيش المر**: الصعب الاحتمال. وقد مثل الضر في صورة حيوان يبتلع العظام بعد ذوبانها كما يبتلع الماء.

(٣) **ازدرته عيني**: احتقرته.

(٤) **أسرة الوجه**: جمع سر بضم السين وهو الخط يكون في الجبهة أو الكف. ومن عادة المزدري أو العابس أن ينقبض وجهه حتى تظهر هذه الخطوط فيه بخلاف المتهلل المسرور فإن تلك الخطوط تكون خفية فيه لانبساطه وهشاشته. **وفتق السمع**: مثل في الإصغاء أي أن ما سمعه من دعاء الرجل في قوله: اللهم اجعلنا خيرًا مما يظن بنا قد أحدث في نفس عيسى بن هشام مقامًا له غير الذي كان لأول مرآه فتحول الازدراء إلى نوع من التوقير يبسط من الوجه ويستميل الأذن لحسن الاستماع. لهذا قال له: «إيه» أي زد من نحو قولك هذا.

(٥) **الحرمة** هنا الذمة أي قد جمعتني معك ذمة نحن بها مرتبطون لا يصح لأحدنا أن ينتهكها كما تجمع الأم ولديها في الرضاع فيلتحم بها نسبهما ولا يباح لأحدهما هتك هذه الحرمة احترامًا لحق الأم عليها. وطريقة التمثيل ظاهرة. ويروى: **راضعتك** بدل أرضعتك وهي أجود.

(٦) والأصل في معنى **العصمة** المنع. والعصمة هنا العصمة المقومة وهي ما يثبت للإنسان قيمة بحيث إن مَن هتكها حق عليه القصاص أو لزمته الدية. **والعنان** بكسر العين لقب لنوع من الشركة غلب استعمالها مع لفظ شركة مضافًا إليه فيقال شركة عنان وهي الشركة في شيء خاص أو هي أن يكون ما فيه الاشتراك متساويًا من الشريكين مأخوذة من عنان الدابة وهو طاقان متساويان. ومن هذا قول النابغة الجعدي:

وشاركنا قريشًا في تقاها ... وفي أحسابها شرك العنان
بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان

فيقول الرجل: إني شاركتك في عصمة خاصة يجب لي عليك حق حفظها أو شاركتك في عصمة يتساوى طرفاها من قبلي ومن قبلك فكما تلزمني تقويتها وعدم إتيان ما يوهنها يلزمك=

لُحْمَةٌ[١]. فَقُلْتُ: أَبَلَدِيٌّ أَنْتَ أَمْ عَشِيرِيٌّ[٢]؟ فَقَالَ: مَا يَجْمَعُنَا إِلَّا بَلَدُ الغُرْبَةِ. وَلَا يَنْظِمُنَا إِلَّا رَحِمُ القُرْبَةِ[٣]. فَقُلْتُ: أَيُّ الطَّرِيقِ شَدَّنَا فِي قَرَنٍ[٤]؟ قَالَ: طَرِيقُ اليَمَنِ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ؟ فَقَالَ: أَنَا ذاكَ. فَقُلْتُ: شَدَّ مَا هُزِلْتَ بَعْدِي[٥]. وَحُلْتَ عَنْ عَهْدِي. فَٱنْفُضْ إِلَيَّ جُمْلَةَ حَالِكَ[٦]. وَسَبَبَ اخْتِلَالِكَ. فَقَالَ: نَكَحْتُ خَضْرَاءَ دِمْنَةٍ. وَشَقِيتُ مِنْهَا بِٱبْنَةٍ. فَأَنَا مِنْهَا فِي مِحْنَةٍ[٧]. قَد أَكَلَتْ حَرِيبَتِي. وَأَرَاقَتْ مَاءَ شَبِيبَتِي. فَقُلْتُ: هَلَّا سَرَّحْتَ. وَٱسْتَرَحْتَ[٨].

قال كاتب المقامات: فأشار إشارةً أنكرتها وأنشد أبياتًا حفظتها وما نقلتها.

= مثل ذلك ثم أراد أن يعين تلك الحرمة وهذه العصمة بتعيين منشأها فقال: والمعرفة عند الكرام حرمة. وأراد من هذه **الحرمة** ما يدافع عنه الرجل من حرمه وأهله أي أن الطباع الكريمة تعد المعرفة نوعًا من النسب والقرابة فتعطي ذاك حكم هذا.

(١) **اللحمة**: بالضم القرابة. وهذه الفقرة في معنى ما قبلها.

(٢) **البلدي** نسبة إلى البلد. أي يجمعني معك بلد واحد. **والعشيري** نسبة إلى العشير وهو القبيلة أي تتصل بي في جامعة القبيلة فأنت من قوم أنا منهم. وقد يراد من العشير الصديق. والنسبة نسبة الفرد إلى الجنس أي أنا وأنت من العشراء. فقال: إذا جمعتنا نسبة إلى بلد الغربة أي كنا غريبين معًا وكل غريب للغريب نسيب.

(٣) **القربة**: القرب في المكان والمنزلة هو ثابت لمن ضمتهما الغربة في طريق واحد. وقد ألحق النسبة بين المتقاربين بالنسبة بين القريبين فسماها رحمًا.

(٤) **القرن**: حبل يجمع به البعيران استعاره لنسبة القربة ورشحه بالشد أي طريق قرن بيننا باجتماعنا فيه. والطريق يذكر كما يؤنث وإن كان الثاني فيه أشهر.

(٥) **شد ما هزلت**: أي ما أشد هزالك بعد ما فارقتك. **والهزال**: الضمور والنحول بعد السمن. وما أشد تحولك عن العهد الذي كان لي فيك فقد كنت أعهدك عهدًا حسنًا أي أنك تغيرت في الحالة التي كانت تخيلها ذاكرتي.

(٦) **انفض إلي**: ألق إلي أحوالك بجملتها ولا تخف عني شيئًا.

(٧) **الدمنة**: المزبلة وخضراؤها ما ينبت عليها من العشب وهو مثل في حسن الظاهر وقبح الباطن. وأصابه الشقاء بابنة ولدت له من هذه المرأة السيئة الأخلاق فهي تمنعه عن فراقها. **والمحنة**: البلاء والشدة.

(٨) **الحريبة**: المال الذي يعاش به. وإراقتها لماء شبيبته قد يكون لسوء معاملتها. وقوله: **هلا سرحت** أي طلقتها واسترحت من عشرتها السيئة.

المقَامَةُ الحُلوَانيّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَام قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ. وَنَزَلْتُ حُلْوَانَ(١) مَعَ مَنْ نَزَلَ. قِلْتُ لِغُلَامِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلًا. وَقَد ٱتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلًا. فَٱخْتَرْ لَنَا حَمَّامًا نَدْخُلُهُ. وَحَجَّامًا نَسْتَعْمِلُهُ. وَلْيَكُنِ الحَمَّامُ وَاسِعَ الرُّقْعَةِ. نَظِيفَ البُقْعَةِ(٢). طَيِّبَ الهَوَاءِ. مُعْتَدِلَ المَاءِ. وَلْيَكُنِ الحَجَّامُ خَفِيفَ اليَدِ حَدِيدَ المُوسَى نَظِيفَ الثِّيَابِ قَلِيلَ الفُضُولِ(٣). فَخَرَجَ مَلِيًّا. وَعَادَ بَطِيًّا(٤). وَقَالَ: قَدِ ٱخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتَ. فَأَخَذْنَا إلى الحَمَّامِ السَّمْتَ(٥). وَأَتَيْنَاهُ فَلَمْ نَرَ قِوَامَهُ(٦). لكِنِّي دَخَلْتُهُ

---

(١) **قفل من الحج**: رجع. **وحلوان**: مدينة من مدن العراق في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.

(٢) أراد من **الرقعة** هنا الأرض التي يحيط بها بناء الحمام يريد واسع المساحة غير ضيق يضيق به الصدر. وأصل الرقعة القطعة من القرطاس ونحوه التي تكتب أو ما يرقع به الثوب ثم استعملت في القطعة من الشيء تمتاز عما اتصل بها منه. والبقعة إن كانت بضم الباء فهي تجري مجرى الرقعة في المعنى فإنها القطعة من الأرض على غير هيئة التي إلى جنبها. فكأنه قال: واسع البقعة أو الرقعة نظيفها. وإن كانت بالفتح فهي مكان الماء منه وأصلها المكان يستنقع فيه الماء أطلقها على مستودع الماء مطلقًا.

(٣) أراد فضول الكلام أي قليل الكلام فيما لا يفيد.

(٤) **خرج مليًا**: أي ذهب وتغيب ساعة من نهار. **والملي**: الساعة الطويلة. وقوله: عاد بطيًا كالتفسير أو التأكيد له.

(٥) **السمت**: الطريق والمحجة. أي سلكنا الطريق إلى الحمام. ويروى: فأخذنا السمت وتوجهنا إلى الحمام ودخلناه فلم أر قوامه الخ.

(٦) أراد من **القوام** طول البنيان أي أنه لصغره لم يكد يراه مع أنه قد كان أوصى الخادم أن يتخير الحمام واسعًا. وقد يروى: قوّامه بتشديد الواو أي القائم على أمر إصلاحه وتلقي الداخلين فيه ويؤيدها الرواية الثانية وهي: دخلناه فلم أر قوامه.

وَدَخَلَ عَلَى أَثَرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إلى قِطْعَةِ طِينٍ فَلَطَّخَ بِهَا جَبِينِي وَوَضَعَهَا على رَأْسِي. ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ آخَرُ فَجَعَلَ يَدْلِكُنِي دَلْكًا يَكُدُّ العِظَامَ(١). وَيَغْمِزُنِي غَمْزًا يَهُدُّ الأَوْصَالَ(٢). وَيُصَفِّرُ صَفِيرًا يَرُشُّ البُزَاقَ. ثُمَّ عَمَدَ إلى رَأْسِي يَغْسِلُهُ. وَإِلى المَاءِ يُرْسِلُهُ. وَمَا لَبِثَ أن دَخَلَ الأَوَّلُ فَحَيَّا أَخْدَعَ الثَّانِي بِمَضْمُومَةٍ قَعْقَعَتْ أَنْيَابَهُ(٣). وَقَالَ: يَا لُكَعُ مَا لَكَ وَلِهذَا الرَّأْسِ وَهُوَ لِي. ثُمَّ عَطَفَ الثَّانِي عَلَى الأَوَّلِ بِمَجْمُوعَةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ(٤) وَقَالَ: بَل هذَا الرَّأْسُ حَقِّي وَمِلْكِي وَفِي يَدِي. ثُمَّ تَلاكَمَا حَتَّى عَيِيَا. وَتَحَاكَمَا لِمَا بَقِيَا(٥). فَأَتَيَا صَاحِبَ الحَمَّامِ. فَقَالَ الأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هذَا الرَّأْسِ. لِأَنِّي لَطَّخْتُ جَبِينَهُ. وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ. وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ أَنَا مَالِكُهُ لِأَنِّي دَلَكْتُ حَامِلَهُ(٦). وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ. فَقَالَ الحَمَّامِيُّ: ائْتُونِي بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلُه. أَلَكَ هذَا الرَّأْسُ أَمْ لَهُ. فَأَتَيَانِي وَقَالَا: لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ(٧). فَقُمْتُ وَأَتَيْتُ. شِئْتُ أَمْ أَبَيْتُ. فَقَالَ الحَمَّامِيُّ: يَا رَجُلُ لَا تَقُلْ غَيْرَ الصِّدْقِ. وَلَا تَشْهَدْ بِغَيْرِ الحَقِّ. وَقُلْ لِي هذَا الرَّأْسُ لِأَيِّهِمَا؟ فَقُلْتُ: يَا عَافَاكَ الله هذَا رَأْسِي قَدْ صَحِبَنِي فِي الطَّرِيقِ. وَطَافَ مَعِي بِالبَيْتِ العَتِيقِ(٨). وَمَا شَكَكْتُ أَنَّهُ لِي. فَقَالَ لِي:

---

(١) **يكد العظام**: ينزعها من اللحم لشدته أو أراد يتعبها ويؤلمها.

(٢) **الأوصال**: الأعضاء أو المفاصل. **ويهدها**: يكسرها ويضعضعها.

(٣) **الأخدع**: عرق في العنق موضع الحجامة منه وهو شعبة من الوريد. **والمضمومة يده**: مقبوضة الأصابع وحيًّا الأخدع بالمضمومة ابتدأه بالضرب بها قبل الكلام كما يبتدىء المقبل عليك بالتحية قبل الكلام. والتعبير من باب التهكم. أي ضربه بجمع كفه في عنقه فصك بعض أنيابه ببعض فسمع لها صوت القعقعة.

(٤) **المجموعة** يده أيضًا على هيئة المضمومة. والقوة حجاب بين صاحبها وبين الناس فإذا ضعف فقد انهتك ذلك الحجاب. فهتك المجموعة حجابه تصوير لإضعافها إياه وبلوغها منه.

(٥) **عييا**: تعبا لشدة ما تلاكما وكثرته كان في الظن أن يموت كل منهما غير أنهما لما بقيا بحكم الأجل المحتوم ولم يموتا لذلك التلاكم تحاكما عند من يرونه أهلاً للحكم بينهما وهو صاحب الحمام. ويروى: لقيا بدل بقيا وهي أظهر لا تحتاج إلى التأويل الذي أشرنا إليه.

(٦) **حامل الرأس** وهو عيسى بن هشام. ويروى: لأني دالكه دلكت كاهله. **والكاهل**: أعلى الظهر. والتي رويناها أجود.

(٧) تجشم الأمر تكلفه على مشقة.

(٨) **البيت العتيق**: الكعبة المشرفة.

ٱسْكُتْ يَا فُضُولِيُّ. ثُمَّ مَالَ إلى أحَدِ الخَصْمَيْنِ[١] فَقَالَ: يَا هذَا إلى كَمْ هذِهِ المُنَافَسَةُ مَعَ النَّاسِ. بِهذَا الرَّأْسِ. تَسَلَّ عَن قَلِيلِ خَطَرِهِ. إلى لَعْنَةِ اللهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ[٢]. وَهَبْ أنَّ هذا الرَّأسَ لَيْسَ[٣]. وَأنَّا لَم نَرَ هذَا التَّيْسَ. قَالَ عِيسَى بنُ هِشَام: فَقُمْتُ مِن ذلِكَ المَكَانِ خَجِلًا. وَلَبِسْتُ الثِّيَابَ وَجِلًا[٤]. وَٱنْسَلَلْتُ مِنَ الحَمَّامِ عَجِلًا. وَسَبَبْتُ الغُلَامَ بِالعَضِّ وَالمَصِّ. وَدَقَقْتُهُ دَقَّ الجِصِّ[٥]. وَقُلْتُ لِآخَرَ: ٱذْهَبْ فَأْتِنِي بِحَجَّامٍ يَحُطُّ عَنِّي هذا الثِّقْلَ فَجَاءَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ البِنْيَةِ مَلِيحِ الحِلْيَةِ فِي صُورَةِ الدُّمْيَةِ[٦]. فَٱرْتَحْتُ إلَيْهِ. وَدَخَلَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَمِن أيِّ بَلَدٍ أنتَ؟ فَقُلْتُ: مَن قُمَّ[٧]. فَقَالَ: حَيَّاك اللهُ مِنْ أرْضِ النِّعْمَةِ وَالرَّفَاهَةِ. وَبَلَدِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ[٨]. وَلَقَدْ حَضَرْتُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ جَامِعَهَا وَقَدْ أُشْعِلَتْ فِيهِ المَصَابِيحُ.

---

(١) يروى: القيمين بدل الخصمين وكل منهما قيم في الحمام يقوم على داخليه يدلكهم وينظفهم ويؤديهم ما يحتاجون إليه في غرضهم من الحمام. ثم يروى بدل المنافسة المناقشة.

(٢) **الخطر** هنا القدر والمنزلة. أي تسل عن قدر هذا الرأس الحقير. أو أراد من الخطر جعل السابق في السباق على نوع من الإطلاق فأراد الجعل مطلقًا. وقوله: إلى لعنة الله إما أن يتعلق بتسل أي إن لم يكن لك بعد التسلية عنه إلا الذهاب إلى لعنة الله وحر نار **سقر** وهي جهنم فعليك أن تفعل أي تسل عنه ولو بالنار وعذابها وهو نهاية التشنيع والتبشيع للمنافسة فيه. وإما إن يتعلق **بمنوي** صفة للخطر أو حالاً منه أي قليل خطره الذاهب إلى لعنة الله أو ذاهبًا إلى لعنة الله.

(٣) **هبه**: اجعله وافرضه ليس أي عدمًا لأن ليس لما كانت لا تستعمل إلا للنفي جعلوها اسمًا له في اصطلاح بعض التعبير خصوصًا المتكلمين فإنهم يقولون الليس والأيس للعدم والوجود.

(٤) **وجلاً**: خائفًا.

(٥) **سب الغلام**: شتمه. **والعض** بأن يقول له: يا عاض كذا من أبيه. **والماص** بأن يقول له: يا ماص كذا من أمه. ومعنى العض والمص في حرفه معروف. **والجص**: هو الحجر الأبيض الذي يطبخ فيبنى به أي أنه ضرب الغلام ضربًا شديدًا كما يدق الجص لتكسيره واستعماله.

(٦) **البنية** هنا الجسم وإنما كان جسم الإنسان والحيوان والنبات بنية لأنه أشبه ببناء لتركبه من مواد متخالفة وأعضاء متغايرة بضم بعضها إلى بعض على نسب خاصة أخذت طبيعة غير طبيعة المواد وصورة غير صورتها. **والحلية**: الهيئة والصورة. والدمية: الصورة (التمثال) من العاج أو الرخام يضرب بها المثل في الحسن لأن مصورها وناقشها يفرغ وسعه في إبداعها أحسن ما يتصوره من لوازم الحسن ومتمماته إظهارًا للبراعة في فنه.

(٧) **قم**: بضم القاف بلدة من بلاد إيران.

(٨) **الجماعة**: جماعة المؤمنين وجمهورهم وهو لفظ يعطف على السنة في تعيين الطائفة التي تقابل=

وَأُقِيمَتِ التَّرَاوِيحُ. فَمَا شَعَرْنَا إلَّا بِمَدِّ النِّيلِ[١]. وَقَدْ أَتَى عَلَى تِلْكَ القَنَادِيلِ. لكِنْ صَنَعَ اللهُ لِي بِخُفٍّ قَد كُنْتُ لَبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَمْ يَحْصُلْ طِرَازُهُ عَلَى كُمِّهِ[٢]. وَعَادَ الصَّبِيُّ إلى أُمِّهِ. بَعْدَ أن صَلَّيْتُ العَتَمَةَ[٣] وَاعْتَدَلَ الظِّلُّ وَلكِنْ كَيْفَ كَانَ حَجُّكَ هَلْ قَضَيْتَ مَنَاسِكَهُ[٤] كَمَا وَجَبَ؟ وَصَاحُوا: العَجَبَ العَجَبَ. فَنَظَرْتُ إلى المَنَارَةِ. وَمَا أَهْوَنَ الحَرْبَ عَلَى النَّظَّارَةِ[٥]. وَوَجَدْتُ الهَرِيسَةَ عَلَى حَالِهَا[٦]. وَعَلِمْتُ أَنَّ الأَمْرَ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ. وَإلى مَتَى هذَا الضَّجَرُ. وَاليَوْمُ وَغَدٌ. وَالسَّبْتُ وَالأَحَدُ. وَلَا أُطِيلُ. وَمَا هذا القَالُ وَالقِيلُ. وَلكِنْ أَحْبَبْتُ أن تَعْلَمَ أَنَّ المُبَرِّدَ فِي النَّحْوِ حَدِيدُ المُوسَى[٧]. فَلَا تَشْتَغِلْ بِقَوْلِ العَامَّةِ. فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِطَاعَةُ قَبْلَ الفِعْلِ[٨] لَكُنْتُ قَد حَلَقْتُ رَأْسَكَ. فَهَلْ تَرَى أن تَبْتَدِىءَ؟ قالَ عِيسَى بنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ مُتَحَيِّرًا مِن بَيَانِهِ. فِي هَذَيَانِه. وَخَشِيتُ أن يَطُولَ مَجْلِسُهُ فَقُلْتُ: إلى غَدٍ إن شاءَ اللهُ. وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَن حَضَرَ فَقَالُوا: هذَا رَجُلٌ مِن بِلَادِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ لَم يُوَافِقْهُ هذا المَاءُ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السَّوْدَاءُ. وَهُوَ طُولَ النَّهَارِ يَهْذِي كَمَا تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ[٩]. فَقُلْتُ: قَد

= المعتزلة والفلاسفة والشيعة من المسلمين فيقال أهل السنة والجماعة.

(١) **النيل**: نيل مصر وأين مصر من **قم** وهذا شروع من الحجام في ضروب من الهذيان يأتي فيها بما لا يتشاكل ويؤلف بين ما لا يتقارب.

(٢) **الطراز**: علم الثوب. **والخف**: لا طراز له ولا كم.

(٣) **العتمة**: صلاة العشاء. أين العشاء من اعتدال الظل وهو وسط النهار. ويروى: واعتدل الظل على الرتمة. **والرتمة**: الواحدة من الرتم ضرب من النبات.

(٤) **مناسك الحج**: ما طلب الشرع من فروضه وواجباته وسننه وآدابه.

(٥) **النظارة**: القوم يركبون شرفًا من الأرض ينظرون منه القتال ولا يدخلون فيه فحظهم منه حظ المتفرج في روضة أو بستان. وما أهون الحرب على مثل هؤلاء النظار.

(٦) **الهريسة**: طعام يطبخ من حب مدقوق ولحم.

(٧) **المبرد**: أحد علماء العربية المشهورين صاحب الكامل. **والموسى**: آلة الحجام والحلاق.

(٨) مسألة كلامية هل الاستطاعة بمعنى القدرة على الفعل أمر ثابت في المستطيع قبل الفعل تعلقت به إرادته أصدره باستطاعته أو أن الاستطاعة بمعنى القدرة أمر يقارن الفعل يخلقه الله معه ولا يسبقه؟ خلاف بين الأشاعرة وغيرهم جاء هذا المعتوه بطرف منه.

(٩) جعل شخصه فيما يظهر من هذيانه بمنزلة حجاب بينه وبين فضله وغزارة علمه لهذا قال إن وراء هذا الذي تراه منه فضلًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا.

سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ عَلَيَّ جُنُونُهُ. وَأَنْشَأتُ أَقُولُ:

أَنَـــا أُعْـــطِـــي اللهَ عَـــهْـــدَا مُـحْـكَـمًـا فِـي الـنَّـذْرِ عَـقْـدَا
لَا حَـلَقْـتُ الـرَّأْسَ مَـا عِـشْـــ ـتُ وَلَوْ لَاقَـــيْـــتُ جَـــهْـــدَا

المقَامَةُ النّهِيديَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: مِلْتُ مَعَ نَفَرٍ مِن أصْحَابِي إلى فِنَاء خَيْمَةٍ ألْتَمِسُ القِرَى[(١)] مِنْ أهْلِهَا فَخَرَجَ إلَيْنَا رَجُلٌ حُزُقَّةٌ[(٢)] فَقَالَ: مَنْ أنتم؟ فَقُلْنَا: أضْيَافٌ لَمْ يَذُوقُوا مُنذُ ثَلَاثٍ عَدُوفًا[(٣)] (قَالَ) فَتَنَحْنَحَ ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي نَهِيدَةٍ فِرْقٍ كَهَامَةِ الأصْلَعِ[(٤)] في جَفْنَةٍ رَوْحَاءَ[(٥)] مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أكْتَارِ جَبَّارٍ رَبُوضٍ[(٦)] الْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَمْلأُ الفَمَ مِنْ جَمَاعَةٍ خُمْصٍ عُطْشٍ خِمْسٍ يَغِيبُ فِيهَا

---

(١) **الفناء**: الساحة قدام البيت أو ما امتد من جوانبه. **والقرى**: ما يصنع للضيف من طعام.

(٢) **الحزقة**: بضمتين أو بفتح فضم ثم قاف مشددة القصير أو العظيم البطن القصير إذا مشى أدار أليتيه.

(٣) **العدوف**: بالدال المهملة والمعجمة الذواق يقال: ما ذقنا عدوفًا أو عدوفة أي شيئًا من طعام. وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء وهو غلط ظاهر.

(٤) **النهيدة**: الزبدة الضخمة. **والفرق**: بالكسر القطيع من الغنم العظيم. يريد زبدة غنم وليست من شاة واحدة بل من شياه كثيرة فهي لذلك أضخم ما يكون من الزبد. وتشبيهها بهامة الأصلع في النقاء لأن الأصلع ليس في مقدم رأسه شعر أو في الضخامة أو فيهما.

(٥) **الجفنة**: القصعة. والروحاء: القريبة القعر أو الواسعة. وفي العادة أن الجفان الواسعة قريبة القعر.

(٦) **خيبر**: قرية مشهورة بجوار المدينة المنورة أخذها الإسلام من أيدي اليهود وهي مشهورة بالنخيل. **والعجوة** أجود تمر بالمدينة. **والجبار**: بالتشديد النخلة الطويلة الفتية. **والأكتار**: بالتاء الفوقية المثناة جمع كتر بالكسر أو بالتحريك وهو السنام المرتفع شبه به **كباسة النخلة** أي عذقها وهو ما كان منها بمنزلة العنقود من العنب المعروف عند عامة مصر **بالسباطة** وللنخلة عدة أعذاق وكباسات وهي في ضخامتها والتئام عساليجها تشبه السنام في نظر الناظر وقوله: **ربوض** أي عظيمة واسعة الأقطار من صفة النخلة أي أن هذه العجوة مأخوذة من أعذاق نخلة طويلة فتية ضخمة ونخلتها إذا كانت كذلك كانت هي بالغة في الجودة لأن جودة الثمر تظهر في الثمرة. =

الضِّرْسُ كَأَنَّ نَوَاهَا أَلْسُنُ الطَّيْرِ(١) يَجْحَفُونَ فِيهَ النَّهِيدَةَ مَعَ أَقْعُبٍ قَدِ ٱحْتُلِبْنَ مِنَ الجِلَادِ الهَرْمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ(٢) أَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ فَقُلْنَا: إِي وَاللهِ نَشْتَهِيهَا. فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وَقَالَ: وَعَمُّكُمْ أَيضًا يَشْتَهِيهَا. ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي دَرْمَكٍ كَأَنَّهَا قِطَعُ السَّبَائِك تُجَرْثِمُ على سُفْرَةٍ حَرْتِيَّةٍ بِهَا رِيحُ القَرَظِ(٣) فَيَثِبُ إِلَيْهَا مِنْكُمْ فَتًى رَفِيفٌ لَبِقٌ

= ويروى: أكبار جبار بالباء الموحدة ولا صحة لها. ويروى: أبكار وهو معروف المعنى. وتكليل الجفنة بالعجوة جعل العجوة محيطة بجوانبها.

(١) **الواحدة منها**: أي من العجوة لأن العجوة اسم للتمر كما ذكرنا تصدق على القليل والكثير فالتمرة الواحدة من هذا التمر تملأ الفم. وقوله: «من جماعة» متصل بالفم أي تملأ فمًا لجماعة تذكر أوصافهم. **والخمص**: الجياع، خمص البطن خلا من الطعام. غير أن هذا الجمع لا أعرفه لكن أثق بالمصنف في تعبيره. **والعطش**: إن لفظناه صيغة جمع كان مما لا نعرفه وإن لفظناه بفتح فكسر أو فتح فضم فهو مفرد غير أنه يكون جاريًا على الجماعة بتأويلها جمعًا فلهذا ذكر وهو المصاب بالعطش. **والخمس**: بالكسر من أظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام غير اليوم الذي شربت فيه وترد الرابع. ووصف القوم بالخمس وإن كان الخمس حالاً من أحوالهم على التجوز مبالغة في تثبيت هذه الحال لهم فهؤلاء الجماعة عهدهم بالطعام والشراب هذا العدد من الأيام. ويمكن أن يكون عطش مضافًا إلى خمس فلا يكون الخمس وصف القوم بل هو على معناه في المشهور. ويروى «**حمش**» بدل خمس وهو جمع أحمش بمعنى الدقيق يكنى به عن الهزال والضعف من شدة الجوع والعطش. وقوله: «يغيب فيها الضرس» وصف آخر للواحدة منها يبين به جودة التمر وامتلاءه. ثم زاد ذلك كشفًا ببيان صغر النواة في قوله: كأن نواها ألسن الطير جمع لسان. وألسن الطير صغيرة رقيقة.

(٢) **يجحفون** فيها: أي يغرفون النهيدة في تلك الجفنة ويروى «بها» بدل فيها. **والأقعب**: جمع قعب بالفتح وهو القدح الضخم يحتلب فيه اللبن. **والجلاد** من الإبل: الغزيرات اللبن. **والهرمية**: نسبة إلى الهرم بالفتح وهو نبات تأكله الإبل فتبيض منه عثانينها. **والربلية** نسبة إلى الربل بالفتح أيضًا وهو شجر يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر كما قالوا. ونسبة الإبل إلى مرعاها لجودته، فينتقل السامع منه إلى طيب حليبها ولذته لما بين ذلك من التلازم عادة.

(٣) **الدرمك**: الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق وأنث الضمير باعتبار أنها مادة لطعمه. ويروى «كأنه» كما يروى «إليه» في قوله: يثب إليها. **والسبائك**: جمع سبيكة وهي هنا مذاب الفضة يفرغ في قالب صوغه والتشبيه في شدة البياض. **تجرثم**: بالجيم مبني للفاعل أي تجتمع. **والسفرة**: ما يوضع تحت الخوان من جلد ونحوه وأراد هنا التي من الجلد خاصة. **وحرتية**: بحاء وراء وتاء نسبة إلى الحرت وهو **الدلك** وقطع الشيء مستديرًا أراد بها التي اعتني بدبغها وصنعها. وفي العادة أن مثلها لا يكون إلا عند أهل النعيم ممن يواظب على نظافته. ويروى: جرشية بدل حرتية نسبة إلى الجرش مصدر **جرشه** دلكه ليتلمس. **والقرظ** ثمر السنط يدبغ به الجلد وريحه مألوفة للشم والمدبوغ به إذا ظهر ريح القرظ فيه فقد زالت رائحة الجلد منه بالمرة.

خفِيفٌ[١] فَيَعْجُنُهُ مِن غَيْرِ أن يَرْجُفَهُ أو يَخْشِفَهُ فَيُزِيلُهُ دُونَ مَلْكٍ نَاعِمٍ ثُمَّ يَلُتُّهُ بالسَّمَارِ أوِ المَذْقِ لَتًّا غَزِيرًا ثُمَّ يَعْمُدُ إلَيهِ فَيَلْوِيهِ وَيَدَعُهُ فِي نَاحِيَةِ الصَّيْدَاءِ[٢] حَتَّى إذَا تَخَّ مِن غَيْرِ أن يَتْرُزَ عَمَدَ إلى قَصدِ الغَضَا فَأَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ[٣] فَلَمَّا خَبَتْ نَارُهُ مَهَّدَ لِقُرْمُوصِهِ ثُمَّ عَمَد إلى عَجِينِهِ فَفَرْطَحَهُ بَعْدَ مَا أنْعَمَ تَلْوِيَتَهُ ثُمَّ دَحَا بِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ[٤] فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحَالَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّضْفِ مَا يَلْتَقِي بِهِ الأَوَارَانِ حَتَّى إذَا غَطَّاهُمَا على المَلَّةِ المُشَاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شِقَاقًا[٥]. وَحَكَى قِشْرُهَا رِقَاقًا.

(١) **اللبق**: الحاذق الظريف. **والرفيف**: الحسن الأخلاق.

(٢) **يرجفه** من رجفه إذا حركه تحريكًا شديدًا. **ويخشفه**: بالفاء بعد الشين من خشف رأسه الحجر إذا فضخه. وإذا حرك الدقيق بشدة وشج بصب الماء الغزير فيه دفعة واحدة تلبد ولم يحسن عجنه وبقيت كرات من الدقيق ملتفة بما أصابه من ظاهرها. ويروى: يخشنه بالنون بدل الفاء وليس بجيد هنا. فلو عجنه بالرجف والخشف لأزاله أي نحاه عنه بدون ملك ناعم. **والملك** مستعمل في السنة العامة بمصر في هذا المعنى وهو إنعام العجم بدلك العجين وعركه بين الأيدي ولهذا جعل يزيله دون ملك مرتبًا على الرجف والخشف. **ولته بشيء**: خلطه به وضربه. **والسمار**: اللبن المخلوط بالماء وهو حليب. **والمذق**: اللبن المخلوط بالماء وهو مخيض. ثم يروى: **يلوثه** بدل يلويه وهو من لاث اللقمة مرغها في الإهالة. **والإهالة**: الشحم أو الزيت أو كل ما ائتدم به. **والصيداء**: الأرض الغليظة أو الحجارة التي تعمل منها القدور. والمراد أن تكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع نظافة الهواء.

(٣) **تخ**: بالتاء المثناة والفوقية والخاء المعجمة ظهرت فيه الحموضة. **ويترز** بياء تحتية وراء وزاي أي ييبس ويغلظ ويشتد. ويروى «نخ من غير أن يبرزه» ولا معنى لها. **وقصد الغضا** (بالتحريك) أغصانه الناعمة. **والغضا**: شجر عظيم خشبه من أصلب الخشب وجمره بطيء الخمود ويضرب المثل بناره وجمره في شدة التلهب ودوامه.

(٤) **خبت** النار: سكنت. **والقرموص**: بضم القاف موضع خبز الملة. **والملة**: الرماد الحار. **ومهد له**: وطأ في النار موضعًا يكون قرموصًا يخبز فيه ذلك العجين. **وفرطحه**: عرضه فهو يلويه أولاً فيكون على هيئة القوس أو الدائرة ثم يعرضه كما يعمل في بعض أصناف الكعك. ويروى: تلويثه بالثاء المثلثة بدل المثناة مأخوذًا مما قدمنا فيتحول المعنى إلى ما يناسبه وهو ظاهر. **ودحوه**: بسطه. والضمير في «عليها» للنار. وقوله: ثم **خمره**: أي غطاه.

(٥) **قف**: جف ويبس **وقب** كذلك أو هو بمعنى ارتفع. **والرضف**: الحجارة المحماة. **والأواران**: تثنية أوار وهو اللهب وهما هنا أوار الرمضاء الأولى وأوار الرضف الذي أتى فوق العجين بعد جفافه. **والملة**: الرماد الحار. **والمشاكهة**: المشابهة بعضها بعضًا في الحرارة. وقوله: «بطبق» متعلق بغطاهما. **والطبق**: الغطاء من كل شيء. **وتفلج** الضمير فيه يعود إلى العجين الذي أحال عليه الرضف. **والتفلج**: التشقق. ويروى: تطبق وتفلح بصيغة الفعل فيهما وبالحاء في تفلح.

وَٱحْمِرَارُهَا ٱحْمِرَارَ بُسْرِ الحِجَازِ المَشْهُورِ بِأُمِّ الجِرْذَانِ أو عِذْقِ ابْنِ طَابٍ[١] شُنَّ عَلَيْهَا ضَرَبٌ بَيْضَاءُ كَالثَّلْجِ[٢] إلى أَوَانِ رُسُوخِهَا في خِلَالِ الدِّهَانِ[٣] وَيَشْرَبُ لُبَّ الدَّرْمَكِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الضَّرْبِ قُدِّمَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلَقَّمُونَهَا لَقْمَ جُوَيْنٍ أو زَنْكَلٍ[٤] أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ (قَالَ) فَٱشْرَأَبَّ كُلٌّ مِنَّا إلى وَصْفِهِ وَتَحَلَّبَ رِيقُهُ وَتَلَمَّظَ وَتَمَطَّقَ[٥] قُلْنَا: إي وَاللهِ نَشْتَهِيهَا. قَالَ: فَقَهْقَهَ الشَّيْخُ وَقَالَ: وَعَمُّكُمْ وَاللهِ لَا يُبْغِضُهَا ثُمَّ قَالَ: مَا رَأْيُكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي عَنَاقٍ نَجْدِيَّةٍ. عُلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ قَدْ أَكَلَتِ البَرَمَ وَالشِّيحَ النَّجْدِيَّ وَالقَيْصُومَ وَالهَشِيمَ. وَتَبَرَّضتِ الحَمِيمَ. وَتَمَلَّأَتْ مِنَ القَصِيصِ[٦]

---

(١) **البسر**: التمر قبل إرطابه. **وأم الجرذان**: بكسر الجيم نوع من التمر مشهور. **وعذق ابن طاب**: نخل بالمدينة مشهور أيضًا.

(٢) **شن عليها**: أي صُبّ. **والضرب**: بالتحريك العسل. **والبيضاء**: صفة له على أنه مجاجة نحل وهو بهذا استحق أن يذكر تارة ويؤنث أخرى كما هو مذكور في كتب اللغة.

(٣) أي وتمهل إلى أن ترسخ وتثبت في خلال **الدهان** وهو الأديم الأحمر يريد به ما احمر من قشر تلك الشقاق وهو قشرة الدرمك. ثم بعد أن يرسخ الضرب في قشرة الدرمك ينفذ إلى لبه فيتشرّبه اللب ويروى: تشرب بصيغة المصدر معطوفًا على رسوخها.

(٤) **جوين وزنكل**: رجلان أكولان.

(٥) **اشرأب**: مد عنقه تطلعًا. واشرأب إلى الوصف أي إلى تحصيل الموصوف. **وتحلب ريقه**: سال. **وتلمظ**: أخرج لسانه فمسح به شفتيه لسيلان ريقه. **وتمطق**: أي ضرب بلسانه في أعلى حنكه وأسفله حتى سمع لذلك صوت كما يسمع لشديد الأكل وذلك يكون إذا اشتدت الشهوة إلى الطعام وملكت إرادة أهلها.

(٦) العناق: الأنثى من أولاد المعز قبل استكمالها الحول. **نجدية**: نسبة إلى نجد القسم المشهور من بلاد العرب. **وعلوية**: بضم العين نسبة إلى العالية وهي أرض ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة خصص مرعاها من بلاد نجد. **وبرية**: نسبة إلى البر. أي ليست مما يربى في البيوت. والبري من الضأن والمعز أزكى لحمًا. **والبرم**: بالتحريك ثمر العضاه أو الأراك. **والشيح**: معروف. ومن فصيلته ما يسمى بالقصعين في جبال لبنان. **والقيصوم**: نبات طيب الرائحة له ورق كورق السذاب وثمر كحب الآس. **والهشيم**: ما تكسر من يابس النبت. **وتبرضت وتبرشفت** الماء الحميم بالحاء المهملة أي البارد ويطلق الحميم على الحار أيضًا فهو من المستعمل في الضدين. ويروى: **الجميم** بالجيم وهو النبت إذا طال بعض الطول وهو فوق البارض ويلي الجميم البسرة ثم الصمعاء ثم الحشيش وكلها مراتب طول النبت أولها البارض وآخرها الحشيش. **وتبرضت** على هذا المعنى تناولت منه الشيء. **والقصيص**: نبت ينبت في أصول الكمأة وربما أخذوا له ماء يغسل به الرأس.

فَوَرَى مُخُّهَا[١] وَزَهِمَتْ كُشْيَتُهَا[٢] تُشْحَطُ مُعْتَبَطَةً[٣] ثُمَّ تُنْكَسُ في وَطِيسٍ حَتَّى تَنْضَجَ مِن غَيْرِ ٱمْتِحَاشٍ أو إنْهَاءٍ[٤] ثُمَّ تُقَدَّمُ إلَيْكُمْ وَقَدْ عُطَّ إهَابُهَا عن شَحْمَةٍ بَيْضَاءَ[٥] على خُوَانٍ مُنَضَّدٍ بِصَلَائِقَ كَأَنَّهَا القَبَاطِيُّ المُنَشَّرُ. أوِ القُوهِيُّ المُمَصَّرُ[٦]. قَدِ ٱحْتَفَّتْهَا نُقْرَاتٌ فِيهَا صِنَابٌ وَأَصْبَاغٌ شَتَّى[٧] فَتُوضَعُ بَيْنَكُمْ تَهَادَرُ عَرَقًا. وَتَسَايَلُ[٨] مَرَقًا. أَفَتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ قُلْنَا: إي وَاللهِ نَشْتَهِيهَا. قَالَ: وَعَمُّكُمْ وَاللهِ يَرْقُصُ لَهَا. فَوَثَبَ بَعْضُنَا إلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ: مَا يَكْفِي مَا بِنَا مِنَ الدَّقَعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنَا[٩]. فَأَتَتْنَا

---

(١) **ورى** مخها يري وريًا كثر. ويقال: **ورت الإبل**: سمنت **وورى اللحم**: يري وريًا اكتنز.

(٢) **زهمت**: كفرحت أي دسمت. **والكشية**: بالضم شحمة بطن الضب أطلقها على شحمة البطن مطلقًا. **والزهم**: السمين الكثير الشحم.

(٣) **تشحط**: أي تذبح. **ومعتبطة**: مبني للمجهول من اعتبط الذبيحة كعبطها أي نحرها من غير علة.

(٤) الوطيس: التنور أو حفيرة يخبز فيها ويشتوى. **والامتحاش**: بالحاء المهملة الاحتراق. **والإنهاء**: الإبلاغ إلى الغاية من النضج حتى تذهب مادة التغذية من اللحم وتفقد اللذة منه.

(٥) **عط إهابها**: شق جلدها. وأراد بالشحمة البيضاء جسدها المغشى بالشحم لسمنها.

(٦) **الخوان**: تقدم تفسيره مرارًا وهو ما يوضع عليه الطعام. **ومنضد**: مرصع. **والصلائق**: جمع صليقة وهي الخبز الرقاق **والقباطي**: جمع قبطية وهو ضرب من الثياب البيض الرقاق يصنع في مصر من الكتان. **والمنشر**: المبسوط. والخبز بهذا الوصف يكون نظيفًا شهيًا. **والقوهي**: ثوب ينسب إلى قوهستان لأنه أغلب ما يصنع فيه وهو رقيق أيضًا. **والممصر**: المصبوغ بنوع من الطين أحمر يميل إلى صفرة. يصفه بالرقة والنضج وإذا نضج الخبز ظهر لون الحمرة المائل إلى الصفرة في قشرته.

(٧) **النقرة** هنا يريد منها الإناء الذي يوضع فيه الصناب وسائر الأصباغ وصورها في نظافتها وبهائها في صورة نقرات الفضة أي سبائكها. **والصناب**: صباغ من خردل وزبيب أو زيت. والمراد من الصباغ في كلامهم ما يتخذ من الأطعمة لتحريك النهمة وتقوية الشهوة إلى الطعام مع توفير اللذة في المطعوم كالذي يتخذه الناس الآن من الخردل المعروف بالموتاردة وأنواع السلطات والطورشي.

(٨) لا معنى **للتهادر** هٰهنا إلا التقاطر أي أنها من غزارة ودكها يتقاطر دهنها وهو عرقها. ولكن لا نجد في الكتب التي بأيدينا التهادر بهذا المعنى وليس في الحرف ما يصح فيه التفاعل إلا هدر الدم والتصويت وليس شيء منهما بصحيح هنا إلا على بعد وتكلف في الثاني لا يليق بفصيح الكلام. وتسايل تفاعل من سال يسيل.

(٩) **الدقع** مصدر دقع يدقع دقعًا كفرح يفرح فرحًا أي بلغ الجوع منه حدًا يسوء احتماله وأصله اللصوق **بالدقاع** وهو التراب لشدة حاجته. ويروى «الجوع» بدل الدقع.

ابْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ. وَحُثَالَةٌ وَلَوِيَّةٌ[١]. وَأَكْرَمتْ مَثْوَانَا. فَانْصَرَفْنَا لَهَا حَامِدِينَ. وَلَهُ ذَامِّينَ.

---

(١) **الجلفة**: الكسرة من الخبز اليابس أو ما كان قد لزق بالتنور من الخبز وهو أردأه. **والحثالة**: ثفل الدهن أو الرديء من التمر. **واللوية**: ما خبأته لغيرك من طعام. قال راجزهم:

قلت لذات النقبة النقيه   قومي فغدينا من اللويه

وأراد أنها أتت لهم بشيء آخر أجود مما ذكر كانت قد خبأته لعزيز يأكله أو ضيف يقرونه به.

المقامةُ الإبليسيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: أضْلَلْتُ إبِلًا لِي[(١)] فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهَا فَحَلَلْتُ بِوَادٍ خَضِرٍ[(٢)]. فَإِذَا أنْهَارٌ مُصَرَّدَةٌ وَأشْجَارٌ بَاسِقَةٌ وَأَثْمَارٌ يَانِعَةٌ وَأَزْهَارٌ وَأَنْمَاطٌ مَبْسُوطَةٌ[(٣)] وَإِذَا شَيْخٌ جَالِسٌ. فَرَاعَنِي مِنْهُ مَا يَرُوعُ الوَحِيدَ مِنْ مِثْلِهِ[(٤)]. فَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَمَرَنِي بِالجُلُوسِ فَامْتَثَلْتُ. وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي فَأَخْبَرْتُ. فَقَالَ لِيَ: أَصَبْتَ دَالَّتَكَ. وَوَجَدْتَ ضَالَّتَكَ[(٥)]. فَهَلْ تَرْوِي مِنْ أشْعَارِ العَرَبِ شَيْئًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَأَنْشَدْتُ لامْرِىءِ القَيْسِ وَعُبَيْدٍ وَلَبِيدٍ وَطَرَفَةَ[(٦)] فَلَمْ يَطْرَبْ لِشَيْءٍ مِنْ ذلِكَ وَقَالَ: أُنْشِدُكَ مِن شِعْرِي؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِيهٍ. فَأَنْشَدَ:

بَانَ الخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا ... وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الوَصْلِ أقْرَانَا[(٧)]

---

(١) **أضل إبله**: ضاعت منه ولا يدري أين ذهبت فهو ينشدها ويطلب الاهتداء إليها.

(٢) **الخضر**: الأخضر.

(٣) **الأنهار المصردة**: التي يجري فيها الماء قليلاً قليلاً بقدر يكفي لسقاية البستان لا يزيد على ذلك ويروى: **مطردة** بمعنى جارية وهذه الرواية أجود وأقرب لموافقة ما بعدها. **والباسقة**: العالية. **واليانعة**: التي أدركت وطابت وحان قطافها. **والأنماط**: البسط.

(٤) أفزعه من هذا الجالس هيئته وانفراده في ذلك المكان بدون أحد يلتجىء إليه الوحيد إذا هم به مثل ذلك الشيخ المنفرد وهذه الحالة من شأنها أن تفزع الوحيد من وحيد آخر يلقاه على هذه الهيئة.

(٥) أي وجدت ما يدلك على إبلك. **والضالة**: هي الإبل الضائعة منه.

(٦) **عبيد** بصيغة التصغير هو ابن الأبرص صاحب قصيدة «أقفر من أهله ملحوب» التي ألحقوها بالمعلقات السبع. **ولبيد** هو ابن ربيعة العامري صاحب قصيدة «عفت الديار محلها ومقامها» من المعلقات السبع. **وطرفة** هو ابن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك البكري صاحب قصيدة «لخولة أطلال ببرقة ثهمد».

(٧) **الخليط**: القوم الذين أمره وأمرهم واحد وفيهم معشوقه ومن إليه يشتد شوقه. **وبانوا**: أي فارقوه=

حَتَّى أَتَى على القَصِيدَةِ كُلِّهَا. فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ هذِهِ القَصِيدَةُ لِجَرِيرٍ قَدْ حَفِظَتْهَا الصِّبْيَانُ. وَعَرَفَهَا النِّسْوَانُ. وَوَلَجَتِ الأَخْبِيَةَ وَوَرَدَتِ الأَنْدِيةَ(١). فَقَالَ: دَعْنِي مِن هذَا وَإِنْ كُنْتَ تَرْوِي لِأَبِي نُوَاسٍ شِعْرًا فَأَنْشِدْنِيهِ فَأَنْشَدْتُهُ:

لَا أَنْدُبُ الدَّهْرَ رَبْعًا غَيْرَ مَأْنُوسِ ... وَلَسْتُ أَصْبُو إلى الحَادِينَ بِالعِيسِ(٢)

أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِالهَجْرِ مَنْزِلَةٌ ... وَصْلُ الحَبِيبِ عَلَيْهَا غَيْرُ مَلْبُوسِ(٣)

يَا لَيْلَةً غَبَرَتْ مَا كَانَ أَطْيَبَهَا ... وَالكُوسُ تَعْمَلُ في إِخْوَانِنَا الشُّوسِ(٤)

وَشَادِنٍ نَطَقَتْ بِالسِّحْرِ مُقْلَتُهُ ... مُزَنَّرٍ حِلْفِ تَسْبِيحٍ وَتَقْدِيسِ(٥)

= وانفصلوا عنه. **ولو طوعت**: أي لو تابعتهم وجاريتهم إلى ما يريدون لتبعتهم فكنت معهم ولم يبينوا مني. **والأقران**: جمع قرن وهو الحبل يجمع به البعيران شبه به الصلات التي كانت بينه وبين أهل ذلك الخليط أي قطعوا صلاتهم معه.

(١) الأخبية جمع خباء وهو الخيمة. **وولجتها**: دخلتها. يريد أن هذه القصيدة على نسبتها لجرير لم تدع مكانًا إلا وصلت إليه ولا بيتًا إلا دخلته. **والأندية**: المجالس.

(٢) **ندب الربع**: بكاه وخاطبه خطاب المتفجع وعدد ما كان له من المحاسن وتأسف على ما صار إليه من المناحس. فهو يقول: إن الربع إذا خلا من أهله وأوحش منهم لا أندبه الدهر ولست أصبو ولا أميل إلى الحادين بالعيس الذين يحركون الجمال بما ينشدون أمامها تنشيطًا لها على السير. ويروى «لا أندب الربع قفرًا» وهو يعرض بغيره من الشعراء الذين يخاطبون الديار وينادون الآثار ويتفجعون على وحشة المكان وخلوه من السكان ويشكون آلام الفراق ويذكرون ساعات الوداع ثم يتوسلون بحادي العيس في تبليغ السلام وعرض ما يخيلون من الكلام. وصاحب القصيدة لا يعرف غير الموجود ولا تطمح نفسه لطلب المفقود يغتنم ما حضر ولا يتذكر ما غبر.

(٣) **غير ملبوس**: من قولهم لبس القوم دهرًا إذا تملى بهم أي أن أحق المنازل بالهجر المنزلة التي يتملى فيها بوصل الحبيب ولا يتمتع به فلم يندب تلك المنازل التي أوحشت من أهلها ووصل الحبيب فيها لا ينال.

(٤) ينادي ليلة **غبرت**: أي مضت له في ربعه المقيم فيه كأنها شاعرة بندائه فتجيبه وتعجب من طيبها لبلوغه حدًا وقف الذهن عن معرفة سببه. والكوس: جمع كأس الخمر وإناؤها والجمع كؤوس لكنه خففه للوزن. **والشوس**: جمع أشوس وهو مَن لا ينظر إلى الناس إلا بمؤخر عينيه تكبرًا يريد بهم الشداد الذين لا يقهرون وقد قهرتهم الكأس وقادتهم إلى ما تريد بطبعها منهم.

(٥) **الشادن**: ولد الظبية يريد به الساقي الذي كان يسقيهم الكؤوس تلك الليلة. **ومقلته**: عينه. ونطقها بالسحر مثل في تأثيرها في القلوب وتسخيرها للأهواء حتى لا طاقة لمن رنت إليه بصيانة نفسه مما تقع به وما ذلك بقوة سلطان ولا شوكة سلاح فما هو إلا سحر. **والمزنر**: الذي وضع=

نَـازَعْتُـهُ الـرِّيـقَ وَالـصَّـهْـبَـاءَ صَـافِـيَـةً فِي زِيٍّ قَاضٍ وَنِسْكِ الشَّيْخِ إِبْلِيسِ(١)
لَمَّـا ثَـمِـلْنَـا وَكُـلُّ الـنَّـاسِ قَـدْ ثَـمِـلُوا وَخِفْتُ صَرْعَتَهُ إِيَّايَ بِالْكُوسِ(٢)
غَـطَـطْـتُ مُـسْـتَـنْـعِـسًـا نَـوْمًـا لأُنْـعِـسَـهُ فَاسْتَشْعَرَتْ مُقْلَتَاهُ النَّوْمَ مِن كِيسِي(٣)
وَامْـتَـدَّ فَـوْقَ سَـرِيـرٍ كَـانَ أَرْفَـقَ بِـي عَلَى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرشِ بَلْقِيسِ(٤)
وَزُرْتُ مَـضْـجَـعَـهُ قَـبْـلَ الـصَّـبَـاحِ وَقَـدْ دَلَّتْ عَلَى الصُّبْحِ أَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ
فَـقَـالَ مَـن ذَا فَـقُـلْـتُ الـقَـسُّ زَارَ وَلَا بُـدٌّ لِـدَيْـرِكَ مِـنْ تَـشْـمِـيسِ قِـسِّـيـسِ
فَـقَـالَ بِـئْـسَ لَـعَـمْـرِي أَنْـتَ مِـنْ رَجُـلٍ فَقُلْتُ كَلَّا فَإِنِّي لَسْتُ بِالْبِيسِ(٥)

(قَالَ) فَطَرِبَ وَشَهَقَ وَزَعَقَ. فَقُلْتُ: قَبَّحَكَ اللهُ مِن شَيْخٍ لَا أَدْرِي أَبِانْتِحَالِكَ شِعْرَ جَرِيرٍ أَنْتَ أَسْخَفُ أَم بِطَرَبِكَ مِن شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ وَهُوَ فُوَيْسِقٌ عَيَّارٌ(٦). فَقَالَ:

= الزنار في وسطه. والزنار: ما يضعه رهبان النصارى والمجوس في أوساطهم. وحلف التسبيح: الذي لا يفارقه.

(١) **نازعته**: جاذبته. **والصهباء**: الخمر. **وصافية**: حال منها. **والزي**: الهيئة. **والشيخ**: إبليس كان قبل تكبره على آدم من النساك العباد لكنه كان ممن حتم عليه الشقاء فكان من أمره ما قص الله علينا. **والشاعر**: هو صاحب ذاك الزي وهذا النسك. ويروى في الشطر الأول «نازعته الكأس في رفق أحدثه» وأظنها خطأ لأن الرفق هنا لا معنى له.

(٢) **ثملنا**: أخذ منا الشراب وسكرنا. **وخفت صرعته**: أي خاف أن يصرعه الشادن ويوهي قواه ويلقيه على الأرض طريحًا لا يستطيع حركة بما يوالي عليه من الكؤوس.

(٣) **غط في نومه**: تردد نفسه وصعد إلى حلقه حتى سمعه من حوله. **ومستنعسًا**: أي طالبًا نومًا لأنعسه. وفي العادة أن شخصًا إذا نام أو تناوم لم يلبث جليسه أن يأخذه النوم كذلك. ويروى بدل نومًا «طرفي». **وطرفه**: عينه أو جفنها. وقوله: **من كيسي**: أي أن النوم الذي استشعرته مقلتاه كأنني الذي أعطيته وأنفقته من كيسي.

(٤) كان **أرفق به** أن أنعم لديه وآثر عنده وإنما كان كذلك لأنه سرير من يحب. وأعظم شيء وأجله وأفضله عند إنسان وأجمله ما كان واقعًا من هواه ومنتهى ميله.

(٥) هذه الأبيات وإن كانت تهش لها طباع أهل الخلاعة وتتجافى عن سماعها مسامع أهل الورع غير أنها ليست بحيث يمجها ذوق أهل الأدب وقد يقرأها القارىء ولا يستأذن عليه المعنى السيّىء لهذا لم نأب الكلام في تفسيره مفرداتها.

(٦) **السخف**: ضعف العقل ورداءة الطبع. فهو يقول: لست أدري هل سخفك وضعف عقلك يكون ظهوره في انتحال شعر لغيرك وادعائه لنفسك مع شهرته أشد من ظهوره في طربك بشعر أبي نواس أم العكس. **والعيار**: الرجل يدع نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها.

دَعْنِي مِن هذَا وَٱمْضِ على وَجْهِكَ فَإذَا لَقِيتَ فِي طَرِيقِكَ رَجُلًا مَعَهُ نِحْيٌ صَغِيرٌ يَدُورُ فِي الدُّورِ. حَوْلَ القُدُورِ. يُزْهَى بِحِلْيَتِهِ. وَيُبَاهِي بِلِحْيَتِهِ[١]. فَقُلْ لَهُ: دُلَّنِي على حُوتٍ مَصْرُورٍ. فِي بَعْضِ البُحُورِ[٢]. مُخْطَفِ الخُصُورِ[٣]. يلْدَغُ كَالزُّنْبُورِ. وَيَعْتَمُّ بِالنُّورِ[٤]. أَبُوهُ حَجَرٌ. وَأُمُّهُ ذَكَرٌ[٥]. وَرَأْسُهُ ذَهَبٌ. وَاسْمُهُ لَهَبٌ. وَبَاقِيهِ ذَنَبٌ. لَهُ فِي المَلْبُوسِ. عَمَلُ السُّوسِ[٦]. وَهُوَ فِي البَيْتِ. آفَةُ الزَّيْتِ. شِرِّيبٌ لَا يَنْقَعُ[٧]. أَكُولٌ لَا يَشْبَعُ. بَذُولٌ لَا يَمْنَعُ[٨]. يَنْمِي إلَى الصُّعُودِ[٩]. وَلَا يَنْقُصُ مَالُهُ مِن جُودٍ. يسُوؤُكَ مَا يَسُرُّهُ[١٠]. وَيَنْفَعُكَ مَا يَضُرُّهُ. وَكُنْتُ أَكْتُمُكَ حَدِيثِي. وَأَعِيشُ

---

(١) **النحي** يعني الزق لكنه يعني به هنا المذبة كما يأتي وألغز فيها بالنحي لأن أصل المذبة يكون مغشى بالجلد فيتوارى فيه طرف مقبضها وأطراف الخوص وأصوله فهو في الهيئة أشبه بزق قد مليء شيئًا. ثم إن المذبة تتحرك في الدور حول القدور لتذب الذباب وتدفعه عن الطعام. **ويزهى بحليته**: يعجب بها. وأراد من **اللحية**: الخوص الذي تؤلف منه المذبة وهو الذي يتحرك للذب.

(٢) يريد أن يلغز في السراج بالحوت الذي يذكر أوصافه وكما أن الحوت لا يعيش في غير الماء كذلك السراج لا يعيش في غير السائل الذي لا يبعد في قوامه عن الماء. وأراد ببعض البحور القنديل أو المسرجة.

(٣) **الخصور**: جمع خصر. **ومخطفه**: منطويه. يقال: رجل مخطف الحشا أي ضامره. وهكذا السراج نحيل ما اتصل منه بالذبالة.

(٤) **اعتمّ**: أي لبس العمامة وكذا السراج له عمامة من نور. والمراد من السراج الفتيلة بأسرها أو هي مع المسرجة أيضًا.

(٥) الذي أفرز المادة التي وجد منها هو حجر المعصرة لهذا قال أبوه حجر. وأمه التي تربى في أحشائها هي القنديل وهو ذكر.

(٦) إذا أصاب اللباس عمل فيه أشد مما يعمل السوس فإن الحريق أشد من أكل العث غير أن الكل توهين وإتلاف.

(٧) آفة الزيت التي تفنيه من البيت هو السراج لأنه كما قال شريب أي مكثار من الشرب **لا ينقع**: أي لا يرتوي.

(٨) بذول لضيائه لا يمنعه أحدًا.

(٩) **ينمي إلى الصعود**: يرتفع إلى ما فوق دائمًا ولا ينقص ماله وهو الضياء من جود منه وإنفاق وليس في انتشار الضياء نقص في السراج كما هو ظاهر.

(١٠) يسره كثرة الزيت وغلظ الفتيلة وهذا يسوؤك لأنه يستدعي نفقة كثيرة. وينفعك الهواء الذي إذا نفخته عليه أضره أو المراد أن قلة الزيت التي تنفعك تضره.

مَعَكَ فِي رَخَاءٍ لكِنَّكَ أبَيْتَ فَخُذِ الآنَ[١] فَمَا أحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ إلَّا وَمَعَهُ مُعِينٌ مِنَّا وَأنَا أملَيْتُ عَلَى جَرِيرٍ هذِهِ القَصِيدَةَ وَأنَا الشَّيْخُ أبُو مُرَّةَ. قَالَ عِيسى بنُ هِشَام: ثُمَّ غَابَ وَلَمْ أرَهُ وَمَضَيْتُ لِوَجْهِي فَلَقِيتُ رَجُلًا فِي يَدِهِ مِذَبَّةٌ[٢]. فَقُلْتُ: هذَا وَاللهِ صَاحِبِي. وَقلْتُ لَهُ مَا سَمِعْتُ. فَنَاوَلَنِي مَسْرَجَةً وَأوْمَأ إلى غَارٍ فِي الجَبَلِ مُظْلِم فَقَالَ: دُونَكَ الغَارَ. وَمَعَكَ النَّارَ. (قَالَ) فَدَخَلْتُهُ فَإذَا أنَا بِإبِلي قَدْ أخَذَتْ سَمْتَهَا[٣]. فَلَوَيْتُ وُجُوهَهَا وَرَدَدْتُهَا. وَبَيْنَا أنَا فِي تِلْكَ الحَالَةِ فِي الغِيَاضِ أدُبُّ الخَمَرَ[٤] إذْ بِأبِي الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيِّ تَلَقَّانِي بِالسَّلَام. فَقُلْتُ: مَا حَدَاكَ وَيْحَكَ إلى هذَا المَقَام[٥]؟ قَالَ: جَوْرُ الأيَّامِ في الأحكَام. وَعَدَمُ الكِرَام مِنَ الأنَام. قُلْتُ: فَاحْكُمْ حُكْمَكَ يَا أبَا الفَتْحِ. فَقَالَ: احْمِلْنِي عَلَى قَعُودٍ. وَأرِقْ لِي مَاءً فِي عُودٍ[٦]. فَقُلْتُ: لَكَ ذلِكَ. فَأنْشَأ يَقُولُ:

نَفْسِي فِدَاءُ مُحَكِّمٍ كَلَّفْتُهُ شَطَطًا فَأسْجَحْ[٧]
مَا حَكَّ لِحْيَتَهُ وَلَا مَسَخَ المَخَاطَ وَلَا تَنَحْنَحْ

ثُمَّ أخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الشَّيْخِ. فَأوْمَأ إلى عِمَامَتِهِ وَقَالَ: هذِهِ ثَمَرَةُ بِرِّهِ. فَقُلْتُ: يَا أبَا الفَتْحِ شَحَذْتَ عَلَى إبْلِيسَ إنَّكَ لَشَحَّاذٌ.

---

(١) أي خذ حقيقة حالي.
(٢) **المذبة**: ما يذب بها الذباب والبعوض كالمروحة لتمويج الهواء والإتيان بالريح.
(٣) **سمتها**: طريقها وإنما رأى إبله من الغار كانت في واد خلف الجبل وكان للغار باب آخر يطل على ذلك الوادي فلما أخذ السراج ودخل به حتى جاء إلى آخره من قبل الوادي رأى إبله.
(٤) **يدب الخمر**: يمشي مشية الخادع يجتهد في إخفائها لئلا يحس به أحد. **والغياض**: جمع غيضة مجتمع الأشجار.
(٥) **حداك** إلى هذا المقام: ساقك إليه.
(٦) أراد من القعود قلوصًا تحمله. **والقعود** من الإبل: ما يقتعده الراعي في كل حاجته والبكر إلى أن يثني. وأراد من إراقة الماء في العود أن يمنحه إلى القعود لبونة يشرب لبنها ويتغذى به فالماء ماء الغذاء والعود عود بدنه. وقد يكون إراقة الماء في العود من فوائد حمله على القعود فإن عوده قد جف بالتعب والإعياء فإذا حمله على القعود عاد له ما كان نضب منه فكأنما أراق في عوده ماء.
(٧) يجعل نفسه فداء لمن حكمه في ماله فكلفه شططًا خارجًا عن المألوفات في التحكم فأسجح وسمح بما كلفه به. والأفاعيل التي في البيت الثاني تصدر عن البخلاء عند التلكؤ في إجابة مَن يسألهم شيئًا من مالهم.

المَقَامَةُ الأرمنيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْنَا مِنْ تِجَارَةِ إِرْمِينِيَةَ أَهْدَتْنَا الفَلَاةُ إلى أَطْفَالِهَا[١]. وَعَثَرْنَا بِهِمْ في أَذْيَالِهَا[٢]. وَأَنَاخُونَا بِأَرْضِ نَعَامَةٍ[٣] حَتَّى اسْتَنْظَفُوا حَقَائِبَنَا. وَأَرَاحُوا رَكَائِبَنَا[٤]. وَبَقِينَا بَيَاضَ اليَوْمِ. فِي أَيْدِي القَوْمِ[٥]. قَد نَظَمَنَا القِدُّ أَحْزَابًا. وَرُبِطَتْ خُيُولُنَا اغْتِصَابًا[٦]. حَتَّى أَرْدَفَ اللَّيْلُ أَذْنَابَهُ. وَمَدَّ النَّجْمُ أَطْنَابَهُ[٧].

---

(١) **الفلاة**: الصحراء الواسعة والمفازة التي لا ماء فيها. **وأطفالها**: الذين لا يعرفون لهم مأوى سواها ولا معيشة لهم إلا بالتلصص واستلاب السابلة وإنما كانوا أطفالها لما تشبه حالهم حال الأطفال في حجور الأمهات فكأن الفلاة بوحشتها وخلوها من النصير لمن يمر فيها قد مكنت هؤلاء من أموال مجتازيها بل قدمتها إليهم كما تقدم الأم الغذاء لأطفالها. وهذا معنى إهدائها إياه إلى أطفالها. ويروى: اهتدتني ولا معنى لها.

(٢) كأنهم بما يصل إلى المارة من أذاهم كحجر العثرة وكأن المارة في توسطهم للفلاة كمن لبس لباسًا فشمله وفاض حتى سحبه فتعثر في فضوله. وأراد أنهم صادفوا هؤلاء اللصوص عندما اشتملت عليهم الفلاة.

(٣) **أناخوهم**: أي أناخوا إبلهم بأرض **نعامة**: أي مفازة.

(٤) **الحقائب**: جمع حقيبة وهي أوعية الثياب. **واستنظفوها** بالظاء المشالة والفاء أخذوها كلها. وفي أغلب النسخ استنطقوا بالطاء والقاف كأنهم استفرغوا ما فيها كما يستلفظ اللفظ من فم اللافظ. وأراحوا ركائبهم من أحمالها أو أنهم ردوها إلى مراح أعدوه في الفلاة للإبل التي ينهبونها من المسافرين. ويروى: «أزاحوا» بالزاي بدل الراء.

(٥) **بياض اليوم**: ما كان الضياء موجودًا. **والقوم**: هم أولئك اللصوص أطفال الفلاة.

(٦) **القد**: السير من الجلد يقيد به الأسير أي أن اللصوص ربطوهم في السير فرقًا وطوائف. وكما قرنوهم في القيود ربطوا خيولهم على أنها لرابطيها من السارقين لذلك قال اغتصابًا. ويروى في هاتين الفقرتين «قد نظم القد أجزاءنا. وربط الحبل أعضاءنا».

(٧) **أردف الليل أذنابه**: استتبعها كأنه دابة تجر ذنبها خلفها تمثيل لامتداد الظلماء. **وأطناب النجم**: خيوط الأشعة المنبعثة منه إلى الأرض.

ثُمَّ انْتَحَوا عَجُزَ الفَلَاةِ وَأَخَذْنَا صَدْرَهَا[١]. وَهَلُمَّ جَرًّا. حَتَّى طَلَعَ حُسْنُ الفَجْرِ مِن نِقَابِ الحِشْمَةِ. وَٱنْتُضِيَ سَيْفُ الصُّبْحِ مِن قِرَابِ الظُّلْمَةِ[٢]. فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ إلَّا على الأشْعَارِ والأبْشَارِ[٣] وَمَا زِلْنَا بِالأهْوَالِ نَدْرَأُ حُجُبَهَا. وَبِالْفَلَوَاتِ نَقْطَعُ نَجَبَهَا. حَتَّى حَلَلْنَا المَرَاغَةَ[٤] وَكُلٌّ مِنَّا انْتَظَمَ إلى رَفِيقٍ. وَأَخَذَ في طَرِيقٍ[٥]. وَٱنْضَمَّ إلَيَّ شَابٌّ يَعْلُوهُ صَغَارٌ. وَتَعْلُوهُ أطْمَارٌ[٦]. يُكَنَّى أبَا الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيَّ وَسِرْنَا فِي طَلَبِ أبِي جَابِرٍ فَوَجَدْنَاهُ يَطْلُعُ مِن ذَاتِ لَظًى تُسْجَرُ بِالغَضَا[٧]. فَعَمَدَ الإسْكَنْدَرِيُّ إلى رَجُلٍ فَٱسْتَمَاحَهُ كَفَّ مِلْحٍ[٨] وَقَالَ لِلْخَبَّازِ: أعِرْنِي رَأْسَ التَّنُّورِ.

---

(١) **انتحوا**: قصدوا عجز الفلاة أي مؤخرها. **وأخذنا صدرها**: أي سلكنا فيه. **وصدرها**: ما قرب من أولها وكأنهم كانوا قربوا منه وقت المصيبة.

(٢) كأن الظلام نقاب أسدلته الحشمة على وجه الضياء وكأن ضوء الفجر بهاء يطلع ويظهر من تحت ذلك النقاب. ثم عدل عن ذلك إلى مثال آخر فمثل الفجر بسيف يستل من غمد وهو القراب وذلك الغمد هو الظلمة وهو ضرب من التخيل يشم ولا يعرك.

(٣) **الأشعار**: جمع شعر. **والأبشار**: جمع بشر جمع بشرة وهو جلد الإنسان أي ليس عليهم إلا شعورهم وجلودهم فقد جردهم اللصوص من كل ما يستر أبدانهم.

(٤) لم يزالوا مع الأهوال في قراع يدرأون حجبها أي يدفعونها ويميطونها عن أعين بصائرهم. ولم يزالوا كذلك مع الفلاة يقطعون نجبها بالتحريك. **والنجب**: لحاء الشجر أو عروقها وهؤلاء كأنهم بسيرهم يقطعون قشر الفلاة كلما تركوا مسافة فإنهم قطعوها. ويروى في الفقرتين: وما زلنا بالأهوال والأوهال نذر أحجتها وبالفلوات نقطع لجتها. **والأهوال**: المخاوف. **والأحجة**: جمع حجاج بمعنى الجانب أي ما زالوا يتركون جوانب الأهوال والمخاوف ويقطعون من الفلوات ما يشبه لجج البحار. **ومراغة**: بلد بأذربيجان شرقي بحيرة أرمينية وكان فيه المرصد المشهور لهلاكو خان وصاحب العمل فيه كان العلامة نصير الدين الطوسي. ويقال إن الذي اختطها مروان بن محمد الأموي آخر خلفاء بني إمية.

(٥) من مراغة تفرقوا فكل واحد انضم إلى رفيق وذهب كلاهما في طريق غير الذي يسلكه رفيقان آخران أي لم يلتزم كل منهم المشي إلا مع رفيق واحد.

(٦) **الصغار**: الذل والضيم. **والأطمار**: الثياب البالية.

(٧) **أبو جابر**: هو الخبز. **واللظى**: اللهب. **وذات اللظى**: النار. **والغضا**: شجر خشبه من أصلب الخشب وإذا أوقدت به النار اشتد لهبها وثبت زمنًا طويلاً في جمرها. **وسجر التنور**: ملأه بالحطب للوقود وتوسع فيه فقيل سجر النار إذا أوقدها وهذا منهم أي أنهم وجدوا الخبز في التنور ولا يمكنهم أن يخطفوه.

(٨) **استماحه** كف الملح: طلبه أن يعطيه إياه.

فَإنِّي مَقْرُورٌ[١]. وَلَمَّا فَرَغَ سَنَامَهُ[٢] جَعَلَ يُحَدِّثُ القَوْمَ بِحَالِهِ. وَيُخْبِرُهُمْ بِٱخْتِلَالِهِ. وَيَنْشُرُ المِلْحَ في التَّنُّورِ مِن تَحْتِ أذْيَالِهِ. يُوهِمُهُمْ أنَّ أذًى بِثِيَابِهِ[٣]. فَقَالَ الخَبَّازُ: مَا لَكَ لَا أبَا لَكَ. اجْمَعْ أذْيَالَكَ فَقَدْ أفْسَدْتَ الخُبْزَ عَلَيْنَا. وَقَامَ إلى الرُّغْفَانِ فَرَمَاهَا[٤] وَجَعَلَ الإسْكَنْدَرِيُّ يَلْقُطُهَا وَيَتَأبَّطُهَا[٥]. فأَعْجَبَتْنِي حِيلَتُهُ فِيمَا فَعَلَ. وَقَالَ: ٱصْبِرْ عَلَيَّ حَتَّى أحْتَالَ على الأُدْمِ. فَلَا حِيلَةَ مَعَ العُدْمِ[٦]. وَصارَ إلى رَجُلٍ قَد صَفَّفَ أوَانِيَ نَظِيفَةٍ فِيهَا ألْوَانُ الألْبَانِ. فَسَألَهُ عَنِ الأثْمَانِ. وَاسْتَأْذَنَ في الذَّوْقِ. فَقَالَ: افْعَلْ فَأدَارَ فِي الآنِيَةِ إصْبَعَهُ. كَأنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيَّعَهُ. ثُمَّ قَالَ: مَعِي ثَمَنُهُ. وَهَلْ لَكَ رَغْبَةٌ في الحِجَامَةِ؟ فَقَالَ: قَبَّحَكَ اللهُ أنْتَ حَجَّامٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَعَمَدَ لِأعْرَاضِهِ يَسُبُّهَا[٧]. وَإلى الآنِيَةِ يَصُبُّهَا. فَقَالَ الإسْكَنْدَرِيُّ: آثِرْنِي على الشَّيْطَانِ[٨]. فَقَالَ: خُذْهَا لَا بُورِكَ لَكَ فِيهَا. فَأَخَذَهَا وَأوَيْنَا إلى خَلْوَةٍ وَأكَلْنَاهَا بِدفْعَةٍ[٩] وَسِرْنَا حتّى

---

(١) **أعرني** من العارية فإن كان يريد حقيقتها فهو تباله وتحامق. وإن كان يريد بالإعارة أن يأذن له في القرب من رأس التنور فهو استعمال صحيح لا يستضعفه الفصحاء. والمقرور من أصابه الله **بالقر** وهو البرد. ورأس التنور في تلك الأنحاء تكون فتحة يصعد منها اللهب.

(٢) **فرغ سنامه**: صعد إلى أعلى التنور وجلس بقرب فتحته من فوق.

(٣) يأخذ من الملح الذي استماحه ويرمي في نافذة التنور من تحت ثيابه فيكون للملح فرقعة في النار يتوهم منها السامع والرائي أن بثيابه أذى من القمل ونحوه وأنه يرميه في التنور وهذا الصوت احتراقه وفي نسخة: يخبز الملح بدل ينشر ولا معنى لها.

(٤) لتوهمه أن قد أصابها من ذلك الأذى الذي كان يلقيه الإسكندري في وهمه ما غير طعمها وريحها وقذرها.

(٥) **يتأبطها**: يحملها تحت إبطه.

(٦) **الأدم**: ما يؤتدم به أي يؤكل مع الخبز ليسهل استساغته. ويروى «احتال في الأدم» وهي صحيحة أيضًا. **والعدم**: بالضم الفقر.

(٧) لأعراض أبي الفتح يسبها ويطعن فيها تشفيًا من غيظه لأنه بعد ما أدار إصبعه في الآنية وذكر أنه حجام ظهر تقذر الآنية وخبثها بحيث تنفر النفس من تناول ما فيها وإنما جمع الأعراض لأن كل خلة من خلال الشرف مما يحامى عنها ويتألم لثلبها فكأن كل خلة عرض يحمى ويعمل على حفظه وصونه.

(٨) يقال لما ذهب ضياعًا بدون استفادة أحد منه أنه ذهب للشيطان فهو يقول لصاحب اللبن: قدمني على الشيطان فإن كان لا بد من إتلاف اللبن وإفساده فهو أولى به من الشيطان.

(٩) أوينا إلى خلوة ملنا إليها. والضمير في أكلناها لآنية اللبن مع الرغفان التي تأبطها من الخباز. =

أَتَيْنَا قَرْيَةً اسْتَطْعَمْنَا أَهْلَهَا[١]. فَبَادَرَ مِن بَيْنِ الجَمَاعَةِ فَتًى إلى مَنْزِلِهِ فَجَاءَنَا بِصَحْفَةٍ قَدْ سَدَّ اللَّبَنُ أَنْفَاسَهَا[٢]. حَتَّى بَلَغَ رَأْسَهَا. فَجَعَلْنَا نَتَحَسَّاهَا[٣]. حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهَا. وَسَأَلْنَاهُمُ الخُبْزَ فَأَبَوا إلَّا بِالثَّمَنِ. فَقَالَ الإسْكَنْدَرِيُّ: مَا لَكُمْ تَجُودُونَ بِاللَّبَنِ. وَتَمْنَعُونَ الخُبْزَ إلَّا بِالثَّمَنِ. فَقَالَ الغُلَامُ: كَانَ هذَا اللَّبَنُ فِي غَضَارَةٍ[٤]. قَد وَقَعَتْ فِيهِ فَارَةٌ. فَنَحْنُ نَتَصَدَّقُ بِهِ على السَّيَّارَةِ[٥]. فَقَالَ الإسْكَنْدَرِيُّ: إنَّا للهِ. وَأَخَذَ الصَّحْفَةَ فَكَسَرَهَا. فَصَاحَ الغُلَامُ وَاحَرَبَاهُ. وَامَحْرُوبَاهُ[٦]. فَاقْشَعَرَّتْ مِنَّا الجِلْدَةُ. وَانْقَلَبَتْ عَلَيْنَا المَعِدَةُ. وَنَفَضْنَا مَا كُنَّا أَكَلْنَاهُ[٧]. وَقُلْتُ: هذَا جَزَاءُ مَا بِالأَمْسِ فَعَلْنَاهُ. وَأَنْشَأَ أَبُو الفَتْحِ الإسْكَنْدَرِيُّ يَقُولُ:

يَا نَفْسُ لَا تَتَغَثَّيْ فَالشَّهْمُ لَا يَتَغَثَّى[٨]

= وقوله: دفعة بالفتح أي مرة واحد لم نستبق منها شيئًا.

(١) **استطعمنا أهلها**: طلبنا منهم طعامًا.

(٢) الأنفاس جمع نفس بالتحريك وهو هنا السعة أي لم يدع فيها موضعًا يسع شيئًا حتى سده وملأه حتى بلغ رأسها.

(٣) **تحسى** المرق ونحوه تحسيًا حساه أي شربه شيئًا بعد شيء كما يحسو الطائر.

(٤) **الغضارة**: القصعة الواسعة.

(٥) **السيارة**: أبناء السبيل الذين يسيرون في الطريق من مكان إلى مكان.

(٦) **واحرباه**: كلمة تأسف أشبه بوا أسفاه أو هو الحرب بمعنى سلب المال ينادون به إذا وقع كأنه صار موجودًا يصح نداؤه وهذا هو الأوفق بقوله: وامحروباه فإن المحروب المسلوب وهو تلك الصفحة التي انكسرت.

(٧) **الفاء** في قوله: فاقشعرت منا الجلدة الخ ترتيب وتعقيب لإخبار الفتى بأن اللبن كان في قصعته فسقطت فيه الفأرة. **واقشعرار الجلد**: تقبض فيه قد يكون من البرد وقد يكون من الخوف وقد يكون من التنطف كما هنا. **وانقلاب المعدة**: قذفها لما فيها. وقوله: نفضنا ما كنّا أكلناه أي أفرغناه بالقيء. فقال: إن هذا جزاء ما فعلوه أمس مع الخباز واللبان.

(٨) **تتغثى** من غثت النفس خبثت واضطربت واندفعت إلى القيء أو كادت. ويقول: إن الشهم القوي الفؤاد لا يليق به أن يتغثى من شيء يتنطف منه لأن الشهم يكون قد ظلف نفسه وجشمها كل شاق حتى مرنت على الرضى بالكرائه كما قال في البيت الثاني فإن مَن يعيش في هذا الدهر وهو معنى مَن يصحبه لا بد من تقلب الأحوال عليه بحكم طبيعة هذا الوجود الأدنى فتارة يأكل سمينًا ويلاقي طيبًا وتارة يأكل غثًّا مهزولاً ولا يجد إلا خبيثًا وعلى هذا يجب أن يوطن الشهم نفسه.

مَـنْ يَـصْـحَـبِ الـدَّهْـرَ يَـأْكُـلْ فِـيـهِ ثَـمِـيـنًـا وَغَـثَّـا
فَـٱلْبَـسْ لِدَهْـرٍ جَـدِيـدًا وَٱلْبَـسْ لِآخَـرَ رَثَّـا[١]

(١) عبر **بالدهر** عن الجزء من الزمن يقول: إذا كنت في دهر اليسر والسعة والمكنة من لبس الجديد فالبس له جديدًا وإن كنت في زمن العسر والشدة ولا تجد إلا رثًّا باليًا فالبس له ما تيسر فيه.

المقَامَةُ النَّاجِمِيَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بنُ هِشَامٍ قَالَ: بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كَتِيبَةِ فَضْلٍ مِن رُفَقَائِي[(١)] فَتَذَاكَرْنَا الفَصَاحَةَ. وَمَا وَدَعْنَا الحَدِيثَ حَتَّى قُرِعَ عَلَيْنَا البَابُ. فَقُلْتُ: مَنِ المُنْتَابُ[(٢)]؟ فَقَالَ: وَفْدُ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ. وَفَلُّ[(٣)] الجُوعِ وَطَرِيدُهُ. وَغَرِيبٌ نِضْوُهُ طَلِيحٌ[(٤)]. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ[(٥)]. وَمِنْ دُونِ فَرْخَيْهِ مَهَامِهُ فِيحٌ[(٦)]. وَضَيْفٌ ظِلُّهُ خَفِيفٌ. وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ[(٧)]. فَهَلْ مِنْكُمْ مُضِيفٌ؟ فَتَبَادَرْنَا إلى فَتْحِ البَابِ وَأَنَخْنَا رَاحِلَتَهُ.

---

(١) أصل **الكتيبة**: القطعة من الجيش المجتمعة أراد منها هنا مطلق الجماعة. **والفضل**: العلم والأدب.

(٢) **ودعنا الحديث**: انتقلنا عنه من قولهم ودع المسافر الناس يدعهم إذا تركهم في رغد عيش. **والمنتاب**: الآتي إلى القوم مرة بعد مرة أراد منه الطارق مطلقًا.

(٣) لضيق الليل عن السعي في سد الحاجة يدفع المحتاج إلى السؤال فكأن الليل أوفده على المسؤول **وأبرد به**: أي أرسله إليه. **والفل**: المنهزم.

(٤) **النضو**: بالكسر البعير المهزول. **والطليح**: المعيي من التعب. يقول: إن الغربة رمت به مراميها حتى أعوزه المستقر فهو لطول سفره مهزول المطية طليحها.

(٥) **التبريح**: الشدة وما يجهد النفس من المشقة في تحصيل العيش وإنما جعل العيش نفس التبريح مبالغة كما تقول: حياة فلان عناء وشقاء وإنما هي محفوفة بذلك.

(٦) يريد من **فرخيه**: ولديه الصغيرين. **والمهامه**: المفاوز البعيدة الأطراف جمع مهمه. **والفيح**: جمع فيحاء بمعنى الواسعة أي يحول بينه وبين الوصول إلى أولاده المفاوز الواسعة وليس ما عنده ما يستعين بها على قطعها.

(٧) **ضالتك**: ما انفلت منك وأنت تعلم أنه موجود فتطلبه ولا تدري أين تجده وهذه الجملة كالتفسير لما قبلها أو الاستدلال عليها كأنه قال: إنما خف ظله لخفة ما يطلبه وهو رغيف ويروى: وطؤه خفيف بدل ظله.

وَجَمَعْنَا رُحْلَتَهُ[١]. وَقُلْنَا: دَارَكَ أَتَيْتَ. وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ. وَهَلُمَّ البَيْتَ[٢]. وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ وَرَحَّبْنَا بِهِ وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ[٣] وَسَاعَدْنَاهُ حَتَّى شَبِعَ. وَحَادَثْنَاهُ حَتَّى أَنِسَ. وَقُلْنَا: مَن الطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ. الفَاتِنُ بِمَنْطِقِهِ[٤]؟ فَقَالَ: لَا يَعْرِفُ العُودَ كَالعَاجِمِ[٥]. وَأَنَا المَعْرُوفُ بِالنَّاجِمِ[٦]. عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبُرَهُ. فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ. وَحَلَبْتُ أَشْطُرَهُ[٧]. وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ. فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ وَسمِينَهُمْ[٨]. وَالغُرْبَةَ لِأَذُوقَهَا[٩]. فَمَا

---

(١) **الرحلة**: بالضم الوجه الذي تقصده بسفرك كأنه مشتت المقاصد يطلب مضيفًا لا يدري في أي وجه يقصده فجمعنا له وجوه ارتحاله في وجه واحد وهو ما وصل إليه وأناخ راحلته عنده وقد يقصد من الرحلة معنى الانتقال وتأويل الجمع على نحو ما قدمنا.

(٢) **وافى القوم**: أتاهم وكأنهم من مجيئه على انتظار. **وهلم البيت**: تعال إليه.

(٣) **ضالته**: الرغيف أروه إياه ليطمئن قلبه بما وجد من الضالة. ثم ساعدوه على المقصود منها وأمدوه بالطعام حتى شبع.

(٤) شبهه بالكوكب يطلع من مشرق. ولكل كوكب على حسب موقعه من الفلك مشرق. لهذا أضاف المشرق إلى ضمير الطالع. **وفاتنك**: مَن يأخذ بقلبك إلى خلاف ما ينبغي من رشدك أراد منه الآخذ بالقلوب محبة بحلاوة المنطق وفصاحته.

(٥) **عجم العود**: عضه ليتبين صلابته من لينه. وهذا مثل ضربه يريد لا يعرف الشيء أحد كمن يختبره ويمتحنه فإذا خبرتموني عرفتموني معرفة أعلى مما يحصل بالتعريف فربما عرض الظن فيما يحكي الواصف عن نفسه.

(٦) **الناجم**: الطالع والظاهر يشير بلقبه إلى شهرته.

(٧) كثر في كلامهم تمثيل الدهر في مثال العاقل فيخاطبونه ويعاتبونه وينسبون إليه ما لا ينسب إلا لصانع الكون جل شأنه. وقد جرت هذه العبارة مجرى كلامهم فكأنما الدهر وهو الزمان ممن يعاشر ويصاحب وقد عاشره الشيخ الناجم عشرة المختبرين ولم يصحبه كما يصحبه الغافلون **فعصر أعصره**: أي استخلص ما في أدواره مما قد يخفى على غيره من الأحوال كما يعصر العنب لاستخلاص مائه. **والأعصر**: جمع عصر وهو الجزء من الزمان وفي مقداره اختلاف مشهور والصواب عدم تحديده بمدة معينة وإنما هو ما يستطال العهد بحوادثه عادة ويحدث عنه بكان في زمن كذا وعهد كذا مثلاً. **والأشطر**: جمع شطر ويقال لأخلاف الناقة أشطر وكل خلفين منها شطر أيضًا ومن حلب القادمين منها فقد شطرها ومن حلب جميعها فقد حلب الأشطر كلها. ثم صار مثلاً عندهم «حلب الدهر أشطره» أي استفاد من ضروب أحواله وذاق حلوه ومره وخيره وشره.

(٨) **امتحن الناس** ليقف على دخائل أمورهم فميّز صحيحهم من مريضهم وجيدهم من رديئهم. وأصل **الغث** المهزول ضد السمين.

(٩) **الغربة**: عطف على الناس أي جرب الغربة ليذوق طعم شدائدها وكربها حتى يكون على بصيرة من كل ما يطرأ على المرء في حياته.

لَمَحَتْنِي أَرْضٌ إِلَّا فَقَأْتُ عَيْنَهَا[١]. وَلَا انْتَظَمَتْ رُفْقَةٌ إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا. فَأَنَا فِي الشَّرْقِ أُذْكَرُ. وَفِي الغَرْبِ لَا أُنْكَرُ. فَمَا مَلِكٌ إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطَهُ. وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَقْتُ سِمَاطَهُ[٢]. وَمَا سَكَنَتْ حَرْبٌ إِلَّا وَكُنْتُ فِيهَا سَفِيرًا[٣]. قَدْ جَرَّبَنِي الدَّهْرُ فِي زَمَنَيْ رَخَائِهِ وَبُوسِهِ. وَلَقِيَنِي بِوَجْهَيْ بِشْرِهِ وَعُبُوسِهِ. فَمَا بُحْتُ لِبُوسِهِ إِلَّا بِلَبُوسِهِ[٤].

وَإِنْ كَانَ صَرْفُ الدَّهْرِ قِدْمًا أَضَرَّ بِي ... وَحَمَّلَنِي مِنْ رَيْبِهِ مَا يُحَمِّلُ[٥]

فَقَدْ جَاءَ بِالإِحْسَانِ حَيْثُ أَحَلَّنِي ... مَحَلَّةَ صِدْقٍ لَيْسَ عَنْهَا مُحَوَّلُ

قُلْنَا: لَا فُضَّ فُوكَ. وَللهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ[٦]. مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا عَلَيْكَ وَلَا يَحِلُّ النُّطْقُ إِلَّا لَكَ. فَمِنْ أَيْنَ طَلَعْتَ وَأَيْنَ تَغْرُبُ. وَمَا الَّذِي يَحْدُو أَمَلَكَ. وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قُدَّامَكَ[٧]؟ قَالَ: أَمَّا الوَطَنُ فَالْيَمَنُ وَأَمَّا الوَطَرُ فَالمَطَرُ. وَأَمَّا

---

(١) خيل الأرض في صورة مبصرة إذا دنى منها لمحته ولا تكاد تلمحه حتى يطأها ويخترقها وكأنه بذلك فقأ عينيها.

(٢) **السماط**: صف الجنود التي تتقدم الملك في سيره. **والخطب**: الأمر العظيم أي ما من أمر عظيم تحتفه من المخاطر جيوش إلا اخترقت صفوفها ونلت الأرب منه.

(٣) **السفير**: المتكلم بين المتحاربين على الصلح ووضع السلاح.

(٤) **باح** يبوح أي ظهر ما ظهرت لسخط الزمان وشدته إلا باللباس الذي يلائم حاله. يشير إلى قوله:

البس لكل حالة لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها

(٥) **ريب الدهر**: ما يجلب من الشدائد على بنيه أي أن تقلب الزمان في غيره وإن كان قد أضر بي في قديم أيامي وحملني من أثقال الشدة ما جرت عادته أن يحمل فقد انتهت إساءته بالإحسان حيث أحلني بما قلب علي من أحواله محلة صدق في اليقين وثبات في البصر بالأمور لا أتحول عنها لأن مَن خالط اليقين ووصل من العلم إلى عينه لم يبق للشكوك مطمع في تحويله عما وصل إليه.

(٦) **فض الله فاه**: نثر أسنانه كأن الأسنان إذا انطبقت ختمت على الفم وكانت كحجاب لما دونها من داخله. فإذا نثرت الأسنان انفض الفم وانهتك حجابه وتكسر بابه. **ولا فض** فوه دعاء مشهور لمن يستحسن نطقه بأن لا تنثر أسنانه فيقبح لفظه. **ولله أنت وأبوك** كلمة استحسان تقال لمن تحيرت في سبب ما أعجبك من فعله فلجأت لنسبته إلى الله أو نسبة أبيه إليه. فقلت لله أنت أي ما كان أمرك لينسب إلا إلى الله خاصة لأنه باهر القدرة لا يعجز عن إظهار مثل عملك منك. ومثل ذلك لله أبوك.

(٧) إنما يسوق العامل إلى العمل أمله في غاية ينتهي به إليها. والذي **يحدو العمل**: أي يستحثه في=

السَّائِقُ فَالضُّرُّ(١). وَالعَيْشُ المُرُّ. قُلْنَا: فَلَوْ أَقَمْتَ بِهٰذَا المَكَانِ لَقَاسَمْنَاكَ العُمْرَ فَمَا دُونَهُ(٢) وَلَصَادَفْتَ مِنَ الأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ. وَمِنَ الأَنْوَاءِ ما يُكْرَعُ(٣). قَالَ: مَا أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِنَاءَكُم رَحْبًا(٤). وَلكِنْ أَمْطَارُكُمْ مَاءٌ وَالمَاءُ لَا يُرْوِي العِطَاشَ. قُلْنَا: فَأَيُّ الأَمْطَارِ يُرْوِيكَ؟ قَالَ: مَطَرٌ خَلَفِيٌّ(٥). وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سِجِسْتَانَ أَيَّتُهَا الرَّاحِلَهْ ... وَبَحْرًا يَؤُمُّ المُنَى سَاحِلَهْ(٦)
سَتَقْصِدُ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا ... بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلَهْ(٧)

= السوق إلى العمل هو تلك الغاية فهو يسأل عن الغاية التي تستحث أمله في قيادته إلى عماله. **والغرض**: مصدر غرض إليه أي اشتاق. أي ما الذي يسوق شوقك قدامك. وكأنه يخيل الأمل والشوق في صورة متبوعين وهو يتبعهما ولكل منهما حاد وسائق يسأل عنه.

(١) **أما الوطن** جواب عن قوله: من أين طلعت وقوله: **وأما الوطر** جواب عن قوله: ما الذي يحدو أملك. وقوله: **وأما السائق** جواب عن قوله: ما الذي يسوق غرضك. **والوطر**: الأرب والمطلب. **والضر**: البؤس وشدة الحاجة. ورجل في مثل فضله وتجربته على ما حكى عن نفسه حاجة الناس إليه في مهمات شؤونهم أشد من حاجته إليهم في ترفيه عيشه. ولعل أهل زمانه كانوا على مثال أهل هذه الأيام في بعض الأقطار لا يساوم فيها على العقل وإذا ساوموا عليه لا ينتهي السوم إلى شراء أبدًا.

(٢) مبالغة في مؤاساته أي لو كان العمر في يد صاحبه يتمكن من هبة بعضه لمن يحب لقاسمناك فيه وما دون العمر المال والجاه مثلًا.

(٣) **الأنواء**: جمع نوء وهو هنا بمعنى المطر الغزير. ويكون من كرع في الماء إذا تناوله من موضعه بفِيه لا بكفّه ولا يرفع إناء إليه وإيقاع الكرع على النوء على حذف في الكلام كما في إيقاع الزرع على ضمير المطر أي يكرع في مائه ويزرع به وإنما يزرع على المطر الكافي لريّ الأرض ويكرع في الماء الغزير الطافح من مجاريه بحيث يتمكّن الشّارب من تناوله بفِيْه. يكنّون بذلك عن خصب بلادهم ووفرة خيرها وفيها مطلبه وهو المطر.

(٤) **الفناء**: الساحة أمام البيوت. **والرحب**: الواسع. ويكنّى بسعة الفناء عن الكرم وسعة الصدر لتلقّي الأضياف.

(٥) **خلفي**: بتحريك اللام نسبة إلى خلف وهو الأمير الذي يقصده وسيسوق الكلام لمدحه.

(٦) أي اقصدي أيتها الراحلة سجستان بلد الأمير خلف وأمي بها بحرًا تؤمّ المنى ساحله لتَرِد ماءه. **والمنى**: جمع منية وهي ما تتمناه لتناله.

(٧) يخاطب نفسه كأنها شخص آخر يقول إذا قصدت أرجان لزيارتها فإنك لتقصدها من هبات الأمير خلف بهبات تلاقي كل مائة منها واحدة من أمانيك أي تتمنى شيئًا فتُعطى مائة. فليس تنكير واحدة لإفرادها ولكن لبيان عدد وما يقابله. **وأرجان**: بلدة من بلاد فارس وهي مشددة الراء خفّفها للوزن.

وَفَضْلُ الأَمِيرِ عَلَى ابْنِ العَمِيدِ   كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَى بَاهِلَهْ[١]

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَخَرَجَ وَوَدَّعْنَاهُ. وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نَشْتَاقُهُ. وَيُؤْلِمُنَا فِرَاقُهُ. فَبَيْنَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمْطِ الثُّرَيَّا جُلُوسٌ[٢] إِذِ المَرَاكِبُ تُسَاقُ وَالجَنَائِبُ تُقَادُ وَإِذَا رَجُلٌ قَدْ هَجَمَ عَلَيْنَا[٣]. فَقُلْنَا: مَنِ الهَاجِمُ؟ فَإِذَا شَيْخُنَا النَّاجِمُ، يَرْفُلُ فِي نَيْلِ المُنَى، وَذَيْلِ الغِنَى[٤]. فَقُمْنَا إِلَيْهِ مُعَانِقِينَ وَقُلْنَا: مَا وَرَاءَكَ يَا عِصَامُ[٥]؟ فَقَالَ: جِمَالٌ مُوقَرَةٌ وَبِغَالٌ مُثْقَلَةٌ[٦]، وَحَقَائِبُ مُقْفَلَةٌ. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مَوْلَايَ أَيُّ رَذِيلَةٍ لَمْ يَأْبَهَا   خَلَفٌ وَأَيُّ فَضِيلَةٍ لَمْ يَأْتِهَا

(١) **ابن العميد**: هو أبو الفضل محمد ابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه الديلمي من رجال القرن الرابع للهجرة كان فيلسوفًا منجّمًا بلغ من فنون الأدب والترسّل ما لم يقاربه فيه أحد. ومن تلامذته في الكتابة الصاحب بن عباد وما لُقّب بالصاحب إلا لصحبته. وكان مع سعة علمه وافر الهبات واسع العطايا يقصده الشعراء من أقطار المسكونة. يقول هذا الشيخ الناجم إن ممدوحه الذي قلّما يُعرَف إلا في شعره أو مقامته هذه أفضل من ابن العميد وفضله عليه كفضل **قريش** وهي أشرف قبيلة في العرب على **باهلة** وهي أدنى قبيلة فيهم.

(٢) **السمط**: الخيط المنظوم فيه الدرّ ونحوه ما دام الجوهر منظومًا فيه. فإن لم يكن فيه منظوم فهو سلك فقط. **والثريا**: جملة النجوم الملتئمة على شكلها المعروف في السماء يشبّهونها بالعقد المنظوم ويشبّهون بها في الانتظام وحُسْن الالتئام يقول: إنهم كانوا جلوسًا كأنهم نجوم الثريا نظمت في سمطها.

(٣) **المراكب**: ما يركب من حيوان وغيره وأراد منها هنا ما يحمل العطايا القادم بها الشيخ الناجم من لدن الأمير خلف. **والجنائب**: جمع جنيبة وهي الدابّة التي تُقاد مع الراكب ليراوح بينها وبين ما يركبه. **وهجم علينا**: انتهى إلينا على بغتة أو ما يقرب منها.

(٤) **رفل في ثيابه**: إذا جرّ ذيولها وتبختر وخطر بيده. فجعل نيل المنى كأنه ثوب سابغ يرفل فيه. وخيل الغنى في صورة ثوب وأضاف إليه ذيلاً.

(٥) **ما وراءك يا عصام**: مثل في الاستخبار عن القادم عمّا خلف. يُروَى بفتح الكاف. **وعصام**: هو ابن شهبر حاجب النعمان منع النابغة من الدخول على النعمان وهو مريض وقد جاء إلى عيادته فقال في قصيدة:

فإني لا ألومك في دخول   ولكن ما وراءك يا عصام

يسأله عمّا احتجب دونه وهو النعمان في مرضه. ويُروَى بكسر الكاف. **وعصام**: هي امرأة من كندة أرسلها الحارث بن عمرو ملك كندة إلى زوجة محلم لتكلمها في تزويج ابنتها عوف بنت محلم للحارث فلما رجعت وهي مُقبِلة عليه قال: ما وراءك يا عصام.

(٦) **الموقرة**: المحملة. **والمثقلة**: التي أثقل عليها في أحمالها. **والحقائب**: جمع حقيبة وأصلها الخريطة يعلّقها المسافر في رحله لزاد ونحوه أراد منها مطلق الأوعية.

مَا يُسْمِعُ العَافِينَ إِلَّا هَاكَهَا ... لَفْظًا وَلَيْسَ يُجَابُ إِلَّا هَاتِهَا(١)

إِنَّ المَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجُهٍ ... بِيضٍ وَكَانَ الخَالَ فِي وَجَنَاتِهَا(٢)

بِأَبِي شَمَائِلَهُ الَّتِي تَجْلُو العُلَا ... وَيَدًا تَرَى البَرَكَاتِ فِي حَرَكَاتِهَا(٣)

مَنْ عَدَّهَا حَسَنَاتِ دَهْرٍ إِنَّنِي ... مِمَّنْ يَعُدُّ الدَّهْرَ مِنْ حَسَنَاتِهَا(٤)

قالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَسَأَلْنَا اللهَ بَقَاءَهُ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا لِقَاءَهُ. وَأَقَامَ النَّاجِمُ أَيَّامًا مُقْتَصِرًا مِنْ لِسَانِهِ، عَلَى شُكْرِ إِحْسَانِهِ، وَلَا يَتَصَرَّفُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَّا فِي مَدْحِ أَيَّامِهِ، وَالتَّحَدُّثِ بِإِنْعَامِهِ.

---

(١) **العافي**: طالب الفضل. فالممدوح لا يوجّه إلى آذان السامعين لفظًا إلا لفظ «هاكها» أي خذها يشير بالضمير إلى العطية. والعافون لعلمهم بسماحة نفسه وابتهاجه بما يؤخذ منه لا يجيبونه إلا بلفظ «هاتها».

(٢) **المكارم**: جمع مكرمة وهي أحسن الفعل وأجمله عائدة على الغير. خيل المكارم في صور جوار حسان **أسفرت** أي كشفت عن وجوهها البيض وكان الممدوح خالاً في وجناتها. **والخال**: زينة الوجه الأبيض فهو زينة المكارم، والمكارم زينة الرجال وحلية فضلها وهو من لطيف المبالغة.

(٣) **الشمائل**: جمع شمال بمعنى السجية والطبع أي يفدي سجاياه بأبيه. ووصفها بمزيتها التي حملته على فدائها بأبيه، فقال: التي تجلو العلا. **والعُلا**: الشرف والرّفعة وتجلوها كأنها سيف أو مرآة فتصقلها أو عين فتروقها. **ويدًا**: عطف على شمائله أي ويفدي يدًا وهي يده التي ترى البركات والخيرات في حركاتها كأن في كل حركة عطية لطالب أو تحفة لصاحب.

(٤) **من**: هي الشرطية وجوابها يدل عليه السياق أي قد عدّ شمائل الممدوح وأياديه من حسنات الدهر فقد قصر عن قدره. ثم استأنف قوله لبيان علّة التقصير وذلك أن الحق عنده هو أن الدهر المساعد يُعَدّ من حسنات شمائله وأياديه كأنه واهِب الدهر وما يهبه الدهر. وقد تكون **من** استفهامية للإنكار أي لا يعدّها أحد من حسنات الدهر. والاستئناف في «إنني» على حاله.

المقَـــامَةُ الخَلَفيَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: لَمَّا وُلِّيتُ أَحْكَامَ البَصْرَةِ. وَانْحَدَرْتُ إِلَيْهَا عَنِ الحَضْرَةِ(١)، صَحِبَنِي فِي المَرْكَبِ شَابٌّ. كَأَنَّهُ العَافِيَةُ فِي البَدَنِ(٢)، فَقَالَ: إِنِّي فِي أَعْطَافِ الأَرْضِ وَأَطْرَافِهَا ضَائِعٌ(٣) لَكِنِّي أُعَدُّ مُعَدَّ أَلْفٍ(٤)، وَأَقُومُ مَقَامَ صَفٍّ. وَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَّخِذَنِي صَنِيعَةً، وَلَا تَطْلُبَ مِنِّي ذَرِيعَةً(٥)؟ فَقُلْتُ: وَأَيُّ ذَرِيعَةٍ آكَدُ مِنْ فَضْلِكَ؟ وَأَيُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ؟ لَا بَلْ أَخْدِمُكَ خِدْمَةَ الرَّفِيقِ(٦)، وأُشَارِكُكَ فِي السَّعَةِ وَالضِّيقِ. وَسِرْنَا فَلَمَّا وَصَلْنَا البَصْرَةَ غَابَ عَنِّي أَيَّامًا فَضِقْتُ لِغَيْبَتِهِ ذَرْعًا(٧)

---

(١) **الحضرة**: حضرة الخليفة أي سار من لدن الخليفة إلى البصرة. وقد يكون عبّر بالحضرة عن مدينة بغداد.

(٢) أي أنه في ظرفه وأدبه وغزارة فضله بحيث ينزل من عشيره منزلة الصحة من بدنه في الحرص عليها واشتداد الرغبة إليها لو غابت.

(٣) **الأعطاف**: جمع عطف بالكسر بمعنى الجانب أي جانب الأرض. **وضياعه** في الجوانب والأطرف أنه ينتقل من جانب إلى جانب لا يعرف قدره ولا يقوم بقيمته. وفي بعض النسخ تحريف إلى غير ما كتبنا عليه ولا اعتداد به.

(٤) هو وإن كان ضائعًا مجهول القدر عند الناس لكن إذا عدّ ألف لأمر أو أمور مهمة عدّ وحده حيث يعدّ جميعهم.

(٥) بعد ما بيّن مقام نفسه في الفضل والكفاية طلب من الصاحب أن يتخذه صنيعة أي يُحسِن إليه فيكون له بمنزلة مصنوع له يتبعه ولا يقطعه ويطيعه فيما يسعه بدون أن يطلب منه في نظير اصطناعه والإحسان إليه ذريعة ولا وسيلة أخرى سوى استصناعه واستئلاف شخصه.

(٦) قد يطلقون الرفيق على الخادم لمرافقته سيده غالبًا. ويُروَى: **الرقيق** بقافين وهي أجود.

(٧) **ذرعًا**: محوّل عن الفاعل والأصل ضاق ذرعي. **والذرع**: الخلق والطاقة أي ضاقت طاقتي عن احتمال غيبته.

وَلَمْ أَمْلِكْ صَبْرًا. فَأَخَذْتُ أُفَتِّشُ جُيُوبَ البَلَدِ[١] حَتَّى وَجَدْتُهُ. فَقُلْتُ: مَا الَّذِي أَنْكَرْتَ[٢]؟ وَلِمَ هَجَرْتَ؟ فَقَالَ: إنَّ الوَحْشَةَ تَقْدَحُ فِي الصَّدْرِ اقْتِدَاحَ النَّارِ في الزَّنْدِ فَإنْ أُطْفِئَتْ نَارَتْ وَتَلاشَتْ، وَإنْ عَاشَتْ طَارَتْ وَطَاشَتْ[٣]. وَالقَطْرُ إذَا تَتَابَعَ عَلَى الإنَاءِ امْتَلأَ وَفَاضَ[٤]. والعَتَبُ إذَا تُرِكَ فَرَّخَ وَبَاضَ[٥]. وَالحُرُّ لَا يَعْلَقُهُ شَرَكٌ كَالعَطَاءِ[٦]، وَلَا يَطْرُدُهُ سَوْطٌ كَالجَفَاءِ[٧]. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، نَنْظُرُ مِنْ عَالٍ عَلَى الكَرِيمِ نَظَرَ إدْلَالٍ، وَعَلَى اللَّئِيمِ نَظَرَ إذْلَالٍ[٨]. فَمَنْ لَقِيَنَا بِأَنْفٍ طَوِيلٍ. لَقِينَاهُ

---

(١) **جيوب البلد**: مداخلها.

(٢) أي ما الذي رأيته في صحبتنا على خلاف مألوفك فأنكرته واستقبحته فحملك على هجرنا.

(٣) **الوحشة**: ما يصيب النفس من الغضاضة عند تمثّل أحد من الناس في خيالها لما يصحب مثاله من أثر سوء وصل إليها منه فإذا وجدت من عشيرك ما يسوؤك انقدحت تلك الوحشة في قلبك كما تنقدح النار من الزند بسرعة لا تكاد توصف فإن أتبعت السيئة بالحسنة فكأنما صببت ماء على نار فأطفئت ومحي ذلك الأثر من النفس. وقوله: **نارت**: من نار القوم انهزموا في سرعة مفارقتها النفس بانهزام المنهزم من بين يدي عدوّه الغالب. وقد يروى: **بادت** بالباء أي اضمحلت وهلكت. وإن عاشت تلك الوحشة وثبتت في النفس ولم يتبع سببها بما يمحوه طارت كما يطير لهب النار فلا تدع شيئًا من علاقات المحبة حتى تحرقه وتفسده.

(٤) نوع من الاستدلال التمثيلي فكما أن القطر إذا تتابع على إناء ملأه حتى فاض كذلك الوحشة إذا توالت أسبابها على النفس ضاقت عن احتمالها وفاضت بما يشفي الغيظ ويفرج من سخيمة الضغن.

(٥) **العتب**: بالتحريك الأمر الكريه فإذا ترك يفعل في القلب أثره فكلما ردده الخيال بدا منه وجه جديد يأتي بأثر جديد. هكذا تراك إذا بلغك عن أحد ما يسوؤك فكلما طال الزمن وتذكرت الذي بلغك يعظم الأمر عندك وتقوى النفرة في قلبك فهذا معنى بيضه وتفريخه فإن الكريه الواحد لا يلبث أن تكون له وجوه من الكرائه وربما انتهى بعداوات لا تندمل لها جروح لكن إذا تُلُوفِيَ الأمر في بدايته سهل اقتلاعه.

(٦) الناس ينصبون الأشراك لصيد الطير ونحوه. والأحرار الكرام الطِّباع لا يعلقهم شرك فيقيدهم على طلاب صيدهم مثل العطاء والإحسان فإذا أحسنت إلى حرّ فكأنما قيّدته لطاعتك وقصرته على خدمتك كما يقيد الصائد صيده على منفعته.

(٧) **السوط**: ما يضرب به من جلد مضفور ونحوه. ومنه ما يسمى في بلاد مصر الكرباج والزخمة. وفي العادة أن يطرد الحيوان أو السافل من الإنسان بالسوط والضرب به. أما الحر فلا سوط ينجح استعماله في طرده مثل الجفاء وخشونة الجانب.

(٨) إن الحر الكريم يجد نفسه في رفعة وعلو مكانة بما لها من مزايا الفضل فهو ينظر إلى الناس من مكان عالٍ دائمًا لكنه يختلف نظره في الوقوع على الناس فهو يكون على الكرام نظر إدلال لأن الكريم يقدّر الكريم قدره فله أن يدل عليه ويلحن له بأنه من المنزلة الرفيعة بحيث ينبغي توقيره=

بِخُرْطُومِ فِيلٍ. وَمَنْ لَحَظَنَا بِنَظَرٍ شَزْرٍ، بِعْنَاهُ بِثَمَنٍ نَزْرٍ[١]. وَأَنْتَ لَمْ تَغْرِسْنِي لِيَقْلَعَنِي غُلَامُكَ[٢]. وَلَا اشْتَرَيْتَنِي لِتَبِيعَنِي خُدَّامُكَ. وَالمَرْءُ مِنْ غِلْمَانِهِ، كَالكِتَابِ مِنْ عُنْوَانِهِ[٣]. فَإِنْ كَانَ جَفَاؤُهُمْ شَيْئًا أَمَرْتَ بِهِ فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَ بِهِ كَانَ أَعْجَبَ. ثُمَّ قَالَ:

ظَفِرَتْ يَدَا خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ إِنَّهُ ... سَهْلُ الْفِنَاءِ مُؤَدَّبُ الخُدَّامِ[٤]

أَوَ مَا رَأَيْتَ الجُودَ يَجْتَازُ الوَرَى ... وَيَحِلُّ مِنْ يَدِهِ بِدَارِ مُقَامِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: ثُمَّ أَعْرَضَ وَتَبِعْتُهُ أَسْتَعْطِفُهُ وَمَا زِلْتُ أُلَاطِفُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، بَعْدَ أَنْ حَلَفَ لَا أَوْرَدْتُ مَنْ أَسَاءَ عِشْرَتَهُ. فَوَهَبْتُ لَهُ حُرْمَتَهُ[٥].

= وتعظيمه. والكريم لا يرى في ذلك كِبرًا ولا يجد في نفسه غضاضة بل يفهم ما ألحن به إليه ويؤدي الحق الذي يرى وجوبه عليه. وينظر إلى اللئيم نظر الإذلال بالذال المعجمة من الذل أي نظر الاحتقار والإهانة له.

(١) **النظر الشزر**: ما يكون من مؤخر العين على هيئة المعرض المحتقر. **والثمن النزر**: القليل.

(٢) إن إحسانك إلى كريم بمنزلة غرس شجرة طيبة تثمر ثمرة طيبة لهذا قال: **لم تغرسني ليقلعني غلامك** أي أنت غرستني بإحسانك وغلامك يقلعني بإساءته وما كنت تفعل ذلك ليكون هذا.

(٣) كما قالوا: يعرف الكتاب من عنوانه يقال: يعرف المرء من غلمانه.

(٤) **الفناء**: بالكسر ما امتد من جوانب البيوت أو هو الساحة أمامها ويكنّون بسعته عن الكرم وبسهولته عن لين الجانب وحسن الجوار.

(٥) **أورده**: حضر به إلى الموردة. يريد أن الخادم الذي أساء عشرته لا يمنحه البقاء في خدمته. وبقاء الخادم في خدمة العظماء والكرماء إيراد له مورد الراحة والكرامة. ووهب له حرمته وفى له ببرّ يمينه قضاء لحق الحرمة بينهما. وكأن حرمته كانت مفقودة لو لم يفعل ذلك فوهبها له.

المقـــامَةُ النَّيسَابُوريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ بِنَيْسَابُورَ يَوْمَ جُمْعَةٍ، فَحَضَرْتُ المَفْرُوضَةَ[١] وَلَمَّا قَضَيْتُهَا اجْتَازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبِسَ دَنِيَّةً، وَتَحَنَّكَ سُنِّيَّةً[٢]، فَقُلْتُ لِمُصَلٍّ بِجَنْبِي: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا سُوسٌ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي صُوفِ الأَيْتَامِ[٣]، وَجَرَادٌ لَا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى الزَّرْعِ الحَرَامِ[٤]، وَلِصٌّ لَا يَنْقُبُ إِلَّا خِزَانَةَ الأَوْقَافِ[٥]، وَكُرْدِيٌّ لَا يُغِيرُ إِلَّا عَلَى الضِّعَافِ[٦]، وَذِئْبٌ لَا يَفْتَرِسُ عِبَادَ اللهِ إِلَّا بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،

---

(١) **نيسابور**: مدينة من مدن إيران. **والمفروضة**: يوم الجمعة هي صلاة الجمعة وغلب عليها اللقب في ذلك اليوم مع ما فيه من مفروضات أُخَر لأنها صاحبة اليوم عرفت به أو عرف بها ولامتيازها عن بقية المفروضات بالخطبة ووجوب الجماعة وغير ذلك.

(٢) **الدنية**: قلنسوة القاضي شبِّهت بالدن. **وتحنك**: أدار العمامة من تحت حنكه ومن ذلك تحنيك الميت وهو إدارة الخرقة التي تربط بها رأسه من تحت حنكه. **وسنية**: نسبة إلى السُّنَّة أي اعتمّ بعمامة أهل السُّنَّة.

(٣) شبّه هذا القاضي الخبيث بسوس يقع في الصوف فيفسده. وأراد **بصوف الأيتام**: أموالهم التي يرثونها عن مورثيهم. والنظر في التَّركات يكون للقضاة في أغلب الأحوال. وليس لليتيم من أهل العناية به مَن يحول بين القاضي وبين أكل ماله فلهذا كان أغلب أثر القضاة من السوء في مال الأيتام.

(٤) من الزرع ما يكون تناوله حرامًا وهو ما كان ملكًا لزارع ولم يأذن مالكه في تناوله. ومن الزرع المباح في الأرض غير المملوكة. **فهذا القاضي** أشبه بالجراد في اجتياح الزرع وإتلافه لكنه لا يسقط إلا على ما يحرم تناوله من أموال الناس التي يأكلها بالباطل.

(٥) **هو** أشبه باللص في استلاب الأموال لكنه لا ينقب إلا ما اشتد الخطر في تناوله كمال الأوقاف لأن أغلب شؤونه تتعلق بالقضاة كمال اليتيم.

(٦) في طبع الأكراد ميل إلى السلب والنهب لكنهم لا يغيرون إلا على الضِّعاف لجبنهم ودناءة طباعهم وليس ذلك عامًّا فيهم فقد كان منهم معروفون بالشجاعة مشهورون بالبسالة غير أنه يغلب=

وَمُحَارِبٌ لَا يَنْهَبُ مَالَ اللهِ إلّا بَيْنَ العُهُودِ وَالشُّهُودِ(١). وَقَدْ لَبِسَ دَنِيَّتَهُ، وَخَلَعَ دِينِيَّتَهُ(٢)، وَسَوَّى طَيْلَسَانَهُ(٣)، وَحَرَّفَ يَدَهُ وَلِسَانَهُ، وَقَصَّرَ سِبَالَهُ، وَأَطَالَ حِبَالَهُ(٤)، وَأَبْدَى شَقَاشِقَهُ، وَغَطَّى مَخَارِقَهُ(٥)، وَبَيَّضَ لِحْيَتَهُ، وَسَوَّدَ صَحِيفَتَهُ، وَأَظْهَرَ وَرَعَهُ، وَسَتَرَ طَمَعَهُ. قُلْتُ: لَعَنَ اللهُ هَـٰذَا فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ أُعْرَفُ بِالإسْكَنْدَرِيِّ. فَقُلْتُ: سَقَى اللهُ أَرضًا أَنْبَتَتْ هَـٰذَا الفَضْلَ، وَأَبًا خَلَّفَ هَـٰذَا النَّسْلَ، فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكَعْبَةَ. فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ بِأَكْلِهَا وَلَمَّا تُطْبَخْ(٦)، وَنَحْنُ إِذًا رِفَاقٌ. فَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنَا مُصَعِّدٌ وَأَنْتَ مُصَوِّبٌ(٧)؟ قُلْتُ: فَكَيْفَ تَصْعَدُ إِلَى الكَعْبَةِ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي

= عليهم. **وهذا القاضي** أشبه بهم لأنه إنما يأكل مال الوقف واليتيم ويضيع حق الضعيف والفقير. أما الأقوياء فإنه يتقرّب إليهم بإعطائهم ما يزيد على حقوقهم ليساعدوه بستر هفواته.

(١) يفترسهم وهم راكعون ساجدون أو وهو راكع ساجد يظهر بلباس الصالحين ويعمل عمل الجبارين. وهذا الثاني أمس بقوله: **ومحارب** لا ينهب مال الله الخ... فإنه ينهب المال بحيل شرعية من صور عهود وعقود وشهادة شهود. ونسبتنا الحيل إلى الشرع لأن صورها توافق بعض أحكامه وإن كانت حقيقتها أبعد شيء منه.

(٢) **دينية**: نسبة إلى الدين أي صفته الدينية التي تأتلف مع نهب الأموال بالحيل فهو وإن لبس لباس أهل الدين لكنه قد عري من صفاتهم وعطل من حالاتهم.

(٣) **الطيلسان**: نوع من الكساء يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء يوضع على الرأس ويسبل على القفا إلى ما بين الكتفين. **وتسويته**: وضعه كما ينبغي أن يوضع.

(٤) **السبل**: جمع سبلة وهو ما على الشوارب من الشعر وتقصيره من عادات المتورعين. **وإطالة الحبال** ليوقع فيها من يريد صيده لاستلاب ماله من الناس.

(٥) **الشقاشق**: جمع شقشقة بالكسر وأصل معناها ما يخرجه البعير من فِيه إذا هاج شبه الرئة. ثم قيل في اللسان الذرب شقشقة. وقيل للكلام المتدفق عن غزارة معنى في المتكلم هدرت شقشقته. فهذا القاضي من المتفيهقين في الكلام يظهر الصلاح في منطقه ويطوي الخبث في سريرته. **والمخارق**: جمع مخرقة بمعنى التمويه والكذب.

(٦) بخ بخ على اختلاف الهيئات في نطقها كلمة تقال عند استعظام أمر فيما يحمد ويستحسن. **والأكل**: الحظّ والنصيب. والضمير المضاف إليه يعود للفعلة الصالحة المفهومة من الكلام وتلك الفعلة هي زيارة الكعبة والحج إليها. **وأكل العمل الصالح** هو الثواب والجزاء الحسن عند الله تعالى. وقوله: ولما تطبخ. يريد منه قبل أن تتم أي إن ثوابها عظيم وهي الآن لم تكمل فإن تمت كان ثوابها أعظم وجزاؤها أجزل. واختار هذه الألفاظ لهذا المعنى للإيماء إلى أن الأمر مطلوب للنفس مشتهى لها كما يشتهي الطعام الجائع.

(٧) **مصعد** إلى الشمال الشرقي وعيسى بن هشام **مصوب** يهبط إلى الجنوب الغربي وإنما كان ذلك مع أن الحق في العكس لأن الطريق من نيسابور إلى خراسان يرتفع في جبال ومنها إلى نواحي العراق يهبط إلى سهول. فتعجب عيسى من جوابه وقال: كيف تصعد إلى الكعبة مع أنك تكون=

أُرِيدُ كَعْبَةَ المُحْتَاجِ، لَا كَعْبَةَ الحُجَّاجِ، وَمَشْعَرَ الكَرَمِ لَا مَشْعَرَ الحَرَمِ(١)، وَبَيْتَ السَّبْيِ، لَا الهَدْيِ(٢)، وَقِبْلَةَ الصِّلَاتِ، لَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ(٣)، وَمِنَى الضَّيْفِ، لَا مِنَى الخَيْفِ(٤). قُلْتُ: وَأَيْنَ هَٰذِهِ المَكَارِمُ؟ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

بِحَيْثُ الدِّيْنُ وَالمَلِكُ المُؤَيَّدْ ... وَخَدُّ المَكْرُمَاتِ بِهِ مُوَرَّدْ(٥)

بِأَرْضٍ تَنْبُتُ الآمَالُ فِيهَا ... لِأَن سَحَابَهَا خَلَفُ بْنُ أَحْمَدْ

= مدبرًا عنها. فقال إنه لما ذكر الكعبة لم يرد كعبة الحجاج في مكة بل أراد **كعبة المحتاج**: أي التي يقصدها المحتاج فينال من سدّ حاجته ما ينال الحاج من جزيل مثوبته.

(١) **مشعر الحرم**: يريد به المشعر الحرام وهو موضع المزدلفة. قال صاحب القاموس: وعليه بناء اليوم ووهم من ظنه جبيلاً. وقال صاحب الكشاف (وهو أوثق) هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه **الميقدة** (موضع توقد فيه النار للاستضاءة ثم كان يوقد عليه مصباح كبير أشبه بالفنارات في هذه الأيام زمن الرشيد العباسي). وقيل: **المشعر الحرام**: ما بين جبلي مزدلفة من مازمي عرفة إلى وادي محسر. ثم قال: والصحيح أنه الجبل واستدل عليه.

(٢) **الهدي**: ما يُساق إلى الكعبة من الإبل والبقر والشاء لينحر في المواطن المعروفة قربة إلى الله تعالى. وأما بيت خلف الذي هو كعبة الإسكندري فهو **بيت سبي**: أي تُساق إليه السبايا التي يغنمها جيشه في حروبه.

(٣) **الكعبة**: قِبلَة بالكسر يستقبلها المصلي في صلاته فهذه لا يعنيها الإسكندري أما التي يعنيها فهي التي يستقبلها طالب الصلة بالكسر أي العطية فالصلات بكسر الصاد جمع صلة.

(٤) **منى الخيف**: بلدة قرب مكة ينزل إليها الحاجّ صباح يوم عيد الأضحى وأضافها للخيف لأن الخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وهو مسجد يسمى مسجد الخيف لقربه من ذلك الموضع. يشبه فناء خلف أو بلدته بمنى يأوي إليه الضيفان كما يأوي الحاج إلى منى لأداء نسكه. وفي التشبيه إشعار بكثرة الضيفان حتى كأنهم الحجاج.

(٥) يكون الخد موردًا شبيهًا بالورد إذا كان الدم مترقرقًا تحت جلدة الوجه في غزارة وانبساط وذلك إنما يكون عند الفرح وصحة البنية. ووجه قد حفظ للمكرمات صحتها ووفر لها بهجتها لقيامه بتأدية ما تقتضيه طبيعتها. وبقية المعنى ظاهرة. ويروى: الملك بضم فسكون والمؤبد بالباء الموحدة.

المقَـــامَةُ العِلمِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الغُرْبَةِ مُجْتَازًا[(١)] فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ: بِمَ أَدْرَكْتَ ٱلعِلْمَ؟ وَهُوَ يُجِيبُهُ قَالَ: طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ المَرَامِ[(٢)]، لَا يُصْطَادُ بِالسِّهَامِ، وَلَا يُقْسَمُ بِالْأَزْلَامِ[(٣)]، وَلَا يُرَى في المَنَامِ، وَلَا يُضْبَطُ بِاللِّجَامِ، وَلَا يُورَثُ عَنِ الأَعْمَامِ، وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ الكِرَامِ، فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِٱفْتِرَاشِ المَدَرِ. وَٱسْتِنَادِ الحَجَرِ، وَرَدِّ الضَّجَرِ، وَرُكُوبِ الخَطَرِ، وَإِدْمَانِ

(١) **بعض مطارح الغربة**: بعض المواضع التي طرحتني ورمتني فيها الغربة أي البعد عن أوطاني. **مجتازًا**: أي مارًا في الطريق.

(٢) **المرام**: المطلب وما كان بعيد المطلب فهو أولى أن يكون بعيد الحصول إذ لو قرب حصوله لسهل طلبه.

(٣) **الأزلام**: أقداح كانت تستقسم بها العرب في الجاهلية وهي ضربان أحدهما وهو المشهور ما كانوا يذهبون به عند أصنامهم إذا عزموا على شيء فيُجيلونه ليتبينوا هل يصيبون خيرًا فيما عزموا عليه ويقال إنها ثلاثة أقداح أحدها مكتوب عليه أمرني ربي والآخر نهاني ربي والثالث غفل لا رقم عليه فإذا أجالها المُستَقسِم ثم أخذ أحدها فكأن الأول مضى إلى أمره أو الثاني رجع عنه أو الثالث أعاد ضربها حتى يكون أحد الأوّلين. **والاستقسام**: معناه طلب علم المقسوم له في غيب القضاء. والضرب الآخر وقد لا يطلق عليه اسم الأزلام إلاّ قليلاً وهو قداح الميسر التي يقتسمون بها ما كانوا يجزرون من الإبل وذلك أنهم إذا أرادوا أن يلعبوا أخذوا جزورًا فنحروها ثم قسموها أقسامًا ثم جاؤوا بالقداح وعلى بعضها علامة النصيب وبعضها غفل وزيادة النصيب تختلف في مقداره ثم يُجيلونها وبعد ذلك يتناولونها فمَن أصاب سهمًا فائزًا فله ما قسم له ومَن أصاب الخاسر كان بلا نصيب. **والعلم**: ليس بالشيء ينال بالاستقسام عند الأصنام ولا بالاقتسام على الأنصباء بل هو في حاجة إلى جدّ وتعب. ومعنى **يقسم** أي ينال القسم والحظ منه أو يجعل من قسمك وحظك.

السَّهَرِ[١]، وَٱصْطِحَابِ السَّفَرِ، وَكَثْرَةِ النَّظَرِ، وَإِعْمَالِ الفِكَرِ، فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ[٢]، وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا في النَّفْسِ، وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا في النَّدْرِ، وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا في الصَّدْرِ، وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنَصُ اللَّفْظِ، وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ الحِفْظِ[٣]، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى العَيْنِ[٤]، وَأَنْفَقْتُ مِنَ العَيْشِ وَخَزَنتُ في القَلْبِ[٥]، وَحَرَّرْتُ بِالدَّرْسِ[٦]، وَاسْتَرَحْتُ مِنَ النَّظَرِ إلى

---

(١) كنّى بافتراش **المدر** وهو الطين اليابس وما بعده عن خشونة العيش في طلب العلم لأن المضجع إذا كان لينًا والعيش ناعمًا كان أغلب الزمن مصرفًا ما بين نوم طويل ولذة مستغرقة وقلّما ينال العلم مع هذا. والمراد من **ردّ الضجر**: دفعه عن النفس بالمصابرة على العمل **وإدمان السهر**: مداومته.

(٢) لو بذل فيه كل الوسع لم يمكن أن ينال جملة مجتمعة بل لا بدّ فيه من التدريج فتغرس أصوله في النفس، ثم ينمو حتى تتهدل أغصانه وتجنى ثماره.

(٣) يقال: **شيء ندر** بمعنى نادر. **ونوادر** الكلام: غرائبه أي ما دقّ عن المعتاد أو فاقه في لفظه ومعناه. والعلم ناد عن الأفهام كالصيد المتوحش لا يقع إليها إلا في الرفيع من الكلام وأرفع الكلام ما أحاط بحقيقة المعنى وأتى على أطرافه وشفّ حتى كأن نظر الذّهن إلى ما حوى من معناه يسابق نظره إلى ما يبدو من اللفظ وفي مثل هذا يُصاد العلم وهو **لا ينشب**: أي يعلق إلا في الصدور والمراد منها العقول وفي عادة العرب أن يعبروا عن العقل بالقلب بنوع من التجوّز فانتهى بهم ذلك إلى أن عبّروا عنه بالصدر لأنه يحوي القلب. **والقنص**: الصيد بمعنى المصدر أراد به هنا ما يقتنص به وهو الحب الذي يلقى للطائر في الشرك حتى إذا نزل لالتقاطه علق به فشبه الألفاظ بذلك الحب الذي يستنزل الطائر من وجوه لأن اللفظ على الوصف الذي قدّمنا يستنزل المعاني من سمائها ويستمطرها من أنوائها ويتألف مستوحشها ويستأنس إليه شاردها.

(٤) قد يحمل الشيء على اليد وقد يحمل على الرأس أو على الظهر وما شابه هذه الأعضاء ولا يكون ملازمًا لما هو الإنسان فإن الجسم يكلّ فيسقط ما حمل ثم يفنى فيفارقه محموله أما الروح فلا يدركها الكلال فتلقي ما حملت ولا هي تفنى فيفارقها ما التزمت فهو كناية عن الملازمة كما في حبسته على العين أي منعته مفارقتها. وقد يكون معنى حملته على الروح أني لم أحصر المطلوب منه في الحسّي والنقلي ولكن أسميت همّتي إلى تناول العقلي منه والروحاني ومثل هذا العلم لا يستوي إلا على عرش الروح وحبسه على العين أن لا يخالط بالوهمي بل يقصر على الحقيقي العيني أي الموجود في الأعيان الحقيقية الثابتة وهذا العلم الأعلى هو البالغ من الدقّة ما يحتاج معه إلى الوسائل التي سبق ذكرها.

(٥) أضاع من **ماله** وهو العيش ما حفظ به عقله وهو القلب فهو إن أصبح فارغ الخزانة من المال فهو مليء بالمعارف العوال. وإن أمسى فقيرًا من النقدين فقد بات غنيًا من الفضيلتين العلم والعمل.

(٦) حرر المسائل وخلصها من لَبْس الشُّبُهات بكثرة المدارسة.

التَّحْقِيقِ(١)، وَمِنَ التَّحْقِيقِ إلى التَّعْلِيقِ(٢)، وَاسْتَعَنْتُ في ذَلِكَ بِالتَّوْفِيقِ. فَسَمِعْتُ مِنَ الكَلَامِ مَا فَتَقَ السَّمْعَ وَوَصَلَ إلى القَلْبِ وَتَغَلْغَلَ في الصَّدْرِ، فَقُلْتُ: يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَٰذِهِ الشَّمْسِ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ:

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي ... لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي

لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي ... وَبِالعِرَاقِ نَهَارِي

(١) النظر: الفكر للوصول إلى المطلوب فبعد تحرير المسائل لم يبق حاجة إلى الفكر فقد استراح منه بالوصول إلى التحقيق وهو إدراك الشيء على ما هي حقيقته في نفس الأمر.

(٢) التعليق: أي أن يضع صاحب الرأي ما رآه في مسألة ما لبيان مذهبه فيها فبعد أن حقق علّق على كل بحث ما انكشف له من حقيقته.

المقَــامَةُ الوَصِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوَصِّيهِ، فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: يَا بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ وَثِقْتُ بِمَتَانَةِ عَقْلِكَ، وَطَهَارَةِ أَصْلِكَ، فَإِنِّي شَفِيقٌ وَالشَّفِيقُ سَيِّىءُ الظَّنِّ[1] وَلَسْتُ آمَنُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وَسُلْطَانَهَا، وَالشَّهْوَةَ وَشَيْطَانَهَا، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِمَا نَهَارَكَ بِالصَّوْمِ وَلَيْلَكَ بِالنَّوْمِ، إِنَّهُ لَبُوسٌ ظِهَارَتُهُ الجُوعُ، وَبِطَانَتُهُ الهُجُوعُ[2]، وَمَا لَبِسَهُمَا أَسَدٌ إِلَّا لَانَتْ سَوْرَتُهُ[3]. أَفَهِمْتَهُمَا يَا ابْنَ الخَبِيثَةِ؟ وَكَمَا أَخْشَى عَلَيْكَ ذَاكَ فَلَا آمَنُ عَلَيْكَ لِصَّيْنِ أَحَدُهُمَا الكَرَمُ، وَاسْمُ الآخَرِ القَرَمُ[4]. فَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُمَا إِنَّ الكَرَمَ أَسْرَعُ فِي المَالِ مِنَ السُّوسِ. وَإِنَّ القَرَمَ أَشْأَمُ مِنَ الْبَسُوسِ[5]. وَدَعْنِي مِنْ قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللهَ

---

(١) لأن **الشفقة** تخيل له وقوع ما يحذر منه بمن يشفق عليه وإن لم يكن لذلك التخيل منشأ ينتزع منه. ويروى: والشفيق بسوء الظن مولع.

(٢) **الضمير** في «إنه» لشأن المرء الذي ينبغي أن يكون له أي أن الحال التي يجب أن تكون لشاب مثلك لبوس أي ثوب معنوي تلبسه روحك ظهارته التي تظهر للناظر الجوع لأنه بالنهار ويمكن أن يعرفه الناس وبطانته **الهجوع**: أي النوم لأنه بالليل في خفاء عن الأعين كبطانة الثوب.

(٣) **السورة**: الشدّة. والجوع يكسر من شرة القوة والنوم يذهل عن حديث الشهوة ويروى: أشرّ بدل أسد. والسورة سورة شرهه ونهمته.

(٤) **القرم**: بالتحريك اشتداد الشهوة إلى اللحم. وجعل القرم والكرم لصّين سارقين لأن كلاً منهما يذهب بالمال من حيث لا يشعر صاحبه كما أن السارق كذلك.

(٥) **البسوس**: هي بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرّة البكري كانت جارة لجساس فرعت ناقتها في حمى كليب بن وائل التغلبي فرماها بسهم فاستصرخت البسوس جسّاسًا فهمّ بكليب فقتله فقام المهلهل أخو كليب لأنه رئيس تغلب وطلب بكر بن وائل بثأر كليب فاتّقدت الحرب بينهم أربعين سنة فضرب المثل بالبسوس في الشؤم.

كَرِيمٌ إِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ(١). بَلَى إِنَّ اللهَ لَكَرِيمٌ وَلَكِنْ كَرَمُ اللهِ يَزِيدُنَا وَلَا يَنْقُصُهُ وَيَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّهُ وَمَنْ كَانَتْ هَـٰذِهِ حَالُهُ. فَلْتَكْرُمْ خِصَالُهُ(٢). فَأَمَّا كَرَمٌ لَا يَزِيدُكَ حَتَّى يَنْقُصَنِي وَلَا يَرِيشُكَ حَتَّى يَبْرِيَنِي(٣)، فَخِذْلَانٌ لَا أَقُولُ عَبْقَرِيٌّ، وَلَـٰكِنْ بُقَرِيٌّ(٤). أَفَهِمْتَهُمَا يَا ابْنَ المَشْؤُومَةِ؟ إِنَّمَا التِّجَارَةُ تُنْبِطُ المَاءَ مِنَ الحِجَارَةِ(٥)، وَبَيْنَ الأَكْلَةِ وَالأَكْلَةِ رِيحُ الْبَحْرِ. بَيْدَ أَنْ لَا خَطَرَ وَالصِّينُ غَيْرَ أَنْ لَا سَفَرَ(٦). أَفَتَتْرُكُهُ وَهُوَ

(١) أي لا تذكر لي ذلك الدليل الذي يستدلّون به على أن البذل لا يضيع المال وهو قولهم: إن الله كريم فهو يفيض من كرمه على عباده إذا أنفقوا من مالهم فإن هذا الدليل منزلته من عقل العاقل منزلة خدعة الصبي التي يلهونه بها عن طلب اللبن فكما أن تلك الخدعة لا أثر لها عند المدرك الراشد وإنما أثرها عند الصبي الغرير كذلك هذا الدليل ربما يقنع به المغفلون لا المحنكون فإن كرم الله لا ينقص شيئًا مما لديه وكرمنا يأتي على ما في أيدينا. والوصية وصية تجار.

(٢) أي إن كانت حالتنا تحاكي صفة الله (جلّ شأنه وتعالى علوًا كبيرًا) في أن كرمنا يزيد غيرنا ولا ينقصنا وجب أن تكرم خصالنا وتبذل أموالنا لكن أنّى لنا أن يكون هذا حالنا.

(٣) **راش السهم** يريشه: ألزق عليه الريش. **وبراه** يبريه: نحته. فالكرم لا يزيد الآخذ حتى ينقص من المعطي.

(٤) **الخذلان**: الخيبة والخسار. **والعبقري** في لسانهم وصف لما يعجب حاله في جودة صنعته أو قوته أو حذقه أو ما يشبه ذلك من وجوه كماله. فهذا الخذلان لا يوصف بهذا الوصف الجيد ولكنه يوصف **بالبقري** بضم الباء وفتح القاف منسوب إلى البقر بهذا الشكل أي الداهية المهلكة أو بالفتحتين نسبة إلى جوع البقر وهو أن يأكل ولا يشبع.

(٥) **تنبط الماء**: تستخرجه وإنباط الماء من الحجارة مثل في الإتيان بالشيء من حيث لا يرجى، ويُروَى: إنما تخرج التجارة وتنبط الخ...

(٦) إن ريح البحر إذا هبّت على راكبي السفن أشغلتهم عن كل شيء حتى قد تذهلهم عن أنفسهم خوفًا من خطر الغرق. ولا بدّ لهذا التاجر أن يتخيّل بين الأكلة والأكلة أن قد هبّت عليه ريح البحر فشغلته عن تناول الزّاد. حثٌّ له على صرف القوى إلى العمل حتى يكون إحساسه بالجوع كإحساس مَن هبّت عليه ريح البحر وذلك الإحساس يغيب في تلك الحالة غير أنه يفرق بين حالته فيما بين الأكلتين وبين مَن هبّت عليهم ريح البحر بأن تلك لا خطر فيها. وقد يكون الكلام تصويرًا للمصاعب التي يلقاها التاجر في تحصيل قوته فيقول إن أكلته ربما كان بينها وبين أختها ريح البحر هبّت على المراكب الحاملة لبضائع التاجر فأغرقتها فهو في تحصيل قوته مُعَرَّض لهذه الأخطار بماله وعروضه وإن كان لا خطر عليه في نفسه وكذلك قوله والصين الخ... ربما حمل على أنه يلزم أن يكون بين الأكلتين مسافة ما بينك وبين الصين فهو إثارة لتخيّله ذلك وإن لم يكن سفر. وقد يحمل على معنى أنه قد يعترض التاجر بعد الأكلة الأولى أمر في ماله بزيادة أو نقصان يكون موقعه في الصين فكأنه صار إلى الصين بين الأكلتين غير أنه لا سفر.

مُعْرِضٌ ثُمَّ تَطْلُبُهُ وَهُوَ مُعْوِزٌ[١] أَفَهِمْتَهُمَا لَا أُمَّ لَكَ؟ إِنَّهُ المَالُ عَافَاكَ اللهُ فَلَا تُنْفِقَنَّ إِلَّا مِنَ الرِّبْحِ. وَعَلَيْكَ بِالخُبْزِ وَالمِلْحِ. وَلَكَ فِي الخَلِّ وَالبَصَلِ رُخْصَةٌ مَا لَمْ تُذِمَّهُمَا، وَلَمْ تَجْمَعْ بَيْنَهُمَا[٢]. وَاللَّحْمُ لَحْمُكَ وَمَا أَرَاكَ تَأْكُلُهُ[٣]، وَالحُلْوُ طَعَامُ مَنْ لَا يُبَالِي عَلَى أَيِّ جَنْبَيْهِ يَقَعُ[٤]، وَالوَجَبَاتُ عَيْشُ الصَّالِحِينَ[٥]، وَالأَكْلُ على الجُوعِ وَاقِيَةُ الفَوْتِ[٦]، وَعَلَى الشِّبَعِ دَاعِيَةُ المَوْتِ، ثُمَّ كُنْ مَعَ النَّاسِ كَلَاعِبِ الشِّطْرَنْجِ خُذْ كُلَّ مَا مَعَهُمْ وَٱحْفَظْ كُلَّ مَا مَعَكَ. يَا بُنَيَّ قَدْ أَسْمَعْتُ وَأَبْلَغْتُ، فَإِنْ قَبِلْتَ فَاللهُ حَسْبُكَ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاللهُ حَسِيبُكَ[٧]. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(١) إن كان يصيب التاجر في تحصيل المال هذه الأوصاب فإذا حصل المال وصار في يده أفتتركه في هذه الحالة بالبذل والإنفاق وهو معرّض أي ظاهر بادٍ يريد وهو موجود ثم بعد أن تضيعه بتركك له يذهب في النفقة تطلبه وهو معوز يعجزك تحصيله. يقول: إن كان المال مطلوب التاجر بأعماله الشاقة فأولى له أن يمسكه متى ظفر به ومن الحمق أن يفرّط فيه إذا وجد ثم يطلبه إذا فقد.

(٢) **تذمهما**: من أذمّه إذمامًا إذا وجده مذمومًا أي لك أن تأكلهما ما لم تنكرهما نفسك لما في أكلهما من الإسراف فعند ذلك لا رخصة لك فيهما لأن نفسك قد حرمتهما عليك. وما لم تجمع بينهما فإنهما يحرمان عليك عند ذلك فكلٌّ منهما مرخص فيه على حِدَة ومحَرَّم عليك مجتمعًا مع صاحبه. ويُروَى: تدمنهما بدل تذمهما أي تداوم عليهما فكأنه يبيحهما له في الأحايين بعد الأحايين لا دائمًا.

(٣) عليك أن تعلم أنه لا لحم في الوجود إلا لحمك فقط وما أظنك تأكله أي ليس في الأشياء ما يسمى باللحم إلا لحمك مبالغة في تزهيده فيه.

(٤) لا يأكل الحلو إلا شخص مخاطر بنفسه يعلم أنه مصروع ساقط لا محالة ولا يبالي على أيّ الجوانب سقط.

(٥) **الوجبات**: جمع وجبة بالفتح وهي الأكلة في اليوم والليلة تأكلها الساعة ثم لا تأكل مثلها إلا في مثل هذه الساعة من غد. والصالحون يقلّلون من الأكل شظفًا لأنفسهم وترويضًا لقواهم.

(٦) **الفوت**: هنا الإعواز أي إذا لم تأكل إلا على الجوع فقد وُقيت الإسراف الذي يفضي إلى الإعواز والأكل على الشبع قد يُحدِث البطنة التي تُفضِي إلى الموت.

(٧) **حسبك**: كافيك. **وحسيبك**: محاسبك.

المقَـامَةُ الصَّيْمَرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحٰقَ المَعْرُوفُ بِأَبِي الْعَنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ: إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَادَّخَرْتُهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنِ اعْتَبَرَ وَاتَّعَظَ وَتَأَدَّبَ. وَذٰلِكَ أَنِّي قَدِمْتُ مِنَ الصَّيْمَرَةِ(١) إِلى مَدِينَةِ السَّلَامِ، وَمَعِي جِرَابُ دَنَانِيرَ وَمِنَ الخُرْثِيِّ وَالآلَةِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مَا لَا أَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى أَحَدٍ(٢). فَصَحِبْتُ مِنْ أَهْلِ البُيُوتَاتِ وَالكُتَّابِ وَالتُّجَّارِ، وَوُجُوهِ الثَّنَاءِ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَاليَسَارِ، وَالجِدَةِ(٣) وَالعَقَارِ، جَمَاعَةً اخْتَرْتُهُمْ لِلصُّحْبَةِ، وَادَّخَرْتُهُمْ لِلنَّكْبَةِ، فَلَمْ نَزَلْ فِي صَبُوحٍ وَغَبُوقٍ(٤) نَتَغَذَّى بِالجَدَايَا

---

(١) ويُروَى **الصيمرية**. والمعروف من المواضع **ضمين**: موضع كان بقرب دمشق ولعل قرية أو بلدًا أو موضعًا آخر بهذا الاسم ينسب إليه أبو العنبس. والذي في المشترك **الصيمرة**: بالصاد المهملة مفتوحة وياء ساكنة وميم مفتوحة وراء مهملة وهاء موضعان أحدهما ناحية بالبصرة على فم نهر معقل فيها عدة قرى يشملها هذا الاسم وهم جهّال يعبدون رجلاً يقال له **عاصم بن الشباش** وولده من بعده قال: وإليها ينسب أبو العنبس محمد بن إسحٰق بن إبراهيم الصيمري صاحب الكتب في الهزل مات سنة خمس وسبعين ومائتين. والثاني **الصيمرة**: بلدة من نواحي خوزستان وهي المسمّاة **بمهرجان قذق** وإليها ينسب أبو تمام إبراهيم بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن حمدان الهمذاني الصيمري من أهل بروجرد وأصله من الصيمرة .اهـ. فلعل ما في هذه الرواية تحريف والصواب **الصيمرة**: بالصاد المهملة لا بالضاد المعجمة. **ومدينة السلام**: بغداد.

(٢) **الخرثي**: الأثاث. **والآلة**: ما يحتاج إليه الارتفاق به في الأعمال المنزلية.

(٣) **ووجوه الثناء**: أي وجوه الذِّكر والشُّهرة والصِّيت. **والجدة**: الغنى والسعة.

(٤) **الصبوح**: ما حلب من اللبن صباحًا وما أصبح عندك من شراب. **والغبوق**: مثله في المساء يريدون منهما الشرب صباحًا والشرب مساءً.

الرُّضَّعِ[١] وَالطَّبَاهِجَاتِ الفَارِسِيَّةِ[٢] وَالمُدَقَّقَاتِ الإِبْرَاهِيمِيَّةِ[٣] وَالقَلَايَا المُحْرِقَةِ وَالكَبَابِ الرَّشِيدِيِّ والحُمْلَانِ[٤] وَشَرَابُنَا نَبِيذُ العَسَلِ وَسَمَاعُنَا مِنَ المُحْسِنَاتِ الحُذَّاقِ[٥]، المَوْصُوفَاتِ فِي الآفَاقِ. وَنَقْلُنَا اللَّوْزُ المُقَشَّرُ وَالسُّكَّرُ الطَّبَرْزَدُ[٦]، وَرَيْحَانُنَا الوَرْدُ، وَبَخُورُنَا النَّدُّ[٧]. وَكُنْتُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ[٨]، وَأَظْرَفَ مِنْ أَبِي نُوَاسٍ، وَأَسْخَى مِنْ حَاتِمٍ، وَأَشْجَعَ مِنْ عَمْرٍو[٩]، وَأَبْلَغَ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ، وَأَدْهَى مِنْ قَصِيرٍ[١٠]، وَأَشْعَرَ مِنْ جَرِيرٍ، وَأَعْذَبَ مِنْ مَاءِ الفُرَاتِ، وَأَطْيَبَ مِنَ العَافِيَةِ لِبَذْلِي وَمُرُوءَتِي، وَإِتْلَافِ ذَخِيرَتِي. فَلَمَّا خَفَّ

---

(١) **الجدايا**: جمع جدي وهو الذكر من أولاد المعز في السنة الأولى وهذا الجمع غير معروف، والمعروف جداء وأجد وجديان. ووصفها **بالرضع** ليدلّ على طراوة اللحم وطيبه.

(٢) **الطباهجة**: ضرب من اللحم المُشرَّح قالوا يصنع من البيض والبصل.

(٣) **والمدققة**: اللحم يقطع قطعًا صغارًا ويُشوَى بعد تكتيله كتلاً وهي أشبه ما يسمّونه اليوم كفتة. **والإبراهيمية**: نسبة إلى إبراهيم بن المهدي لأنه كان يتأنّق فيها.

(٤) **القلايا**: جمع قلية وهي ما يُقلَى من لحم وغيره ويضاف إليها في الغالب ما يطيّبها. ووصفها بالمحرقة أي المعطّشة لأن الجيد من القلايا ما ظهرت حرافته في اللسان وهيّج حرارة المعدة بعد الازدراد. **والكباب**: اللحم المشوي. والرشيدي نسبة إلى الرشيد الخليفة كأنه كان يستجيد منه. **والحملان**: جمع حمل وهو الخروف، ويُروَى: الحملان الراعبية. ولم يعرف نسبة الحملان إلى أرض راعب ولكن المعروف نسبة الحمام إليهما فيقال حمام راعبية.

(٥) **الحذاق**: اللاتي حذقن أي مهرن في صناعة الغناء والتلحين.

(٦) **الطبرزد**: نوع من السكر أبيض صلب وهو المعروف اليوم بالسكر النبات.

(٧) **الند**: عود يتبخر به أو هو العنبر.

(٨) هو ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، كان عبد الله من أفقه أصحاب رسول الله ﷺ وأعلمهم ومن أبصرهم بالعواقب وأبعدهم نظرًا في الأمور.

(٩) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي صاحب الصمصامة.

(١٠) قصير هو عبد كان لجذيمة الأبرش من ملوك الحيرة الأزديين من بني فهم بن غنم بن دوس. فلما جرى بين جذيمة وبين ملك الجزيرة عمرو بن الضرب العمليقي من الحروب ما انتهى بقتل عمرو ثم احتالت بنته الزبّاء في قتل جذيمة بثأر أبيها وفعلت وملك الحيرة عمرو بن عدي بن نصر ابن أُخت جذيمة اتفق عمرو هذا مع قصير على نسج الحيلة لأخذ الزبّاء بثأر جذيمة فجدع قصير أنفه وذهب إلى الزبّاء كأنه مغاضب لعمرو بن عدي ولم يزل بها حتى وثقت به ووجّهت به في تجارتها فكان يتردّد إليها بالربح الجمّ فلما تمكّنت الثقة ولم يبق للرِّيب مَهبّ حمل إليها الرجال في العدول والصناديق فاغتالوها في مدينتها. والقصة طويلة شهيرة.

المَتَاعُ، وَانْحَطَّ الشِّرَاعُ[(١)]، وَفَرَغَ الجِرَابُ، تَبَادَرَ القَوْمُ البَابَ، لَمَّا أَحَسُّوا بالقِصَّةِ[(٢)]. وَصَارَتْ في قُلُوبِهِمْ غُصَّةً[(٣)]، وَدَعَوْنِي بُرْصَةً[(٤)]. وَٱنْبَعَثُوا لِلْفِرَارِ، كَرَمْيَةِ الشِّرَارِ، وَأَخَذَتْهُمُ الضُّجْرَةُ[(٥)]، فَٱنْسَلُّوا قَطْرَةً قَطْرَةً، وَتَفَرَّقُوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً[(٦)]. وَبَقِيتُ عَلَى الآجُرَّةِ[(٧)]، وَقَدْ أَوْرَثُونِي الحَسْرَةَ. وَاشْتَمَلَتْ مِنْهُمْ عَلَيَّ العَبْرَةُ[(٨)]، لَا أُسَاوِي بَعْرَةً. وَحِيدًا فَرِيدًا كَالبُومِ، المَوْسُومِ بِالشُّومِ، أَقَعُ وَأَقُومُ كَأَنَّ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ لَمْ يَكُنْ. وَنَدِمْتُ حِينَ لَمْ تَنْفَعْنِي النَّدَامَةُ فَبُدِّلْتُ بِالجَمَالِ وَحْشَةً[(٩)]، وَصَارَتْ بِي طُرْشَةٌ، أَقْبَحُ مِنْ رَهْطَةِ المُنَادِي، كَأَنِّي رَاهِبٌ

---

(١) **الشراع**: كل ما يشرع أي ينصب ويرفع كناية عن انحطاط حاله في الثروة بعد أن كان في الدرجة الرفيعة منها. أو أراد منه شراع السفينة ويكنّى بانحطاطه عن ركود الريح ووقوف السفينة عن الحركة وذلك كناية عن ضعفه وعجزه عن المسير إلى رغائب الشهوات ومطالب اللذّات كما كان سائرًا من قبل.

(٢) **أحسّوا بالقصة**: شعروا بها وعلِموها والقصة هي قصة خفة متاعه وانحطاط شراعه. **وتبادروا الباب**: تسابقوا إليه.

(٣) **الغصة**: هنا الحزن والهمّ وإنما غمّهم ما عرفوا من قصته ليأسهم من تلك اللذّات التي جاوروها وتمتعوا بها زمنًا طويلاً. ويُروَى: وصرت في قلوبهم.

(٤) **دعوني برصة**: لقّبوني بهذا اللقب وجعلوه عنوانًا لي. **والبرصة**: إما بالفتح مؤنث البرص لدُوَيبة صغيرة توجد في الآبار أو بالضم وهي واحد البراص بقاع في الرمل لا تنبت ومنازل الجن. فعلى الأول يكون الغرض من لمزه بهذا الاسم مجرد التحقير. وعلى الثاني يكون فيه مع ذلك الإشارة إلى إقفاره وخلوّه من رغائب الخير واستكنان الوحشة فيه واستحقاقه للنفرة منه بذلك كله. **والشرار**: ما ينفصل وتطاير من النار.

(٥) **الضجرة**: إما المرة من الضجر بالتحريك وهو القلق من الغم وضيق النفس مع كلام يدل على التململ فهي مُحَرّكة. أو هي بالضم بمعنى الضجر أيضًا أي إنهم ضجروا من حالته واشتدوا إلى فرقته. ويروى: الفترة بدل الضجرة وهي ضعيفة وما عندنا أصحّ وأليق بمقام الكلام.

(٦) **انسلّوا**: خرجوا من بيته أو من روابط وداده كما يخرج قطر الماء من مستقره في الفضاء. والماء إذا وصل إلى حدّ من الجوّ معين لم يكن بدٌّ من تساقطه وتقاطره وهو إذا تقاطر لا يكون أسرع منه مفارقة لمكانه فكذلك هؤلاء. **ويمنة ويسرة**: بالفتح فيهما يمينًا ويسارًا.

(٧) كما يقال في العاميّ بقي على البلاط. **والآجرة**: بالمدّ وتشديد الراء واحدة الآجر وهو الطين المحروق يُبنَى به. أي فارقوه ولم يبق معه إلا الآجر أي بقي هو وحوائط البيت.

(٨) **العبرة**: البكاء. ومنهم أي بسببهم. **واشتمل** عليه البكاء: استغرق أوقاته.

(٩) **الوحشة**: لا تقابل الجمال ولكنه أراد ملزومها وهو تغيّر الهيئة وقبحها فبعد أن كان في جمال يؤنس إليه أصبح في حالة شوهاء يستوحش منها.

عُبَّادِيٌّ[١]. وَقَدْ ذَهَبَ المَالُ وَبَقِيَ الطَّنْزُ[٢]، وَحَصَلَ بِيَدِي ذَنَبُ العَنْزِ[٣]، وَحَصَلْتُ فِي بَيْتِي وَحْدِي. مُتَفَتِّتَةً كَبِدِي. لِتَعْسِ جَدِّي[٤]، قَدْ قَرَّحَتْ دُمُوعِي خَدِّي. أَعْمُرُ مَنْزِلًا دَرَسَتْ طُلُولُهُ[٥]، وَعَفَتْ مَعَالِمَهُ سُيُولُهُ[٦]، فَأَضْحَى وَأَمْسَى بِرَبْعِهِ الوُحُوشُ، تَجُولُ وَتَنُوشُ[٧]. وَقَدْ ذَهَبَ جَاهِي وَنَفِدَتْ صِحَاحِي[٨]، وَقَلَّ مَرَاحِي، وَسَلَحْتُ فِي رَاحِي[٩]، وَرَفَضَنِي النُّدَمَاءُ، وَالإِخْوَانُ القُدَمَاءُ. لَا يُرْفَعُ لِي رَأْسٌ، وَلَا أُعَدُّ مِنَ النَّاسِ. أَوْتَحُ مِنْ بَزِيعِ الهَرَّاسِ، وَرَزِينِ المَرَّاسِ[١٠]، أَتَرَدَّدُ عَلَى الشَّطِّ، كَأَنِّي رَاعِي البَطِّ[١١]. أَمْشِي وَأَنَا حَافِي. وَأَتْبَعَ الفَيَافِي[١٢]، عَيْنِي

---

(١) **الطرشة**: الخفيف من الصّمم لكنه بين ثقلها وقبحها بقوله: أقبح من رهطه. **ورهطة المنادي**: رجل كان مشهورًا بالطّرش القبيح. وقوله: كأني راهب عبادي تشبيه لمجمل حاله في الوحشة والانفراد. **والعبادي**: نسبة إلى العباد من نسبة الشيء إلى ما هو من أفراده كما تقول الهندي صنف إنساني وكذلك الراهب من العباد فيُنسَب إليهم.

(٢) **الطنز**: السخرية، يقال طنز به يطنز طنزًا سخر به.

(٣) **ذنب العنز**: قصير يابس لا ينتفع به ولا تمسك العنز منه فهو أردأ شيء يأتي إلى اليد كأنه لم يأتِ فيها شيء.

(٤) **الجد**: الحظ والبخت.

(٥) كأن المنزل الذي كان به لم يكن بيتًا أو دارًا بل كان محلّة فيها الدُّور والمساكن الكثيرة وكان يعمرها هو وأولئك الندماء الذين كانوا يأوون إليه ولهذا خربت تلك المساكن بعد خلوّها من الساكن. **ودرست** طلولها: أي عفت وذهبت. **والطلول**: الشخوص من كل شيء.

(٦) وفي رواية: «أعفت» ولا أعرف أعفى بمعنى محا والأصوب عفت. **ومعالم الشيء**: ما يعلم به من آثاره. **والسيول**: جمع سيل الماء أي إن السيول من كثرة ما مرّت على معالِم ذلك المنزل وليس مَن يمنعها عنه مَحَت معالمه ورسومه.

(٧) **تنوش**: كتحول في معناه أي تمشي فيه الوحوش ذاهبة آيبة.

(٨) **الصحاح**: جمع صحيح وهو ما يعتمد عليه وقد كان يعتمد على ما بيده من مال فذهب. **ونفدت**: أي فنيت.

(٩) إذا سلح في شيء فقد أفسده. **والراح**: الارتياح والراحة أيضًا وهو بما فعل من الإسراف والتبذير كأنه سلح في راحته فقذرها وأفسدها وانقلبت عليه تعبًا.

(١٠) **الوتح**: الخسيس وهو أوتح منه أي أخسّ. **وبزيع**: اسم رجل. **والهراس**: صنعته لأنه كان يصنع الهريسة. **ورزين**: أيضًا اسم رجل. **المراس**: صانع الأمراس أي الحبال وضربهما مثلاً في الخسّة لأنهما كانا أخسّ مَن يُعرَف في زمانه.

(١١) **الشط**: شاطىء النهر. **والبط**: من فصيلة الإوز يألف الماء فراعِيه مُلازِم للشطّ.

(١٢) **الفيافي**: جمع فيفاء وهو المكان المستوي أو المفازة لا ماء فيها. يريد أنه يمشي حيث لا عمران خجلاً من الناس.

سَخِينَةٌ، وَنَفْسِي رَهِينَةٌ[١]، كَأَنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ دَيْرٍ أَوْ عَيْرٌ يَدُورُ فِي الحَيْرِ[٢]. أَشَدُّ حُزْنًا مِنَ الخَنْسَاءِ عَلَى صَخْرٍ[٣]. وَمِنْ هِنْدٍ عَلَى عَمْرٍو[٤]. وَقَدْ تَاهَ عَقْلِي وَتَلَاشَتْ صِحَّتِي، وَفَرَغَتْ صُرَّتِي[٥]، وَفَرَّ غُلَامِي، وَكَثُرَتْ أَحْلَامِي، وَجُزْتُ فِي الوَسَاوِسِ المِقْدَارَ، وَصِرْتُ بِمَنْزِلَةِ العُمَّارِ، وَشَيْطَانِ الدَّارِ[٦]. أَظْهَرُ بِاللَّيْلِ وَأَخْفَى بِالنَّهَارِ. أَشْأَمُ مِنْ حَفَّارٍ، وَأَثْقَلُ مِنْ كِرَاءِ الدَّارِ[٧]، وَأَرْعَنُ مِنْ طِيطِيءِ القَصَّارِ[٨]، وَأَحْمَقُ مِنْ دَاوُدَ العَصَّارِ. قَدْ حَالَفَتْنِي القِلَّةُ، وَشَمَلَتْنِي الذِّلَّةُ وَخَرَجْتُ مِنَ المِلَّةِ، وَأُبْغِضْتُ فِي اللهِ[٩] وَكُنْتُ أَبَا العَنْبَسِ فَصِرْتُ أَبَا عَفَلَّسٍ وَأَبَا فَقْعَسٍ[١٠]. قَدْ ضَلِلْتُ المَحَجَّةَ، وَصَارَتْ عَلَيَّ الحُجَّةُ[١١]. لَا أَجِدُ لِي نَاصِرًا. وَالإِفْلَاسُ عِنْدِي أَرَاهُ حَاضِرًا. فَلَمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ قَدْ صَعُبَ، وَالزَّمَانُ قَدْ كَلِبَ[١٢]، ٱلْتَمَسْتُ الدِّرْهَمَ فَإِذَا هُوَ مَعَ النَّسْرَيْنِ[١٣]،

---

(١) يقال: **عينه سخينة**: إذا كان حزينًا ويقال: أسخن الله عينه كما يقال: أقرّ الله عينه. **والرهينة**: المحبوسة.

(٢) **العير**: الحمار. **والحير**: يشبه الحظيرة وهي ما يُعمَل للماشية لِيَقِيها من الحرّ والبرد.

(٣) **صخر**: هو ابن عمرو السليمي أغار على بني أسد فأصابه سهم واعتلّ منه ومات فلزمت أُخته الخنساء قبره تبكيه وترثيه حتى ماتت.

(٤) **عمرو**: هو ابن المنذر بن ماء السماء. **وهند**: أمه.

(٥) **الصرّة**: ظرف الدراهم الذي تصرّ فيه.

(٦) **العمار**: سكان البيوت من الجن. **وشيطان الدار**: كالتبيين لسابقه.

(٧) **الحفّار**: حفّار القبور. والساكن في الدار بالكِراء يثقل عليه تأديته جدًّا فمَن كان أثقل منه لا يحتمل.

(٨) **أرعن**: من الرعونة وهي الحمق. **وطيطيء**: اسم رجل. **والقصّار**: الذي يقصِّر الثياب.

(٩) حيث خرج من الملة صار ممّن يستحق البغض في الله أي لأجل الله تعالى.

(١٠) يلمح إلى أصل معنى **العنبس**: وهو الأسد. **أبو غفلس وأبو فقعس**: أشخاص لا منزلة لهم. **والعفلس**: مما لا أصل له. **والفقعس**: له مادة من الفقعسة وهي البلادة. **وفقعس** أبو حي من بني أسد.

(١١) **المحجة**: نهج الطريق. **والحجة**: البرهان. أي قامت الحجة عليه في أن ما وصل إليه لم يكن إلا من عمل يديه.

(١٢) قد يكون من كلب الكلب إذا أُصيب بداء الكلب فلا يعض أحدًا حتى يشرب جسمه من السّمّ ما يُفضي إلى فَقْد حياته غالبًا ويكون ذلك تمثيلًا لشدّة الزمان وثقل وطأته.

(١٣) **النسران**: هما الكوكبان أحدهما النسر الطائر وثانيهما النسر الواقع فإن كان الدرهم معهما فهو مما لا=

وَعِنْدَ مُنْقَطَعِ البَحْرَيْنِ[١]، وَأَبْعَدُ مِنَ الفَرْقَدَيْنِ[٢]. فَخَرَجْتُ أَسِيحُ كَأَنِّي المَسِيحُ[٣]، فَجُلْتُ خُرَاسَانَ، الخَرَابَ مِنْهَا وَالعُمْرَانَ، إِلَى كَرْمَانَ وَسِجِسْتَانَ وَجِيلَانَ إِلَى طَبَرِسْتَانَ وَإِلَى عُمَانَ[٤]، إِلَى السِّنْدِ وَالهِنْدِ وَالنُّوبَةِ وَالقِبْطِ وَاليَمَنِ وَالحِجَازِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ أَجُولُ البَرَارِي وَالقِفَارَ، وَأَصْطَلِي بِالنَّارِ، وَآوِي مَعَ الحِمَارِ[٥]، حَتَّى اسْوَدَّتْ وَجْنَتَايَ، وَتَقَلَّصَتْ خُصْيَتَايَ، فَجَمَعْتُ مِنَ النَّوَادِرِ وَالأَخْبَارِ وَالأَسْمَارِ[٦]، وَالفَوَائِدِ وَالآثَارِ، وَأَشْعَارِ المُتَظَرِّفِينَ وَسُخْفِ المُلْهِينَ، وَأَسْمَارِ المُتَيَّمِينَ، وَأَحْكَامِ المُتَفَلْسِفِينَ، وَحِيَلِ المُشَعْوِذِينَ، وَنَوَامِيسِ المُتَمَخْرِقِينَ، وَنَوَادِرِ المُنَادِمِينَ. وَرِزْقِ المُنَجِّمِينَ[٧]، وَلُطْفِ المُتَطَبِّبِينَ، وَكِيَادِ المُخَنَّثِينَ. وَدَخْمَسَةِ الجَرَابِزَةِ[٨] وَشَيْطَنَةِ الأَبَالِسَةِ مَا قَصَّرَ عَنْهُ فُتْيَا الشَّعْبِيِّ، وَحِفْظُ الضَّبِّيِّ، وَعِلْمُ الكَلْبِيِّ[٩]. فَاسْتَرْدَفْتُ وَاجْتَدَيْتُ، وَتَوَسَّلْتُ وَتَكَدَّيْتُ[١٠]، وَمَدَحْتُ وَهَاجَيْتُ، حَتَّى كَسَبْتُ ثَرْوَةً مِنَ المَالِ وَاتَّخَذْتُ مِنَ الصَّفَائِحِ الهِنْدِيَّةِ[١١]،

= ينال أبدًا.

(١) **المحيط** الغربي والمحيط الشرقي ومنقطعهما كان مما لا تبلغه الجواري في عصر المتكلم وهو مبالغة في وصف بعد الدرهم أيضًا.

(٢) **الفرقد**: نجم قريب من القطب الشمالي يُهتَدَى به. وبجانبه آخر أخفى منه وهما الفرقدان.

(٣) **المسيح** عيسى ابن مريم عليه السلام.

(٤) كلها من أقاليم فارس. **وعمان**: من بلاد العرب. وما يذكر بعدها من الأقطار مشهور ويُروَى بعد الطائف «والطراز» وهو بلد من ثغور الترك قريب من أسبيجاب.

(٥) بلغ من الحاجة في أسفاره إلى أن كان يبيت في حظائر الحمر.

(٦) **الأسمار**: جمع سمر وهو حديث الليل وأراد منها القصص التي يتحدّث بها فيه.

(٧) **المتمخرقون** والممخرقون: المموّهون المحتالون. **ونواميسهم**: أشراكهم وحبالاتهم التي يوقعون فيها مَن ينخدع لهم. **والمنجمون**: الذين يزعمون معرفة أحكام النجوم وتأثيرها في العالم العنصري والمراد من رزقهم ما به يرتزقون من التكهّن والإخبار بالغيب. ويُروَى: زرق بتقديم الزاي ولا تجد له معنى إلا بالتكلّف البعيد من الفصاحة.

(٨) **الدخمسة**: من دخمسه إذا خدعه. **والجرابزة**: جمع جربز وهو الخداع الخبيث.

(٩) الثلاثة من علماء الصدر الأول يضرب بكلٍّ المثل فيما ينسب إليه من المزية.

(١٠) **استرفد**: استعطى. **واجتدى**: مثله. **وتكدّى**: لا يبعد منهما. ويُروَى: تحرّيت بدل تكديت. **وتحرّى**: طلب ما هو الأحرى والأولى به.

(١١) **الصفائح الهندية**: السيوف الواحد صفيحة بمعنى السيف.

وَالقُضُبِ اليَمَانِيَّةِ[١]، وَالدُّرُوعِ السَّابِرِيَّةِ[٢]، وَالدَّرَقِ التِّبِّتِيَّةِ[٣]، وَالرِّمَاحِ الخَطِّيَّةِ[٤]، وَالحِرَابِ البَرْبَرِيَّةِ، وَالخَيْلِ العِتَاقِ الجرْدِيَّةِ[٥]، وَالبِغَالِ الأَرْمَنِيَّةِ، وَالحُمُرِ المَرِّيسِيَّةِ[٦]، وَالدَّيَابِيجِ الرُّومِيَّةِ[٧]، وَالخُزُوزِ السُّوسِيَّةِ[٨]، وَأَنْوَاعِ الطُّرَفِ، وَاللُّطَفِ[٩]. وَالهَدَايَا وَالتُّحَفِ، مَعَ حُسْنِ الحَالِ، وَكَثْرَةِ المَالِ. فَلَمَّا قَدِمْتُ بَغْدَادَ وَوَجَدَ القَوْمُ خَبَرِي، وَمَا رُزِقْتُهُ فِي سَفَرِي، سُرُّوا بِمَقْدَمِي، وَصَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيَّ يَشْكُونَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الوَحْشَةِ لِفَقْدِي. وَمَا نَالَهُمْ لِبُعْدِي. وَشَكَوْا شِدَّةَ الشَّوْقِ، وَرُزْءَ التَّوْقِ[١٠]. وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ مِمَّا فَعَلَ وَيُظْهِرُ النَّدَمَ عَلَى مَا صَنَعَ. فَأَوْهَمْتُهُمْ أَنِّي قَدْ صَفَحْتُ عَنْهُمْ وَلَمْ أُظْهِرْ لَهُمْ أَثَرَ المَوْجِدَةِ عَلَيْهِمْ[١١] بِمَا تَقَدَّمَ. فَطَابَتْ نُفُوسُهُمْ وَسَكَنَتْ جَوَارِحُهُمْ وَانْصَرَفُوا عَلَى ذَلِكَ. وَعَادُوا إِلَيَّ فِي اليَوْمِ الثَّانِي فَحَبَسْتُهُمْ عِنْدِي[١٢] وَوَجَّهْتُ وَكِيلِي إِلَى السُّوقِ فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بِشِرَائِهِ إِلَّا أَتَى بِهِ وَكَانَتْ لَنَا طَبَّاخَةٌ حَاذِقَةٌ فَاتَّخَذْتُ عِشْرِينَ لَوْنًا مِنْ قَلَايَا

(١) **القضب**: جمع قضيب وهو هنا السيف القاطع.
(٢) **السابرية**: درع دقيقة النسج في إحكام.
(٣) **الدرق**: جمع درقة وهي ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب. **والتبتية**: نسبة إلى بلاد تبت وهي البلاد التي في شرقي كشمير وشمالي الهند الإنكليزية ونيبال وفي جنوب تركستان وأهلها مجيدون في صنعة الدرق.
(٤) **الخطية**: نسبة إلى خط وهو مرفأ سفن بالبحرين لأنها تُباع فيه.
(٥) **العتاق** من الخيل: النجائب. **والجردية**: نسبة إلى الأرض الجردة أي المستوية المنجردة وخيلها أصلب وأجود.
(٦) **مريسة**: على وزن سكينة بلدة.
(٧) **ديابيج**: جمع ديباج وهو الثوب الذي سداه ولحمته حرير.
(٨) **الخزّ**: الثياب المنسوجة من الصوف والحرير. **والسوسية**: نسبة إلى السوس وهي كورة من كور الأهواز.
(٩) **الطرف**: جمع طرفة وهي الغريب المستحسن. **واللطف** من قبيلها.
(١٠) **رزء التوق**: بليّته. **والتوق**: إما شدّة الحب وهو رزء لما يجده المحب من ألم الفراق لحبيبه. وإما خروج الدموع من الشجون وإما الجود بالنفس. كأنهم لشدّة شوقهم إليه ماتوا ثم بعثوا.
(١١) **الموجدة**: الحقد.
(١٢) منعهم من الانصراف واستباقهم ليكرمهم بالطعام والشراب وما يتبعهما كما يذكره من بعد.

مُخرِقَاتٍ، وَأَلْوَانًا مِنْ طَبَاهِجَاتٍ[١] وَنَوَادِرَ مُعَدَّاتٍ. وَأَكَلْنَا وَٱنْتَقَلْنَا إلى مَجْلِسِ الشَّرَابِ فَأُحْضِرَتْ لَهُمْ زَهْرَاءُ خَنْدَرِيسِيَّةٌ[٢] وَمُغَنِّيَاتٌ حِسَانٌ مُحْسِنَاتٌ. فَأَخَذُوا في شَأْنِهِمْ وَشَرِبْنَا. فَمَضَى لَنَا أَحْسَنُ يَوْمٍ يَكُونُ. وَقَدْ كُنْتُ ٱسْتَعْدَدْتُ لَهُمْ بِعَدَدِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ صَنًّا مِنْ صِنَانِ البَاذِنْجَانِ[٣]. كُلُّ صَنٍّ بِأَرْبَعَةِ آذَانٍ. وَاسْتَأْجَرَ غُلَامِي لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَمَّالًا كُلُّ حَمَّالٍ بِدِرْهَمَيْنِ وَعَرَّفَ الحَمَّالِينَ مَنَازِلَ القَوْمِ. وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِالمُوَافَاةِ بِعَشَاءِ الآخِرَةِ. وَتَقَدَّمْتُ إلى غُلَامِي وَكَانَ دَاهِيَةً[٤] أَنْ يَدْفَعَ إلى قَوْمِي بِالمَنِّ وَالرَّطْلِ[٥] وَيَصْرِفَ لَهُمْ وَأَنَا أُبَخِّرُ بَيْنَ أَيْدِيهِم النَّدَّ وَالعُودَ وَالعَنْبَرَ فَمَا مَضَتْ سَاعَةٌ إِلَّا وَهُمْ مِنَ السُّكْرِ أَمْوَاتٌ لَا يَعْقِلُونَ. وَوَافَانَا غِلْمَانُهُمْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِدَابَّةٍ أَوْ حِمَارٍ أَوْ بَغْلَةٍ. فَعَرَّفْتُهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدِي اللَّيْلَةَ بَائِتُونَ فَٱنْصَرَفُوا وَوَجَّهْتُ إلى بِلَالٍ المُزَيِّنِ فَأَحْضَرْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ طَعَامًا فَأَكَلَ وَسَقَيْتُهُ مِنَ الشَّرَابِ القُطْرُبُلِّيِّ فَشَرِبَ حَتَّى ثَمِلَ[٦]. وَجعَلْتُ في فِيهِ دِينَارَيْنِ أَحْمَرَيْنِ[٧] وَقُلْتُ شَأْنَكَ وَالقَوْمَ. فَحَلَقَ في سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَ عَشْرَةَ لِحْيَةً فَصَارَ القَوْمُ جُرْدًا مُرْدًا كَأَهْلِ الجَنَّةِ. وَجَعَلْتُ لِحْيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَصْرُورَةً فِي ثَوْبِهِ وَمَعَهَا رُقْعَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا: مَنْ أَضْمَرَ بِصَدِيقِهِ الغَدْرَ وَتَرَكَ الوَفَاءَ كَانَ هٰذَا مُكَافَأَتَهُ وَالجَزَاءَ. وَجَعَلْتُهَا في جَيْبِهِ وَشَدَدْنَاهُمْ في الصِّنَانِ وَوَافَى الحَمَّالُونَ عِشَاءَ الآخِرَةِ. فَحَمَلُوهُمْ بِكَرَّةٍ خَاسِرَةٍ[٨] فَحَصَلُوا فِي مَنَازِلِهِمْ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا رَأَوْا فِي نُفُوسِهِمْ هَمًّا عَظِيمًا. لَا

---

(١) تقدم ذكر القلايا والطباهجات في أول المقامة. وقوله: ونوادر إلى آخره أي أصناف نادرة أُعِدَّت لهم. ويُروَى: مستبعدات بدل معدّات أي يستبعد وجودها أي أصناف عزيزة الجود.

(٢) **الزهراء**: المتلألئة المشرقة. **والخندريس**: الخمر القديمة وإنما أُتِيَ بها على النسبة ليدلّ على أنها من طائفة قديمة من الخمر تُنسَب إليها وتُعرَف بها وهو أبلغ في بيان شُهرتها.

(٣) **الصن**: شبه السلة وإنما خصه بما يكون من صنان الباذنجان لكبره ولذلك قال بأربعة آذان وآذانه ما يحمل منه شبه العرى في حوافيه.

(٤) **الداهية**: النكر الفطن. (٥) **المن**: مكيال يسع رطلين تقريبًا.

(٦) **القطربلي**: نسبة إلى قطربل موضع بالعراق لخمره شُهرة في الجودة والطيب. **وثمل**: سكر.

(٧) جعل الدينارين في فمه إظهار للسرور به أن أطاعه فيما يأمر. ووصف الدينارين بالأحمرين تنويه بشأنهما وأنهما من الذهب الخالص وما هما بقليل في عيني بلال المزين.

(٨) **الكرة**: الرجعة. ورجعتهم هذه كانت خاسرة لأنها كانت بخزي وعار عظيمين. ونسبة الخسران=

يَخْرُجُ مِنْهُمْ تَاجِرٌ إلى دُكَّانِهِ، وَلَا كَاتِبٌ إلى دِيوَانِهِ، وَلَا يَظْهَرُ لإِخْوَانِهِ. فَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ خَوَلِهِمْ[١]. وَمِنْ نِسَاءٍ وَغِلْمَانٍ وَرِجَالٍ يَشْتِمُونَنِي وَيَزُنُّونَنِي، وَيَسْتَحْكِمُونَ اللهَ عَلَيَّ[٢] وَأَنَا سَاكِتٌ لَا أَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا وَلَا أَعْبَأُ بِمَقَالِهِمْ. وَشَاعَ الخَبَرُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِفِعْلِي مَعَهُمْ وَلَمْ يَزَلِ الأَمْرُ يَزْدَادُ حَتَّى بَلَغَ الوَزِيرَ القَاسِمَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ[٣] وَذَلِكَ أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِبًا لَهُ فَافْتَقَدَهُ فَقِيلَ إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الخُرُوجِ. قَالَ: وَلِمَ؟ قِيلَ: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو العَنْبَسِ لأَنَّهُ كَانَ امْتُحِنَ بِعِشْرَتِهِ وَمُنَادَمَتِهِ. فَضَحِكَ حَتَّى كَادَ يَبُولُ فِي سَرَاوِيلِهِ أَوْ بَالَ. وَاللهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ. دَرُوهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ. ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيَّ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَقَادَ فَرَسًا بِمَرْكَبٍ وَحَمَلَ إِلَيَّ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لاسْتِحْسَانِهِ فِعْلِي. وَمَكَثْتُ فِي مَنْزِلِي شَهْرَيْنِ أُنْفِقُ وَآكُلُ وَأَشْرَبُ. ثُمَّ ظَهَرْتُ بَعْدَ الاسْتِتَارِ فَصَالَحَنِي بَعْضُهُمْ لِعِلْمِهِ بِمَا صَنَعَ الْوَزِيرُ. وَحَلَفَ بَعْضُهُمْ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ وَبِعَتْقِ غِلْمَانِهِ وَجَوَارِيهِ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُنِي مِنْ رَأْسِهِ أَبَدًا[٤]. فَلَا وَاللهِ العَظِيمِ شَانُهُ العَلِيِّ بُرْهَانُهُ، مَا اكْتَرَثْتُ بِذَلِكَ وَلَا بَالَيْتُ وَلَا حَكَّ أَصْلُ أُذُنِي[٥]، وَلَا أُوجِعَ بَطْنِي، وَلَا ضَرَّنِي بَلْ

= إليها لأنه كان مُصاحبًا لها.

(١) **من خولهم**: من عبيدهم وحاشيتهم. ويروى: ممّن حولهم.

(٢) **زناه** تزنية نسبه إلى الزّنا أو قال له يا زاني سبًّا له وشتمًا. وقوله: **يستحكمون الله عليّ**: أي يطلبون منه أن يحكم عليه بإثم ما جناه وهو كناية عن إحلال عقابه به.

(٣) **القاسم بن عبيد الله**: هو والد أبي جعفر محمد بن القاسم الذي استوزره الخليفة القاهر العباسي بعد عزل أبي علي بن مقلة. واستوزره أبوه عبيد الله للخليفة المعتضد كما استوزره هو له أيضًا سنة ٢٧٨ ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لأبي العنبس أن يحكي عنه في وزارته قبل موته فقد مات أبو العنبس سنة ٢٧٥ كما تقدّم ويمكن أن يكون صاحب المشترك وهم في تاريخ موت أبي العنبس وأن الحق أنه أدرك القاسم في وزارته أو أن المصنّف وهم في رواية القصة عن أبي العنبس. كل ذلك محتمل. والله أعلم.

(٤) أي لا يكلمه بنفسه مباشرة. ويُروَى: فصالحني بعضهم وخاصمني بعضهم واستعدى عليّ بعضهم صاحب الجيش فما أعداه لعلمه بما صنع الوزير الخ. **واستعدى** صاحب الجيش: استنصر به فما نصره.

(٥) إذا سُئِلت عمّا لا تحب أن تجيب عنه أو لا تعرف الجواب عنه أو طلب منك شيء لم ترد أن تبذله وضعت يدك في أصل أذنك كمَن يحكّه جلده فيحكّه. فيقول: إن حلفة هذا الحالف لم=

سَرَّنِي. وَإِنَّمَا كَانَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا. وَإِنَّمَا ذَكَرْتُ هَٰذَا وَنَبَّهْتُ عَلَيْهِ لِيُؤْخَذَ الحَذَرُ مِنْ أَبْنَاءِ الزَّمَنِ وَيُتْرَكَ الثِّقَةُ بِالإِخْوَانِ الأَنْذَالِ السَّفَلِ «وَبِفُلَانٍ الوَرَّاقِ النَّمَّامِ الزَّرَّافِ الَّذِي يُنْكِرُ حَقَّ الأُدَبَاءِ وَيَسْتَخِفُّ بِهِمْ. وَيَسْتَعِيرُ كُتُبَهُمْ لَا يَرُدُّهَا عَلَيْهِمْ. وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ»[1].

= تحدث في نفسي ولا كالذي يحدث عن السؤال عمّا لا أريد عنه جوابًا.

(١) اعلم أن ما بين المزدوجين مروي في بعض النسخ لا في كلها. **والزراف** بالفاء: الكذاب.

المقَـــامَةُ الدِّيناريَّة

نذكر من هذه المقامة ما لا يُتَقَذَّر منهُ ونترك منها كُلَيمات قليلات لهوانها على السمع وثقلها على الطبع.

حَـدَّثَـنَـا عِـيـسَـى بْـنُ هِـشَـامٍ قَـالَ: اتَّـفَـقَ لِي نَـذْرٌ نَـذَرْتُـهُ فِـي دِيـنَـارٍ أَتَـصَـدَّقُ بِـهِ عَـلَى أَشْـحَـذِ رَجُـلٍ بِـبَـغْـدَادَ. وَسَـأَلْتُ عَـنْـهُ فَـدُلِلْتُ عَـلَى أَبِـي الـفَـتْـحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ. فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ، لِأَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. فَوَجَدْتُهُ في رُفْقَةٍ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ في حَلْقَةٍ فَقُلْتُ: يا بَنِي سَاسَانَ أَيُّكُمُ أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ[1]. وَأَشْحَذُ في صَنْعَتِهِ، فَأُعْطِيَهُ هَـٰذَا الدِّينَارَ؟ فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: أَنَا. قَالَ آخَرُ مِنَ الجَمَاعَةِ: لَا بَلْ أَنَا. ثُمَّ تَنَاقَشَا وَتَهَارَشَا[2] حَتَّى قُلْتُ: لِيَشْتُمْ كُلٌّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ، وَمَنْ عَزَّ بَزَّ[3]. فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ: يا بَرْدَ العَجُوزِ[4]، يا كُرْبَةَ

(١) **السلعة**: ما يتجر به من المتاع. ولا متاع للشحاذين يعاوضون عليه ويرتزقون من ربحه إلا تزوير الكلام في الاستجداء وما يتبعه. فهذه سلعة كلٍّ منهم التي يسأل عن أعرفهم بها.

(٢) تواثبا وتخاصما. ويُروَى بعد تهارشا وتوارشا وليس بموجود تفاعل من مادة ورش ولكن يقال ورش بين القوم بمعنى حرش بينهم فيصحّ أن يكون منه التفاعل قياسًا.

(٣) من غلب خصمه وقهره سلبه ما من حقه أن يكون له. وهاتان الكلمتان من الكلمات السائرة وما انطبق قول على حقيقة في تصرف البشر مثل ما انطبق هاتان الكلمتان على معناهما من غلب وسلب ومن عز بز. **وعز**: قوي وامتنع بعزّته أن تلاقيه قوة خصمه. **وبز**: أي سلب من ذلّ له ماله كله. والمراد هنا من كان أبرع في الشتم من صاحبه استحق الدينار فسلبه من الآخر أي لم يدع له سبيلاً للوصول إليه.

(٤) **برد العجوز** يشتد غالبًا ويزداد ثقلاً بمجيئه في آخر الشتاء عند استعداد الناس للقاء الربيع. **وأيام العجوز** سبعة؛ أربعة من آخر شباط الرومي، وثلاثة من أول آذار ولكلٍّ منها اسم وأسماؤها على=

تَمُوزَ[١]، يَا وَسَخَ الكُوزِ[٢]، يَا دِرْهَمًا لَا يَجُوزُ[٣]. يَا حَدِيثَ المُغَنِّينَ[٤]، يَا سَنَةَ البُوسِ[٥]، يَا كَوْكَبَ النُّحُوسِ، يَا وَطْءَ الكَابُوسِ[٦]، يَا تُخْمَةَ الرُّؤُوسِ[٧]، يَا أُمَّ حُبَيْنٍ[٨]، يَا رَمَدَ العَيْنِ، يَا غَدَاةَ البَيْنِ[٩]، يَا فِرَاقَ المُحِبَّيْنِ، يَا سَاعَةَ الحَيْنِ[١٠]، يَا مَقْتَلَ الحُسَيْنِ[١١]، يَا ثِقَلَ الدَّيْنِ، يَا سِمَةَ الشَّيْنِ[١٢]، يَا بَرِيدَ الشُّومِ، يَا طَرِيدَ اللُّومِ، يَا ثَرِيدَ الثُّومِ[١٣]، يَا بَادِيَةَ الزَّقُّومِ[١٤]، يَا مَنْعَ

= الترتيب صن وصنبر ووبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفىء الجمر أو مكفىء الظعن.

(١) **تموز**: اسم من أسماء الأشهر الرومية وهو يأتي في أشدّ ما يكون من القيظ ويعرض فيه أن يحتبس الهواء ليلاً حتى لا يجد الحيوان متنفسًا من شدّة الحرّ وركود الهواء خصوصًا بالليل فهذه هي الكربة التي يشير إليها وهي أثقل شيء على النفس.

(٢) **وسخ الكوز**: ما تتقزز منه النفس.

(٣) **الدرهم الذي لا يجوز**: المغشوش الذي لا يروج فإذا دفعه مالكه ثمنًا لشيء فردّ عليه لأنه غير رائج انعكس أمله ووجد خسارة غير منتظرة.

(٤) يود سامع المغني أن لا ينقطع الغناء لاتصال لذّة الطرب فإذا اشتغل المغني بالكلام عن الغناء انتظر السامع أن يفرغ من كلامه ليعود إلى غنائه، وثقلت عليه إطالته وأضجره ذلك وأملّه.

(٥) **سنة البؤس**: هي سنة الجدب والشدة.

(٦) **الكابوس**: ما يقع على الإنسان بالليل لا يستطيع معه أن يتحرك وهو أثقل شيء يجده النائم وهو تخيل ربما يدخل في باب الأحلام غير أنه يمتاز عنها بحقيقة الأثر في البدن. ويُروَى: وطأة الكابوس بتاء التأنيث بدل «وطء».

(٧) ما يصيب الرأس عند فساد الطعام في المعدة لكثرته أو لأنه دخل على الطعام قبل هضمه. ويُروَى: يا تخمة على الرؤوس وهو ظاهر.

(٨) **أم حبين**: هي العظاية وهي دويبة أكبر من الوزغة وقال بعضهم: إنما هي دويبة ملساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل وهي في جميع أصنافها كريهة المنظر.

(٩) **الغداة**: التي يبين فيها الأحبة ويبعدون.

(١٠) **الحين**: بالفتح الموت وساعته من أشد الساعات ألمًا للميت ولأهله.

(١١) **مقتل الحسين**: موضع قتله وهو أشأم موضع لأنه أُريق فيه دم بسيف ظالم أي ظالم وهو دم مظلوم أي مظلوم.

(١٢) **السّمة**: العلامة. **والشين**: العيب وما يُستَحَى من نسبته إلى شخص إذا نسب إليه. فإذا كان للمخاطب مثل هذه السّمة كلما نظر إليها صاحبها خجل فهو من أخزى الناس.

(١٣) **بريد الشؤم**: رسوله إلى الناس فإذا أُتيح للشؤم أن ينزل بأحد تقدّم المخاطب بريدًا له أو أنه بريده بمعنى أنه يحمله إلى الناس فإذا أراد الله إحلال الشؤم بقوم أبرد به مع المخاطب. **وطريد اللوم**: المطرود للؤمه. **وثريد الثوم**: كريه الرائحة جدًا.

(١٤) **الزقّوم**: هو أخبث شجر مرّ يخرج بأراضي تهامة. **والبادية**: خلاف الحاضرة والصحراء. يقول إن مخاطبه في خبثه كأنه بادية كل ما فيها أشجار الزقوم.

المَاعُونِ(١)، يَا سَنَةَ الطَّاعُونِ، يَا بَغْيَ العَبِيدِ، يَا آيَةَ الوَعِيدِ، يَا كَلَامَ المُعِيدِ(٢)، يَا أَقْبَحَ مِنْ حَتَّى فِي مَوَاضِعَ شَتَّى(٣)، يَا دُودَةَ الكَنِيفِ، يَا فَرْوَةً فِي المَصِيفِ(٤)، يَا تَنَحْنُحَ المُضِيفِ إِذَا كُسِرَ الرَّغِيفُ، يَا جُشَاءَ المَخْمُورِ(٥)، يَا نَكْهَةَ الصُّقُورِ(٦). يَا وَتِدَ الدُّورِ(٧)، يَا خُذْرُوفَةَ القُدُورِ(٨)، يَا أَرْبُعَاءَ لَا تَدُورُ(٩)، يَا طَمَعَ المَقْمُورِ(١٠)، يَا ضَجَرَ اللِّسَانِ(١١)، يَا بَوْلَ الخِصْيَانِ، يَا مُؤَاكَلَةَ العِمْيَانِ، يَا شَفَاعَةَ العُرْيَانِ(١٢)،

---

(١) **الماعون**: كل ما يُستَعار من فأس وقدّوم وقدر ونحوها من منافع البيت ويفسّر بالزكاة وقد أوعد الله على منعه الوعيد الشديد وجعله من صفات الذين يكذبون بيوم الدين.

(٢) العبد إذا نال قوة فبغى على أحد كان أقبح شيء عند الناس وعند مَن حلّ به البغي وأيّ شدّة فوق الذّلّة لذليل. **وآية الوعيد** مما يُحزِن سامعه. **وكلام المعيد**: الذي يصدر منه بعد أن تكلم به المتكلم الأول فيثقل على الطبع لأنك إذا كنت سمعت شيئًا وعرفته فأثقل عليك أن يُعاد على سمعك.

(٣) المراد من **حتى** هذا الحرف. ومسائله من مشكلات النحو حتى قال الفرّاء: أموت وفي نفسي شيء من حتى.

(٤) **المصيف**: المكان الذي تقضي فيه زمن الصيف أو تجلس فيه في الصيف وإنما تطلبه فرارًا من الحرّ فما أثقل الفروة فيه.

(٥) **المخمور**: شارِب الخمر المُكثِر منها وجشاؤه مُنتِن خبيث.

(٦) **النكهة**: ريح الفم. **والصقور**: ما يصطاد من البزاة والشواهين ولأنها لا تأكل إلا اللحوم فهي أخبث حيوان نكهة.

(٧) **الوتد**: ما رزّ في الأرض أو الحائط من خشب يُضرَب به المثل في احتمال الضيم لأنه لا يزال يدق حتى يتحطم.

(٨) لعله يريد من **خذروفة القدور**: ما يُصنَع من الطين ليُوضَع عليه القدر كأنه أثفية من الأثافي ولا يعرف هذا المعنى في الكتب التي بأيدينا.

(٩) هو آخر أربعاء من كل شهر أو من شهر صفر خاصة عُرِفَ بين العامّة بأنه نحس لا ينجح فيه عمل عامل.

(١٠) **المقمور**: المغلوب في القمار وطمعه قبيح من وجهين: الأول: أنه وهم لا يرجع إلى سند، والثاني: لا يزال بصاحبه حتى يُورِده موارد العدم والعَوَز.

(١١) إذا ضجر اللسان عن الكلام لم يأمَن صاحبه أن يَرِد به مورد الهوان. **وبول الخصيان** يُنثَر فيلوّث من البدن ما شاء القذر أن يلوث. **والعميان** في أكلهم لا يُبالون أيّ موقع وقعت أيديهم من الطعام فلا يخلو مُؤاكِلهم من التقزّز. ويُروَى بعد لفظ العميان «يا دفع العيان». **والعيان**: المشاهدة ودفعها إنكارها وإنكار المشاهد من أنكر المناكر.

(١٢) لا يشير بهذا إلى قول الشاعر:

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرًا　　　مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا　=

يَا سَبْتَ الصِّبْيَانِ[١]، يَا كِتَابَ التَّعَازِي[٢]، يَا قَرَارَةَ المَخَازِي[٣]، يَا بُخْلَ الأَهْوَازِيِّ[٤]، يَا فُضُولَ الرَّازِيِّ[٥]، وَاللهِ لَوْ وَضَعْتَ إِحْدَى رِجْلَيْكَ عَلَى أَرْوَنْدَ[٦]، وَالأُخْرَى عَلَى دُمَاوَنْدَ، وَأَخَذْتَ بِيَدِكَ قَوْسَ قُزَحَ وَنَدَفْتَ الغَيْمَ فِي جِبَابِ المَلَائِكَةِ

= فإن **الشفيع العريان** في قول الشاعر هو الخفيف المقبول. أما الذي في كلام المصنّف فهو العريان من الفقر يأتيك شافعًا في حاجة غيره وهو أحوج الناس في التوسّل لنفسه.

(١) **يوم السبت** أثقل يوم على الصبيان لأنهم يَفِدون فيه إلى المكاتب للتعلّم لأنه بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة.

(٢) أثقل شيء عليك أن تكتب كتاب تعزية في فَقْد مَن لم يكن لك عليه حزن فإنك تضطر لأن تحدث الحزن في نفسك ليصدر عنك من البيان ما يصدر عن أسف وحزن ولا أثقل من جلب الحزن على النفس بالصنعة. أو أراد أن كتاب التعازي مما يثقل على النفس قراءته لما فيه من الكلام المُحزِن.

(٣) **القرارة**: القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر. **والمخازي**: جمع مخزاة وهي ما يُوقِع في الخزي والهوان من أنواع النقائص النفسية والعملية وهذا يشبه مخاطبه بقرارة تنصب إليها المخازي وتجتمع فيها.

(٤) **الأهوازي**: مَن كان من أهل الأهواز. **والأهواز**: تسع كور بين فارس والبصرة ولكل كورة منها اسم وهي رامهرمز وعكسر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس وسرق ونهر تيري وإيذج مناذر. وبخل أهاليها مشهور قبيح.

(٥) **الرازي**: منسوب إلى مدينة الري من مدن الديلم كان منها علماء عظام مثل فخر الدين الرازي وأبو بكر الرازي وغيرهما. وزادوا في النسبة إليها زايًا كما زادوها في مروزي نسبة إلى مرو الشاهجان. **والفضول**: الزيادات التي لا خير فيها ومنها فضول الكلام. وأهل الريّ ثرثارون يهرفون في الكلام بما يثقل على النفس.

(٦) **أروند**: جبل نزه أخضر ناضر يطلّ على همدان يُعَدّ من محاسن بلاد همدان وله ذكر كثير في أشعارهم وأسجاعهم وينسب للقاضي عبد الله بن محمد الميانجي أبيات فيه منها:

ألا ليت شعري هل ترى العين مرة ... ذرى قلتي أروند من همدان
بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأرضعت من عقانها بلبان

دماوند: هو جبل دنباوند. ولفظ المصنّف فيه عاميّ. ويُروَى لفظه في هذا الكتاب ديناوند وهو تصحيف ويقال لهذا الجبل أيضًا دباوند وهو الجبل العظيم بناحية الري. قال القزويني في وصفه: يناطح النجوم ارتفاعًا ويحكيها امتناعًا لا يعلوه الغيم في ارتفاعه ولا الطير في تحليقه وكان فيه بركان يقذف النار ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية وبين الجبلين المسافات المتباعدة. فهو يقول لمخاطبه: لو بلغت من العظم والجسامة أن تستطيع وضع إحدى رِجلَيك على أحد الجبلين والأخرى على الآخر وأن تتناول قوس قزح وهو ذو الألوان الذي يظهر في السحاب وجعلته مندفًا وندفت الغيم كما يُندَف القطن وكان ما تبسطه تحت مندوفك هو **جباب الملائكة**: جمع جبة ما زاد قدرك على ما هو لك بوصف أنك حلاج وأيّ مقدار بين الناس لحلاج وإن عظم مندفه واتسع ما بين رِجلَيه وبسط لمندوفه ما بسط.

مَا كُنْتَ إِلَّا حَلَّاجًا. وَقَالَ الآخَرُ: يَا قَرَّادَ القُرُودِ، يَا لَبُودَ اليَهُودِ[١]، يَا نَكْهَةَ الأُسُودِ[٢]، يَا عَدَمًا في وُجُودٍ، يَا كَلْبًا في الهِرَاشِ، يَا قِرْدًا في الفِرَاشِ[٣]، يَا قَرْعِيَّةً بِمَاشٍ، يَا أَقَلَّ مِنْ لَاشٍ[٤]، يَا دُخَانَ النِّفْطِ[٥]، يَا صَنَانَ الإِبْطِ[٦]، يَا زَوَالَ المُلْكِ، يَا هِلَالَ الهُلْكِ[٧] يَا أَخْبَثَ مِمَّنْ بَاءَ بِذُلِّ الطَّلَاقِ، وَمَنْعِ الصَّدَاقِ[٨]، يَا وَحْلَ الطَّرِيقِ، يَا مَاءً عَلَى الرِّيقِ، يَا مُحَرِّكَ العَظْمِ، يَا مُعَجِّلَ الهَضْمِ[٩]، يَا قَلَحَ الأَسْنَانِ[١٠]، يَا وَسَخَ الآذَانِ، يَا أَجَرَّ مِنْ قَلْسٍ[١١]، يَا أَقَلَّ مِنْ فَلْسٍ، يَا أَفْضَحَ مِنْ

---

(١) **اللبود**: بفتح اللام القراد. ولليهود عند ماقتيهم شهرة بالوساخة ويتولّد منها القراد وهو إن كان في بدن يهودي كان أخبث أنواعه. وقد يكون بضم اللام جمع لبد بمعنى الأمر والشأن. وشؤون اليهود وأمورهم في نظر معامليهم من الأمم من أقبح الشؤون وأشنعها فهم يعرفون عند أغلب المِلَل بالخيانة والغش والدناءة وما يتلوها وكفى بها قبحاً وشناعة.

(٢) **النكهة**: ريح الفم. والأسود لأنها لا تأكل إلاّ اللحوم من أخبث الحيوان نكهة.

(٣) **الهراش**: مواثبة الكلاب وتحرّش بعضها ببعض. **والقرد في الفراش** من أشد المقلقات لأنه لا يسكن من حركة ولا يألو فسادًا وتمزيقًا لما يصل إليه.

(٤) **القرعية**: طعام يُصنَع من القرع. **والماش**: حَبّ يقرب من حَبّ الباقلاء وطعمه يقرب من طعم العدس فإذا خُلِطَ هذا الحَبّ مع **القرع** كان كريه الطعم تضطرب له المعدة وتغثى له النفس. ويُروَى يا فرعة بماش. **والماش** على هذا قماش البيت الذي لا قيمة له ومنه المثل «الماش خير من لاش» أي ما كان من قماش لا قيمة له خير من خلوه. **واللاش** هو اللاشيء. **والفرعة** واحد الفرع بمعنى القمل.

(٥) **النفط**: بالكسر ويفتح دهن معدني منه أبيض وأسود سريع الاحتراق ودخانه خبيث الرائحة وقد تجد شيئًا من شبهه في زيت البترول الذي يُسرَج به في هذه الأيام.

(٦) **صنان الإبط**: بالضم ذفره ورائحة عرقه.

(٧) يريد أن مطلعه مطلع الهلاك. **والهلك**: بالضم الهلاك.

(٨) **باء بذل الطلاق**: حق عليه ذلك الذل وصار إليه والطلاق ذلّ المرأة وهوان من أشد ما يلحق بها من مجالب العار خصوصًا إن كان لأسباب توجبه من رداءة السِّيرة وضعف العقل ورثاثة العفّة. فإذا أُضيف إلى الطلاق منع الصداق الذي يبقى لها في ذمّة الزوج كان ذلك أشدّ هوانًا.

(٩) يريد من **محرّك العظم** الحمّى الشديدة المصحوبة بوجدان البرد والقشعريرة يحدث منها رجّة للبدن أجمعه وتضطرب لها العظام وتصطك المفاصل. **ومعجل الهضم**: المسهل. ويُروَى بعد لفظ الهضم: يا مخجل المسح يا مخجل الملح. **والمسح**: بالكسر الثوب من الشعر يُعَدّ من أخشن الثياب. وأراد بتخليل الملح إفساده وهو ملح الطعام فما أفسد الذي يفسده.

(١٠) **قلح الأسنان**: بالتحريك ما يعلوها من صُفْرَة أو خُضْرة.

(١١) **القلس**: حبل ضخم من ليف أو خوص أو نحوها من قلوس سفن البحر. **وأجرّ منه**: من جر بمعنى جذب وهو مبالغة في الوصف بالهوان كما لا يخفى. ويُروَى: يا أخسّ من قلس.

عَبْرَةٍ[١]، يَا أَبْغَى مِنْ إِبْرَةٍ[٢]، يَا مَهَبَّ الخُفِّ[٣]، يَا مَدْرَجَةَ الأَكُفِّ[٤]، يَا كَلِمَةَ لَيْتَ[٥]، يَا وَكَفَ البَيْتِ[٦]، يَا كَيْتَ وَكَيْتَ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعْتَ ٱسْتَكَ عَلَى النُّجُومِ، وَدَلَّيْتَ رِجْلَكَ فِي التُّخُومِ، وَاتَّخَذْتَ الشِّعْرَى خُفًّا، وَالثُّرَيَّا رَفًّا، وَجَعَلْتَ السَّمَاءَ مِنْوَالًا، وَحِكْتَ الْهَوَاءَ سِرْبَالًا، فَسَدَّيْتَهُ بِالنَّسْرِ الطَّائِرِ[٧]. وَأَلْحَمْتَهُ بِالفَلَكِ الدَّائِرِ، مَا كُنْتَ إِلَّا حَائِكًا. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أُوْثِرُ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَدِيعُ الكَلَامِ، عَجِيبُ المَقَامِ، أَلَدُّ الخِصَامِ، فَتَرَكْتُهُمَا، وَالدِّينَارُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا، وَانْصَرَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمَا.

(١) **العبرة**: البكاء يريد الدموع التي تندفع من العين عند البكاء وهي تفضح العاشق إن كان بكاؤه من شوقه وتفضح ما في نفس الحزين من الحزن إن كان بكاؤه له.

(٢) **الإبرة**: إنما وُجِدَت للوَخز والشك فمَن كان شأنه شأنها في ذلك فهو باغٍ على الناس مستطيل. وقد يكون من بغت الجارية إذا عهرت لأن سم الإبرة لا يزال فيه خيط.

(٣) إما أن يريد من **مهب الخف** الموضع الذي يجيء منه من قولهم: من أين هببت؟ أي من أين جئت؟ أي إنه لملازمة الخف لقفاه صفعًا فهو إذا هبّ يهبّ منه. وقد يكون من هبّ إذا نشط أي ينشط الخف إلى صفعه. وقد يكون مهبّ ريح الخف وله رائحة كريهة جدًا وكما يضرب المثل بريح الجورب يضرب بريح الخف أيضًا.

(٤) **الأكف**: جمع كف. **ومدرجة الأكف**: مكان دروجها وحركتها في صفعه. ويُروَى بعد الأكف «يا درج ادرج يا دخل اخرج» **والدرج**: بالتحريك الطريق. **وادرج**: أي امشِ أي إنه طريق لهذه الكلمة وهي كلمة الطّرد والإبعاد. **والدخل**: بالتحريك الشجر الملتفّ أي يا مجتمع هذه الكلمة وهي اخرج أي إن كل مَن رآه في مكان أخرجه فكأن الأوامر بالخروج ملتفّة عليه.

(٥) كلمة **ليت** لا تقال إلاّ عند الندامة على فائت أو التلهّف على مفقود.

(٦) **وكف البيت**: أن يقطر الماء من سقفه عند المطر ولا أشقّ منه على النفس. **وكيت وكيت**: تقال لكل ما يُستَحَى من ذِكره من أنواع السّباب.

(٧) يُروَى: واتخذت الشعرى حفًا بالحاء المهملة. **والحفّ**: المنسج. **والرف**: بالراء المفتوحة الثوب الناعم، أراد منه الخيوط الرقيقة. ويُروَى بدل رفًا «دفًا» بالدال ولا معنى له هنا. **والمنوال**: آلة الحياكة. **والسربال**: الثوب. **والنسر الطائر**: صورة من الكواكب. **وسدّى الثوب**: أقام سداه وسدى الثوب ما مدّ من خيوطه. **واللحمة**: ما به مع السدى يتم الثوب.

المقَـــامَةُ الشِّعْرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: كُنْتُ بِبِلَادِ الشَّام وَانْضَمَّ إِلَيَّ رِفْقَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا ذَاتَ يَوْم في حَلْقَةٍ. فَجَعَلْنَا نَتَذَكَّرُ الشِّعْرَ فَنُورِدُ أَبْيَاتَ مَعَانِيهِ، وَنَتَحَاجَى بِمَعَامِيهِ[1]، وَقَدْ وَقَفَ عَلَيْنَا فَتَى يَسْمَعُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ يَنْدَمُ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى قَدْ آذَانَا وُقُوفُكَ فَإِمَّا أَنْ تَقْعُدَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْعُدَ. فَقَالَ: لَا يُمْكِنُنِي القُعُودُ، وَلَكِنْ أَذْهَبُ فَأَعُودُ، فَالْزَمُوا مَكَانَكُمْ هَٰذَا. قُلْنَا نَفْعَلُ وَكَرَامَةً. ثُمَّ غَابَ بِشَخْصِهِ وَمَا لَبِثَ أَنْ عَادَ لِوَقْتِهِ وَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ تِلْكَ الأَبْيَاتِ. وَمَا فَعَلْتُمْ بِالمُعَمَّيَاتِ. سَلُونِي عَنْهَا! فَمَا سَأَلْنَاهُ عَنْ بَيْتٍ إِلَّا أَجَابَ وَلَا عَنْ مَعْنًى إِلَّا أَصَابَ. وَلَمَّا نَفَضْنَا الكَنَائِنَ، وَأَفْنَيْنَا الخَزَائِنَ[2]، عَطَفَ عَلَيْنَا سَائِلًا، وَكَرَّ مُبَاحِثًا فَقَالَ: عَرِّفُونِي أَيُّ بَيْتٍ شَطْرُهُ يَرْفَعُ، وَشَطْرُهُ يَدْفَعُ[3]. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ يَصْفَعُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ

---

(١) **نتذكر**: يُروَى نتذاكر. **ونتحاجي**: يمتحن كلٌّ منّا حجى صاحبه أي عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفي معناه على مَن لا رويّة له في روايته ولا نفوذ لقريحته في فهم دقائقه فإذا أصاب المعنى المراد دلّ على أنه من فرسانه والمجلّين في ميدانه.

(٢) **الكنائن**: جمع كنانة، وهي وعاء السِّهام. ونفضوها: أفرغوها. يمثّل بذلك نفاد ما عندهم من الأحاجي والمعميات وانتهاءَهم في المذاكرة إلى حد أن لم يبق عندهم شيء يتذاكرونه ومثل ذلك قوله: أفنينا الخزائن.

(٣) هذه الأوصاف التي يذكرها للأبيات ويحاجي بها إنما هي اعتبارات يصوّرها الذهن من جوامع البيت والألفاظ التي يؤلف منها والمعاني التي يشير إليها وترد إلى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف باختلاف أهل الذوق في القريض ويمكن لقارىء ديوان واحد من شعر أيّ شاعر أن يجد جميع ما جاء به ولهذا لا نصرف الوقت في الإتيان بجميع ما عمى به ولكننا نذكر لك طرفًا=

يَغْضَبُ، وَنِصْفُهُ يَلْعَبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ أَجْرَبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ عَرُوضُهُ يُحَارِبُ، وَضَرْبُهُ يُقَارِبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ عَقَارِب. وَأَيُّ بَيْتٍ سَمُجَ وَضْعُهُ، وَحَسُنَ قَطْعُهُ.

= تقيس عليه أمثاله كما جاء المصنف بمثل ذلك مثلاً البيت الذي نصفه يرفع ونصفه يدفع بصيغة الفاعل في الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم:

ولله عندي جانب لا أُضيعه ... وللهو عندي وللخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التي يختص بها أهل التقوى والنصف الثاني يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقي إليها. والبيت الذي نصفه يغضب ونصفه يلعب كقول طرفة المتقدم:

كأن سيوفنا منا ومنهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا

والبيت الذي أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم:

قريناكم فعجلنا قراكم ... قبيل الصبح مرداة طحونا

فإن الشطر الأول قرى وإحسان والشطر الثاني ردى وطحن أجساد تنهب منها الأرواح وتسلب منها الأموال. والبيت الذي لا يمكن نقضه كقوله:

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتًا دعائمه أعزّ وأرفع

والبيت الذي إذا أفلتناه أضللناه كقوله:

إلا أنني بال على جمل بال ... يقود بنا بال ويتبعنا بال

والبيت الذي قام ثم سقط ونام كقوله:

ألا أيها النوّام من نومكم هبّوا ... أسألكم هل يقتل الرجل الحبّ

والبيت الذي إذا حرّك غصنه ذهب حُسنه كقوله:

لك قد لولا جوارح عينيـ ... ـك لغنّت عليها ورق الحمام

فلو حرّكت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهي جوارح الطير. والجوارح في البيت عيناه فإذا طارت عينه ذهب حُسنه البتّة. والبيت الذي أوله يطلب وآخره يهرب كقوله:

بجهل كجهل السيف والسيف منتضى ... وحلم كحلم السيف والسيف مغمد

والبيت الذي كاد يذهب فعاد كقوله:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

والبيت الذي مدحه ذمّ كقوله:

فإن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

والبيت الذي ضاق ووسع الآفاق كقوله:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

والبيت الذي أصلح حتى صلح كقوله:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... غرّة الداعي ويوم المهرجان

فإنه أصلح وحوّل عن مطلعه الشؤم إلى قوله غرة الداعي ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان. وعلى هذا النمط يمكنك أن تحقّق جميع الاعتبارات بذوقك. ولكلٍّ من هذه الاعتبارات ما لا يعدّ من الأبيات فلا حاجة بنا إلى الإطالة والله أعلم.

وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرْقَأُ دَمْعُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْبِقُ كُلُّهُ، إِلَّا رِجْلَهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُعْرَفُ أَهْلُهُ، وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ، كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمْكِنُ نَقْضُهُ، وَلَا تُحْتَفَرُ أَرْضُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ كَامِلٌ، وَنِصْفُهُ سَرَابِلُ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا تُحْصَى عِدَّتُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ يُرِيكَ مَا يُسَرُّ بِهِ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَسَعُهُ العَالَمُ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ يَضْحَكُ وَنِصْفُهُ يَأْلَمُ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ حُرِّكَ غُصْنُهُ، ذَهَبَ حُسْنُهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ جَمَعْنَاهُ، ذَهَبَ مَعْنَاهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِنْ أَفْلَتْنَاهُ أَضْلَلْنَاهُ. وَأَيُّ بَيْتٍ شَهْدُهُ سَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ مَدْحُهُ ذَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ لَفْظُهُ حُلْوٌ وَتَحْتُهُ غَمٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَلُّهُ عَقْدٌ، وَكُلُّهُ نَقْدٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ مَدٌّ، وَنِصْفُهُ رَدٌّ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ رَفْعٌ، وَرَفْعُهُ صَفْعٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ طَرْدُهُ مَدْحٌ، وَعَكْسُهُ قَدْحٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ فِي طَوْفٍ، صَلَاةُ الخَوْفِ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَأْكُلُهُ الشَّاءُ، مَتَى شَاءَ. وَأَيُّ بَيْتٍ إِذَا أَصَابَ الرَّأْسَ هَشَّمَ الأَضْرَاسَ. وَأَيُّ بَيْتٍ طَالَ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَرْطَالٍ. وَأَيُّ بَيْتٍ قَامَ، ثُمَّ سَقَطَ وَنَامَ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَرَادَ أَنْ يَنْقُصَ فَزَادَ. وَأَيُّ بَيْتٍ كَادَ يَذْهَبُ فَعَادَ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَرَبُ العِرَاقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ فَتَحَ البَصْرَةَ. وَأَيُّ بَيْتٍ ذَابَ، تَحْتَ العِذَابِ. وَأَيُّ بَيْتٍ شَابَ، قَبْلَ الشَّبَابِ. وَأَيُّ بَيْتٍ عَادَ، قَبْلَ المِيعَادِ. وَأَيُّ بَيْتٍ حَلَّ، ثُمَّ اضْمَحَلَّ. وَأَيُّ بَيْتٍ أُمِرَّ، ثُمَّ اسْتَمَرَّ. وَأَيُّ بَيْتٍ أُصْلِحَ، حَتَّى صَلَحَ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَسْبَقُ مِنْ سَهْمِ الطِّرِمَّاحِ. وَأَيُّ بَيْتٍ خَرَجَ مِنْ عَيْنِهِمْ. وَأَيُّ بَيْتٍ ضَاقَ، وَوَسِعَ الآفَاقَ. وَأَيُّ بَيْتٍ رَجَعَ، فَهَاجَ الوَجَعَ. وَأَيُّ بَيْتٍ نِصْفُهُ ذَهَبٌ، وَبَاقِيهِ ذَنَبٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ بَعْضُهُ ظَلَامٌ، وَبَعْضُهُ مُدَامٌ. وَأَيُّ بَيْتٍ جُعِلَ فَاعِلُهُ مَفْعُولًا، وَعَاقِلُهُ مَعْقُولًا. وَأَيُّ بَيْتٍ كُلُّهُ حُرْمَةٌ. وَأَيُّ بَيْتَيْنِ هُمَا كَقِطَارِ الإِبِلِ. وَأَيُّ بَيْتٍ يَنْزِلُ مِنْ عَالٍ. وَأَيُّ بَيْتٍ طِيَرَتُهُ فِي الفَالِ. وَأَيُّ بَيْتٍ آخِرُهُ يَهْرُبُ. وَأَوَّلُهُ يَطْلُبُ. وَأَيُّ بَيْتٍ أَوَّلُهُ يَهَبُ، وَآخِرُهُ يَنْهَبُ. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَسَمِعْنَا شَيْئًا لَمْ نَكُنْ سَمِعْنَاهُ وَسَأَلْنَاهُ التَّفْسِيرَ فَمُنِعْنَاهُ. وَحَسِبْنَاهَا أَلْفَاظًا قَدْ جَوَّدَ نَحْتَهَا، وَلَا مَعَانِيَ تَحْتَهَا. فَقَالَ: اخْتَارُوا مِنْ هَٰذِهِ المَسَائِلِ خَمْسًا لِأُفَسِّرَهَا وَاجْتَهِدُوا فِي البَاقِي أَيَّامًا فَلَعَلَّ إِنَاءَكُمْ يَرْشَحُ. وَلَعَلَّ خَاطِرَكُمْ يَسْمَحُ. ثُمَّ إِنْ عَجَزْتُمْ فَاسْتَأْنِفُوا التَّلَاقِي،

لأُفسِّرَ البَاقِيَ. وَكَانَ مِمَّا اخْتَرْنَا البَيْتُ الَّذِي سَمُجَ وَضْعُهُ، وَحَسُنَ قَطْعُهُ. فَسَأَلْنَاهُ عَنْهُ فَقَالَ: هُوَ قَوْلُ أَبِي نُوَاسٍ:

فَبِتْنَا يَرَانَا اللهُ شَرَّ عِصَابَةٍ تُجَرِّرُ أَذْيَالَ الفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

قُلْنَا: فَالبَيْتُ الَّذِي حَلُّهُ عَقْدٌ، وَكُلُّهُ نَقْدٌ(١). فَقَالَ: قَوْلُ الأَعْشَى:

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

وَحَلُّهُ أَنْ يُقَالَ: دَرَاهِمُنَا جَيِّدٌ كُلُّهَا. وَلَا يَخْرُجُ بِهٰذَا الْحَلِّ عَنْ وَزْنِهِ. قُلْنَا: فَالبَيْتُ الذِي نِصْفُهُ مَدٌّ، وَنِصْفُهُ رَدٌّ. قَالَ: قَوْلُ البَكْرِيِّ:

أَتَاكَ دِينَارُ صِدْقٍ يَنْقُصُ سِتِّينَ فَلْسَا(٢)

مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ إِلَّا أَصْلًا وَفَرْعًا وَنَفْسَا

قُلْنَا: فَالبَيْتُ الَّذِي يَأْكُلُهُ الشَّاءُ، مَتَى شَاءَ. قَالَ: بَيْتُ القَائِلِ:

فَمَا لِلنَّوَى جُذَّ النَّوَى قُطِعَ النَّوَى رَأَيْتُ النَّوَى قَطَّاعَةً لِلْقَرَائِنِ(٣)

قُلْنَا: فَالبَيْتُ الَّذِي طَالَ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّةَ أَرْطَالٍ. قَالَ بَيْتُ ٱبْنِ الرُّومِيِّ(٤):

إِذَا مَنَّ لَمْ يَمْنُنْ بِمَنٍّ يَمُنُّهُ وَقَالَ لِنَفْسِي أَيُّهَا النَّفْسُ أَمْهِلِي

---

(١) **كله نقد**: يريد كله دراهم وما يتعلق بنقدها. **والنقد**: الذهب والفضة المسكوكات سُمّيا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الرديء.

(٢) فإنه لما قال: «دينار صدق» حصل في الذهن جميع ما احتوى عليه من الفلوس وامتد إلى نهايتها وهي ستون. فلما قال: «إلا ستون فلسًا» ردّ الذي مدّه أولًا. وفي قوله: «من أكرم الناس» مدّ فضله حتى تجاوز في الكرم ما وراء كل كرم ولما نفى الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتى لم يبق له شيئًا من الكرم.

(٣) **النوى**: البُعد، ينكر الشاعر إلحاح البُعد عليه بمفارقة أحبته فيقول: ما للنوى وأيّ غرض لها في ملازمتي. ثم يدعو عليها فيقول: **جذ النوى**: أي قطع ومحق. وقوله: «قطاعة للقرائن» إما أن يريد من القرائن الأرواح وقطاعتها المهلكة لها. وإما أن يريد منها الصِّلات بين الأحبة التي تقرن بينهم بالميل والوداد. وهذا البيت بما فيه من تكرار ذكر النوى أحضر في المخيلة نوى التمر والبلح وهو مما تأكله الشّاء.

(٤) تقدم هذا البيت في المقامة العراقية فليُراجَع هناك.

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام: فَعَلِمْنَا أَنَّ المَسَائِلَ لَيْسَتْ عَوَاطِلَ، وَاجْتَهَدْنَا. فَبَعْضَهَا وَجَدْنَا، وَبَعْضَهَا اسْتَفَدْنَا. فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ وَهُوَ عَادٍ:

تَفَاوَتَ النَّاسُ فَضْلا ... وَأَشْبَهَ البَعْضُ بَعْضَا
لَوْلَاهُ كُنْتُ كَرَضْوَى ... طُولًا وَعُمْقًا وَعَرْضَا[1]

(١) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطّلاع وحسن الانتقاد لـ ان عيسى بن هشام يعدّ نفسه في العظم المعنوي كجبل رضوى في عظمه الحسي وهو جبل في بلاد العرب مشهور يتمثّل به في أشعارهم. قال المعرّي: ويثقل رضوى دون ما أنا حامل.

المقَـامَةُ المُلُوكيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ اليَمَنِ وَتَوَجُّهي إِلَى نَحْوِ الوَطَنِ، أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا الضَّبُعُ. وَلَا بَارِحَ إِلَّا السَّبُعُ(١). فَلَمَّا انْتُضِيَ نَصْلُ الصَّبَاحِ، وَبَرَزَ جَبِينُ المِصْبَاحِ(٢)، عَنَّ لِي في البَرَاحِ، رَاكِبٌ شَاكِي السِّلَاحِ(٣)، فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الأَعْزَلَ، مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ(٤). لَكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ(٥) فَدُونِي شَرْطُ الحِدَادِ. وَخَرْطُ القَتَادِ(٦)، وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ(٧). وَأَنَا

---

(١) **السانح** من الوحش والطير: ما يأتي من جهة اليسار. **والبارح**: ما يجيء من قبل اليمين. أي إنه يمشي فيها فردًا بين الوحوش ما بين ضبع وسبع.

(٢) يشبّه الصباح بنصل **ينتضى**: أي يستل من شبه غمده وهو الليل. وأراد **بالمصباح** هنا: الشمس. **وجبينها**: حاجبها الأعلى.

(٣) **عن**: أي ظهر. **والبراح**: المتسع من الأرض لا شجر به ولا زرع ولا بناء. **وشاكي السلاح**: حديده تامه.

(٤) **الأعزل**: مَن لا سلاح له. والضمير في «مثله» إلى شاكي السلاح. والأعزل يأخذه الرعب من المتسلح.

(٥) **التجلد**: المصابرة على إخفاء ما في النفس من خوف وجزع. وقوله: «أرضك» أي الزم الأرض التي أنت عليها لا تتحرك بالإقبال عليّ. «ولا أم لك» دعاء معروف عند العرب أي فقدت أمك.

(٦) الحداد: جمع حديد، يريد السيوف والخناجر وما شاكلها. **وشرطها**: أي شقّها وجرحها من قولهم شرط الحجام موضع الحجامة أي بزغه. **والقتاد**: شجر له شوك صلب وخرطه أي مخرطه وما يخرط منه على الأرض يمنع السائر أن يمرّ عليه لأنه ينشب برجليه يقول: إن بينك وبين الوصول إليّ ضرب الشفار ووخز الشياك. ودونه خرط القتاد مثل مشهور.

(٧) من موانع الوصول إليّ حمية أي أنفة تثير النفس لدفع مَن يطلب اهتضامها قد اشتهر بها الأزد الذين أنا منهم. وأزد قبائل من العرب مشهورة.

سِلْمٌ إن كُنْتَ[(١)]. فَمَنْ أنتَ؟ فَقَالَ: سِلْمًا أَصَبْتَ، وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: خَيْرًا أَجَبْتَ. وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخالَيْنا، وَحِينَ تَجالَيْنا، أَجْلَتِ القِصَّةُ[(٢)] عَنْ أَبِي الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ. وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ المُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ الشَّامِ. وَمَنْ بِهَا مِنَ الكِرَامِ. وَمُلُوكَ العِرَاقِ وَمَنْ بِهَا مِنَ الأَشْرَافِ، وَأُمَرَاءِ الأَطْرَافِ. وَسُقْتُ الذِّكْرَ، إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ. فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوَارِفِ مُلُوكِ اليَمَنِ[(٣)]، وَلَطَائِفِ مُلُوكِ الطَّائِفِ. وَخَتَمْتُ مَدْحَ الجُمْلَةِ. بِذِكْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَـا سَـارِيًـا بِـنُـجُـومِ الـلَّيْـلِ يَـمْـدَحُـهَـا
وَلَوْ رَأَى الـشَّـمْـسَ لَمْ يَـعْـرِفْ لَهَـا خَـطَـرَا[(٤)]
وَوَاصِـفًـا لِلسَّـوَاقِـي هَـبْـكَ لَمْ تَـزُرِ الْـ
بَـحْـرَ الـمُـحِـيـطَ أَلَمْ تَـعْـرِفْ لَهُ خَـبَـرَا[(٥)]
مَـنْ أَبْـصَـرَ الـدُّرَّ لَمْ يَـعْـدِلْ بِـهِ حَـجَـرَا
وَمَـنْ رَأَى خَـلَفًـا لَمْ يَـذْكُـرِ الـبَـشَـرَا[(٦)]
زُرْهُ تَـزُرْ مَـلِكًـا يُـعْـطِـي بِـأَرْبَـعَـةٍ
لَمْ يَـحْـوِهَـا أَحَـدٌ وَٱنْـظُـرْ إِلَيْـهِ تَـرَى[(٧)]

---

(١) **إن كنت سلمًا**: أي غير محارب فأنا لك سلم مع ما سمعت من صعوبة الوصول إليّ. وإني إن كنت حربًا لم يعوزني شيء من أسباب الظفر فيها.

(٢) **تخالينا**: خلا بعضنا إلى بعض. **وتجالينا**: أي جلا كلٌّ منّا حاله لصاحبه فعرفه بنفسه. **وأجلت القصة**: انكشفت.

(٣) **العوارف**: جمع عارفة وهي المعروف والإحسان.

(٤) مَن سرى على هداية النجوم يمدحها لذلك لكن لو رأى الشمس لم يعرف لتلك النجوم خطرًا أي قدرًا إذ يجد هداية النجوم لا تُذكَر مع هداية الشمس.

(٥) **السواقي**: جمع ساقية، وهي الفتاة الصغيرة فوق الجدول ودون النهر. **وهبك**: أي افرض أنك لم تكن منك زيارة للبحر فهل لم يصلك خبر عنه حتى شغلتك السواقي بوصفها عن وصفه.

(٦) **خلف**: اسم الملك الذي يمدحه ويزعم أن مَن رآه شغله ذكره عن ذكر كل البشر وكان واليًا في سجستان.

(٧) أشار إلى الأربعة في البيت الآتي. **فأيامه غرر** في وجه الزمان لامتيازها بين أجزائه براحة الرعية=

أَيَّـــامَـــهُ غُـــرَرًا وَوَجْـــهَـــهُ قَـــمَـــرًا
وَعَـــزْمَـــهُ قَـــدَرًا وَسَـــيْـــبَـــهُ مَـــطَـــرَا
مَـــا زِلْتُ أَمْـــدَحُ أَقْـــوَامًـــا أَظُـــنُّـــهُـــمُ
صَـــفْـــوَ الـــزَّمَـــانِ فَـــكَـــانُـــوا عِـــنْـــدَهُ كَـــدَرَا(١)

(قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَام): فَقُلْتُ: مَنْ هَٰذَا المَلِكُ الرَّحِيمُ الكَرِيمُ؟ فَقَالَ: كَيْفَ يَكُونُ، مَا لَمْ تَبْلُغْهُ الظُّنُونُ(٢)؟ وَكَيْفَ أَقُولُ، مَا لَمْ تَقْبَلْهُ العُقُولُ؟ وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ الأَكَارِمَ(٣)، إِنْ بَعَثْتَ بِالدَّرَاهِمِ، وَالذَّهَبُ، أَيْسَرُ مَا يَهَبُ. وَالأَلْفُ، لَا يَعُمُّهُ إِلَّا الخَلْفُ(٤). وَهَٰذَا جَبَلُ الكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ المِيلُ(٥). فَكَيْفَ لَا يُؤَثِّرُ ذَٰلِكَ العَطَاءُ

= واطمئنانها في كشف عدله فهو أحد الأربعة. **ووجهه** كأنه قمر يمنح الأبصار نورًا تهتدي به في سواد الليل وكأنما يهديك إلى فضله ببشره وابتسامه وهو ثانيها. **وعزمه وهمته**: تشبه القدر في نفوذها ومضائها وهي ثالث الأربعة. **وسيبه**: عطاؤه أشبه بالمطر في عمومه وغزارته وهو رابع الأربعة. وقوله: **أيامه** الخ... مفاعيل لترى في آخر هذا البيت.

(١) لم يزل يمدح أقوامًا غير الممدوح وكان يظنهم صفوًا للزمان بكرائم أخلاقهم فظهر له أنهم كدره بسوء طِباعهم إذا قِيسوا إليه.

(٢) كأنه يقول إذا أنبأتك عنه لم تصدق نبئي لأني أعرف له من الأوصاف ما لم يبلغه طائل الظن و«ما» في قوله: «ما لم تبلغه» مفسّرة بالوصف المسؤول عنه أي كيف يجيء في بياني ذلك الوصف الذي لا تبلغه الظنون وهو وصف الملك. وقوله: «وكيف أقول» بمنزلة البيان لهذا.

(٣) شروع في بيان ما لم يبلغه الظن من سخائه وسعة عطائه فهو يستفهم عن وجوده في غيره من الملوك استفهامًا إنكاريًا يفيد السلب. **والأكارم**: جمع أكرم، وأنفه يأنفه ضرب أنفه أي أن ممدوحه يضرب أُنوف الفائقين في الكرم إذا بعثوا إلى مستميحيهم بالدراهم. وضرب الأنف شبيه بقرع الأنف في كلامهم يُراد منه الردع والزجر والإذلال. وهذا الملك يلوم مَن يعطي الدراهم ويرميه بالشحّ فكأنه يقرع أنفه لأن جنس الدراهم خسيس فلا يليق بمدّعي التبريز في الكرم أن يتنازل لإعطائه. أما هو فأيسر ما يهبه ويعطيه الذهب وكثيرًا ما يعطي من الجوهر ما هو أغلى من الذهب.

(٤) **الخلف**: حدّ الفأس أو الفأس العظيمة. يريد أن هذا الملك لا يعطي إلاّ ذهبًا. **والألف**: من الذهب حظه منه الإتلاف ليس غير وجعل الألف كحائط رُصّت أعراقه فإذا عمّه الفأس أو حدّها فقد انهدم.

(٥) **الميل**: ما يكتحل به وهو لا يحمل من الكحل إلاّ قليلاً ومع ذلك فقد أفنى الميل بما يأخذ من المقدار القليل جبل الكحل فكيف لم يؤثر مثل ذلك العطاء الوافر في مال الملك.

الجَزيلُ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ البَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ. وَمِنَ الخَلْقِ إِلَى شَرَفِهِ. وَمِنَ الدِّينِ إلى كَلَفِهِ. وَمِنَ المُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ. وَمِنَ الأَصْلِ إِلَى سَلَفِهِ. وَمِنَ النَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ(١).

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَـٰذِي مَآثِرُهُ مَاذَا الَّذِي بِبُلُوغِ النَّجْمِ يَنْتَظِرُ(٢)

---

(١) يقول: هل يمكن لملك من الملوك أن تجتمع له الصفات الآتية على تباين آثارها؟ استفهام إنكاري أي لا يمكن ذلك. فحال هذا الملك غير معقول. وقوله: يرجع من **البذل** الخ: أي حاله في البذل رجوع إلى جانب الإسراف منه فالضمير المضاف إليه السرف للبذل. وفي الأخلاق والصفات رجوعه إلى **شرفها**: أي أعلاها. وفي الدين رجوعه إلى **كلفه**: أي حبّه حبًّا شديدًا أو احتمال تكاليفه وإن شقّت عليه. **والكلف** مصدر. وفي الملك رجوعه إلى كنفه. **والكنف** من الإنسان: حضنه الصدر والعضدان ومَن كان الملك حاضنًا له كان مكفولاً بأعظم قوة منه. أو أراد من الكنف الحرز. وحاله إذا انتسب الناس إلى الأصول رجوع إلى سلفه وسابقيه من آبائه العرقاء في أحسابهم. وإذا اعتدّ الناس بالبنين والذرّيّة فرجوعه منها إلى خلفه وهم أولاده الذي خلفوه في مثل أوصافه ولم يخالفوه في شيء منها.

(٢) ليته يعلم ما الذي ينتظره صاحب هذه الأوصاف من ميله إلى بلوغ النجوم مع أنه يجمع هذه المآثر قد بلغ ما يصل إليه بالغ النجوم. وقد يكون المعنى ليته يعلم لِمَ لم يبلغ صاحب هذه الأوصاف مراكز النجوم سموًا وأي شيء ينتظر حتى يبلغها أي قد اجتمعت جميع الأسباب التي تبلغه النجوم فماذا ينتظر حتى يبلغ.

المقَـــامَةُ الصُّفْرِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا أَرَدْتُ القُفُولَ مِنَ الحَجِّ(١)، دَخَلَ إِلَيَّ فَتًى فَقَالَ: عِنْدِي رَجُلٌ مِنْ نِجَارِ الصُّفْرِ(٢)، يَدْعُو إِلَى الكُفْرِ، وَيَرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ(٣). وَقَدْ أَدَّبَتْهُ الغُرْبَةُ(٤)، وَأَدَّتْنِي الحِسْبَةُ إِلَيْكَ(٥)، لأُمَثِّلَ حَالَهُ لَدَيْكَ. وَقَدْ خَطَبَ مِنْكَ جَارِيَةً صَفْرَاءَ تُعْجِبُ الحَاضِرِينَ، وَتَسُرُّ النَّاظِرِينَ. فَإِنْ أَجَبْتَ يَنْجُبُ مِنْهُمَا وَلَدٌ يَعُمُّ البِقَاعَ وَالأَسْمَاعَ(٦). فَإِذَا طَوَيْتَ هَـٰذَا الرَّيْطَ، وَثَنَيْتَ هَـٰذَا

---

(١) **القفول** من الحج: الرجوع منه.

(٢) **النجار**: الأصل. **والصفر**: جمع أصفر، صار لقبًا للدنانير. يريد عنده دينار لكنه يلغز فيه للتلميح.

(٣) **الكفر**: الستر لأن الدينار يحمل صاحبه على ستره محافظة عليه وربما أُريد منه المعنى الشائع لأن الطمع في الدنانير قد يحمل على كفران النعمة وجحد الحق وإن كان ظاهرًا. **ورقصه على الظفر**: يكون عند نقده.

(٤) يريد أن هذا الدينار في غير أهله فهو غريب عند ذلك الفتى بمنزلة البعيد عن أوطانه الذي أدّبته الغربة وعلّمته الحاجات فيها كيف يحسن المعاملة مع الناس.

(٥) **الحسبة**: هنا احتساب الأجر عند الله تعالى واعتداده في العمل أي أن الذي حمله على تمثيل حال هذا الرجل لديه إنما هو رعاية وجه الله تعالى واعتداد الأجر عنده. وفي المادة إلماع إلى المعنى المطلوب كما لا يخفى.

(٦) أراد من **الجارية** حقيقة الوصف أي قطعة صفراء تمر بيدك إلي مرًا سريعاً. ووصفها بالصفراء لتعيين نوعها وهو الذهب. لكن فيه مع ذلك إبعاد المراد بإيهام معنى الجارية المعهود عند الناس أن يخطب. **والخطبة**: ترشيح لما صرف الذهن إليه وجعل الأول رجلاً باعتباره دينارًا والمطلوب جارية وأنّثها باعتبار كونها قطعة ليتم له الإلغاز فإن كان على الدينار صورة رجل وعلى المطلوب صورة امرأة كانت المحاجاة في غاية الجودة. **ونجب الولد** ينجب نجابة كرم وحمد في أخلاقه وأعماله. وأراد من الولد الذي يولد بين الرجل والجارية المدح والثناء وبنجابته أن يكون من=

الخَيْطَ[١]، يَكُونُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَى بَلَدِكَ. فَرَأْيَكَ فِي نَشْرِ مَا فِي يَدِكَ[٢]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَعَجِبْتُ مِنْ إِيرَادِهِ[٣]، وَلُطْفِهِ فِي سُؤَالِهِ وَأَجَبْتُهُ فِي مُرَادِهِ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

المَجْدُ يُخْدَعُ بِاليَدِ السُّفْلَى وَيَدُ الكَرِيمِ وَرَأْيُهُ أَعْلَى[٤]

= رفيع الكلام الذي يستميل النفوس ويجتذب القلوب وحاصل المراد أن معه دينارًا ويريد أن يضم إليه دينارًا آخر فإن أناله عيسى بن هشام ما يريد مدحه مدحًا يسبقه إلى أوطانه.

(١) **الريط**: جمع ريطة. وتقدم في المقامة البلخية نحو هذه العبارة أي فإذا طويت ليالي الغربة هذه ورجعت إلى بلدك تجد ذلك الولد وهو المدح والثناء قد سبقك إليه. والكلام في البلخية لحل المعنى أوفى.

(٢) بعد سماع هذا الكلام عليك أن ترى رأيك في نشر ما في يدك أي تفريقه فإن رأيت أن لا تنشره فما أنا بملزم لك لكنك تحرم حمدي وشكري. وإن رأيت أن تنشره فثمرة ما تعطيه هذا الذي بينته لك ونصب «رأيك» بعامل محذوف تقديره الزم رأيك أو أطع رأيك وما أشبه.

(٣) **إيراده**: قصّه الخبر وحكايته له.

(٤) **اليد السفلى**: المستعطية تخدع المجد فتسترفده وتنال من الاحتيال عليه غير أن ذلك لا يعدّ نقصًا في المجد بما يقال إنه ضعف في العقل بل لا يزال الرأي الأعلى للكريم مع انخداعه ويده هي العليا في اغتراره.

المقَــامَةُ السَّاريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ بِسَارِيَةَ[١] عِنْدَ وَالِيهَا إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتًى بِهِ رَدْعُ صُفَارٍ[٢] فَانْتَفَضَ المَجْلِسُ لَهُ قِيَامًا. وَأُجْلِسَ فِي صَدْرِهِ إِعْظَامًا. وَمَنَعَتْنِي الحِشْمَةُ لَهُ مِنْ مَسْأَلَتِي إِيَّاهُ عَنِ ٱسْمِهِ[٣]. وَابْتَدَأَ فَقَالَ لِلْوَالِي: مَا فَعَلْتَ فِي الحَدِيثِ الأَمْسِيِّ[٤]؟ لَعَلَّكَ جَعَلْتَهُ فِي المَنْسِيِّ؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللهِ وَلَكِنْ عَاقَنِي عَنْ بُلُوغِهِ عُذْرٌ لَا يُمْكِنُ شَرْحُهُ. وَلَا يُؤْتَى جُرْحُهُ[٥]. فَقَالَ الدَّاخِلُ: يا هَٰذَا قَدْ طَالَ مِطَالُ هَٰذَا الوَعْدِ[٦] فَمَا أَجِدُ غَدَكَ فِيهِ إِلَّا كَيَوْمِكَ. وَلَا يَوْمَكَ فِيهِ إِلَّا كَأَمْسِكَ. فَمَا أُشَبِّهُكَ

---

(١) **سارية**: بلد في طبرستان.

(٢) **الردع**: أثر الطِّيب في الجسد ومن معانيه الزعفران وهو يريد هنا بأثر الطِّيب طيب الزعفران ولذلك قال: ردع صفار. **والصفار**: بالضم وبالفاء له معانٍ كثيرة في كلها معنى الصفرة فأطلقه هنا وأراد الوصف مجردًا عن تقييده بالنوع الذي خص به في الوضع كما تطلق الجحفلة أو المشفر مثلاً على شفة الإنسان فتقول: ما أقبح جحفلة زيد أو مشفره وتريد شفته مع أن الجحفلة شفة الفرس والمشفر شفة البعير فتجرّده عن التقييد ثم تستعمله. فكأنه قال هٰهنا عليه أثر من طيب أصفر أو أثر من زعفران.

(٣) أراد من **الحشمة** هنا التوقير والبعد عما عساه يغضب له.

(٤) **الأمسي**: الذي جرى بالأمس ولهذا نسب إليه.

(٥) **لا يؤسى**: أي لا يعالج ولا يداوى جرحه. وأراد من **جرحه** الأثر الذي كان له في إخلافه الوعد وعدم قيامه على العهد الذي كان بينهما وما هذا الأثر في الإيلام بأضعف من الجرح.

(٦) **المطال**: مصدر ماطل بالدين إذا سوّف في الوفاء به. فوعد أن يَفِي به في يوم حتى إذا حلّ وعد إلى يوم آخر وهكذا. ومَن وعدك وعدًا فقد جعل لك عليه اعتمادًا بما وعدك فصار من الحق عليه أن يفي لك به كما كان الحق على المَدين أن يفي الدائن فلهذا يستعمل المطال في الوعد كما يستعمل في الدين.

فِي الإِخْلَافِ، إِلَّا بِشَجَرِ الخِلَافِ[١]. زَهْرُهُ يَمْلأُ العَيْنَ. وَلَا ثَمَرَ فِي البَيْنِ[٢]. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا بَلَغَ هَـٰذَا المَكَانَ قَطَعْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: حَرَسَكَ اللهُ أَلَسْتَ الإِسْكَنْدَرِيَّ؟ فَقَالَ: وَأَدَامَ حِرَاسَتَكَ. مَا أَحْسَنَ فِرَاسَتَكَ. فَقُلْتُ: مَرْحَبًا بِأَمِيرِ الكَلَامِ. وَأَهْلًا بِضَالَّةِ الكِرَامِ[٣]. لَقَدْ نَشَدْتُهَا، حَتَّى وَجَدْتُهَا. وَطَلَبْتُهَا، حَتَّى أَصَبْتُهَا. ثُمَّ تَرَافَقْنَا حَتَّى اجْتَذَبَنِي نَجْدٌ، وَلَقِمَهُ وَهْدٌ[٤]. وَصَعِدْتُ وَصَوَّبَ، وَشَرَّقْتُ وَغَرَّبَ. فَقُلْتُ عَلَى أَثَرِهِ:

يَـا لَيْـتَ شِـعْـرِي عَـنْ أَخٍ ضَـاقَـتْ يَـدَاهُ وَطَـالَ صِـيـتُـهْ[٥]
قَـدْ بَـاتَ بَـارِحَـةً لَدَيْـ ـيَ فَـأَيْـنَ لَيْـلَتَـنَـا مَـبِـيـتُـهْ[٦]

---

(١) **شجر الخلاف**: هو شجر الصفصاف أو نوع منه. وقد بيّن وجه الشبه بقوله: زهره يملأ العين الخ...

(٢) كلمة **البين** صارت مستعملة عند بعض القوم في معنى هناك لمطلق مكان كأنه قال: ولا تمر هناك أي في الصفصاف حيث وجد. ويقولون لا كلام في البين أي ليس هناك كلام ولا فائدة في البين أي لا فائدة هناك وهكذا.

(٣) **ضالتك**: ما غاب عنك من مالك أو ما يكرم عليك مطلقًا فأنت تطلبه حتى تجده. والإسكندري لأدبه ضالة الكرام يطلبونه ليستفيدوا من أدبه ويغنموا منه الحمد والثناء بالبذل له والاحتفاء. **ونشد الضالة**: طلبها وفتش عنها.

(٤) ترافق ابن هشام والإسكندري إلى حيث افترق بهما الطريق فابن هشام يصعد والإسكندري يصوب فذاك **اجتذبه النجد**: وهو ما ارتفع من الأرض فرفعه إليه. وهذا **لقمه الوهد**: وهو ما انخفض من الأرض أي ابتلعه. ولقم مكسور القاف. والوهد يغيب السائر فيه كما تغيب اللقمة في الفم. أما النجد فإن السائر عليه ظاهر بادٍ فأحرى به أن يكون مجتذبًا وأحرى بذلك أن يكون ملتقمًا. وابن هشام كان يطلب خلف بن أحمد فهو يذهب إلى الشرق في جبال سجستان والإسكندري كان يأتي إلى الغرب نواحي العراق.

(٥) **ليت شعري عنه**: أي ليت خبري عنه حاصل عندي فأطلق الشعر وهو في أصل وضعه بمعنى العلم وأراد منه الخبر لأنه سبب له في الأغلب أي ليته يعلم شيئًا عن ذلك الأخ الذي ضاقت يده عن الإنفاق لعدم ما تنفقه وإن كان صيته وشُهرته في طول وامتداد.

(٦) أراد من **بارحة المنكر**: البارحة المعرف وهي الليلة التي قبل ليلتك هذه أو يومك هذا. أي كان مبيته عندي في الليلة البارحة فيا أسفا أين مبيته هذه الليلة. وهو استفهام يؤتى به للترحّم المقرون بالأسف على ما يحتف المستفهم عنه من الأحوال السيئة التي لا حيلة للمترحم في دفعها فمبيته لا يدري أين يكون أفي بيت كريم يعرف للضيف قدره ويوفّيه من الكرامة حقه أو في مضنكة لئيم فهو يبيت بليلة ضجرة ونفس كدرة فحال المستفهم عنه من الاضطراب وعدم الوثوق بسلامته من الأوصاب بحيث يترحّم له.

لَا دَرَّ دَرُّ الــفَــقْــرِ فَــهْـــوَ طَــرِيــدُهُ وَبِــهِ رُزِيــتُــهْ[(١)]

لَأُسَــلِّطَــنَّ عَــلَيْــهِ مِــنْ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ مَنْ يُمِيتُهْ[(٢)]

---

(١) **لا درّ درّه**: دعاء على الفقر بأن لا يدر دره. **والدر**: اللبن. **ودر**: كثر أو سال. فإما أن يُراد باللبن لبن الأمِّ أو المرضع فكأنه دعاء عليه بأن يفقد لبن مرضعه فيموت جوعًا. أو المراد من اللبن الخير وما ينتفع به مطلقًا ولأن اللبن من أصول النعم عندهم أطلقوه على كل خير فلا در دره أي لا كثر خيره أو لا أناله الله خيرًا فيكون دعاء بفقد النعمة وسبوغ النقمة. وهو على الأول بمعنى لا كان در دره وعلى الثاني كبقية صيغ الدعاء التي تماثله. لكن الفقر على كل حال لا يقصد بالدعاء ولكنها عادة عندهم ينزلون الشيء وهو مما لا يقصد بالمعنى منزلة ما يقصد به والغرض إظهار النفرة منه والتغيّظ عليه. وضمير «هو» للإسكندري. **وطريده**: أي مطروده. والإسكندري مطرود الفقر يدفعه من مكان إلى آخر. وبسبب الفقر رزىء ابن هشام بفراقه لأنه لو كان غنيًا لسهل عليه أن يصحبه ولا يفارقه في طلب العيش. ورزئت كذا أي أصبت بعدمه.

(٢) **يحلف ليسلطنّ على الفقر من خلف بن أحمد شخصًا يميته بمواهبه وعطاياه. والكلام على التجريد وإنما خلف بن أحمد هو الذي سيسلّط على الفقر فيُميته.**

المقَــامَةُ التَّمِيمِيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: وَلِيتُ بَعْضَ الْوِلَايَاتِ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ. وَوَرَدَهَا سَعْدُ بْنُ بَدْرٍ أَخُو فَزَارَةَ[1]. وَقَدْ وُلِّيَ الوِزَارَةَ، وَأَحْمَدُ بْنُ الوَلِيدِ، عَلَى عَمَلِ البَرِيدِ[2]. وَخَلَفُ بْنُ سَالِمٍ، عَلَى عَمَلِ المَظَالِمِ[3]، وَبَعْضُ بَنِي

(١) **أخو فزارة**: أحد رجال فزارة وهي قبيلة من قبائل العرب المشهورة. **والوزارة** كانت لعهد صاحب المقامات جامعة لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الموازرة والمعاونة في السلطان غير أن صاحبها كان في شؤون فتارة يستبد على الخليفة والسلطان وليس للسلطان إلا أن تصدر الأمور باسمه فوزارته كانت تسمى وزارة تفويض. وتارة يكون السلطان قائمًا على نفسه والوزير عامل على تنفيذ أوامره مؤتمَن على إمضاء أحكامه فوزارته تسمى وزارة تنفيذ.

(٢) **عمل البريد** من كبار الأعمال في الدول الإسلامية، كان صاحبه يتولّى تفقّد أحوال الثغور والقاصية من البلاد وينبىء السلطان عن كل ما يحدث فيها ويشير عليه فيما يجب لتدبيرها. والرسل الذين يحملون الرسائل إلى الخليفة أو السلطان هم البريد. ولصاحب البريد عمّال كثيرون ويستخدمهم في الأطراف والنواحي في فروع عمله. وكانت تلك الوظيفة أشبه بنظارة البوسطة في الدول لعهدنا هذا غير أن نظارة البوسطة ليس لها من الخصائص مثل ما كان لعمل البريد من افتقاد الأحوال واستكشاف خفيّات الأمور والالتزام بإخبار الخليفة بما يحيط به علم صاحبه من ذلك فقد كان ما يرد من الولاة وعمال الأطراف يقع إلى صاحب البريد أولاً ثم هو طريق وصوله إلى الخليفة. ويُروَى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لحاجبه: قد جعلت لك حجابة بابي إلا عن ثلاثة: صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير، والأذان بالصلاة فإنه داعٍ إلى الله، والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية. ويُروَى: وصاحب البريد فأمر ما جاء به.

(٣) **عمل المظالم**: هو كما قال ابن خلدون ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء كأنه يمضي ما عجز القضاة وغيرهم عن إمضائه ويكون نظر صاحبه في البيِّنات والتقرير واعتماد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود أوسع من نظر القاضي. وكان الخلفاء الراشدون يتولّون هذا العمل بأنفسهم في صدر الإسلام وربما خلوه للقضاة ثم صارت ولاية خاصّة.

ثَوَابَة[١]. وَقَدْ وُلِّيَ الكِتَابَةَ[٢]، وَجُعِلَ عَمَلُ الزِّمَامِ[٣]، إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. فَصَارَتْ تُحْفَةَ الفُضَلَاءِ[٤] وَمَحَطَّ رِحَالِهِمْ. وَلَمْ يَزَلْ يَرِدُ الوَاحِدُ بَعْدَ الوَاحِدِ حَتَّى امْتَلأَتِ العُيُونُ مِنَ الحَاضِرِينَ وَثَقُلُوا عَلَى القُلُوبِ[٥]. وَوَرَدَ فِيمَنْ وَرَدَ أَبُو النَّدَى التَّمِيمِيُّ فَلَمْ تَقِفْ عَلَيْهِ العُيُونُ[٦] وَلَا صَفَتْ لَهُ القُلُوبُ. وَدَخَلَ يَوْماً إِلَيَّ فَقَدَرْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَأَقْعَدْتُهُ مِنَ المَجْلِسِ فِي صَدْرِهِ، وَقُلْتُ: كَيْفَ يُرَجِّي الأُسْتَاذُ عُمْرَهُ[٧]؟ وَكَيْفَ يَرَى أَمْرَهُ؟ فَنَظَرَ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ اليَسَارِ[٨]، فَقَالَ: بَيْنَ الخُسْرَانِ وَالخَسَارِ، وَالذُّلِّ وَالصَّغَارِ، وَقَوْمٍ كَرَوْثِ الحِمَارِ[٩]، يَشُمُّهُمُ الإِقْبَالُ وَهُمْ

---

(١) اسم قبيلة عربية.

(٢) أراد من **الكتابة** هنا رئاسة ديوان الرسائل وهي أشبه بوظيفة المكتوبجي عند العثمانيين أو الباشكاتب أو السكرتير عند المصريين والأوروبيين.

(٣) لم نجد فيما وقع إلينا من كتب الأحكام ولاية تُعرَف بولاية الزمام ولا نتذكر أننا رأيناه فيما تَلَوْنا. والذي يظهر أنه أراد في هذه الفقرات أن يستوفي الوظائف الملكية بأسرها ولم يبق من الأعمال العامة بعد الذي ذكره إلا ولاية ديوان الأعمال والجبايات وهي أشبه بنظارة المالية لعهدنا هذا. وأراد **بالزمام** ما هو معروف عند أهل مصر ومصطلح عليه في عرفهم وهو الديوان الذي تحصى فيه مقادير الأراضي التي يدفع عليها الخراج مع ذكر حدودها وطرق مساحتها في كل بلد ولكل شخص من أهل الخراج ولا تزال هذه الكلمة مستعملة عندهم إلى اليوم فيقال زمام بلد كذا ألف فدان مثلاً وما تعمد إليه الحكومة أحيانًا من إعادة المساحة للأرض وتعيين مقاديرها بدون التزام للمساحة السابقة يسمّونه فك الزّمام ولما أن أغلب أموال الجباية إنما هي من الخراج عبّر عن ديوان الجبايات بعمل الزمام لأن الخراج يؤخذ على حسبه.

(٤) الضمير في «صارت» لتلك الولاية التي وردها سعد بن بدر ومن ذكر معه. **وتحفة الفضلاء**: النفيس الذي يُتحِف به بعضهم بعضًا. والبلد إذا ورده مثل أولئك الرؤساء صار له من البهاء بهم والسناء ما يسوق إليه رغبات الفضلاء.

(٥) **ثقلوا** على القلوب لكثرتهم. واستدعاء مكاناتهم من الرئاسة والفضل أن يعظّموا ويوقّروا بما يليق بهم. فللرؤساء وأهل المقامات رسوم لا تجد الأنفس بُدًّا من اقتفارها وهي أثقل شيء عليها.

(٦) إذا عظم لديك شخص أثبت نظرك فيه تعرّفًا أو عجبًا أو إعظامًا فيقال عيناك عليه فإن لم يكن للشخص في نفسك أثر لم يثبت لك فيه نظر وربما مرّ وكأنه لم يمرّ.

(٧) **كيف يرجي عمره**: أي كيف يؤمّل فيه. يسأله عن حاله في حياته حال المرء بآماله وانبساطها وانقباضها فلهذا جعل السؤال عن الرجاء.

(٨) نظره يمينًا وشمالًا ليرى هل يوجد أحد يسمع ما يقول وليس أمينًا على كتمه فيبلغه لمَن يعرض بهم في كلامه فيصلهم إيذاؤهم. فلما أمِنَ من ذلك قال ما قال.

(٩) **الخسران**: الخيبة والحرمان. **والخسار**: اللؤم. أي أنه مُصاب بالحرمان ومعاشرة اللئام. **والذلّ والصغار** يجريان مجرى واحدًا في المعنى. ومَن كان بين لؤم وحرمان كان في ذل وصغار=

مُنْتِنُونَ(١). وَيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ فَلَا يُحْسِنُونَ. أَمَا وَاللهِ لَقَدْ وَرَدْتُ مِنْهُمْ عَلَى قَوْمٍ مَا يُشْبِهُهُمْ مِنَ النَّاسِ، غَيْرُ الرَّأْسِ وَاللِّبَاسِ(٢). وَجَعَلَ يَقُولُ:

فِدًى لَكِ يَا سِجِسْتَانُ البِلَادُ ... وَلِلْمَلِكِ الكَرِيمِ بِكِ العِبَادُ(٣)

هَبِ الأَيَّامَ تُسْعِدُنِي وَهَبْنِي ... تُبَلِّغُنِيهِ رَاحِلَةٌ وَزَادُ(٤)

فَمَنْ لِي بِالَّذِي قَدْ مَاتَ مِنْهُ ... وَبِالعُمْرِ الَّذِي لَا يُسْتَعَادُ

= بالضرورة. وشبّه القوم بروث الحمار في الكراهة والغلظ.

(١) **الإقبال**: إقبال الزمان والسعادة. مثله في حال شخص عاقل أو حيوان يشتمّ الرائحة تلذّذًا بها فكأنه قال: إن الإقبال يتناولهم كما يتاول المرء الرياحين ومَن تناول الرياحين ليشمّها فقد رفعها عن الضياع وأحرزها في مظان الانتفاع. أو أنه عبّر عن توجّه الإقبال إليهم ووفود السعادة عليهم بالشم لأن الشم يستلزم ذلك. كل هذا يكون من الإقبال معهم وهم ليسوا أهلاً له لأنهم في خبث صفاتهم على مثل حال المنتن تنبو عنه النفس وينفر منه الطبع. وبيّن بعض الخبث بقوله: ويحسن إليهم ولا يحسنون. فلو كانوا ممّن تشم رائحة سجاياه الطيبة لأحسنوا مما أحسن الدهر به عليهم فإن الكريم حريص على الإحسان عند الإمكان.

(٢) **وردت منهم**: أين وردت بسبب ورودي عليهم وأتيت إلى أناس لا يوجد في الإنسان شيء يشبه شيئًا فيهم إلا الرأس واللباس فرأسهم رأس إنسان وثيابهم ثياب الناس أو خلائقهم وخصائصهم فلا تشبه من خلائق الإنسان شيئًا.

(٣) **سجستان**: مدينة من مدن فارس الشرقية وهي قصبة قسم من تلك البلاد يسمى باسمها يحدّه من شرقيه أفغانستان الأصلية ومن غربيه صحارى كرمان ومن شماليه هراة ومن جنوبيه بلوخستان. وهذه المدينة هي التي كان صاحبها خلف بن أحمد الذي أفرغ الكلام في مدحه إفراغًا. **والبلاد**: مبتدأ خبره فدى، أي كل البلاد هي فداء لك يا سجستان فإذا قصدك قاصد الزمان بسوء فليجعل الله كل بلد فدًى لك منه فيحفظك منه ولو بخرابها جميعًا. **والعباد** فدًى للملك الكريم المقيم بك يكون العباد جميعهم وقاية له من الأرزاء يتلقونها في صونه منها كما هي البلاد لك.

(٤) بعدما انثنى على سجستان وعلى ملكها بأنها أفضل البلاد وهو أشرف العباد وأنهما يستحقّان أن تكون البلاد والعباد فداء لهما وأن جميع الذين يراهم من الأمراء والملوك إذا قيسوا إلى ذلك الملك صعاليك وخول يفدونه بأرواحهم وأموالهم أخذ يُظهِر التأسّف على حرمانه من لقائه لموت ذلك الملك فهو يقول: فاحسب أن الأيام تسعدني بالوصول إلى مملكته وأني وجدت راحلة وزادًا تبلّغني أرضه فأيّ قادر في الأرض يكفل لي وجود الذي قد مات منه وهو نفسه ويكفل لي عود عمره لأتمتع به وهو مما لا يُستعاد فلئن أسعدتني الأيام بالوصول إلى فنائه فهي تشقيني لا محالة بالحرمان من لقائه.

المقَـــامَةُ الخمريَّة

حَدَّثَنا عِيسَى بْنُ هِشَام قَالَ: اتَّفَقَ لِي فِي عُنْفُوَانِ الشَّبِيبَةِ خُلُقٌ سَجِيحٌ[1] وَرَأْيٌ صَحِيحٌ. فَعَدَّلْتُ مِيزَانَ عَقْلِي[2]، وَعَدَلْتُ بَيْنَ جِدِّي وَهَزْلِي، وَاتَّخَذْتُ إِخْوَانًا لِلْمِقَةِ، وَآخَرِينَ لِلنَّفَقَةِ[3]. وَجَعَلْتُ النَّهَارَ لِلنَّاسِ، وَاللَّيْلَ لِلْكَأْسِ[4]. (قَالَ) وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ فِي بَعْضِ لَيَالِيَّ إِخْوَانُ الخَلْوَةِ، ذَوُو المَعَانِي الحُلْوَةِ[5]. فَمَا زِلْنَا نَتَعَاطَى نُجُومَ الأَقْدَاحِ[6]، حَتَّى نَفِدَ مَا مَعَنَا مِنَ الرَّاحِ[7]. (قَالَ) وَاجْتَمَعَ رَأْيُ النُّدْمَانِ، عَلَى فَصْدِ الدِّنَانِ[8]، فَأَسَلْنَا نَفْسَهَا وَبَقِيَتْ كَالصَّدَفِ بِلا دُرٍّ، أو المِصْرِ

---

(١) **عنفوان الشبيبة**: أول الشباب. **والخلق السجيح**: الليّن السهل. واتفق له ذلك لأن عادة عنفوان الشباب الخرق والجري على غير رفق بالخلق السجيح وهو في ريعان الشباب يشبه أن يكون من الاتفاق والصدفة.

(٢) **عدل ميزان عقله**: جعل كفّتيه متعادلتين متوازيتين في سمت واحد ولم يجعل كفّة الشهوة على غلبتها أيام الشباب راجحة على كفّة المروءة. وهذا معنى قوله: وعدلت بين جدي وقتًا وللهزل وقتًا لا يجور أحدهما على الآخر في وقته.

(٣) **المقة**: المحبة. **وإخوان المقة**: هم أهل الصدق والثقة يُستَغاث بهم في الشدائد ويُستَعان بهم على النوازل. وإخوان النفقة أهل الظرف والرقّة يشاركون في المأكل والمشرب وحكمهم حكم آلات اللهو والطرب.

(٤) هذا العدل بين الجدّ والهزل ففي النهار حشمة ووقار وأعمال تجلّ في نظر الكبار وفي الليل انبساط إلى النّدماء وارتياح إلى الظرفاء ومُعاطاة كؤوس واختباط رؤوس.

(٥) أولئك الظرفاء إخوان النفقة.

(٦) يشبِّهون كؤوس الخمر وأقداحها بالنجوم لوبيصها وبهجتها في أعينهم.

(٧) **الراح**: الخمر. **ونفدت**: فنيت ولم يبق منها شيء. والراح التي نفدت هي التي كانت بين أيديهم في الأباريق والنواجيد والبواطي.

(٨) **الدنان**: الخوابي العظيمة. **والرواقيد**: الضخمة. **والفصد**: شقّ العرق لإسالة الدم منه شبّه به=

بِلَا حُرٍّ[١]. (قَالَ) وَلَمَّا مَسَّتْنَا حَالُنَا تِلْكَ دَعَتْنَا دَوَاعِي الشَّطَارَةِ، إِلَى حَانِ الخَمَّارَةِ[٢]. وَاللَّيْلُ أَخْضَرُ الدِّيبَاجِ[٣]، مُغْتَلِمُ الأَمْوَاجِ. فَلَمَّا أَخَذْنَا فِي السَّبْحِ[٤]. ثَوَّبَ مُنَادِي الصُّبْحِ[٥]، فَخَنَسَ شَيْطَانُ الصَّبْوَةِ، وَتَبَادَرْنَا إِلَى الدَّعْوَةِ، وَقُمْنَا وَرَاءَ الإِمَامِ، قِيَامَ البَرَرَةِ الكِرَامِ، بِوَقَارٍ وَسَكِينَةٍ، وَحَرَكَاتٍ مَوْزُونَةٍ، فَلِكُلٍّ بِضَاعَةٍ وَقْتٌ وَلِكُلِّ صِنَاعَةٍ سَمْتٌ[٦]. وَإِمَامُنَا يَجِدُّ فِي خَفْضِهِ وَرَفْعِهِ[٧]، وَيَدْعُونَا بِإِطَالَتِهِ إِلَى صَفْعِهِ، حَتَّى إِذَا رَاجَعَ بَصِيرَتَهُ[٨]، وَرَفَعَ بِالسَّلَامِ عَقِيرَتَهُ، تَرَبَّعَ فِي رُكْنِ

= فضّ ختام الدّنّ لأن الخمر أشبه بالدم في اللون وفي توفير مادة الحياة في زعمهم. ورشح هذا التشبيه بقوله: «فأسلنا نفسها». والنفس كما تطلق على الروح تطلق على الدم أيضًا.

(١) **الصدف**: وعاء الدّرّ. وما دام الدّرّ فيه فالصدف مطلوب له فإذا نزع الدّرّ منه لم يكن في الصدف نفاسة يطلب لها. وهكذا المدينة والمصر إذا خلت من الأحرار أشبهت البلاقع والقِفار فالدّنان قد فقد ما فيها أيضًا وصارت فارغة لا تستحق أن يعكفوا على ما بقي من فخارها.

(٢) **مستنا حالنا تلك**: من قولهم: مسّت الحاجة إلى كذا ألجأت أي ألجأتنا حالنا التي عرضت من فراغ الدنان إلى طلب ما نتمّم به سكرتنا. أو من قولهم مسّه الشيطان فاختلط عقله، وفي نسخة: **أوحشتنا**: بالشين المعجمة بدل الحاء من أوحش الأرض إذا وجدها وحشة لا أنيس بها. وإنما أوحشتهم حالهم لأن الدّنان فرغت ولم تفرغ رغبتهم في الشرب فهم طالبون لشيء غير واجديه وإن أشد وحشة النفس عند فَقْد مرغوب والرغبة مشتدة إليه. **والشطارة**: شدة الخبث والدعارة.

(٣) **الديباج**: في أصل معناه الثوب سداه ولحمته حرير أطلق هنا وأُريد منه الثوب مطلقًا. **واخضرار ثوب الليل**: تمثيل لظلمته. **واغتلام الأمواج**: هيجانها. وهيجان أمواجه يصوّر لك تراكم الظلمات فيه وتضافر أطوارها فكأنه البحر في لونه وهوله.

(٤) أراد **بالسبح**: السير إلى الخمارة. وسمّي سبحًا لأنه في الليل المخيل في مثال البحر.

(٥) **منادي الصبح**: المؤذن له. **وثوب**: قال الصلاة خير من النوم مرتين بعد قوله حيّ على الفلاح. أي أنهم عندما أخذوا في المشي إلى الخمارة سمعوا الأذان للصبح. **وخنس**: انخذل وانقبض. **والصبوة**: شرّة الفتوّة وهي أشبه بالشيطان في الإغراء بالشهوات وإن تجاوزت بصاحبها حدود القصد فكأن الأذان رجع بهم إلى عقولهم فتبادروا وتسابقوا لإجابة دعوة المؤذِّن فساروا إلى المسجد ليؤدّوا صلاة الصبح.

(٦) هيئة وحالة تناسبها.

(٧) **يجد**: يجتهد. **والرفع والخفض**: الركوع والسجود والقيام منهما. ويريد بالجدّ فيهما التشديد في أدائهما كما قال «ويدعونا بإطالته إلى صفعه» ضجرًا منه.

(٨) **البصيرة**: الفطنة والعقل كأنه في ذلك التطويل قد خرج عن حدّ ما يأتي به العقلاء. وربما كان يتمادى فيه ولا يصل إلى السلام أبدًا فعدّ وصوله إلى السلام من مراجعة البصيرة. **وعقيرته**: صوته، أي رفع صوته بقوله: السلام عليكم وهو نهاية الصلاة.

مِحْرَابِه(١)، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَجَعَلَ يُطِيلُ إِطْرَاقَهُ(٢)، وَيُدِيمُ اسْتِنْشَاقَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ خَلَطَ فِي سِيرَتِهِ وَابْتُلِيَ بِقَاذُورَتِهِ(٣)، فَلْيَسَعْهُ دِيمَاسُهُ، دُونَ أَنْ تُنَجِّسَنَا أَنْفَاسُهُ. إِنِّي لَأَجِدُ مُنْذُ الْيَوْمِ رِيحَ أُمِّ الْكَبَائِرِ(٤) مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ. فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَاتَ صَرِيعَ الطَّاغُوتِ(٥)، ثُمَّ ابْتَكَرَ إِلَى هَٰذِهِ الْبُيُوتِ(٦) الَّتِي أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ، وَبِدَابِرِ هَٰؤُلَاءِ أَنْ يُقْطَعَ، وَأَشَارَ إِلَيْنَا، فَتَأَلَّبَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَيْنَا(٧)، حَتَّى مُزِّقَتِ الْأَرْدِيَةُ، وَدَمِيَتِ الْأَقْفِيَةُ(٨)، وَحَتَّى أَقْسَمْنَا لَهُمْ لَا عُدْنَا، وَأَفْلَتْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ وَمَا كِدْنَا(٩)، وَكُلُّنَا مُغْتَفِرٌ لِلسَّلَامَةِ، مِثْلَ هَٰذِهِ الْآفَةِ(١٠). وَسَأَلْنَا مَنْ مَرَّ بِنَا مِنَ الصِّبْيَةِ(١١)، عَنْ

---

(١) **المحراب**: مقام الإمام من المسجد.

(٢) **إطراقه**: سكوته مع إرخاء عينيه ونظره إلى الأرض كالمُفتَكِر في أمر أو المراقب لخلجات سرّ وهو مع ذلك كان يستنشق ويشم النشوق ويُديم ذلك.

(٣) **خلط في سيرته**: جاء فيها بالسيئات واقترف المنكرات مع قيامه بأداء بعض الواجبات أولئك الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا. **والقاذورة**: هي السيئة دعيت قاذورة لأن النفوس السليمة تتقزّز منها كما تتقزز من القذر وتنفر منها كما تنفر منه والمقترف لها كالمتلطخ بالأقذار في دنسه وهوانه. وفي الحديث مَن ابتلي بشيء من هذه القاذورات (المعاصي) فليستتر بستر الله فإتيان المعصية إثم والمجاهرة بها إثم آخر بل قد تكون المجاهرة أكبر جرمًا من إتيان أصل الفعل لما تقدح في نفوس الغافلين من زناد الشهوة فيستطير شرر الخطيئة وتعظم في تفاقم شرها المصيبة. **والديماس**: الكن والسرب أراد منه هنا البيت أي فليلزم بيته وإنما يصحّ لزوم البيت إذا وسع صاحبه. لهذا يعبِّرون عن الإقامة في البيت بسعته.

(٤) **أم الكبائر**: الخمر لأنها علّة السكر، والسكر ينبّه النفس إلى الشهوات ويثور بها إلى اللذّات ويدفعها على ما يعن من ذلك مع استخفاف بالزواجر واستهانة بالأوامر فلا جرم كانت أُم الكبائر.

(٥) **الطاغوت**: الشيطان. **وصريعه**: طريحه. وشاربو الخمر قد خبطهم الشيطان فأوقعهم في مهالكهم وأوردهم مصارعهم من حيث زيّن لهم سوء أعمالهم.

(٦) **تلك البيوت**: هي المساجد.

(٧) **تألّبت الجماعة عليهم**: اجتمعوا على ضربهم.

(٨) **الأردية**: جمع رداء نائب فاعل مزقت المبني للمجهول. **والأقفية**: جمع قفا وهو مؤخر العنق. **ودميت**: خرج منها الدم من شدة الضرب.

(٩) **أفلتوا من بينهم**: خلصوا وما كان الخلاص قريبًا منهم.

(١٠) **الآفة**: هنا العارض الذي أفسد راحتهم ومزّق أرديتهم وأدمى أقفيتهم فهي سيئة عظيمة إليهم لكنهم اغتفروها للسلامة فكانت السلامة منها كفّارة لها. ويُروَى: للسلافة وهي الخمر.

(١١) **الصبية**: الصبيان.

إِمَام تِلْكَ القَرْيَةِ. فَقَالُوا: الرَّجُلُ التَّقِيُّ، أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ. فَقُلْنَا: سُبْحَانَ اللهِ رُبَّمَا أَبْصَرَ عِمِّيْتٌ، وَآمَنَ عِفْرِيتٌ[١]. وَالحَمْدُ للهِ لَقَدْ أَسْرَعَ فِي أَوْبَتِهِ[٢]، وَلَا حَرَمَنَا اللهُ مِثْلَ تَوْبَتِهِ، وَجَعَلْنَا بَقِيَّةَ يَوْمِنَا نَعْجَبُ مِنْ نُسْكِهِ[٣]، مَعَ مَا كُنَّا نَعْلَمُ مِنْ فِسْقِهِ. (قَالَ) وَلَمَّا حَشْرَجَ النَّهَارُ أَوْ كَادَ[٤] نَظَرْنَا فَإِذَا بِرَايَاتِ الحَانَاتِ أَمْثَالُ النُّجُومِ فِي اللَّيْلِ البَهِيمِ، فَتَهَادَيْنَا بِهَا السَّرَّاءَ، وَتَنَاشَرْنَا بِلَيْلَةٍ غَرَّاءَ[٥]، وَوَصَلْنَا إِلَى أَفْخَمِهَا بَابًا[٦]. وَأَضْخَمِهَا كِلَابًا. وَقَدْ جَعَلْنَا الدِّينَارَ إِمَامًا، وَالإِسْتِهْتَارَ لِزَامًا[٧]. فَدُفِعْنَا إِلَى ذَاتِ شَكْلٍ وَدَلٍّ، وَوِشَاحٍ مُنْحَلٍّ[٨]، إِذَا قَتَلَتْ أَلحَاظُهَا، أَحْيَتْ

---

(١) **العميت**: السكران ومَن لا يهتدي في سيره إلى جهة. **وأبصر**: عقل واهتدى. والعهد بأبي الفتح أنه عميت ضال يتبع هواه ولا تعرف تقواه. **والعفريت**: الشيطان. وليس بمُحال أن يؤمن الشيطان وإن كان ذلك بعيد الوقوع وكذلك أبو الفتح على المعروف في حاله.

(٢) **في أوبته**: أي في رجوعه إلى الله تعالى. ثم سألوا الله تعالى أن لا يحرمهم توبة مثل توبة الإسكندري تقلع بهم عمّا هم فيه.

(٣) **النسك**: العبادة.

(٤) **حشرج النهار**: من حشرج الرجل إذا غرغر عند الموت وتردّد نفسه وهو يجود بنفسه فكأن النهار في آخره حيّ حضره الموت أو كاد، أي لم يكن يجود بنفسه فهو قريب من ذلك ومحصل المعنى أنه لما كان آخر النهار نظروا فرأوا رايات الحانات وهي أماكن بيع الخمور نشرت فكانت كالنجوم في الليل البهيم أي الشديد الظلمة فكما أن النجوم يُهتَدَى بها في ظلمات البر والبحر إلى الطرق الأمينة من المضيعة كذلك الرايات تهديهم السبيل إلى تلك الحانات فلا يضلّون في طلبها. وفي العبارة ما يشير إلى أن بيع الخمور في زمنه كان معروفًا في البلاد الإسلامية لا يستسرّ به بل كانوا يقيمون عليه علامات من الرايات لتمييز حاناتها عن سائر مواضع البيع.

(٥) **السراء**: المسرّة. وتهادوها أهداها بعضهم لبعض وكأنهم في تبشير كل واحد منهم صاحبه بما رأى من رايات الحانات يتهادون المسرة كما يتهادى القوم أنواع التحف والهدايا. **وتباشروا**: بشّر بعضهم بعضًا. وكنى **بالغراء** عن الجميلة البهجة وجمالها بما ينالون فيها من لذّة السكر والعربدة.

(٦) لا يكون الباب أفخم الأبواب حتى تكون الحانة نفسها أكبر الحانات وأوفرها أسباب مسرات.

(٧) **الإمام**: هنا القيّم المدبّر للأمر. **والدينار**: أي النقد هو الذي يوفّيهم ما يريدون من الخمر فينالون من بغيتهم على حسب ما يبذلون منه. **والاستهتار**: اتّباع الهوى مع عدم المبالاة بالفعل والقول. **واللزام**: الملازم جدًّا الذي لا يفارق.

(٨) دخلوا الباب فدفعهم السير إلى ربّة الحان وهي من الحِسان. **ذات شكل**: أي غزل وظرف. **ودل**: أي دلال وهو مزج الهجر بإرادة الوصل وخلط البخل بالبذل. **والوشاح**: شبّه قلادة ينسج=

أَلْفَاظُهَا[١]، فَأَحْسَنَتْ تَلَقِّينَا، وَأَسْرَعَتْ تُقَبِّلُ رُؤُوسَنَا وَأَيْدِينَا. وَأَسْرَعَ مَنْ مَعَهَا مِنَ العُلُوجِ[٢]، إِلَى حَطِّ الرِّحَالِ وَالسُّرُوجِ، وَسَأَلْنَاهَا عَنْ خَمْرِهَا فَقَالَتْ:

خَـمْـرٌ كَـرِيـقِـي فِـي الـعُـذُو ... بَـــةِ وَالـــلَّذَاذَةِ وَالــحَـــلَاوَهْ
تَــذَرُ الــحَــلِيــمَ وَمَــا عَــلَيْــ ... ــهِ لِحِــلْمِــهِ أَدْنَــى طُــلَاوَهْ[٣]

كَـأَنَّـمَـا ٱعْـتَـصَـرَهَـا مِـنْ خَـدِّي، أَجْـدَادُ جَـدِّي، وَسَـرْبَـلُوهَـا مِـنَ الْقَـارِ[٤]، بِـمِـثْـلِ هَـجْـرِي وَصَـدِّي، وَدِيـعَـةُ الـدُّهُـورِ[٥]، وخَـبِـيـئَةُ جَـيْـبِ الـسُّـرُورِ[٦]. وَمَـا زَالَتْ تَـتَـوَارَثُـهَـا الأَخْـيَـارُ، وَيَـأْخُـذُ مِـنْـهَـا الـلَّيْـلُ وَالـنَّـهَـارُ، حَـتَّـى لَمْ يَـبْـقَ إِلَّا أَرَجٌ وَشُـعَـاعٌ، وَوَهَـجٌ لَذَّاعٌ[٧]، رَيْـحَـانَـةُ الـنَّـفْـسِ، وَضَـرَّةُ الـشَّـمْـسِ[٨]، فَـتَـاةُ

= من أديم عريض ثم يرصّع بالجوهر فتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها كأنه حمالة سيف. ويكنى **بانحلال الوشاح** عن رقّة الخصر.

(١) تجد في كلامهم ما لا يمكن حصره من وصف العيون بأنها قتّالة فتّاكة وذلك إذا كانت في سعتها وحورها وصفائها على الوجه الأكمل لأن نظر المحبوب وهو في صفته هذه يؤثّر في النفس أثرًا يجدونه فيعبّرون عنه بتلك العبارات. وهذه الجميلة التي يصفها لها من اللّحظ ما يقتل لكن لها من الكلام العذب ما يحيي. وإنما ينسب الإحياء إلى الألفاظ لما فيها من روح الأمل.

(٢) **العلوج**: جمع علج، وهو الضخم من كفّار العجم أو الكافر من غير العرب مطلقًا.

(٣) قوله: **وما عليه الخ**... جملة حالية يصف بها الحليم عند مفارقة هذه الخمر له بعد مفارقتها. أي لا ينزع الحليم عنها بعد شربها إلا وقد خفّ حلمه وليس للحلم عليه أدنى طلاوة ولا بهجة. **والطلاوة**: مثلثة الطاء، الحسن والبهجة.

(٤) أي أنها كانت ورديّة اللون كأنما اعتصرت من خدّها وعتيقة كأن معتصرها أجداد جدّها. ثم إن طول الزمان أكسبها لونًا فوق الوردي يميل إلى السواد فكأن أجداد جدّها **سربلوها**: أي كسوا تلك الخمر ثوبًا من القار وهو طِلاء أسود تُطلَى به السفن والإبل، وقيل: هو القطران أو الزفت.

(٥) **وديعة الدهور**: كلما مضى دهر أودعها الذي يأتي بعده حتى وصلت إلينا.

(٦) كأن السرور شخص يعقل ويضنّ بما عنده إلّا على مَن يتحقق أنهم أهله فكان يخبأ هذه الخمرة فيما وراء جيبه ضنًا بها على غير أهلها أعصارًا طِوالًا.

(٧) صفاها الزمان ولطّفها حتى لم يبقَ منها إلّا الرائحة والشعاع كأنما هي شعاع له رائحة. **والوهج**: الحرارة. **واللذاع**: المحرق ولم يرد أنها تلذع اللسان والحلق لأنه فيما يأتي يقول إنها كبرد النسيم في الحلوق وإنما يريد أن لها خاصّة اللذاع في حرارتها لكنها لا يظهر إثرها إلاّ في تحريك الدم وإثارة الروح.

(٨) **ضرّة المرأة**: زوجة زوجها فهما ضرّتان ومن شأنهما أن تحسد كلٌّ منهما الأخرى. وإنما تحسد=

البَرَقِ[١]، عَجُوزُ المَلَقِ، كَاللَّهَبِ فِي العُرُوقِ، وَكَبَرْدِ النَّسِيمِ فِي الحُلُوقِ، مِصْبَاحُ الفِكْرِ، وَتِرْيَاقُ سَمِّ الدَّهْرِ[٢]. بِمِثْلِهَا عُزِّزَ المَيْتُ فَانْتَشَرَ. وَدُووِيَ الأَكْمَهُ فَأَبْصَرَ[٣]. قُلْنَا: هَـٰذِهِ الضَّالَّةُ وَأَبِيكِ. فَمَنِ المُطْرِبُ فِي نَادِيكِ. وَلَعَلَّهَا تُشَعْشَعُ لِلشَّرْبِ[٤]، بِرِيقِكِ العَذْبِ. قَالَتْ: إِنَّ لِي شَيْخًا ظَرِيفَ الطَّبْعِ، طَرِيفَ المُجُونِ[٥] مَرَّ بِي يَوْمَ الأَحَدِ، فِي دَيْرِ المِرْبَدِ[٦]، فَسَارَّنِي حَتَّى سَرَّنِي. فَوَقَعَتِ الخُلْطَةُ، وَتَكَرَّرَتِ الغِبْطَةُ، وَذَكَرَ لِي مِنْ وُفُورِ عِرْضِهِ[٧]، وَشَرَفِ قَوْمِهِ فِي أَرْضِهِ. مَا عَطَفَ بِهِ وُدِّي، وَحَظِيَ بِهِ عِنْدِي[٨]، وَسَيَكُونُ لَكُمْ بِهِ أُنْسٌ وَعَلَيْهِ حِرْصٌ. (قَالَ) وَدَعَتْ بِشَيْخِهَا فَإِذَا هُوَ إِسْكَنْدَرِيُّنَا أَبُو الفَتْحِ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا الفَتْحِ وَاللهِ كَأَنَّمَا نَظَرَ إِلَيْكَ وَنَطَقَ عَنْ لِسَانِكَ الَّذِي يَقُولُ:

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى عَقْـ ـلٌ وَدِينٌ وَٱسْتِقَامَهْ
ثُمَّ قَدْ بِعْنَا بِحَمْدِ اللهِ فِقْهًا بِحِجَامَهْ
وَلَئِنْ عِشْنَا قَلِيلًا نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَهْ

= مَن ترى فيه مزية عليك. ففي هذه الخمر مزية على الشمس في بهائها أو فيما تنال الأجساد والأرواح من أثرها.

(١) **البرق**: بالفتح التزيّن. برقت المرأة برقًا تزينت وتحسّنت. فهي في بهائها كالفتاة في زينتها. ثم هي في تحبّبها إلى شاربيها وعرضها ذاتها عليهم أشبه بالعجوز في **الملق**: وهو التملّق والمبالغة في إظهار المودّة.

(٢) **سمّ الدهر**: غمومه وأحزان تصاريفه. والخمر تذهلك عما يحزنك وتذهب بك إلى ما يسرك فكانت درياقًا لسموم الغموم.

(٣) **عزز الميت**: أي أمد وأعين فانتشر أي بعث من موته. ويُروَى: «غرغر» وهو ظاهر. **والأكمه**: الذي وُلِدَ أعمى. مبالغة في وصفها بالإنعاش.

(٤) **شعشع الشراب**: مزجه بالماء. **والشرب**: بالفتح جمع شارب.

(٥) **ظريف الطبع**: كيّسه مألوفه. **والمجون**: المزاح. **وطريفه**: بالطاء المهملة غريبه ملاحة.

(٦) **المربد**: مربد البصرة منتزه مشهور.

(٧) **أفضى** إليها بسرّه وأفضت إليه بسرّها فأعجبها فنزل منها ونزلت منه فوقعت الخلطة والألفة بينهما. **والغبطة**: هنا المسرّة وتكررت المسرّة بتكرار اجتماعها معه مع العفاف والصيانة بدليل ما تذكره بعد. **ووفور العرض**: احتماؤه مما يشينه وينقصه.

(٨) أي إنه لم يعطف ودّها عليه ولم يَحْظَ عندها إلا بوفور العرض وشرف القبيل.

(قَالَ) فَنَخَرَ نِخْرَةَ المُعْجَبِ، وَصَاحَ وَزَمْهَرَ[١]، وَضَحِكَ حَتَّى قَهْقَهَ. ثُمَّ قَالَ: أَلِمِثْلِي يُقَالُ، أَوْ بِمِثْلِي تُضْرَبُ الأَمْثَالُ:

دَعْ مِنَ اللَّوْمِ وَلَكِنْ أَيَّ دَكَّاكٍ تَرَانِي[٢]
أَنَا مَنْ يَعْرِفُهُ كُلْ لُ تَهَامٍ وَيَمَانِي[٣]
أَنَا مِنْ كُلِّ غُبَارٍ أَنَا مِنْ كُلِّ مَكَانِ[٤]
سَاعَةً أَلْزَمُ مِحْرَا بًا وَأُخْرَى بَيْتَ حَانِ
وَكَذَا يَفْعَلُ مَنْ يَعْـ ـقِلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَٱسْتَعَذْتُ بِاللهِ مِنْ مِثْلِ حَالِهِ. وَعَجِبْتُ لِقُعُودِ الرِّزْقِ عَنْ أَمْثَالِهِ. وَطِبْنَا مَعَهُ أُسْبُوعَنَا ذَلِكَ وَرَحَلْنَا عَنْهُ.

(١) **نخر** الرجل والفرس ينخر نخرًا ونخيرًا: مدّ صوته في خياشيمه. **وزمهر**: شدّد النظر بعينه حتى كاد يخرجها ويُروَى «زهزه» وهي بالعاميّة أشبه ولا يعرف في المادة إلا الزهزاه وهو المختال.

(٢) **دع من اللوم**: اتركني من لومك وخلّني منه ولكن ليس ذلك لتنزهي عما يلوم عليه اللائمون فإني دكاك أي دكاك. **والدكاك**: المحتال لأنه بحيلته يهدم كل ما تبني الأمانة والثقة.

(٣) **التهامي**: المنسوب إلى تهامة وهي ما امتد من سفح جبال الحجاز إلى البحر. وقد يطلق اسم تهامة على الساحل جميعه لأنه يقابل نجدًا. ويقول أهل هذا الاستعمال إن تهامة الحجاز غير تهامة عسير وتهامة اليمن ومبدأهما من خولان إلى عدن. **واليماني**: نسبة مشهورة إلى اليمن. ومعرفة اليمانيين والتهاميين له لشهرته بينهم بالدك والحيلة.

(٤) **مَن كلّ غبار**: إيماء إلى أن مزاجه يتفق مع كل أرض كأنه خُلِقَ منها وكذلك الأمكنة كالأراضي كلها لديه سواء يسهل عليه المعيشة فيها وإنفاذ حيله بين سكانها وإن اختلفت طِباعهم وتباينت أحوالهم فنفسه تحت سلطان إرادته يشكّلها بالشكل الذي يألفه مَن يريد معاملتهم والفوز بينهم. ثم بيَّن بعض أفاعيله في البيت الآتي واحتجّ على أخذه بهذا المذهب في البيت الذي يليه.

المقَـامَةُ المَطلبيَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اجْتَمَعْتُ يَوْمًا بِجَمَاعَةٍ كَأَنَّهُمْ زَهْرُ الرَّبِيعِ. أَوْ نُجُومُ اللَّيْلِ بَعْدَ هَزِيعٍ(١)، بِوُجُوهٍ مُضِيَّةٍ، وَأَخْلَاقٍ رَضِيَّةٍ، قَدْ تَنَاسَبُوا فِي الزِّيِّ وَالحَالِ، وَتَشَابَهُوا فِي حُسْنِ الأَحْوَالِ(٢). فَأَخَذْنَا نَتَجَاذَبُ أَذْيَالَ المُذَاكَرَةِ، وَنَفْتَحُ أَبْوَابَ المُحَاضَرَةِ. وَفِي وَسَطِنَا شَابٌّ قَصِيرٌ مِنْ بَيْنِ الرِّجَالِ، مَحْفُوفُ السِّبَالِ(٣)، لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ، وَلَا يَخُوضُ مَعْنَا فِي وَصْفٍ(٤)، حَتَّى انْتَهَى بِنَا الكَلَامُ إِلَى مَدْحِ الغِنَى وَأَهْلِهِ. وَذِكْرِ المَالِ وَفَضْلِهِ، وَأَنَّهُ زِينَةُ الرِّجَالِ، وَغَايَةُ الْكَمَالِ. فَكَأَنَّمَا هَبَّ مِنْ رَقْدَةٍ(٥)، أَوْ حَضَرَ بَعْدَ غَيْبَةٍ، وَفَتَحَ دِيوَانَهُ(٦)، وَأَطْلَقَ لِسَانَهُ. فَقَالَ: صَهْ لَقَدْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ عَدِمْتُمُوهُ، وَقَصَّرْتُمْ عَنْ طَلَبِهِ فَهَجَّنْتُمُوهُ(٧). وَخُدِعْتُمْ عَنِ البَاقِي

---

(١) **الهزيع**: الطائفة من الليل ربعه أو ثلثه أو نصفه حيث النجوم في إزهار وتلؤلؤ أنوار.

(٢) **قد تشاكلوا** في أزيائهم الصورية وأحوالهم المعنوية: أي إنهم على زيّ واحد وأخلاق واحدة.

(٣) **السبال**: جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر. **ومحفوفها**: مقصوصها. **وحف الشوارب** كثيراً ما كان يعدّ من سِمات الزهاد ولم يزل كذلك حتى اليوم عند بعض القوم.

(٤) **لا ينبس بحرف**: لا ينطق به. ثم المعاني التي خاضوا فيها إنما هي في أوصاف جسمانية أو روحانية ولم يكن هذا الجالس يخوض مع الذين يخوضون في تلك الأوصاف.

(٥) **هبّ من نومه**: استيقظ.

(٦) **الديوان**: هنا مجتمع كلامه من نثره وشعره وذلك المجتمع هو قريحته شبّهها بديوان الجند الجامع لأسمائهم وأنسابهم وأرزاقهم وعددهم.

(٧) **صه**: كلمة فيها معنى طلب السكوت. **والذي عدموه وفقدوه**: هو الغنى بحرث الآخرة عن حرث الدنيا وبكمال الأرواح عن رغائب الأجساد ولو قدروا على كسب هذا الغنى لما أثنوا على ذلك ولكنهم لعجزهم فقدوه وأضاعوه لهذا يثنون على ما أمكن لهم أن يكسبوه. **وهجنتموه**: قبّحتموه ولما قصروا عن عمل الآخرة هجنوه فلم يحمدوه. ويروى: «لقد عجزتم عن شيء=

بِالفَانِي. وَشُغِلْتُمْ عَنِ النَّائِي بِالدَّانِي[١]. هَلِ الدُّنْيَا إِلَّا مُنَاخُ رَاكِبٍ، وَتَعِلَّةُ ذَاهِبٍ[٢]. وَهَلِ المَالُ إِلَّا عَارِيَّةٌ مُرْتَجَعَةٌ، وَوَدِيعَةٌ مُنْتَزَعَةٌ، يُنْقَلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى آخَرِينَ، وَتَخْزُنُهُ الأَوَائِلُ لِلْآخَرِينَ[٣]. هَلْ تَرَوْنَ المَالَ إِلَّا عِنْدَ البُخَلَاءِ، دُونَ الكُرَمَاءِ، وَالجُهَّالِ دُونَ العُلَمَاءِ[٤]؟ إِيَّاكُمْ وَالانْخِدَاعَ فَلَيْسَ الفَخْرُ إِلَّا فِي إِحْدَى الجِهَتَيْنِ. وَلَا التَّقَدُّمُ إِلَّا بِإِحْدَى القِسْمَتَيْنِ: إِمَّا نَسَبٌ شَرِيفٌ، أَوْ عِلْمٌ مُنِيفٌ. وَأَكْرِمْ بِشَيْءٍ يُحْمَلُ عَلَى الرُّؤُوسِ حَامِلُهُ[٥]. وَلَا يَيْأَسُ مِنْهُ آمِلُهُ. وَاللهِ لَوْلَا صِيَانَةُ النَّفْسِ وَالعِرْضِ، لَكُنْتُ أَغْنَى أَهْلِ الأَرْضِ. لِأَنَّنِي أَعْرِفُ مَطْلَبَيْنِ أَحَدُهُمَا بِأَرْضِ طَرْسُوسَ، تَشْرَهُ فِيهِ النُّفُوسُ، مِنْ ذَخَائِرِ العَمَالِقَةِ[٦]، وَخَبَايَا البَطَارِقَةِ. فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ مِثْقَالٍ. وَأَمَّا الآخَرُ فَهُوَ مَا بَيْنَ سُورَى وَالجَامِعَيْنِ[٧]. فِيهِ مَا يَعُمُّ أَهْلَ الثَّقَلَيْنِ. مِنْ كُنُوزِ الأَكَاسِرَةِ،

= قدّمتموه» بدل عدمتموه. وعليها يكون العجز متعلقًا بالوصف، كأنه قال: لقد عجزتم عن تقديم شيء وهو عدّة الآخرة فلهذا لم تذكروه. وقصّرتم عن طلبه الخ. . . .

(١) **الداني**: القريب. **والنائي**: البعيد. أي شغلكم القريب وهو الحياة الدنيا عن البعيد وهو الحياة الآخرة.

(٢) الحي فيها على سفر إلى حياة أخرى وكأنما استقراره فيها كما يستقر المسافر في المنزلة ينزلها بضع ساعات ينيخ راحلته ويستجمّ راحته ليتمّم رحلته. **والتعلّة**: ما يتعلل به من طعام ونحوه.

(٣) يريد أن حقيقة الغنى إنما يكون بما ملكته ولن تملك شيئًا حتى تكون صاحب صونه وحفظه ولا سلطان لغيرك عليه ولا يكون الملك كذلك حتى يكون في ذاتك فهي التي لك فغناك الحقيقي بأوصافك التي يجب أن تكون لك. أما ما خرج عن ذاتك فالعوادي عليه شتّى وليس السلطان في دفعها إليك وحدك وبالجملة فما خرج عنك عرضة للسلب منك لذلك ترون المال كالعواري تكون اليوم في يد ثم تسترد منها في غد الخ. . . الأوصاف.

(٤) بيان لبعض خصائص المال التي تعدّ من أخصّ نقائصه وهي ملازمته لأهل الخسّة فهو لا يتوفّر إلّا عند الأنذال ولا يهنأ به إلّا الجهّال وكفى به خسّة أنه لا يوجد إلا مع أهل الخسّة.

(٥) **الشيء** الذي يحمل حامله على الرؤوس هو العلم. **وأكرم به**: أي ما أكرمه. والذي يصل بالعلم أمله لا يجد اليأس فإن في العلم مفاتيح الرجاء.

(٦) **المطلبان**: الكنزان وسمّي الكنز مطلبًا لأنه من أعظم ما يتعلق به الطلب. **وطرسوس**: هي المدينة القديمة التي كانت قصبة كيليكيا وبينها وبين أَذَنة نحو ثمانية عشر ميلاً وهي في ولاية أذنة من الممالك العثمانية. **وتشره فيه النفوس**: أي تندفع إليه مع شدة حرص عليه. **والشره**: إفراط في الرغبة الممزوجة بالحرص. وقوله: «من ذخائر» بيان للمطلبين. **والعمالقة**: الذين ملكوا في الشام وأجنادها ومشارفها وما يليها من بلاد آسيا الصغرى قالوا هم من أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، قالوا: ومنهم الكنعانيون.

(٧) **سورى**: من بلاد السوريانيين القديمة في أرض بابل. **والجامعين**: اسم لمدينة تسمى الحلة=

وَعُدَدِ الجَبَابِرَةِ. أَكْثَرُهُ يَاقُوتٌ أَحْمَرُ، وَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ، وَتِيجَانٌ مُرَصَّعَةٌ، وَبِدَرٌ مُجَمَّعَةٌ[1]. فَلَمَّا أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ أَقْبَلْنَا عَلَيْهِ، وَمِلْنَا إِلَيْهِ، وَأَخَذْنَا نَسْتَعْجِزُ رَأْيَهُ[2]، فِي القُنُوعِ بِيَسِيرِ المَكَاسِبِ، مَعَ أَنَّهُ عَارِفٌ بِهَٰذِهِ المَطَالِبِ. فَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ يَفْزَعُ مِنَ السُّلْطَانِ. وَلَا يَثِقُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الإِخْوَانِ[3]. فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا حُجَّتَكَ. وَقَبِلْنَا مَعْذِرَتَكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْنَا، وَتَمُنَّ عَلَيْنَا، وَتُعَرِّفَنَا أَحَدَ هَٰذَيْنِ المَطْلَبَيْنِ. عَلَى أَنَّ لَكَ الثُّلُثَيْنِ. فَعَلْتَ. فَأَمَالَ إِلَيْنَا يَدَهُ[4]. وَقَالَ: مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا وَجَدَهُ. وَمَنْ عَرَفَ مَا يُنَالُ. هَانَ عَلَيْهِ بَذْلُ المَالِ. فَكُلٌّ مِنَّا حَبَاهُ بِمَا حَضَرَ. وَتَشَوَّقَ إِلَى مَا ذَكَرَ. فَلَمَّا مَلَأْنَا كَفَّهُ. رَفَعَ إِلَيْنَا طَرْفَهُ. وَقَالَ: لَا بُدَّ أَنْ نَقْضِيَ عَلَقًا. وَنَنَالَ مَا يُمْسِكُ رَمَقًا[5]. وَقَدْ ضَاقَ وَقْتُنَا. وَالمَوْعِدُ غَدًا هَٰهُنَا. إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ تِلْكَ الجَمَاعَةُ. قَعَدْتُ بَعْدَهُمْ سَاعَةً. ثُمَّ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ. وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَقُلْتُ وَقَدْ رَغِبْتُ فِي مَعْرِفَتِهِ. وَتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى مُحَادَثَتِهِ[6]: كَأَنَّنِي عَارِفٌ بِنَسَبِكَ. وَقَدِ اجْتَمَعْتُ بِكَ. فَقَالَ: نَعَمْ ضَمَّنَا طَرِيقٌ. وَأَنْتَ لِي رَفِيقٌ. فَقُلْتُ: قَدْ غَيَّرَكَ عَلَيَّ الزَّمَانُ. وَمَا أَنْسَانِيكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَنَـا جَبَّـارُ الـزَّمَـانِ   لِي مِنَ السُّخْفِ مَعَانِي[7]

= المزيدية بأرض بابل من بغداد والكوفة. قال ياقوت في المشترك: كان أول مَن نزلها واختطّ بها المنازل وعظمها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي في سنة ٤٩٥ هجرية وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين.

(١) **البدر**: جمع بدرة، وهي كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف درهم أو سبعة آلاف دينار.

(٢) نعدّ رأيه عاجزًا عن بلوغ حقيقة الصواب.

(٣) كان الأجود أن يقول: «ولا يثق بأحد» لكنه ضمن يثق معنى يطمئن.

(٤) أمال يده على هيئة الطالب يشير بها إلى طلب جعل على إرشاده ولهذا قال من قدم شيئًا وجده فإذا بذلتم ما أستحقه على هدايتكم وجدتم ما أنفقتم.

(٥) **العلق**: ما تتبلغ فيه الماشية من الشجر أراد به هنا البلغة مطلقًا أي لا بدّ لنا أن نقضي طعامًا وإن قليلاً نتبلغ به. **والرمق**: بقية الحياة، والذي يمسكه الطعام.

(٦) **تاقت**: اشتقات.

(٧) هو الجبار الذي أفرده الزمان بهذا الوصف ولم يجعل له فيها ثانيًا ولذلك خصّ بالإضافة إليه. =

وَأَنَـــا الـــمُـــنْـــفِـــقُ بَـــعْـــ ـدَ الـمَالِ مِنْ كِيسِ الأَمَانِي[١]
مَـــنْ أَرَادَ الـــقَـــصْـــفَ وَالـــغَـــرْ فَ عَـلَى عَـزْفِ الـمَـثَـانِـي[٢]
وَٱصْـطَـفَـى الـمُـرْدَانَ جَـهْـلًا مِـــنْ فُـــلَانٍ وَفُـــلَانِ[٣]
صَـــارَ مِـــنْ مَـــالٍ وَإِقْـــبَـــا لِ تَـــرَاهُ فِـــي أَمَـــانِ[٤]

= **والسخف**: الحمق ورقّة العقل أراد منه أطوار السخف وما لا يكون إلاّ عنه من الأفاعيل والأقاويل مع أنه ليس بسخيف وإنما هو متساخف.

(١) لا يبالي بالإنفاق لأنه إذا فرغ كيسه من المال فعنده كيس الأماني ينفق منه وكيس الأماني لا يفرغ لأنه كل لحظة في ألف أمنية يريد أن عنده من الأماني ما يسلّيه عن المال عند فَقْده أو أنه كما يعطي النقد ثمنًا لما ينتفع به كذلك يعطي من الأماني ما يقوم مقامه فإنه بخداعه يمنح القلب أمنية تقوم عنده مقام ما كان يأخذ من الثمن أو تزيد أليس قد أخذ منهم النقود ومنّاهم بالكنوز.

(٢) **القصف**: العكوف على ملاذ الطعام والشراب. **والغرف**: هنا بالغين المعجمة بعدها راء مهملة غرف الشراب يكنى به عن الإكثار من الخمر فهو يغترف ولا يرتشف. **وعزف المثاني**: رنينها. **والمثاني**: من ذوات الأوتار المطربة ما له وتران. وقد يُروَى بدل الغرف العزف بعين مهملة بعدها زاي معجمة.

(٣) **المردان**: جمع أمرد.

(٤) إما أن يكون قد أراد أن يزيّن القصف والعزف واصطفاء المردان ويرغب فيها فهو يقول مَن أراده ونزع إليه أقبلت عليه الدنيا وانثالت عليه الأحوال وغزرت لديه فهو في أمان بسببها لا يخاف شيئًا. وإما أن يكون قد أراد أن مَن نزع إلى ذلك فقد أمن من المال والإقبال كأنهما شيء يخيفه وهو منه في أمان لا يصيبه فيكون الفقر ملازمًا له والغنى أبعد شيء منه. وكِلا المعنيين له وجه وإن تخالفا وأشبها أن يكونا متضادّين.

المقَـــامَة البِشْريَّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةَ العَبْدِيُّ صُعْلُوكًا[1] فَأَغَارَ عَلَى رَكْبٍ فِيهِم ٱمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَتَزَوَّجَ بِهَا وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَاليَوْمِ. فَقَالَتْ:

أَعْجَبَ بِشْرًا حَوَرٌ فِي عَيْنِي ... وَسَاعِدٌ أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ[2]

وَدُونَهُ مَسْرَحَ طَرْفِ العَيْنِ ... خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَيْنِ[3]

أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ... لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي

أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْنِي ... وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي[4]

لَأَسْفَرَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ

---

(١) **صعلوكًا**: أي لصًا. **والصعلوك**: الفقير. والفقر كثيرًا ما يحمل على السرقة لهذا سُمّي السارق صعلوكًا. **وصعالكة العرب**: ذؤبانها أي لصوصها وفُتّاكها. وقوله لها: ما رأيت كاليوم يُروى بدله: هل رأيت أحسن منك.

(٢) **الحور**: من صفات العين أن يشتدّ بياض بياضها وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترقّ جفونها ويبيضّ ما حولها. وقيل: الحور أن تسود العين كلها كما في الظباء والبقر ولا يكون ذلك في الناس ولكن قد يقال للنساء حور العيون تشبيهًا لهنّ بالظباء والمَها. **واللجين**: الفضة.

(٣) **الخمصانة**: الضامرة الكشح. قال أبو الطيب:

كل خمصانة أرق من الخمـ ... ـر وقلب أقسى من الجلمود

والحجلان: تثنية حجل بالكسر وهو الخلخال. وترفل فيه تخرق في مشيتها عجبًا بها. وقوله: دونه مسرح طرف العين أي بالقرب منه في منطلق بصره جميلة كالتي وصفت.

(٤) بعدما قالت إنها أحسن النساء جميعًا بل الناس كلهم فإن مَن يمشي على رجلين أعمّ من جميع بني آدم، قالت: لو جمع بشر بيني وبينها ونظر لي واليها لهجرني هجرًا طويلًا لأنه يقبح منظري لدى منظرها ولو أنه قدّر ما بين **زينها**: أي محاسنها ومحاسني من الفرق لظهر له الفرق كما=

قَالَ بِشْرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ(١)؟ فَقَالَتْ: بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ. فَقَالَ: أَهِيَ مِنَ الحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفْتِ؟ قَالَتْ: وَأَزْيَدُ وَأَكْثَرُ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَيْحَكِ يَا ذَاتَ الثَّنَايَا البِيضِ ... مَا خِلْتُنِي مِنْكِ بِمُسْتَعِيضِ(٢)
فَالآنَ إِذْ لَوَّحْتِ بِالتَّعْرِيضِ ... خَلَوْتِ جَوًّا فَاصْفِرِي وَبِيضِي(٣)
لَا ضُمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِيضِ ... مَا لَمْ أَشُلْ عِرْضِي مِنَ الحَضِيضِ(٤)

فَقَالَتْ:

كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلَحَّا ... وَهْيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمٍّ لَحَّا(٥)

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ. وَمَنَعَهُ الْعَمُّ أُمْنِيَّتَهُ. فَآلَى أَلَّا يُرْعِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ(٦). ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فِيهِمْ. وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ

= يظهر الصبح لذي عينين سليمتين فكما لا يرتاب صاحب البصر الصحيح في ضوء الصباح كذلك لا يرتاب بشر في الفرق بيني وبينها. **وأسفر** الصبح لذي عينين مثل جاءت به في موضع جواب «لو» مبالغة في الدلالة على تحقيقه.

(١) **عنيت**: قصدت أي أيّ امرأة تريدين بكلامك هذا. وقولها: «وأزيد وأكثر» خبر لمحذوف تقديره وهو أي حسنها أزيد وأكثر أو هي أزيد وأكثر حسنًا مني.

(٢) **الثنايا**: من الأسنان الأربعة في مقدّم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل وبياض الثنايا من متمّات الجمال. وقوله: **ما خلتني** الخ...: أي ما ظننت أن أستبدلك لأنني ما كنت أظن في النساء أجمل منك.

(٣) **لوحت وعرضت** بأنه يطلب نساء الأباعد وبنت عمّه في مسرح نظره يتطلبها الأبعدون وربما تزوج بها مَن هو دونه في البأس والشدّة وهذا من أقبح العار بمثله فهذا التعريض قد فعل في نفسه فصمّم على ترك هذه التي ظن أنها أجمل النساء وقال لها: **خلوت جوًّا**: أي خلا جوّك من القرين فاعملي ما بَدَا لك وأصله قول كليب وائل لمّا رأى قنبرة اتخذت عشًّا في حِماه وكان يحمي ما يحلّ بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تطول إلى صيده. فقال يخاطب القنبرة ويفتخر بوقايتها:

يا لك من قنبرة بمحجر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري

(٤) **شال عرضه** من الحضيض: رفعه من الضَعة. **والحضيض**: أسفل الجبل. أي إنه لا ينام ولا يغمض عينيه فلا ينضم جفن له على جفن حتى يطلب بنت عمّه ويتزوجها فيدفع عن نفسه ذل العار الذي لحق به.

(٥) كثير من الخُطَّاب ألحوا في طلب زواجها ولا بدّ أن يُفضي الإلحاح بأحدهم إلي نيل طلبه وهي في نسبتها إليك ابنة عمّ لاحقة النسب بك يقال هو ابن عم لحًّا أي لاحق.

(٦) **لا يرعي على أحد**: أي لا يبقي عليه بل يقتلهم حيث يجدهم. ويُروَى بعد قوله إن لم يزوّجه=

إِلَيْهِمْ[١]. فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الحَيِّ إِلَى عَمِّهِ وَقَالُوا: كُفَّ عَنَّا مَجْنُونَكَ[٢] فَقَالَ: لَا تُلْبِسُونِي عَارًا وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أُهْلِكَهُ بِبَعْضِ الحِيَلِ[٣]. فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَاكَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ: إِنِّي آلَيْتُ أَنْ لَا أُزَوِّجَ ٱبْنَتِي هَـٰذِهِ إِلَّا مِمَّنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ مَهْرًا[٤] وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ. وَغَرَضُ العَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِشْرٌ الطَّرِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ الأَسَدُ لِأَنَّ العَرَبَ قَدْ كَانَتْ تَحَامَتْ عَنْ ذَٰلِكَ الطَّرِيقِ[٥] وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا وَحَيَّةٌ يُدْعَى شُجَاعًا يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ:

أَفْتَكُ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعِ[٦] إِنْ يَكُ دَاذٌ سَيِّدَ السِّبَاعِ
فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ الأَفَاعِي

ثُمَّ إِنَّ بِشْرًا سَلَكَ ذَٰلِكَ الطَّرِيقَ فَمَا نَصَّفَهُ حَتَّى لَقِيَ الأَسَدَ وَقَمَصَ مُهْرُهُ[٧] فَنَزَلَ وَعَقَرَهُ ثُمَّ ٱخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الأَسَدِ وَاعْتَرَضَهُ وَقَطَّهُ[٨] ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الأَسَدِ

= ابنته: ثم دبّت الأيام ودرجت الليالي وتصرّمت الشهور وتجرّمت السُّنون وبشر يفتك في مَن لقيه منهم وكثرت مضرّاته الخ... **وتجرمت السنون**: بمعنى انقضت.

(١) **معراته**: جمع معرة وهي الأذى والمساءة والشر.

(٢) **كفّ عنا مجنونك**: زوجة ابنتك أو احمنا من شره. ويرُوَى: إما أن تكفينا أمره أو تُنيله مراده.

(٣) لو تكفل لهم بدفع شرّه لما استطاع ولو زوّجه ابنته كان مقسورًا على ذلك وعد منه رضي بالضيم وفي كِلا الأمرين عار شديد لهذا طلب منهم المهلة.

(٤) **آليت**: حلفت. وقوله: إلا ممّن يسوق إليها ألف ناقة أي لا يزوّجها إلا للذي يعطي مهرها ألف ناقة فعبّر بسوقها عن إعطائها. والمهر ما يجب على الزوج أن يدفعه لمَن يريد زواجها كأنه عوض عمّا تبذله من نفسها في خدمته والقيام على بيته.

(٥) **تحامت الحرب عنه**: تباعدت عنه في سيرها إلى مظان منافعها حذرًا من الأسد والحيّة.

(٦) **أفتك من داذ**: تفضيل من **فتك** فلان بفلان بطش به أو انتهز منه فرصة فقتله أو أخذه على غفلة فأزهق روحه. وفي الفتك معنى التمزيق والقطع.

(٧) **ما نصفه**: ما بلغ نصفه. **وقمص الفرس** وغيره يقمص كينصر ويضرب قمصًا وقماصًا ككتاب وقماصًا كركام رفع يديه معًا وطرحهما معًا وعجن برجليه ولا يكون ذلك من الفرس المروّض إلاّ إذا عرض له ما يفزعه أشد الفزع.

(٨) **عقره**: قطع قوائمه حصدًا بالسيف. **واخترط** سيفه إلى الأسد: سلّه ودلف به إليه. ويظهر من العبارة أنه لم يسلّ السيف إلاّ ليتقدّم إلى الأسد مع أنه لم يعقر المهر إلا به لكنه أراد أنه بعد أن عقر المهر تقدم إلى الأسد مخترطًا سيفه لا أنه جدّد الاخترط بعد العقر. وقد يزيدون من **العقر** التقييد والحبس لأنه أشبه بحصد القوائم في أن كلاً يمنع من المشي. **وقطه**: أي قطعه عرضًا.

عَلَى قَمِيصِهِ إلى ابْنَةِ عَمِّهِ:

أَفَاطِمَ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْتٍ   وَقَدْ لَاقَى الهِزَبْرُ أَخَاكِ بِشْرَا(١)
إذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا   هِزَبْرًا أَغْلَبًا لَاقَى هِزَبْرَا(٢)
تَبَهْنَسَ ثُمَّ أَحْجَمَ عَنْهُ مُهْرِي   مُحَاذَرَةً فَقُلْتُ عُقِرْتَ مُهْرَا(٣)
أَنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الأَرْضِ إنِّي   رَأَيْتُ الأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرَا(٤)
وَقُلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا   مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مُكْفَهِرًّا(٥)

---

(١) **الخبت**: المطمئن من الأرض فيه رمل. **وبطن كل شيء**: جوفه وربما كان بطن خبت علمًا على موضع لكن لا نراه في كتب البلدان والأماكن. أما **خبت** بدون بطن ففي المشترك أنه علم لأربعة مواضع: خبت الجميش صحراء بين مكة والمدينة. وخبت البزواء قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضًا. وخبت قرية من قرى زبيد. وخبت ماء معروف لكلب اهـ. وهو هنا أحد الأوّلين. **والهزبر**: الأسد. وقد نسب بعض الرواة هذه الأبيات لعمرو بن معديكرب كتب بها إلى أخته كبشة وكان اسم ابنة عمّه لميس ويقول فيها:

تظن لميس أن الليث مثلي   وأقوى همّة وأشدّ صبرا
لقد خابت ظنون لميس فيه   وأضحى البرّ خالي منه صفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرّواة:

أكبشة لو شهدت ببطن جب   وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطتا إحداهما بالأخرى وقد حصل توارد الخاطر بين الشاعرين في بعض الأبيات فقط.

(٢) **الليث**: الأسد. والمبالغة في تلقيب نفسه بالليث وليست في تلقيب الهزبر بالليث كما ظنّه بعض مَن لا يعرف خواص الأساليب فظن أن الهزبر في البيت حيوان غير الأسد واستدلّ بهذين البيتين توهّمًا منه أن البيت الثاني يشبه الهزبر بالليث كما يشبّه بشرًا به. **وهزبرًا**: وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد الصلب والأغلب من ألقاب الأسد ذكره وصفًا كأنه قال من شأنه أن يغلب أقرانه. وقوله: **لاقى هزبرًا**: تابع للصفات المتقدمة وكلها صفات لليث الثاني فالليث الأول بشر زار الليث الذي اسمه داذ، وداذ هزبر أغلب لاقى هزبرًا مثله. فالهزبر الأخير هو بشر أيضاً. ويُروَى: أم ليثًا بدل زار. ويُروَى: رام ليثًا أيضًا.

(٣) **تبهنس**: تبختر صفة للأسد الذي لاقاه. **وإحجام المهر**: تأخّره عن لقائه خوفًا منه لهذا قال محاذرة. وقوله: فقلت: عقرت مهرًا: أي قطعت قوائمك التي أخّرتك وأخّرتني عن ملاقاة الأسد وكان قوله هذا مقرونًا بالفعل فإنه عقره كما تقدم. ويُروَى بدل ثم أحجم: إذ تقاعس.

(٤) بعد أن قال له عقرت مهرًا قال له اسكن حتى أنزل فتصل قدماي إلى ظهر الأرض فقد رأيت الأرض أثبت ظهرًا منك. **وأنال** قدمه ظهر الأرض: مكّنها منه وأوصلها إليه. والشطر الثاني حقيقة بيّنة.

(٥) **النصال**: جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم والرمح والسكّين يريد بها هنا أنيابه. **وأبداها**: =

يُـكَـفْـكِـفُ غِـيـلَةً إِحْـدَى يَـدَيْـهِ ۝ وَيَبْسُطُ لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ أُخْرَى(١)
يُـدِلُّ بِـمِـخْـلَـبٍ وَبِـحَـدِّ نَـابٍ ۝ وَباللَّحَظَاتِ تَحْسَبُهُنَّ جَمْرَا(٢)
وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الحَدِّ أَبْقَى ۝ بِمَضْرِبِهِ قِرَاعُ المَوْتِ أُثْرَا(٣)
أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلَتْ ظُبَاهُ ۝ بِكَاظِمَةٍ غَدَاةَ لَقِيتُ عَمْرَا(٤)
وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَخْشَى ۝ مُصَاوَلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذَعْرَا(٥)
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلأَشْبَالِ قُوتًا ۝ وَأَطْلُبُ لِأَبْنَةِ الأَعْمَامِ مَهْرَا(٦)

= أظهرها بما كشر عنها. **والوجه المكفهر**: القليل اللحم الغليظ الجلدة العابس.

(١) **يكفكف**: هو في أصله بمعنى يمنع ويكفّ لكنه هنا بمعنى يقبض **وغيلة**: إما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيالاً فإن كان الأول فقد أراد أن الأسد قد استعظم شأنه فهو لا يجرأ أن ينازله مجاهرة لهذا يقبض إحدى يديه ليخدعه بإيهامه أنه لا يريد الوثبة عليه ثم يبسط يده الأخرى للوثوب. وعلى الثاني يصف هيئة الأسد في توثّبه للاغتيال والافتراس فإنه يقبض إحدى يديه ويبسط الأخرى شأن كل ما هو واثب من الحيوان كما لا يخفى.

(٢) **يدل بمخلب**: أي يريد لنفسه من القوة ما تتضاءل عندها قوّتي وتضعف عن ملاقاتها ويجترىء بذلك عليّ وما منشأ هذا الإدلال والإعجاب بالنفس إلاّ مخلبه وحدّ نابه ولحَظَات عينيه المتوقّدة كأنها تلظي الجمر.

(٣) بعد أن بيّن آلة الأسد التي يدلّ بها عليه بيّن آلة نفسه وهي السيف الذي وصفه بأنه ماضي الحدّ وقد تعوّد الضرب والكسر والحطم كما يظهر من الندوب والثلوم التي أبقاها فيه مقارعة الأبطال في الحرب. **والأثر**: بالضم أثر الجرح بعد البرء سمّى به تلك الندوب في السيف استعارة رفيعة. ويُروَى بدل أبقى أبغى وأنفى وكلاهما غير صحيح والصواب ما ذكرنا.

(٤) **ألم يبلغك** مفعول لقلت له: أي قال للأسد وهو على تلك الهيئة التي وصفها ومعه سيفه كيف تدلّ عليّ بأنيابك ومخالبك ولِحاظك ألم يبلغك ما فعلت ظبى سيفي هذا فكنت تخفض من تشامخك وتقلّل من إدلالك، **والظبى**: جمع ظبة وهي حدّ السيف وجمعها مع أن للسيف حدًّا واحدًا تفخيمًا لها وإفهامًا للسّامع أنه وإن كان واحدًا إلاّ أن أفاعيله لا تصدر إلا عن الكثير. **وكاظمة**: اسم لموضعين المعروف منهما الذي على ساحل بحر فارس بينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد البحرين. **وغداة** لقيت عمرًا، يروى: غداة قتلت عمرًا. ويروَى بدل ما فعلت ظباه: ما فعلته كفّي. وروايتنا أفضل.

(٥) يقول كما أن لي سلاحًا مثل سلاحك لي أيضًا قلب مثل قلبك لا يخشى المواثبة فكيف يخاف الذعر. **والذعر**: بالفتح الإخافة. يقول: إذا كان لا يهاب المصاولة ولا يخشاها فكيف يخشى التخويف والتهويل وهو تهديد قبل إيقاع. ويُروَى: لست أخشى مصاولة فكيف أخاف.

(٦) **الأشبال**: أولاد الأسد.

فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُوَلِّي وَيَجْعَلَ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا(١)
نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يَا لَيْثُ غَيْرِي طَعَامًا إِنَّ لَحْمِي كَانَ مُرًّا(٢)
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الغُشَّ نُصْحِي وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرَا(٣)
مَشَى وَمَشَيْتُ مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا مَرَامًا كَانَ إِذْ طَلَبَاهُ وَعْرَا(٤)
هَزَزْتُ لَهُ الحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْمَاءِ فَجْرَا(٥)
وَجُدْتُ لَهُ بِجَائِشَةٍ أَرَتْهُ بِأَنْ كَذِبَتْهُ مَا مَنَّتْهُ غَدْرَا(٦)

---

(١) **فيم**: بمعنى لِمَ استفهام عن السبب أي إن كان لي سلاح كسلاحك وقلب كقلبك فلأيّ الأسباب تكلّف مثلي أن ينهزم ويولّيك ظهره فتدركه فتفترسه فكأنه قد جعل نفسه في يديك قسرًا وقهرًا. ويُروَى: قهرًا بدل قسرًا والمعنى واحد.

(٢) يُروَى بدل يا ليث «يا ويك». **ويك**: كلمة دعاء مثل ويحك كلمة دعاء والمنادى محذوف من الكلام أي يا هذا ويحك. ويُروَى هذا البيت:

محضتك نصح ذي شفق فحاذر مرامي لا تكن بالموت غرا

والشفق: الشفقة. **ولا تكن غرًا بالموت**: لا تكن جاهلاً بأسبابه التي من جملتها الشاعر.

(٣) **الهجر**: بالضم الهذيان مثل ما يكون من النائم في نومه والمريض في حدّة مرضه. ويُروَى الشطر الثاني: وخال مقالتي زورًا وهجرًا.

(٤) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته تقدم الأسد إليه اغترارًا منه بقوّته وتقدّم بشر إلى الأسد اعتمادًا على شجاعته فيا لهما من أسدين طلبا مطلبًا كان وعرًا صعب المنال لأن كلّا منهما كان يطلب من صاحبه ما لا ينال. وقوله: من أسدين: بيان للضميرين في مشى ومشيت تفخيمًا وتعظيمًا لما عاد إليه كلٌّ منهما.

(٥) **هز الحسام** حرّكه في يده كأنه يبروزه ليتهيأ للضرب فتخيل بريقه ولمعانه كأنه فجر سلّ في الظلماء. ويُروَى بدل سللت شققت ويعبّر عن طلوع الفجر بفلقه والله فالق الإصباح.

(٦) **الجائشة**: النفس. يتهكّم على الأسد ويقول: إنني تكرّمت عليه بنفس قد أرته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منّته وأطمعته فيها بثباتها بين يديه إذ كذبته تلك الأمنية وفتكت به وقد يُراد من الجائشة هنا المعنى الوصفي، أي بضربة هائجة وقد كانت تلك الضربة منّته خيبتها لاضطرابها بهيجان ضاربها. ويُروَى بدل أرته: رآها. ويُروَى بعد هذا البيت:

وجدت بضربة جاءته شفعًا بساعد ماجد تركته وترا

فإذا أردنا من الجائشة المعنى الثاني كان هذا البيت تفسيرًا لسابقه وإن كان المعنى الأول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل في قوله أرته بأن كذبته ما منّته غدرًا. **وشفعًا**: حال من ضمير الأسد في جاءته وإنما كان الأسد شفعًا لأنه حين هَوَت إليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر وإطلاق الشفع على كلٍّ من الاثنين جائز لأن الشفع يتم بكلٍّ منهما. والضمير في تركته يعود إلى الماجد لأن الضربة لما قتلت الأسد فقد تركت الماجد وهو بشر أسدًا فردًا وهو الوتر ويُروَى هذا البيت: =

وَأَطْلَقْتُ المُهَنَّدَ مِنْ يَمِينِي فَقَدَّ لَهُ مِنَ الأَضْلَاعِ عَشْرَا
فَخَرَّ مُجَدَّلًا بِدَمٍ كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًّا(١)
وَقُلْتُ لَهُ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلَدًا وَفَخْرَا(٢)
وَلٰكِنْ رُمْتَ شَيْئًا لَمْ يَرُمْهُ سِوَاكَ فَلَمْ أُطِقْ يَا لَيْثُ صَبْرَا(٣)
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَارًا لَعَمْرُ أَبِيكَ قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرَا(٤)
فَلَا تَجْزَعْ فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا يُحَاذِرُ أَنْ يُعَابَ فَمُتَّ حُرًّا(٥)
فَإِنْ تَكُ قُتِلْتَ فَلَيْسَ عَارًا فَقَدْ لَاقَيْتَ ذَا طَرَفَيْنِ حُرًّا(٦)

فَلَمَّا بَلَغَتِ الأَبْيَاتُ عَمَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا مَنَعَهُ تَزْوِيجَهَا(٧) وَخَشِيَ أَنْ تَغْتَالَهُ الحَيَّةُ فَقَامَ فِي أَثَرِهِ وَبَلَغَهُ وَقَدْ مَلَكَتْهُ سَوْرَةُ الحَيَّةِ(٨). فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الجَاهِلِيَّةِ

= بضربة فيصل تركته شفعًا لدي وقبلها قد كان وترا
أي إنها قسمته فصار اثنين وقد كان واحدًا. والمعنى ظاهر.

(١) **خرّ**: سقط. **ومجدلاً**: مصروعًا على الجدالة أي الأرض. ويُروَى: مضرجًا بدم أي ملطّخًا وهي أظهر. وعلى الأولى لا بدّ من تقدير في الكلام أي أنه صرع مصحوبًا بالدم أو ملطخًا به وكان لسقوطه على الأرض هدّة كأن بناءً عاليًا هدم بسقوطه.

(٢) بعد أن قتله أخذ يعتذر له عمّا وقع منه ويعاتبه على مبادرته له بالعدوان. وكأنه يريد أن يُفهِمه أنه لم يفعل به ما فعل إلا اضطرارًا وحمية للنفس وأَنَفَة من الذّلّ ولولا ذلك لكان عفا عنه. **ويعزّ عليّ**: يصعب. **ومناسبي**: مشاكلي ومشابهي في الجلد والثّبات. **والفخر**: أي ما يفخر به من الشجاعة والقوة. ويُروَى بدل فخرًا: **قسرًا** وهو القهر. ويُروَى: قهرًا.

(٣) رمت أن تفترسني وهذا شيء لم يطلبه سواك مني لهذا لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر عن العدل.

(٤) **النكر**: بالضم المنكر أي كنت تطلب وتجتهد في أن تعلّمني الفرار والهزيمة لقد اجتهدت في الوصول إلى شيء منكر لا يمكنك الوصول إليه.

(٥) يُروَى بدل فلا تجزع: فلا تغضب. ويُروَى: فلا تبعد. والحرّ في هذا البيت الكريم والخيار.

(٦) كأنه يسلّيه عمّا أصابه فيقول: إن كنت قتلت فما هو بعارٍ عليك أن تقتل بيدي فإن قاتلك الذي لقيته ذو طرفين أي أبوين معروفين أصيلين فهو عريق في النسب شريف الحسب حر وإنما العار أن يؤخَذ المرء بيد دنيء. **والحرّ** هنا الصريح النسب الذي لم يدخل في نسبه رقّ ولا شُبهة.

(٧) ما مصدرية أي على منعه تزويجها. وفي نسخة: من تزويجها.

(٨) **سورة الحيّة**: سطوتها.

فَجَعَلَ يَدَهُ فِي فَمِ الحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا[١] فَقَالَ:

بِشْرٌ إِلَى المَجْدِ بَعِيدٌ هَمُّهُ ... لَمَّا رَآهُ بِالعَرَاءِ عَمُّهُ[٢]
قَدْ ثَكِلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ ... جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهُمُّهُ[٣]
قَامَ إِلَى ٱبْنِ لِلْفَلَا يَؤُمُّهُ ... فَغَابَ فِيهِ يَدُهُ وَكُمُّهُ[٤]
وَنَفْسُهُ نَفْسِي وَسَمِّي سَمُّهُ[٥]

فَلَمَّا قَتَلَ الحَيَّةَ قال عَمُّهُ: إِنِّي عَرَّضْتُكَ طَمَعًا فِي أَمْرٍ قَدْ ثَنَى اللهُ عِنَانِي عَنْهُ[٦] فَٱرْجِعْ لأُزَوِّجَكَ ٱبْنَتِي. فَلَمَّا رَجَعَ جَعَلَ بِشْرٌ يَمْلأُ فَمَهُ فَخْرًا حَتَّى طَلَعَ أَمْرَدُ كَشِقِّ القَمَرِ[٧] عَلَى فَرَسِهِ مُدَجَّجًا فِي سِلَاحِهِ. فَقَالَ بِشْرٌ: يَا عَمُّ إِنِّي أَسْمَعُ حِسَّ صَيْدٍ. وَخَرَجَ فَإِذَا بِغُلَامٍ عَلَى قَيْدٍ[٨] فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا بِشْرُ أَنْ قَتَلْتَ دُودَةً

---

(١) يظهر من الأبيات الآتية أنه لفّ يده في كمّه وأدخلها في فم الحيّة. ويُروَى بعد فم الحيّة: وقبض على لسانها وحكم سيفه فيها فقتلها.

(٢) **الهم**: هنا الهمّة يقال فلان بعيد الهمّة إذا كان طلابًا لمعالي الأمور. **والعراء**: بالفتح الفضاء لا يستتر فيه بشيء.

(٣) هذا البيت يشتمل على حالين من ضمير رآه، فالحال الأولى قد ثكلته نفسه وأمه أي رآه وقد أشرف على الهلاك فكأنه قد **ثكلته** نفسه أي فقدته هي وأمه. والحال الثانية جاشت به الخ... **وجاشت**: أي هاجت. **والجائشة**: وصف لمحذوف أي الحيّة الهائجة. وقوله: **تهمّه**: أي تودع الهمّ والغمّ قلبه بما توقع به من الشر.

(٤) قوله **قام إلى ابن**: هو جواب لما رآه عمّه. وابن الفلا هو الحيّة. **والفلا**: جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة أو المفازة لا ماء فيها والحيّات العظيمة قلّما توجد إلاّ في الفلوات لهذا سمّاها أبناء الفلا. **ويؤمه**: يقصده. وقوله: **فغاب فيه**: أي في فمه.

(٥) ضمير المتكلم لبشر لأنه المتكلم بالأبيات أي إنه حيّة مثله فنفسه شبيهة بنفس الحيّة وسُمّه شبيه بسمّه. **وسمّه**: هنا سيفه الذي قتل الحيّة به فكما أنه كان مع الأسد أسدًا آخر كذلك هو مع الحيّة حيّة.

(٦) أي إني كنت عرضتك لخطر الهلاك حتى لا أُزوِّجك بنتي وقد عطفني الله عن ذلك كما يثني عنان الجواد إلى وجه غير الذي كان يسير إليه.

(٧) أي كأنه في بهائه وجماله فلقة من القمر. وقوله: **مدججًا** في سلاحه أي لابس سلاحه وكأنه مستتر به لا ترى العين إلاّ السلاح.

(٨) أي إنه خرج لطلب الصيد الذي سمع حسّه فإذا بذلك الغلام على **قيد رمح منه**: أي مقدار طول الرمح يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لأن الكلمة مشهورة معروفة. ويُروَى بدل (فخرج فإذا بغلام الخ...). فقال الغلام: **مددت رِجلك إلى قيد** وهو جواب من الغلام لقول بشر إني=

وَبَهِيمَةً تَمْلأُ مَاضِغَيْكَ فَخْرًا[١]. أَنْتَ فِي أَمَانٍ إِنْ سلَّمْتَ عَمَّكَ. فَقَالَ بِشْرٌ: مَنْ أَنْتَ لَا أُمَّ لَكَ؟ قَالَ: اليَوْمُ الأَسْوَدُ وَالمَوْتُ الأَحْمرُ. فقَالَ بِشْرٌ: ثَكِلَتْكَ مَنْ سَلَحَتْكَ[٢]. فَقَالَ: يَا بِشْرُ وَمَنْ سَلَحَتْكَ. وَكَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ. فَلَمْ يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْهُ وَأَمْكَنَ الغُلَامَ عِشْرُونَ طَعْنَةً فِي كُلْيَةِ بِشْر كُلَّمَا مَسَّهُ شَبَا السِّنَانِ حَمَاهُ عَنْ بَدَنِهِ إِبْقَاءً عَلَيْهِ[٣]. ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ كَيْفَ تَرَى أَلَيْسَ لَوْ أَرَدْتُ لأَطْعَمْتُكَ أَنْيَابَ الرُّمْحِ[٤]؟ ثُمَّ أَلْقَى رُمْحَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِشْرًا عِشْرِينَ ضَرْبَةً بِعَرْضِ السَّيْفِ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ بِشْرٌ مِنْ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ قَالَ: يَا بِشْرُ سَلِّمْ عَمَّكَ وَاذْهَبْ فِي أَمَانٍ. قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنْ بِشَرِيطَةِ أَنْ تَقُولَ لِي مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا ابْنُكَ. فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ مَا قَارَنْتُ عَقِيلَةً قَطُّ[٥] فَأَنَّى لِهَٰذِهِ المِنْحَةُ. فَقَالَ: أَنَا ابْنُ المَرْأَةِ الَّتِي دَلَّتْكَ عَلَى ابْنَةِ عَمِّكَ. فَقَالَ بِشْرٌ:

تِلْكَ العَصَا مِنْ هَٰذِهِ العُصَيَّهْ ... هَلْ تَلِدُ الحَيَّةُ إِلَّا الحَيَّهْ[٦]

= أسمع حسّ صيد وهو إما دعاء عليه بالأسْر والوقوع في قبضة قوم يقيِّدونه أو خبر أي إن ما ظننته صيدًا ليس بصيد بل هو صائد فأنت بقولك هذا قد مددت رِجلك إلى القيد. وقوله ثكلتك أمك يُروَى: ثكلتك نفسك.

(١) **الماضغان**: أصول اللحيين عند مدخل الأسنان لأنهما يتحرّكان عند المضغ بل هما آلته ويملأ الماضغين أي ما بينهما وهو الفم. وقوله: أن قتلت بفتح همزة أن متعلق بتملأ أي إنك تملأ فمك فخرًا لأن قتلت دودة وهي الحيّة وبهيمة وهي الأسد. وقوله: أنت في أمان الخ... مطالبة له بما لا يمكن أن تسمح به حميته، كيف يسلم عمّه بدون قتال.

(٢) **سلحتك**: رمت بك من بطنها وقذفتك وهي أمك. فأجابه الغلام بشتم مثل شتمه. فقال: ومن سلحتك يا بشر: أي وثكلتك من سلحتك أيضًا.

(٣) أي إن الغلام قد تمكّن من قتل بشر بعشرين طعنة كلها تصيب كليته لكنه كان يمسّ بدنه **بشبا السنان**: أي طرفه ثم يحميه أي يبعده عنه ويقيه منه إبقاء عليه أي رحمة له واستبقاء لحياته.

(٤) أليس الحال والأمر أني لو أردت أن أجعلك طعامًا لأنياب الرمح لأطعمتك إيّاها وليس للرمح إلا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدّد الطعنات كأن لها في كل طعنة نابًا أو أنه شبّه الرمح بمفترس له أنياب وطواه وأشار إليه بالأنياب فهي تخييل محض.

(٥) **ما قارنت عقيلة**: ما تزوّجت امرأة كريمة حتى تأتي بغلام كريم مثل هذا.

(٦) إشارة إلى مثلين معروفين أحدهما العصا من العصية. **والعصا**: فرس كانت لجذيمة الأبرش. **والعصية**: أُمها أي إن الولد تابع لأُصوله في الكرم ويريد أن هذه الشجاعة في الغلام وحذقه في ضرب السلاح كانتا له من أبيه وأُمه. والثاني **هل تَلِد الحية إلا الحيّة**: أي إنه لا يَلِد مثل هذا=

وَحَلَفَ لَا رَكِبَ حِصَانًا ولَا تَزَوّج حَصَانًا(١). ثُمَّ زَوَّجَ ٱبْنَةَ عَمِّهِ لِٱبْنِهِ.

= الغلام إلا مثل بشر وأُمه فليس بعجيب ما رآه منه.

(١) **الحِصان**: ككتاب ذكر الفرس. **والحَصان**: كسحاب المرأة العفيفة وإذا لم يتزوج عفيفة فهو أحرى أن لا يتزوّج غيرها والله أعلم. وهذا آخر ما أردنا تعليقه على ما وُجِدَ من مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني. وكان الفراغ منه في السادس عشر من شهر رمضان المُعَظَّم سنة ست وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأتمّ التسليم.

فهرس المحتويات